الأعمال الكاملة
للدِّيْبـِـا،ِـتِـاَـثْـاَـثَـا
مَـحَمَّدُـحَـسَـبَـيْنَ،ِـزَـيْدَـاَـن
الجزء الثالث
الأعمال الكاملة
للأستاذ
محمّد حسين زيدان
الجزء الثالث

الناشر
محمد مصطفى أحمد
عبدالمقصود خوجه، ٤٢٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك عبد الوطن أثناء النشر

زيدان، محمد حسين
الأعمال الكاملة / محمد حسين زيدان - جدة ٤٢٦ هـ
(٧ مج ٥٧٤ ص) الجزء الثالث ٧٨٤ ص ؛ ١٧×١٩ سم (كتاب الالتباسية ٢٤)
ردمك ٨-٧٣٨-٥٧-٤٥٠ (مجمعة)
٨-٧٣٧-٥٧-٤٥٠ (ج ٣)
١- زيدان، محمد حسين
٢- التاريخ الإسلامي
٣- الأدب العربي - مجموعات
العنوان
دبي ٩٥٣٢٣٢٢/٢/٢٠٢٣

رقم الإيداع : ١٤٣٦/٢/٢٠٣٢
ردمك : ٨-٧٣٨-٥٧-٤٥٠ (مجمعة)
٨-٧٣٧-٥٧-٤٥٠ (ج ٣)

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠٣٢

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكتبة الملكة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبعت محفوظة

الناشر
عمّام المقصود محمد خوجه
جدة
فهرس المحتويات

النشر .................................................................
كلمة.. ونصف ..........................................
مقدمة .............................................
إسلاميات .............................................
عن الإسلام وتاريخه .............................................
أيام مباركات .............................................
سياسة .............................................
أيام في تاريخنا .............................................
إسرائيل واليهود .............................................
مواقف ورجال .............................................
العرب .............................................
شخصيات .............................................
شعر وأغاني وأمثال .............................................
شعر وأغاني وأمثال .............................................
اجتماعيات .......................................................... 46
عادات وعبو اجتماعية .................................. 46
حديث الجدات والعجائز ................................. 46
المَرأة .......................................................... 46
حوار ............................................................. 46
حوار ............................................................. 46
صحافة وكتابة ................................................. 46
صحافة وكتابة ................................................. 46
أكثر من موضوع........................................... 46
tلفزيوننا العزيز وأفلامه .............................. 46
ذكريات ......................................................... 46
رسائل خطية وتليفونية .................................. 46
حكايات وأساطير ........................................... 46
حالات نفسية ................................................... 46
أنيمات ......................................................... 46
صور ............................................................. 46
مخلة الكاتب كشكول القارئ .............................. 46
المقدمة ....................................................... 46
الخير من خلال الشّر منتبِق
عن الفتنة. موقف الأنثة الثلاثة
السوا .
تُلْفِرُوا الأيام والولائم ٦٠
تُلْفِرُوا لنا الأيام والملائمّ ٦٠
إلى مصر - نصر العاشر من رمضان حطين الرابعة
كتّب للبيع
الاستاذ عزيز أقايضة . لا أضايجه!
من فرغانة إلى غانة
إقبال الكريم. واستقبال المكرمين
خالد وسلطان ذكرت فأكبرت . كُرِرت فشقرت!
من هم الفلسطينيون؟
السيف
الخدمة -
القرنين -
كلمات في صورتين رفضوا اتهام أحمد جبريل .
بقيّة الناس فالفلاح الظاهري .
طعننا التجار!!
الجزء الثالث - فهرس المحتويات

حوار مع الأسناذ مصطفى أمين ........................................

التأقلم والأرض .....................................................

.. الأورون ...........................................................

الطبيع ..............................................................

التراث - صادقو لا تصدقو ........................................

مبارك - ياسر لافينت - واشنطن ...................................

قيس من البيان !! ...................................................

بجروح ..............................................................

- شامية .....................................................

النقص ..............................................................

وحدة المشاعر - عصمة !! ........................................

أرض الزبير في الغابة .............................................

أمثلة ..............................................................

حرب السلام لا سلام الحرب ........................................

اللغة إعراب والأرض تعريب ......................................

- في ذاكرتي: الأمير شكيب أرسلان .........................

الأحمق .............................................................

العريقة ............................................................
الماضي ........................................

نكسة ........................................

البطاقة ........................................

المعمة ........................................

ابن عثيمين ......................................

غريلة ...........................................

البقرة .. والحمار !!!........................

الأمة ...........................................

الإرتجال ! .....................................

الواء ...........................................

خير للطالب ....................................

النفيس ........................................

زوجه ...........................................

الوطن ........................................

غريلة شاعرة ...................................

الخدم ........................................

صورة ..........................................}

الأدب ........................................

الجريمة ......................................
صورة 

أمن الحرمين: ّ يصلي ولا يتعدى 

العاهل .. والشاعر في الجاهلية 

إياكم وخطراء الدمن 

كلمة وكذبته 

غورباتشوغ في الصين سلم المصالح لا حرب العباد! 

قالوها .. فلمقل عنها 

الدفاع عن شيخين 

العربية اتماما للقيم! 

طرائف عن عبد الملك بن مروان 

من قتل عمر? 

علاقة السعودية ومنظمة التحرير. 

ومن اليهود قالوا .. 

الحب نوال .. لا مثل 

قومية العرب ومراحلها 

القومية العربية ١٠ 

القومية العربية ٢٠ 

القومية العربية ٣٠ 

القومية العربية ٤٠
الجزء الثالث - فهرس المحتويات

المؤتمرات العربية ٥٥

المؤتمرات العربية ٦٦

فهرس المحتويات
النشر
كلمة. ونصف
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم سباعي عثمان

وأنا أنتقل خلال سطور هذا الكتاب في تحفيظ تلفتَ حولي - كالمستغظث - أنتاء، من أي المداخل، أتلمس طريقي إلى هذا الخضم الواسع من فكر أستاذي محمد حسين زيدان، ولا أخفف ما شعرته به من حيرة أمام هذه الموسوعة المتنوعة. لكن عزاني، هو أني لا أتنالها لأقول ما ينقصها، أو ينقص كتابها من قول، ولا لأشرح ما استغله من أفكاره - فأسلوب الأستاذ الزيدان معروف بسهرته الممتنعة - وإنما أنا استجيب لدعوة كريمة من المؤلف، ربما أراد بها تشجيعي، أو تشريحي لاستقبال القارئ على أبواب هذا السجل القيم. وعلّي ثاني تلميذ يقدم لاستذائه، بعد الصديق الأستاذ عبد الله جفري الذي قدم كتابه: "التراث قلم". وفي مثل هذا التواضع منه تكمن عظمة العلم، ويشع جلال العلماء، وسماحة المفكرين.

وأستاذي الزيدان - وإن كان في غير حاجة إلى التعريف - إلا أن هذه
فرصة نادرة بالنسبة إلي... لا لأرخفه، وإنما لأعلن عن معرفتي به من زوايا
- ربما - لا يعرفها غيري من البعثيين عنه، وذلك من خلال صلتي به,
قارته، وتبادلاً للفكر، وأديبه، منذ الثمانينيات، ومتلكي لأماليه، خلال عملي
في صحف الندوة... وكان رئيساً لتحريرها. وعكاظ وكان واحداً من
أسرتها، وكتابها، وأباً روحياً لمحرريها - والبلاد، والمدينة، وهو أحد
كتابهما البازرين، ولا يزال قلمه يبيض من معين لا ينضب، ولا يجهف!

ومن خلال هذه التجربة، عرفت أستاذي الزيدان، كاتباً، حاضر
البديهة... يتمتع بقدرة فائقة على ترتيب أفكاره، خلال ارتجاه المالف
لدى عارفيه، وهو من أقوى من عرفتهم ذاكرة، وحضوراً، ولا يكاد
مستمعه يفرق بين أسلوبه كاتباً، عندما يقرأ له، أو محدثاً عندما يصغي
إليه... وقليل من الناس يتمتعون بهذه الخاصية التي تنتم - عادة - عن
التمكن والاصالة، وسعة الأفق...

ونحن أبناء هذا الجيل نعرف الأستاذ الزيدان معرفتنا ببعضنا. فهو أقرب
أدباء الرعيل الأول إلينا، موجهًا، محدثاً، ومناقشًا لمحاولاتنا، وتجارتنا
الغضة منذ بدايات عهده بعضنا بالأدب. وبعضنا بالتأدب، أو الصحافة، و
"الصحافة" إن صح هذا التعبير... ربما بحكم لقاءنا المستمرة به... زائراً,
- أو كاتباً، أو مراجعاً، أو معلماً لكتاباته...

بين دفتي هذا الكتاب مجموعة منتظمة من مقالات الأستاذ الزيدان
المتنوعة، يسعدني أن كثيراً منها، من أماميه علي: في الندوة، أو البلاد، أو
عكاظ، أو المدينة... لا أذكر... ولكنني أتذكر بعضها الآن كلمة... كلمة،
- وأتذكر كثيراً مما استوحسته من عباراتها عبر الهاتف. فكان يعيدها علي -
كما لو كان جهاز تسجيل... فكن أعجب لذلك أشد العجب... ثم... مع
مرور الأيام - أصبح أمراً مألوفاً لدى، لا يثير ما كان يثيره من دهشة!
وفي ما بين يدي القارئ - مما ضم هذا الكتاب - ينتقل الأستاذ الكاتب، بين الأدب، والتاريخ، والسياسة، والاجتماع، والتربيه، وشؤون أخرى من هموم المجتمع، وقضايا، في ما يشبه السياحة الفكرية، فيوفي كل هذا حقه، من خلال رؤية مستنيرة، وفكر ذي خصائص أصيلة، ومتميزة. إنها حصدوله. غنية بالتجارب الطويلة في ميادين مختلفة، مع الحياة، والناس. فيها المعاناة بين الإخفاق والنجاح، والتعلم والإحباط، فكان هذا العطاء الرائع الذي يقدمه للناس.

والاستاذ الزيدان من أكثر كتابنا انتفاحاً على الفكر المعاصر، بصورة المعوسية. وصفة المتابعة التي لازمته. ولازمته كثيراً من أدبنا الكبار، فهو يقرأ في كثير من مجالات المعرفة، ويكتب أيضاً - في مجالات شتى. ربما، انطلاقاً من التعريف التراثي للأدب. بأنه "الأخ ذكر في كل فن بطرف".

وكم سبق أن قلت في بدايات هذه التقدمة - إن لا أحاول أن أقوم (بتشديد الراو وكسره) - هذا العمل، ولا أحاول تفسيره، أو تقدير قيمته، فتلك مهمة، أنا دونها. عندما يكون موضوعها، هو فكر الأستاذ الزيدان...

وإنما أستجيب لاستضافته التي أعجز عن التعبير عن امتناني لها.

أما مبدأ جمع المقالات المشورة في كتاب يصدر للناس، فبداً، أحتفظ تجاهه أشد التحظ، وهي ظاهرة تكاد تتفشي بين كتاب الشباب في غياب جهة تُعنى بتقليد "تقييم ما يطرح على الساحة الأدبية من منشورات". على الرغم مما في بعضها من الأفكار الخلاقة، وما في بعضها من براءات إبداعات موفق. إلا أن التسرع في النشر - قبل نضجها ونموها - يجهضها في فترة التكوين!

ولتحظي تجاه جمع المقالات المشورة في كتاب، أسباب:

1 - أنها تجوي عادة تعليقاً على خبر، أو تحليله له، أو هو بين التحليل،
والتعليم، وقبل منهما يكتب كتابة فنية، عميقة التناول، ومعظم هذه الكتب،
تكتب في ظروف عاجلة للمواجهة بالالتزامات الصحفية يومية، أو أسبوعية...

2 - كثير من هذه المقالات تكون وليدة مناسبات تستند أغراضها،
بسبب هذه الأغراض أو تبدل ظروفها مع الزمن، تجاوبًا مع هذا الرأي، أو
ذلك، فالصحافة مرحلة المجتمع وانعكاس لأماليه. وتطلعاته التي تترجمها.
الكتاب عادة.

3 - هذه المقالات لا تنشر أصلاً - لضمنها، فيما بعد، في كتاب،
ولذا الاعتبار قيمة وأثره على الفكرة، والأسلوب!
طبعية الحال.. لا ينسحب هذا القول على إنتاج أدبنا الكبار الذين لم
تعرفوا ظاهرة التسرع لأنهم:

1 - نشأوا على أسس علمية متينة لا ينشأ عليها الشباب اليوم. لا في
مناهج التعليم، ولا في حصيلتهم الثقافية الحرة. .. لغة، وأسلوب، وإدراك،
وهمة، وقدرة على توظيف محصلتهما العلمية والثقافية.

2 - لأن حصيلة أدبنا الثقافية والعلمية غزيرة، وتنوعها، وموصولاً.

3 - لقعة دور النشر في فترة شبابهم بالصورة التي نشهدها اليوم.

4 - إن أدبنا الكبار يحرصون عادة على مراجعة مقالاتهم المنشورة
لتهميتها للطبع، إلى جانب أنها أصلاً ذات قيمة أدبية وفكرية كبيرة.

هذا شأن كتاب الأستاذ الأسيدان الذي بين يدي القارئ بعنوان «كلمة
ونصف» الذي نشرت موضوعاته في العديد من صحفنا المحلية وأدعت عبر
مايكلروفون إذاعة المملكة العربية السعودية .. وكان لها أثر كبير، وستظل
ذات أثر مستمدة لأجيالنا القادمة، علماء، وفكراً، وتوجيه، وإصلاحاً، شأنها
شأن كل فكر أصيل، ذي رواف أصيلة!
إسلاميات
عن الإسلام وتاريخه

و حينما أخذ الغرب لنا نحن العرب العلوم والأدب في كثير من صورها، وأخلاقيات الفروسية وصناعة السيف بدل البلطة، ولعب الكمال "الجولف" وما إليها سواء أكان ذلك مما تقلنا وترجمنا وصقلنا، أم أنه افترعنا واخترعنا - لم يغمضوا في تقليدنا في ما تلبسنا أو نأكل، أو في ما ندين به ونتمذهب له، فاستنارت عقولهم وبقي وجدانهم يبلور بما صنع العقول وما تفرضه التقاليد وما تلتزم به البيئة، وما يحرر به الاعتقاد.

وهم حينما أخذوا "الرومبة" وألسبنا من موسيقى أفريقية وقصص الزنوج لم يلبسوا "الكشكشة" وألسبنا ولم يخضعوا الطقوس من السحر والشعوذة، فلم يأكلوا لحم البشر، وإن سفكوا دم البشر، وإن استرقوا الإنسان.

والسابقون الأولون لنا نحن المسلمين والعرب لم يأتوا من الأخذ عن أمم سبقت علوماً وفلسفة وصناعة وخططاً ونحوها وتحديدو الدواوين.

قال الصادق المصدق عليه الصلاة و السلام، في تعليم لنا، يعلمنا تنظيم العلاقة بين الزوج وزوجته: "يغني أن الروم تفعله فلا يضرها" أباح بذلك ما منع من قبل.

أخذنا عنهم بجد الأولين، وأعطيناهم بصخور المؤثرين. فلم يلبس ابن
سيما وابن رشذ الفارابي والمغري وابن حيان وابن الهيثم والخوارزمي زنان
يونان. ولا مسح قسح، ولا خلقية المحرز، ولا أمسي أهدهم عصا
الهرم، ولم يعوج لسان واحد منهم بريطان ينطير بها، بل كان يجيد
التراتب للترجمة والفهم، لسان أعجمي وقلب عربي ووجدان مسلم.

فوضعوا العلوم، وضعوا التفوق، وغرسوا (بالجوانية العمق الوقاني،
فلم يسخروا من أنفسهم باللزي (البراني) الزائف. وكنا بذلك الأمة الوسط
والنحو النسيب بين قرون خلت وقرون تأتي وتأتي!

وضعنا العلوم والأخلاق والتفوق موضوع الاستفادة والإفادة. فقانون
الشيخ الرئيس مكت قرونًا المرجع الأول للطب في الغرب كله. وحتى لقد
قرر تدريسه في أكثر من جامعة.

وجننا نحن في القرنين التاسع عشر والعشرين أخذنا كل شيء بالتقليد
لا بالتجديد، تخفتنا كما تخفص الصبرة الضائعون. ورقعنا كما رقصت
علب الليل. فلم نجد إلا ضياعة

واجه الوضاع بالبدعتين، غربية في البرلمانات والانتخبات والأحزاب
والدساتير.

وشرقيا بالحرية يخنقها طلب الخير، وبالخبز لا تحققه الحرية ولن
يكون دونها. بالحزب الواحد المعلن عنه في يده سلطان ينكر على غيره
أن يوجد، فإذا مستور تحت الرماد وتحت التنين، يخرج حيناً على غرة
ليكون هو الواحد بسلطان مفرد، ليخفتي حزب يخرج فيما بعد.

بدعة الاستيراد، والابتداع في التقليد لن تكون فيه الأصلة. ولن يكون
إلا هذا الشر، وهذا الخلاف.
بدعة الغرب جزت فرقة الشعب على نفسه، وبدعة الشرق صنعت فرقة الأمة كلها شعباً وأحزاباً.

- أيام مسلحة من حقها علينا ألا نكتب إلا لها.

ما لها نكتب لها؟

لها قرآنها، لها مبانها، أقول الصدق: نكتب لنا.. تبص أفسنا، فحتى علينا أن نحارب "يهودا". ذلك الحتم فرض علينا أن ننادى. ذلك الجهاد فرض علينا أن نعقد مؤتمراً قمة. فهل كان فرد من هو المسلم حقاً ليكون القاعدة لهذه القمة؟

الإسلام حقاً لا يدعو إلى عنصرية. لا يستل سيفه من أجل قبيلة.

لا يجعل في مجتمعه فرقة. تجعل إنساناً يمتاز على إنسان. تحت هذا شيء كثير نحن نفعله.

الإسلام قاتل النعرات.. الإسلام فارض الجماعة.. حرب على كل فرقة.

ليس في تفاسير الدم الكنك، وليس منه الدعوة بالقبلة عليه دم صادق.. دم عامان.. كل ما فيه "إن هؤلاء أُمَّتُكم مَّالِكَة وَحِيدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمُ فَاَسْبَعُنِّي" (الأنبياء: 92).

القمة المسلمة في يومها الرائع ستصافح.. تجعلنا ننشر بضوء

الصحف.. تجعلنا ننشر لا سود الصحفاء..

تلاحم عمر بن العاص مع خصيص له. وما أبعد أبا عبد الله عن الغضب، ولكنه غضب، فنادي كأنه في أحضان العاص بن وائل، أو هو تحت رأية حرب بن أمية.. نادي: يا ليهفصص!.. نادي قومه، فأمسك به
ابنه عبد الله. ذلك الولد الخير: ماذا قلت يا أبتاه. أدعوا الجاهلية تبغى؟. دعها تحت قدميك كما وضعها رسول الله يوم الحجة. حجة الوداع! .

فاسترحى عمرو، واسترجع عمرو، واستغفر عمرو، وقال:

- ما كفارةها يا عبد الله؟!

هي ذنب يسأل أن يكفر عنه. هذا هو المسلم. صاحب فتح الفتوح. سواء في بيت المقدس أو على الفسفاط، فقال له ابنه عبد الله: كفارةها أن تعتق رقبة!

فسمع عمرو نصيحة المسلم للمسلم، وأعتق الرقبة!

فقد أضاف عبد الله إلى استغفار أبيه غفرانًا جديدًا لنفسه. بالنصيحة لأبيه. بالوقفة الصامدة يثبت حق الإسلام في إسقاط التحرير. يثبت معنى الإسلام في أكثر من ذلك. في إعطاء الحرية لإنسان. هكذا المسلم. القاعدة عبد الله بن عمرو، والقمة عمرو. أما غير ذلك فشيء غير ذلك!

وتحدث إلي جمع كبير قال الكلمة الواصلة: لقد كنت أسأل ماذا يعني المسلم بدعائه هذا: "الله لا تروا عجب ان قدرتكم."

حتى عرفتها في هذا الإنسان. وصل إلى تفوق في التقدم والحضارة والوقاية. ثم هو العاجز عن مقاومة ما سخره الله. كما هو العاجز عن الشكر.

فالصواعق، والزلازل، والأعاصير، والفيضان كلها أو واحدة منها يقف أمامها الإنسان بكل ما لديه عاجزا عن المقاومة والصمود.
فأخذت العظمة أرويها لصديق عالم، فقال: لقد ترأست لك أكبر العلماء.
فأللهم أرني فيه عظام قدرتك.
فأخذت أذوق معناها الكبير حتى إذا مضى يوم أو يومان فإذا بي أسمع عجزاً ثانياً تدعو فقول: «اللهم أرني فيه عجائب قدرتك».
حفظت الاثنين. أيهما أمكن وأشمل وأدق، وبعد أيام وجدتني أميل إلى الأخيرة فكل عجيب عظيمة، وليس كل عظيمة عجيبه، فالهلاك بالطامة والصاخة والقارة والصاعقة أمر عظيم، ولكن آلي العجيب العظيم الإهلاك بالفعل. هذه الحشرة الدقيقة بماذا أهلكت. أو يرصها ومصها? أم بالشيء الأدق تحمله. ميكروب الحمي. تيفوس أو الراجحة، والضغد.
حيوان صغير كالقمل أهلكت به اليهود! بماذا أهلك؟
لقد أهلك بما يحمل من ميكروب، جرثوم ميض.
فلاللهم إن يهدى جاء بكل قوى الإنسان المارد. فأرنا فيها عظام قدرتك، وعجائب قدرتك يا ولي المؤمنين وناصر المسلمين.
- من ظهيرة أمس هبت رياح على تهامة، فقامت بعض قطع من السماء.. فسألتني أحدهم جازعاً من الغبار: ايش هذا!؟ قلت له: إذا غبرت تهامة أمطرت سماوها، اللهم اجعلها رياحاً، ولا تجعلها رياحاً غريب هذا الحديث.. فالريح الواحدة من مهبها الواحد. تبعث السحاب.
والتريخ المتعاکسة تسوق السحاب إلى بلد ميت. هي اللواحق.

بقوتها تسوقها. يحملها إلى ذرات الغبار تكثفه لبؤطر، ولقد جاء في العلم الحديث ما يفسر لنا هذه الأخبار، والآيات البينات.

يقولون: إن المطر تحمله رياح إستانافية جنوبية، فإذا اصطدمت برياح مضادة تساقط المطر، فهي إذن رياح سانقة، وملفحة.

ويقولون: إن الغبار إذا ثار بقوة الرياح. أو أثير بعمل الإنسان تكثف السحاب كأنما هو يقتحل حتى تأتي الرياح تنزل.

وفي استقراء التاريخ قرأنا أن الهنود الحمر في أمريكا كانوا يستنفرون المطر. يتشحرون حتى. فيشرون الأطرة بالحيوانات. يعملون على تصاعد الغبار حتى يتكثف السحاب فينزل المطر. يعني أن هؤلاء الهنود الحمر عرفوا سر المطر الصناعي بالتعامل مع السحاب على هذه الصورة.

قبل أن يصنعه الشعب الذي حل محلهم بالطريقة العلمية. ما ترك الأول الآخر. ومن سنة هذا الإسلام الاستغاثة. دعامتها الأولى الدعاء إلى الله، ويتخذ العارفون وسائلا لذلك. فخروج الحيوانات والأطفال لاستجلاب الرحمة هو أيضاً أحبسه في ما أظهر عملاً لإثارة الغبار. وهذا عمر رضي الله عنه تازم الأمر في عام الرمادة، وعزم على الاستغاثة، وقبل أن يستنفر بالباس قال للباس: اربق لنا نوء كما. كأنما هو أراد أن يحجب الحنن - الوقت - ليجار بالدعاء. فالرحمة من الله قبل كل شيء. والرياح والسحاب من وسائل الرحمة.

جدير بنا أن نتخذ الوسائط المفيدة بالعمل العفيف لنسدر الرحمة من الله. يحب الرجل العامل. والإنسان الذي يفكر في آيات الله، ويكوه الرجل البطل!!
وجلس يجانبي - وقد كنت أذعت حديثًا مسلماً عن بطل من أصحاب رسول الله ﷺ في "صوت الإسلام" وسلم ثم تكلم.

- قال: ابني سمعت حديثك فأعجبها.

- قلت له: ذلك لأنها مسلمة.

وانترنت أن يتظرى وجدانه بشيء من إيمان ابنه، ولكنها الفجيعة!
الفجيعة أن قال بلهجة ساخرة: مسلمة! مسلمة! خليك بلاش كلام.
وأحسين دهشت، ثم تركته لا أجيب بل انصرفت عنه أتحدث مع غيره.

"شنشة أعرفها من أخزم؟"

وسأني يوم ينكشف فيه الغطاء عن أمثال هذا المسخ المتحرم.
- قلت لفتى مسيحي في بلد عربي: سلامات. سلامات. اليوم.

أنا يعرف.
- قال: أنا يعرف إلى بلدك مهد العروبة، مهد الذين فتحوا وعمروا؟ إذا
بلغت منازل صناع التاريخ اقرنهم سلامي.
- قلت: أعرفهم؟ أحبهم؟
واكفر وجه الفتى، أريد، وقال: أسمع إذا أخرجنا عظمة محمد من
مجد إنسانيته، وعمل ضريعته، وفضائل رسالته ماذا يبقى لكم أنتم أيها المسلمين.. وماذا يبقى لنا نحن العرب؟
إن عظمة محمد البشر في اعتقادي (يعني اعتقاده هو) أمر لا جبال فيه
من هنا أحبه ك عربي ولو كنت نصرانياً.
إن حب المسلمين لرسول الله مساه الطاعة والتقوا والأدب، وليس هو طقوساً ولا كهنوتاً ولا وسطاء. وإنما هو توحيد الله، أشرر المقامات ليزداد الإيمان بالطاعة والحب والأدب.

هيا بنا نؤمن ساعة إذا بصفنا في وجه من يسخر من إسلامنا، إن الذين
في طبعهم سخريه إلى هذا الحد، أن يكونوا ساخرين من أنفسهم يعيشون
في غربة وكرية من نظرتنا إليهم تقصيبهم وتقممع رؤوسهم، لا مجد لهذا
البلد دون إسلامه، ولا مجد لأهله إلا يكونهم المحمدين المسلمين.

وأدعوه الله أن يقذف الرعب في قلوب الرجال فيلهكون أنفسهم
بالرهبة والخوف، فالاستكانة والقتل!

وأسأل الله أن يقذف الرعب في أفئدة العدو، أي عدو لهذا الدين.
لهذه الأرض. إنسانها الباني حياتها بحياة، كأنما هو قد خلق لها وخلقته
له. ففجاء الأقانون الأفاقون ينزعون الأرض من تحته شبراً فذراعاً إلى
الفراسخ والأميال، وأعاتهم الذين تأثروا على الإسلام، يتداعون علينا كما
العمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان ـ

تداعى الأكلة على القصعة... صدق رسول الله ـ

الرعب. الرعب. قتال النصر. هائم الأمم. معطل السلاح. هو

سلاح العدو كأحسن من سلاحه المصنوع في يده.

فمن جوامع الكلم قول الصادق المصدوق سيدنا محمد بن عبد الله

علي الصلاة والسلام: «نصرت بالرعب».

الرعب يجعل الرجال طلاب سلاما، يفرنون من الموت في ساحة

الشهداء وبحر السلاح، إلى الموت حنف أنوهم كما تموت الحرة المربطة

بأوتاد تقيم على مذلة كما هو الوصف لغير الحي يشج فلا يرثي له أحد:

ولا يقم علي ذل يراد به إلا الأذالن عبر الحي والوطن

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

ـ قرأت لأمير البيان أبي غالب شكري أرسلان هذه الحكاية فقصها

فقول:

ـ غزا النتر العراق وعائلا في ربيع الرافدين ـ وكانت قلوب الناس قد

خلمها الرعب ـ فدخل تري علي جماعة بلغوا العشرين وأكثر.

ـ فقال: أنتم هنا. أنتم هنا. سأذهب أحضر سلاحى فأحياء

لا قتلكم...

وستوا عنه، أكل شجاعتهم الرعب. ـ كأنما هم أفغان لا تقفهم، تنظر

السكي من جوارها.

ورجعت نفس واحد منهم. فقال: ما هذا؟ هل نصير عليه حتى

يقتلنا؟ وشد من عزم الرجال وترصوا حتى إذا حضر تناولوه وتناولوه

فقتلوه ونجوا.
هكذا الرعب نفذته دعاية وغفلة ونكرص ودعة وسلبية ممنه من الهرب
من طلب السلامة وكراهة الموت!!
وهكذا الانتقام تصنعه كلمة من شجاع صادق في قلوب رجال ينفع
فيهم الكلام الصادق المؤمن.
أيام مباركات

الحمد لله على نعمة، والشكر له سبحته على جزيل فضله ..

السلامة بالدين الخاتم للأديان، والنبي لمحمد صدنا على رسل الله وعليه أفضل الصلاة وسلم بهذا النور: القرآن!

الإسلام دين الحق، وكلمة الحق، والعمل الحق، والمصير الحق، هو

فرض الله علينا كركن من أركانه صوم رمضان.

رمضان نصرا من طائعين، غير أننا نجهل الدعاء إليه جل جلاله نسأل أن يمنحنا رمضان ناصراً منتصرًا مثل ما سبق من رمضان في تاريخ هذه الأمة.

رمضان واحد لا يمكن أن يكون لنا أو لأحد غيرنا مثله، ذلك هو الشهر الذي نزل فيه القرآن، أول ما نزل في حراء إبتداء بالنبأ "آوَّلَ أَيَّامِ عَلَقَ" (العلق: 1).

حتى إذا تمت نعمة الرسالة في بداية الحدث، وكمثل النعمة بممام الدين في عرفات، نحن نسأل أن يمكن لهذه النعمة بالثواب منها علينا، والثواب منها علينا، فالله المثمن بالقول الثابت: رمضان الوحيد خصه الله بوجب نزل على محمد عليه الصلاة وسلم.

الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسن زيدان -
لكننا نسأل أن يمنحنا رمضانًا كرمضان بدر تنتصر فيه كلمة التوحيد،
وتوجد الكلمة.
ورمضانًا كرمضان الفتح، يتم فيه النصر، وتكمل النعمة. ويفرح الله فيه
الذنب، ويكون فيه النور العظيم.
ورمضانًا كرمضان حزين، نظهر الأرض المباركة ويفتح بعده بيت
المقدس.
رمضانًا تكون الأخوة في دين الله، تبرأ الدم، وترتاح القلوب.
فاللهم أسع علينا نعمة هداك ليكون أهلاً تستاهل نصرك.
الرحمة: الرحمة يا رب: في خسران من لم يرحمه الله بهدایة التوفيق،
وسلامة الطريق، وصدق الرفيق.
سؤال أطرحه على الإذاعة في جدة؟
قبل يومين كنت في مكة المكرمة، وفي بيت لا يغفر أهله إلا إذا
سمعوا المدفع من الراديو!!
البيت في "جرول". وجلسنا إلى المائدة. نسمع الراديو، نؤمن ساعة
بسماع القرآن تلاوة شيخنا عبد الله خياط أميد الله في عمره وزاده توفيقاً
وقيولاً.
وامتد الزمان. وطال الانتظار، فالساعة بلغت السادسة إلا ربعاً،
وكون بهذا الوقت قد أطرفنا على المدفع في جدة. وعجبت!! إن مدفع
الإفطار في جدة لا يضرب إلا عند غروب الشمس، والشمس تغرب في
مكة قبل جدة بدقائق أربع أو أكثر بثوانٍ أو أقل بثوان. فلماذا تأخر إعلان
الإفطار من الراديو.. فالقرآن لا نزال نسمعه.
وصبرنا حتى السادسة إلا عشر دقائق أي بعد جدة بخمس دقائق.
في الساعة السادسة إلا عشرًا، سمعنا الدعاء من الشيخ محمود الصوافي، أعاده الله على شأنه وأبقاه.
عجب!! ألا يكون شريطًا مسجلًا وترك هكذا حتى ينتهي؟ فليس من المعقول ألا يضرب المدفع إلا بعد السادسة إلا عشر دقائق.
قم يا خالد... تعال انظر يا محمد... انظر الليل أقبل من الشرق، والنهار أدر من الغرب، أوشكت النجمة أن تطلع!
إذننا ملزمون بتعميد الإفطار وتأخير السحور.
وفرحت حينما انتهى الشريط، تلألأل وداعاً، وصوت المدفع في الساعة السادسة إلا عشر دقائق، أي بعد جدة بخمس دقائق.
وسمعنا المذيع يقول: ما يفهم منه: أن الآذان ينقل على الهواء من منائر المسجد الحرام.
هذا حصل وفي مكة... وما زلت في شك من مر البقين عندي.
والأمر الأول أحبت التأكد فرصت الراديو أفتحها وأنا في جدة.
أطلقته على الآذان والمدفع... وضرب المدفع في جدة، وأفطرنا، وما زال الراديو يذيع القرآن نسمة الشيخ الخياط. وبعد الصواف، مضت دقائق خمس أو أكثر وقال المذيع: ها صوت الإسلام... الآذان ينقل من المسجد الحرام.
هذا عرض كدهشة أبسط فيها الواقع لأبداً السؤال:
السؤال هو: هل هذا المدفع والآذان مقبولان رأيًا من المسجد الحرام في النوم واللحظة؟ ويتربّع عليه انظار أهل مكة أن يفطروا عليه. فلا يفطرو
إذا كان ذلك كذلك فاعلموا الناس... يا ناس... يا ناس أهيدونا ولكم الأجر والثواب.

اليوم اسمه الأربعة، وعده في أيام الشهر المبارك هو السابع عشر.

السابع عشر ماذا يعني؟

يعني شيئاً كبيراً في تاريخ هذا البلد... هو في وجدان المسلم... يوم حراء... يوم تجليل الله... أذن للروح الأمين أن يجعل محمدًا الأمين النبوة:

«أَقِمْ شَرْعِيَّةً الْأَمِينَ الْمَعْلُومَ بِالْأَمْلِ».

(العلق: 16)

هل هو الإنسان كل الإنسان... علمه ما لم يتعلم؟ نعم...

أم هو هذا الإنسان الكامل خصه الله بأن يعلم ما لم يعلم ليعلم كل الإنسان ما لم يتعلم؟... قرأتOverride: Arabic

إيماناً يرتفع به الإنسان إلى السماء... لا يخفش رأسه إلى الأرض... يصبح بذلك سيد نفسه... لا يكون عبداً لأحد لأنه هو العبّد لله حطم في نفسه الصنم... يعني حطم الخوف... يعني أسقط الذلة... ألغى الكهونت... لا يشترى الجنة بثمرة غفران... وإنما يشترى الجنة حينما يستشهد في سبيل الحق الموصل إلى الجنة... الحق كلمة التوحيد تحقق توحيد الكلمة.

ويصادف هذا اليوم في ذاكرة التاريخ انتصار المسلم على نفسه... يرمي
ال أعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان ... 

الشمسات ليتبقي الجمرات من نار جهنم، ليأكل الشمسات في جنة عزتها السموات والأرض. وكان ذلك في بدر... خرجت فئة قليلة في عزمها أن يكون لها غير ذات الشوكة! (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي). ... فئة قليلة غلبت إذن الله فئة كثيرة... الفئة القليلة كبيرة العدة بالإيمان بالتضحية، بالاستشهاد، بالطاعة، بالصون، بحرمات الرجال أن تهان في حماة الخيانة! 

انتصروا بالأخوة... يومها كان (إنما المؤمنون أخوة)... لم يكونوا نزاعين إلى ظللم الجاهلين، عصبية تنصر ظالموها على مظلوم غيرها. ولم يكونوا فزاعين من خلافة البشر. وإنما كانوا التوافقين إلى: (لا خضت بنا البحر لضمان عمرك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا عمرك) وإلى: (إذا لا تقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسي: (قالوا يموسى إذا أن تدعهه أنا ما كأنا فيه قبلد فذهب أن ورَّبَكَ فَقَدَكَ) (المائدة: 24) بل تقول اذهب أنت وربك فقاتلا إننا معكما مقاتلون.

.. في وجدان المسلم يوم حرا ليتأكد في وجدان المسلم ذلك اليوم على الصفاء يوم صدع المدرر يكبر ربه وينذر قومه ويبعد الوثن تحت قدمه.

في ذاكرة التاريخ المسلم هذا اليوم المنتصر في تواليه، وفي كل ناحية لأن خسر هذا اليوم يعد معارك من خسائر الذين خاضوها فإنه - والواقعة له - سيتنصر في المعركة الحاسمة بالذين لم يخسروا أنفسهم!!

• ونحن في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول، الشهر الذي ولد فيه نور الهدية، رحمة للعالمين، ذو الخلق العظيم رسول الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام... رسول من أنفسنا، بالمؤمنين رؤف رحيم... جاء بشرعة هادئة... راحمة... عادلة... معتدلة... كل الناس، الناس فيها
سواءً «لو سرتة فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» هي لكل الناس أجمعين. .. إلى يوم يبعثون. فما من شريعة أعطت لإنسانية الإنسان قيمتها وقوامها. .. لا إجحاف ولا إرجاف. .. ولا مبوعة. .. ولا تجميد. .. إلا هذه الشرقية الحمدية ختم الله بها الرسالات، جاءت على فترة من الرسول ينطق بها الإنسان قيد الوثن. .. وإرهاق الكاهن. .. وغل القساوسة وشعبة الحاخامين. .. وكذب السحارين واستعباد الطاغية. .. وطغيان الفجور. .. ليغرس الإنسان في النفس. .. الإيمان بالله. .. ثم الإيمان بالدين ثم الإيمان بكل الفضائل. .. والكفر بكل الزوال. .. هذا الإيمان إقرار بسلام وتصديق بجان. .. وعمل بأركان. .. الإسلام يعلن. .. وإيمان يصدق وعبادات تؤدي. كلمة التوحيد أساسه الركين بها رفعة الإنسان. .. لا يخضع إلا لخالقه وحده لا شريك له.

وكلمة التوبة تردّه إلى ربه غافر الذنوب قابل التوبة، هي ليست إباحة لعمل الذنوب وإنما إثارة لطرد المعصية وجلب الرحمة. التوبة خلصت الإنسان من الإغراء بالمعصية والجريمة. .. انتظارًا للمخلص جعل اليهود تستمر ظلمهم. .. تغرق في الجريمة. .. تنشر أوكار الفسوق لا تسأل عن العذاب. .. لأن العذاب. .. مرفوع عنها بالمخلص. .. وغيرها يستمر ظلمهم استفادة من كرسى الاعتراف والمجوسية وغيرها ممن ينكر البعث. .. وإنما يؤمنون بالثواب. .. وإنما يؤمنون بالانبعاث في وصول الإنسان إلى مرتبة الامتياز «الترفان» كل هذا وهم. .. أسقطه الإسلام بالكلمتين: كلمة التوحيد. .. وكلمة التوبة. .. كل ذلك جاء به محمد ليotland الإنسان في مراتب العزة. ..

لكن هذا الإسلام العزيز بتعاليته كاد يصبح الغريب في وطنه تستغول.
على قوى الصليب... وفضل الصالحين تحتل مقدساته وتنتهك حرمتاه... ولن يعاد ذلك... ولن يتردد كيد عدو إلا بجهاد أسسه الإيمان بدين هذا النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام... كان ميلاده في هذا الشهر الكريم.
سياسة
أيام في تاريخنا

في تاريخ أمتنا أيام بيض من صنع المبادئ والإيمان والثقة والقيادة والجهاد.
وفي تاريخنا أيام حالكة من صنع الإهمال والضياع والفساد والفرقة والقعود عن الجهاد.
وتمضى الأيام البيض لا نكاد نذكرها. وتلوح الأيام السود علينا بكرها لتكون لها ذكرى مرة علقية.
اليوم 5 يونيو أطلو عليه عام ويه تم، ليأتي أول يوم جديد لعام جديد!
هذا اليوم أضافنا إلى أيام مضت ومن أجل فلسطين بالذات ذكرى قائمة مؤلمة!
ولا أدرى عن هذه الذكرى شيئاً مما تعنيه! فهل هي الاحتفال بيوم هازم كأنها هي الوفاة الحزينة. أو هي كجناز كنسي، كما هي العادة: جنت، فغنت في الطريق كما هو في قول خليل مطران. أم أن ذلك يعني إثارة العاطفين حزنًا وكبدًا ليبتدد ما بهم كلما مرت الذكرى لنغرق في الأحزان.
تأكل من عزانينا، حتى يشمتنا صاعون الهزيمة لنا!
كل ذلك قد كان من قبل بالنسبة إلى وعد بلغور، ويوم في مايو عام
1948م وكما هو كائن يوم الخامس من يونيو من عام 1967م.

يوم الوعيد البلفوري مضط عليه أعوام خمسون، ويوم مايو تأسست فيه الدولة اليهودية، الدولة الباقية.. مضت عليه الأعوام العشرون.

ما أمر التذكير، فنحن لا نتبت ذكرى هذا الأيام، وإنما نحن طالعون نحتي ذكرىها. وكل ما نصنعه هو إلقاء الحذمة على صانعيها، بلغوريين ترومانين ومن بعدهم ومن إليهم!

إن يوم مايو عام 1948م تقول السنة العربية: كان يوم الهزيمة بالسلاح الفاسد والمواقف الفاسدة، والرأي المختلف فماذا نقول عن يوم يوني؟

إن لم تقولوا فسأقولها مستخرجًا مما قالوا!!

فإن الهزيمة في يوم 5 يوني كانت بالسلاح الفاسد والغفلة المغفلة.

الجنود الذين أصبحوا قادة تحسبهم تمرسوا في عام 1948م فإذا كل المراس أن حسروا أن يهود عام 1967م هم عام 1948م. أي إن وصيلة الحرب عندهم هي كتلك. فإذا التغير المدمر في خطة أكلت الذكاء والغفلة حسرة مبكرة كلفت.

واسم مضى يوم كثيب على الأرض العربية، فيه تجسدت خيانة وغدر. تدعت علينا دول كبيرة من كل جهة. وحظيت في حبالها دول صغيرة خافث أو أغيرت، أو هي الحافدة.

كلهم أعان أن تكون في أرض العرب، في قلب الأرض المباركة دولة إسرائيل. تفعل فعل النازية، وتسير بأهداف الصهيونية، وتحطم أحلام اليهود، وتعمل طبيعة لاستعمار وطغيان.

في هذا اليوم تم الغدر بالعرب، بل تم فيه جهل العربي لنفسه...
فاستهان بوعد بلغور، ثم استлан لوعود وأعمال. يحسها صادقة من دول كبيرى. لا تختلف من أجلنا، وإنما من أجل مصالحها، أو من أجل غاياتها. وتأتى على الكيد لنا من أجل غاية عند أصحاب المصالح، أو من أجل البداية لتحقيق الغاية عند طلاب الغايات.

في هذا اليوم 15 مايو، اندحرت القيم بفسق اليهود، ونوبة العرب.

اليهود، ولا أقول إسرائيل، ولا أقول الصهيونية، ذلك لأن الحلم حلم اليهود، والأساطير أساطير اليهود، والبروتوكولات هي تنفيذ لتلمود اليهود، وتتفاوت لها. إهلاك الأمم، ليبقى الشعب المختار.

ثم إسلامي، وديني، وكل تركاني لم يعلن لي أن أكون عدواً إلا لهؤلاء اليهود، فهم أشي الناس بغيضاً لديني، لأرضي، لتراثي، لحضارتي، أشد عداوة لذين آمنوا!

كيف أذهب إلى اسم يحمل أثار الحقد والنقم؟.

إن اسم اليهود هو الحقد في قلب المسلم، هو الشقة برصاص العربي.

من معلمين أتانا لا نعرف كيف نكره، كيف نستديم الحقد على الغادرين والطاغية والخونة!

الضرب فوق الأغوان، والقطع لكل بنان، ما معناهم؟. معناهما قلب حديد. وصفي حديد، وعزم حديد، وحقد حديد.

يوم كتيب لم يبتسم فيه إلا زند الفدائي، فجر الكتابة على قاتله، ناهب أرضه، هاتك عرضه.

الفاء هو الإنسان في كآبة اليوم الغادر، في وجه الغادرين.
الغادرون هم اليهود، وكل حاضب في ححالهم، سواء كان عدواً آمناً، أو عرباً خان...
إن أيام الفرحات لا تصعح شينًا حتى إنها لم تعد حواز...
أما أيام الحزن والكآبة فهي التي تصعح الحماسة والدوافع والفداء...
تحكي ليوم كتيب، كانت فيه نعمة البلوى...
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبقى الله بعض الناس بالنعيم
- غففة أن ننسى اليوم الفاتح من نوفمبر!!
لا أريد أن أعتبر من أصحاب هذا اليوم، وإنما أريد أن أعترف بأن ضياع النفس قد أتسغى ذلك!
اليوم الفاتح من نوفمبر. أعني اليوم الأول من تشرين الثاني يأتي على صورتين، قد حفتها في التاريخ العربي المذهلة، ووجهت صورة ثالثة نقشت صورة الاعتراف...
الصورة المذهلة هي وعد بلفور. والصورة المثل هي زحف الجزائر المسلحة العربية انتصار الأذان ألا ينير، وإجماع الأذان باللغس العربي الحبي.
اليوم المذهلة قد مزم الأرض. جدع أنف العرب بخيانة من أصدقاء العرب!.. أراد الورد جورج أن يصنعها، وبين الإقدام والإحجام رضي بلفور أن يكون الوعيد باسمه، وتولى كبرها ممزق العرب إلى أشلاء ونعتون تشريع!!
تشريع تبني الدفاع عن الصهيونية، رحب بالاندفاع استجابة للضغط
الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسن زيدان

الأمريكي.. من أيام ويلسون المثلة السلام في البنود الأربعة عشر ..
المطور بالسلام في ترك الشرق الأوسط قيمة بين كليمنصو، ولويد جورج .. أعطموه الوطن القومي للمصهيونية فرجع دون غنية السلام .. ثم هو لم يعنمن حتى السلام في نفسه .. إن دين السنن هو الذي يقول: إن بريطانيا لم تعط وعد بلفور طاعة .. وإننا نحن حينذا ليا ذلك .. وكلمة « حينذا ليا ذلك » لا تعني إلا: أرغمها علي ذلك!! .. وللمبالية في الستر جعلوا ويزمان .. وبرلمان على واجهة الصفحات من تاريخ هذة المأساة الإنسانية!

أينضي وعد بلفور في يوم أول نوفمبر .. ثم لا أجدني أذكره .. ونحن نعيش محت، وفي آرائه!! .. إن هذا ليس بالتعسف .. إنه ضياع الإنسان في نفسه حتى ليتسى أشد الأشياء إيلاماً إلى نفسه .. خطأ كبير لا يفع معه الاعتراف ولا يسع معه الاعتراف!!

واليوم الفاتح من نوفمبر .. هو يوم البداية لعشرون شهيد عرباً مسلمين زحفوا فوق التراب حفيا .. واعرايا يأكلهم السلاح ليعيش التراب .. لأكل من خيرو .. ليصلي في مسجد .. ليتعلمن في مدارس ملابين من هؤلاء الجزائريين.

التضحية للفازحين في اليوم المثل .. انتصروا فيه حينما انتصر الاستعمار .. وحينما فشلت الصهيونية المعطلة .. وحينما خدعت الحماية الباطلة .. ذلك لأن عبد الحميد بن ياسين، ومحمد البشير الإبراهيمي، وطيب العقبي، وفضل الوزنائي ومن إليهم قد عمروا المساجد بالعقيدة الصحيحة وعمروا المدارس بالقرآن .. عمروا القلوب بالإيمان ..

- اليوم السادس من شهر جيهران .. يونيده .. وهو اليوم الثالث كعام
مضى على النكبة والهزيزه. كان اليوم الخامس وما تلاه من أيام وشهور،
وسنة بعد سنة حتى بلغت الثلاث. يوماً عبساً ضحكت نوازع النظام
والطغيان فيه. حتى بلغت الضحكات مدار الصراخ في كل الأرض الحائدة
على العرب.

وسبق العدو عجرمه. وساق المعين له قوته، يأملون في لحظة عاجلة
أن يركع العربي تحت مكاتبه يوقع ورقة بيضاء يرسم الاستسلام. يضعون
فوقها خريطة إسرائيل وإملاء اليهود وأمل الصهيونية.

يحضرون الشعب أمة الواحد. أو تبعاً لسلطان واحد. إنها أمة الواحد
لا إلا غيره، ولا سيد سواء.

فالأفراد ينهزون ويذهبون. لكن الأمة في هذه الأرض وراءها تاريخ
طويل من آلاف السنين. كأنها ابنة الدهر الأولى.

كان في خيالهم صنع الهزيزه في حرب خاطئة تخلي قلب العربي
فيسلم يطلب الرحمة، ويعلن الخضوع.

حتى إذا سألوا أنفسهم أين العربي ألم يجيء مخزولاً وقد هزمناه؟
أجابتهم أمة العرب في الخرظوم: لا سلام، ولا تسليم، ولكنه الصمود
حتى النصر.

وتخيلوا مرة ثانية، أنهم يكبل الضربات على الأردن والقناة ومدن وراء
النهر، وقرى حول النهر، أردننا باركه طالوت وداود، ونيلآ مباركًا في السنة
من هم كطالوت بجيش محمد رسول الله ﷺ.

تخيلوا في المره الثانية أنهم إذا حروقون وهددوا وقتلوا بالفانيمون والتابالم
يفزعون الشعوب ويرغمونها على التسليم. ولم يحدث هذا. فسألوا
خيالهم، وجن خيالهم، فجاء الجواب: لا فزع، لا تسليم، إنما هو النصر والشهادة والصمود.

لقد حسبوها أياماً... فإذا هي سنوات، سنوات... أفق العالم فيها كرمن على أنه صدق الهم... وأعان الظلم وسيغرق... إن لم يفق دنياه في حروب طاحنة، بدأت تأكل صانعي الحروب من الداخل... إن يوم التضامن من حزيران.. كان يومًا عظيماً في البآساء أعقبت البقاء، وكشفت الخبئ وأراجت العماية عن عيون الكثيرين... فقبله كان العربي يخف الموت... أما اليوم فهو صانع الموت لا يخشى على نفسه... ولا يتحرز أن يسبقه كأساً مريرة لعذبه...
إسرائيل واليهود

ناحوم جولدمان، رأس الصهيونية اليوم، ويكاد يكون الثالث في التسلسل العددي لزعماه اليهود... هرتس، وايزمان، ناحوم... هذا الحاخام في دنيا السياسة في أكثر من اتجاه، سواء وراء الأطلسي، وفي أوروبا أو في إسرائيل، هو في يقين اليهودي الموجه والمعلم، فرانتوا لمؤتمر صهيون قد مكنت له أن تكون الكلمة لليهود، أو أن مكانة قد أوصلته إلى هذه القمة في سلم التدرج اليهودي.

وأكد أزعم أنه يستطيع أن يقيم ويقعد ويأمر وينهي ويعزل ويولي كل أصحاب المناصب في إسرائيل.

هذا الحاخام خرج على الدنيا القلقة المعذبة يهدي اليهود ورذائهم بالكلمة اليهودية، يصور للناس أنها لم تكن من طريق إسرائيل الدولة، ولا من طريق الصهيونية العصابية.

قال كم تلطفت في الخبر عنه الإذاعة الوسيط في نشر الأخبار الكاذبة والمغشية لكل عربي، والمرجحة والمزخرفة لكل ما هو عن إسرائيل.

قال: إنه نصح ليهودي أن تعلن موافقتها على قرار مجلس الأمن وتعترف بالانسحاب، كلام هو طبق الأصل كما يطلبه قرار مجلس الأمن، وكما رضيه فريق من العرب على الجبهة!!
وتدهش الدنيا من هذه الخطوة، كأنها أمر صدر من رئيس المؤتمر الصهيوني إلى إسرائيل!!
غير أن الحقيقة أنها جرعة مهينة فقد يصدقها كثيرون، فالاتحاد السوفيتي وفرنسا يمكن أن يمكنا زمناً يدرسون ويستخرجان ناحية نفسه عن هذه الخطة لبمشي زمن تنظيم خطة جديدة لإسرائيل، أو أنها لتبرئة من يناصرن إسرائيل على المكشوف.
هي تعطي إسرائيل زمناً يتتفنف فيه الحدود النار، والكثير يرسل إليها يومياً.
والتي تعطي دولاً تصر على تطبيق قرار مجلس الأمن جرعة طاردة لكثير من عزمها أو حزمنها أو ضغطها.
وأكثر من ذلك فهي كإشارة خضراء تضيء الطريق أمام "سيسكو" لا في فلسطين المحتلة، وإنما في نواح أخرى غير عربية.
كلام ذهب مع الريح لن يكون فعلاً. وإنما هو الفعل المطلوب يخدع أنصار قرار مجلس الأمن ولا يضر إسرائيل قطعاً، فلو كان فيه شيء من الفعالية والجدية لطال أمد تردده، وتشروا عن سيسكو بعض ما يؤذه.
لكنه قول فقط لا غير، نبعت منه أقوال أخرى. منها الإعلان عن الشخصية الفلسطينية التي هي صاحبة الحق في مقاومة إسرائيل والحرب معها والمقاومة.
أما العرب نهب الأرض، وهناك العرض، وإملاء الفرد من عدو ليهم، كنا نعد وجوده باطلًا بوعظ بلغوري لا يملك من أعطاء حق الطاعة له، المجد لوعود بلغور، فقد أصبح وبقرار من مجلس الأمن صكاً مشروعاً
ووثيقة من صمْمَةً تُتوَفِّق الدول كلها لأن دول مجلس الأمن هي العَمْلِيَّة لدول الدنيا كلها، ومنها نحن العرب.

الذين أعطوا وعد بلغتهم هم الذين صاغوا قرار مجلس الأمن ليجعلوا عنهم وصفة، وليجعلوا منه الوثيقة وعليها البصمة العربية بعد الدولية العالمية.

أهي مصادفة أن يكون وعد بلغتهم قراراً يضعه كارادون؟ لا. بلغتهم
وكارادون دولة واحدة!

إنه دعم للتصرفات والخدم لللحاقات.

إن قرار مجلس يحمله يارنج قد أزاح ذكرى وعد بلغتهم جعله صكأ
ووثيقة، لا وعداً باطلًا، فلو لم تكون خسارة العرب في يوم 5 يونيه إلا هذا التبدل في النظر نحو وعد بلغتهم لكان الخسارة أكبر.

لكن أمة العرب لن تبقى بشيء من هذا فإذا ما أعدت القوة للحرب
أمكنها أن تزيل الباطل بحد السيف، ولا تسأل عن قرار أو عن وعد.
لكن الحرب ثقة في النفس ووحدة في الجمع، وعَدْة في السلاح وثقة
في ميدان المعركة.

ومع كل ذلك شك في الأصدقاء كأكثر من الشك في الأعداء.
فقد يخدع بالصديق أكثر مما يخدع بالعدو.

ألا قهراً لك يا يوم 5 يونيه فإن لأمتنا أيامها البيض تمحو بها اليوم الأسود...

- قنبلة. تفجَّرَت في الحي اليهودي في بيروت. وكثير هي القنابل
التي تفجَّر اليوم في أكثر من بقعة في الدنيا، ولكنها أشد ما تتفجَّر على
الأرض العربية، والإنسان العربي من يد اليهود.

القنبلة التي تفجرت في الحي اليهودي في لبنان كثرت الاعتداءات
 نحوها... كل عربي تقرأ منها... لا خوفاً من اليهود، ولا لأن اليهود في أي
 مكان عواطفهم مع إسرائيل ضد وطنهم، هم لا وطنية لهم... وطنهم
 المؤقت الآن في نزاعاتهم هو هذه البقعة من أرضنا... لأن وطنهم الدائم
 هو حيث تكون المرات الخصبة للتخريب والتدمير!

لقد كان الاعتدار مفاجأة للرأي العام العالمي، ولكن... ألا نسأل أنفسنا
 أن هذه القنبلة قد انفجرت في مدرسة خلت من الطلاب، فلم يصب
 أحد... ألا نسأل أنفسنا بدل أن نعتذر، فندى الاتهام إلى اليهود أنفسهم;
 فهم يصنعون ذلك!

فجروها في المدرسة كقنبلة تتفجر قنبلة في الرأي العام العالمي... يشينون على العرب بأنهم يقتلن اليهود المواطنين... لا أشك في أن اليهود
 يصنعون ذلك... وكان ينبغي أن يكون تحقيق ضع الاتهام على الفاعل
 الحقيقي ليطلع الرأي العام على ذلك... لكن العرب يحرمون أنفسهم من
 الوسائل التي لديهم لسبب، أو لآخر... لا يقول إنه الخوف، ولا
 المجاملة، ولكنه شيء آخر هو الحساب لبعض الفقراء الذين يخافون، أو
 يجاملون.

إن اليهود سيفرجون كثيراً من القنابل... سيقتلون بعضهم ليتقالوا شيئاً
 من الدعابة ضد العرب، فهم حينما يخسرون في أي استفتاء أصواتاً كانت
 معهم فأصبحت ضدهم يحاولون اكتسابها بشيء من هذا القتال لأنفسهم!

ففي أكثر من مرة في عصور التاريخ يتمدون الإساءة ليقتلون... لتكون
 النتيجة سرقة العواطف من المخدوعين بهم.
لقد قلنا من قبل إن وجود دولة يهودية تسليبهم هذه العواطف ولكي يحتفظوا بها يقللون أنفسهم بقفة يفجرونها، أو بحرب يستمرون فيها كهذه الحرب القائمة بيننا وبينهم، وخطأ آخر نقع فيه... هم يذيعون عن أزمة في اقتصادهم فنفرح بإذاعة الأخبار، والواقع أن هذه الأزمات الاقتصادية ما هي إلا إسمية يتعمدون إذاعتها تسليمة لنا، ويتعمدون إذاعتها سرقة لعواطف الآخرين، وإلا فالخزائن مفتوحة لسد عجزهم... بل وزيادة قواهم الاقتصادية... فأكثر من بنك بتصرفهم، وتراعات اليهود تنهال عليهم، ودول كبرى تفتح لهم حسابا تهديهم السلاح دون قيمة، أو تبيعهم السلاح، وهذا البائع هو دافع القيمة، لا تختدوا أنفسكم فإسرائيل لن تكون... ما دام وراءها هؤلاء... في أزمة اقتصادية!!

- بشيء من الوضوح... وبأكثر من صراحة أطرح هذا السؤال:

لقد شغلتنا وسائل الإعلام بالحديث المكرور عن إسرائيل... عن اليهود والصهيونية... كل وسائل الإعلام في الدنيا جميعها كأنها تالفت على وضعين هما في صالح إسرائيل:

- وضع يركز الألم في الأمة العربية... يزعزع الأمر فيها... ليثبت كل فكر لها... ذكركم في الحديث عن الهزيمة... إزالة آثار العدوان... أعداونا من يعيشون... أصدقاونا من يعيشون... لا أتمكنن أهتمة قد تغلي فكري وانشب وجداني، وسخرت من كل ما أعرف... من كل ما أريد التعرف عليه لأن كل ما أسعد قد سخرني لأن أخطر من نفسي!

- والوضع الثاني هو النتيجة للموضع الأول... قصد عامد لنغطية وإخفاء ما ستصنعه إسرائيل في المستقبل!

ومن المؤسف أن الذين ساروا في الوضع الأول يعلمون الكثير عن
الوضع الثاني، ولكنهم لسبب أو لآخر سكنوا عنه أو حتى أسكنونا، ولا أعني بذلك نفسي، وإنما كان الإسكات لكل لسان عربي!

لقد صرح ليفي أشكول قبل مدة - وبعد 5 يونيو - تصرحاً لم أسمع أي تعليق عليه، أو أي تحذير منه، أو أي حملة عليه. يقول أشكول: (على العرب أن يعرفوا أن الأوان قد آن لكي يعترفوا بقوميات على هذه الأرض). أشكول لا يمنح ذلك أمية برسلها في الهواء، وإنما يحضر الأذهان إلى عمل سيجري. من صالح إسرائيل أن يكون لأنه دعامة لوضعها. تثبت لكبانها، فهي قومية جديدة طارئة في العالم العربي. لا يمكن أن تعيش داخل القومية الواحدة. من هنا كان المخطط. الغزو أولاً، الاحتلال ثانياً، الاحتلال ثالثاً (1).

لا بد من أن هناك مخططًا. ليست إسرائيل صاحبته وحدها بل كلهم:

استعمار... صهيونية... شعوية... أصحابه... كلهم يعمل له!

إن القومية العربية قوة تساندها قوة الجامعة الإسلامية فلا بد من أن تفتح هذه القوة... فالشيوعية كبداية - تحارب القومية، إما بالقضاء عليها وإما بتثبيت قواها إلى قوميات في أقليات. يعني أن كل ذلك في الخطر على الذين ذاقوا الألم من هذه الأقليات! تستخدم من ذلك المذاهب الاجتماعية والمذاهب الدينية، والنعرات القومية... يعني أن العالم العربي سيفاجأ بهذا التفتيت. لا تقوم بهذه القوميات المتعددة إلا وهي مرتكزة على إسرائيل، ومن هم وراء إسرائيل، وكلهم - وهذه النقطة بالذات - سيكونون إن لم يكونوا مع إسرائيل!!

لماذا لا تسلط الأدوات من وسائل الإعلام على حال كهذة. للوقاية.

كقوة داخل الشعوب العربية لحمي قوتها المعدة لإزالة أثار العدوان!!
لا أجيب عن هذا، فالمحبة تعبيراً بكلمة - هما اليهوديان الصهيونيان الإسرائيليان ليفي أشكول. ودافيد بن جورج، والمحبة عملياً رجل هم الذين يبدآن إسرائيل بكل عناصر المعركة إدارةاً لحرب تشنها إسرائيل، أو استعداداً لدفاع إسرائيل حرباً قد تشن عليها من العرب.

حرب تشنها إسرائيل خاطفة وقاسية ومحضنة وشاملة لا رحمة فيها، ولا أسرى، ولا عمار وولا حياة لشيء.

إن إسرائيل تفترض أمور لا ثالث لهما. فإما أن تبديد نفسها وإما أن تبديد العرب. حتى السلم لا تريده فليس لها معه حياة في الحرب أمل الحياة لإسرائيل.

ليفي أشكول يقول: (إن موت إسرائيل واحد يقتله العرب صعب أن تعوضه اليهودية، أما العرب فلديهم عدد كبير من الرجال ما أسرع أن يصل إلى ميدان المعركة التي تطول...) كلام صريح وواضح، ولكي يتجنبوا ذلك ينبغي لهم أن يضربوا الضربة القاصمة، تحكم كل القوة العربية، لا ينفع معها تعويض بالرجال إلا بعد فترة ليست بالقريبة.

وين جورج قال: (إن الحرب لما تته بعده مع العرب، فالحرب التي ينتصر فيها العرب تعني فتله إسرائيل، أما الحرب التي ينهزم فيها العرب فلا تعني إلا حرباً بعدها، وبعدها، وهكذا فإما هزيمة إسرائيل تنتهي معها الحرب، وإما الحرب المتجدة مع العرب).

ووهذا كلام صريح واقع، وليس فيه تحذير للعرب يعلن قوة العمق، وسرعة المدى، وطول الامتداد، وكثرة المدد، وإنما هو يعني الحرب القاسمة بكل المهلكات، ولاحت فيه في ما يعلن عنه من طائرات فانثوب.
أو دبابات أي شيطان، وإنما هو الأحمى والأشر.
فالأحمر ضد إسرائيل لا تقدر عليها خاطفة منا أو منهم، كل القدرة
التي أرجوها هي ألا تتمكن إسرائيل من حرب خاطفة تشهها سرية علينا.
فإسرائيل في وضع كوضع النازيين في الحرب العالمية الثانية أو حتى
كوضع أملاكهم من الحرب الأولى. انتصارهم خاطف في حرب صاعقة.
والعرب والآخرين انتصارهم في طول الزمن وامتداد الوقعة وتعطيل قوة
ألا تكون صاعقة خاطفة.
ولن يكون إلا بصر وحش وفظفظ ودم كالتى أهدتها تشرشل لقومه في
تقييم لحرب صاعقة شنها النازيون، وحرب طويلة صبر عليها وأعد لها
الحلفاء.
إن إسرائيل تملك من كل دقيقة ساعة صفر تشن فيها الحرب على
العرب، كقوة معدة، وكقدرة على عصيان الآراء والتصح.
أمام العرب فلأعلمنا متى تحين ساعة الصفر? لعل هذا من أسرار
الحرب.

• كثير هي المضحكات المبكيات. سرحان سرحان عربي، واسم أبيه
بشارة، وكوخين يهودي لا أعرف اسم أمه! فأولادنا نحن العرب ننسبون
لأبائناهم «دعاهم لأبائهم هو أقطس»... أما اليهود فالولد لأمه «كل من لم
تله يهودية فليس يهوديًا»!

هذا العربي أوصى العرب أن يخبروا منه لسبب أو لآخر. فلننتمس
لهم معذرة رغم أنه الجانب المبكي.

أما كوهين فقد قتل المئات.. حرب فرنسا.. أخرج ديجول.. في ليلة
واحدة نادوا على العطائي ألف مرة لإطفاء ألف حرق. أمسكوا به. لم يجدوه، لم يحاكموه لم يسجنه.. بل دللوه! رحلوه، وكان في اليمان أن يرحل من باريس إلى تل أبيب، لكن قوة الصهيونية. حظوة اليهود عند هؤلاء الناس أخذت أن يرحل إلى لندن. وإلى لندن بالذات. وهزت لندن أكتافها لا تريده. سمحت له ساعات وإذا بالمغنية. بالصهيونية. بكل
ثقلها العالمي تملى على بريطانيا أن تشدد إقامتها أربعة عشر يوما!!
لقد اختاروا بريطانيا بالذات. إعلانا على مشير القوة لهم. فأعجب
لمجرم يعامل معاملة الأبطال، وأعجب لقوم سرحان يترأون من سرحان!!
بأسلوب الغجر، وتأثر من تعبر ووقع كانت الحملة على سرحان;
وعلى العر. حتى إن اليهود – كبراعة سياسية - أعلنوا عطفهم عليه.
بالعطف على أبيه. يبحرون له أن يشهد محكمة ولده. أما كوهين
فأسلوب من عهر العقول.. تنظم له كل التسهيلات بكل التوصيات.. فما
أشد خطر اليهود على العالم.. هم يغرمون برحان ليقتل.. ليغتال.. ثم
هم يقلعون عرباً في شيكاغو لديه علم عن سرحان. تغطية للجريمة..
لتيلا يظهر غير سرحان!
إن الأعتلال فظيع. ولكنه أكثر فظاعة من هذه المنظمات السرية..
غررت برحان، وبمثابة سرحان!
الآلات يحطمونها. أما فتاهم يحملوه.}
ليس هم أن أمجد سرحان، ولكن كل هم أن أظهر بعض ما يصنعه
اليهود، فهم وراء كل جريمة.. كل فتنة.. كل دمار في العالم!!
سمعنا في الأخبار.. كما قرأنا في الصحف عن "يوسف سيسيكو" وكيل
وزارة الخارجية الأمريكية، والمكلف بالتفاوض مع أكثر من طرف بشأن ما
بين العرب وإسرائيل، وهذا يعني أنه سياسياً يحمل عبئاً، لم يكلف به إلا وهو قد نال كثيراً من المعرفة والمعلومات عن قضية الشرق الأوسط، أو مشكلة الشرق الأوسط.

قالوا: إن "يوسف سيسكو" في هذه الأيام سيزور القاهرة على حد ما أذاعته لندن نقلاً عن صحيفة "الأهرام" وليس هذا الخبر المعني بهذا التعليق.. إنما هما استناداً جانبياً حول هذا الخبر. ..

- أولاً: ليست السياسة الأمريكية، ولا تزعمها في حاجة إلى مزيد من العلم عن هذه المشكلة. .. وهذا يعني الحق لبعض المعلقين المتقلبين أن يبتئوا بشيء جديد من الولايات المتحدة نفسها تبغي أن يعلمه المفاوض لهذا السياسي الأمريكي كمقدمة لحوار جديد، أو شيء متعلق جاء في هذا الحوار يبلغ من الرأس للرأس دون مكابيات.. دون موافقات.. من رأسه هو إلى رأس يقابله في المنطقة.

- ثانياً: ويظهر أن هذا التكهن قد باض وفرخ عند كثير من الناس فجاء إسحق رابين سفير إسرائيل في واشنطن، أو مندوبها لدى البتلاجون يقضي على هذا التكهن ليقول: (إن زيارة يوسف سيسكو لا تعني أي تغيير في سياسة الولايات المتحدة أو في موقف إسرائيل)!..

أهلك بأعلم إسحق رابين عن أسرار السياسة لينغي كل تكهن كانه هو الناطق باسم السياسيين؟

من هنا تتصور إسرائيل هذا الإرهاب الدولي، من هنا تتعصف إسرائيل الرأي الأمريكي، من هنا ينغي ألا يجزء أحد من تصريح رابين فخير لنا أن نعرف ذلك من أنفسنا قبل أن يعرفنا إياه رابين!!

- إسحق رابين ذهبوا به إلى واشنطن ليكون سفيراً يشترى عدة الحرب;
ويشترى الأصوات المؤيدة لإسرائيل. .. ويظهر أنه لم يوفق في صفقة الخمسين. .. لم يوفق في شراء خمسين طائرة فانتوم فأخذ يروح بما يكره!

- قال: إن إسرائيل لن تكسب الحرب في هيئة الأمم، إسرائيل ستؤثر القمع بشدة، أحسه الشمّا الأول على المنظمة الدولية .. والكشف الواضح لموافق إسرائيل منها، من قال لك إن إسرائيل ستكسب الحرب في هيئة الأمم؟

لقد خدعوك، يكفي أنها كسبت زمناً من القوة التي عطلت هيئة الأمم.

إذا هيئة الأمم كسب للسلام، فيها يكسب السلام، لقد صنعها السلام لتقتل صناعة الحرب.

ولكن هكذا اليهود يحسبون كل شيء للدمار حتى هيئة الأمم يفترضون فيها أن تكسبهم الحرب.

فغلب كل شيء فقد اتضح وافتضح أمر اليهود، وسيعرف العالم الكثير عنهم.

- هناك فظائع ارتكبها هتلر والنازية ضد اليهود، أصبحت عقيدة الدنياً، فأخذوا يكفرون عنها.

وهناك فظائع ارتكبها أكثر من وضع في الغرب مع العرب هي أشد فظاعة من فظاعة النازية، وآخرها هذا الطغيان النازي الجديد في إسرائيل، فلم يكن إلا عن يد الذين وعدوا وأعوانا واعترفوا وساعدوا وناصروا فلمذا لا تأخذه عقيدة الدنيا؟

لا نريدهم أن يساعدونا، وإنما نريد رد الطغيان بالكف عن عونه ومناصرته.
إن الشيوطية قد وجدت مجالها بهذه التصرفات. نحذار.

أحسب أن الوضع في شرق أوروبا قد أسمعهم تاقوس الخطر، إن النصر على هتلر لم يأت من أوروبا لكنه كان من شمال أفريقية وإن الرد على روسيا لن يكون من أوروبا ولكن من الشرقين الأدنى والأوسط ولا حتى من الشرق الأقصى.

لا تبيعوا الشرق الأدنى لخصومكم، وإسرائيل لو علمت أمادة خفية لخصومكم.

نحذار. نحذار. لا يكفي أن تصرفوا النظر عن إمداد لهم بالفانتوم.

وإنما الكافي أن يتخذ قرار مجلس الأمن على صورة مسكة.

أما السلام فشيء آخر لعله لن يكون إلا بالحرب. الحرب المظهرة لأرضنا من هذه الأفكار.

- صفر زائد صفر يساوي صفر.

كلام يطرد في الحساب العقلاني. إذا ما استمرت عاطفة كعاطفة سعد زغلول أن تقول ذلك في وقت نجد لسعد ألف عذر وعذر.

وصفر موقف بقوة قدرها واحد أو أكثر من مليون يساوي واحداً.

رقم عملي لقيمة في الرياضة العالية يعرف إثباته إن الإنسان تعلم بعاطفة الشاعرين بالناس والخلق والقوة والضعف والوجود والفناء.

هذا الفارق البعيد مداه هو المعادلة الصعبة في الوضع العربي هذه الأيام. وهو ليس المشكلة الصعبة أمام إسرائيل وما إليها. هم يعرفون القانون في الجبر. ويعملون بالقاعدة الحسابية، إن الجبر كقانون رياضي هو أخطر ووضع يمكن أن تجابه به إسرائيل من العرب إذا ما ارتفعوا بقوة الأسد.
أو الأكبر ليكون الكم الواحد والكيف الواحد.
والشيطن نفسه تعامل مع الإنسان بالقاعدة الحسابية، كل حرصه نصف
المعقول بقانون المقابلة الجبرية رياضية.
والفصغار "كل الصغار" ما كانوا ولن يكونوا إلا تلامذة العقلائيين
حسابياً. والشيطانون كذلك في تشيطن أكثر من أبلسة الأبلاسة.
والفصغار، الكبار، يخرون الصبر والحذر لعملية تقدم جبرية خلقية،
لتنم العملية بالمقابلة الجبرية رياضية.
والناس كل الناس، هم شيء واحد إذا ما سلموا من تلامذة الشيطان،
وأساتذة الصهوبينين.

هذا كلام اليوم عند من يقول هو معلوم، وغير مفهوم عند الذين
يفوتهم مجهول لديهم في معادلة جبرية ذات المجاهيل المتعددة.

- جندي أمريكي من الذين يحاربون في فيتنام سمع أزر الطلقات
تصيب روبرت كينيدي، فأفعيه ذلك كما لم تفزعه قاذفات اللهب
والصواريخ، والقنابل والسهام، يقلقها هو وراقبه على الفينتاميون، أو
يقلقها عليهم الفينتاميون، في فيتنام يحارب عن غرض أمريكي. أما قتل
الأمريكي بيد أمريكية وداخل الولايات المتحدة، وفي لوس أنجلوس مدينة
الجميلات والممثلات والفن والبهجة فهذا شيء مفعز!

- قال: نحن هنا نمنع القتل، وهم في الولايات المتحدة يتشرون القتل
والعنف، يا إلهي هذا شيء مخيف!
كلمة أطلقها كما يحس وربما يعتقد، أما قاتل جون كينيدي ومارتن لوثر
وروبرت كينيدي، ثم قاتل الممرضات، وقاتل الطلاب برمبهم من مكان عالم
فهذا شيء تختلف فيه وجهة نظرهم عن نظرية الجندي، يحارب من أجل الولايات المتحدة.
فما هو السبب؟

السبب سيظهر في تحقيقاته وتقارير لجنه ميلتون إيزنهاور، كلفه الرئيس جونسون بذلك كمخرج من الأزمة، أو كحل للأزمات!!
والسبب تحدثوا عنه أن همفي قدم تقريراً فلم ير النور، فالأول أن أعملوا رأي همفي هم الذين سيحتالون على ميلتون لعل يقول الحقيقة وإن أصر عليها فسيلحق بجون ومارتن وروبرت، طبيعة العاملين في الظلام!
أهي مرحلة «النهلست» قتل وجرائم ثم تكون الكارثة كصورة تنتكر لم يمض عليها ستون عاماً، كانت في روسيا ومن صنع اليهود، ولا تجب أن تنتكر في الولايات المتحدة، لكن اليهود لا بد من أن يصنعوا ذلك.

يصنعون الخراب في كل بلد يعيشون فيه، يعيشون فساداً.
قد لا يكونون هم الذين دبروا قتل روبرت مباشرة، لكن الأسباب الداعية للفتك هم أساسها. ومن أجلهم قتل روبرت، ومن فعالهم يقتل القتلة، والجريمة تلد الجريمة.
والاغتيال قد يكون حماقة طارئة من كل إنسان، ولكنه في اليهودية شريعة وقانون وممارسة وغاية ومبدأ.
استأمنوا صفحات التاريخ تجدوا أن الغيلة هواية اليهود وحرفتهم وأساس كل كيان لهم في أي كيان يلجأون إليه.
لقد قتل جون كيندي، وكان روبرت المدعى العام أي حامل الاتهام، ومستشار الدليل وطالب الإدارة حماية لأمن الدولة والأمة والأفراد. أعني
أن روبرت قد عمت عليه الحقائق فأيابت الدلائل ولم يظهر من هو المجرم. فتأي قوة خطرة كانت وراء هذا الإخفاء؟

وبدأ الخوف يفعل فعله في قلوب اليهود وأعصابهم. في إسرائيل،
فهذه التصريحات التي تنشر على لسان "موشي ديان" ليست هي مظهر القوة ولا هي فعل الشجاعة، وإنما هي من عمل الخوف. فإن نحن عاجلناهم به. بالعمل المتلاحح، أو عالجنا أنفسنا بالأسباب التي أدت إلى خوفهم أفلحن، إلا فالخوف سلاحهم بعد. يفعلون به الأفاعيل. هم لا يقدرون على الشجاعة، وإنما قدرتهم بهذا الخوف، فيما عرف التاريخ مثلهم خشية من الخوف يفرضون منه دائماً، ولكنهم يعالجون بالدس والتآمر والتمرد والفكر في الشعوب التي تنحدر بهم لتكون آلنا في أيديهم يفرون من الخوف إلى أمنهم، أو يستفرونهم من عمل الخوف ليكونوا معهم علينا!

الخوف صناعة في أيديهم، ولكن إنا صنعنا نحن في نفسهم جلب لنا النصر على شرط المعالجة لنلا يستعملوا سلاحاً!

لقد انعكس الأمر فيما بيننا وبينهم. في ميزان القوى، والآمن قوة السلاح، ولا عدد الرجال، وإنما أعني القوة في شجاعة النفس.

كنا قبل 5 يومين نسلط الخوف على أنفسنا منهم، وقد لا يكون هذا الخوف من جيش اليهود ولكن كان خوفاً من عمل القوى الأخرى التي تجسدم لدينا خيالاً فطرياً بأن هذه القوى ستتهلكنا من أجل اليهود إن نحن حارباهم.

ثم إنه يجسد وتجسدة حتى أصبح الوهم حقيقياً فإذا كل طائرة، وكل جندي نحسبه من هذه القوى التي أمدتها إسرائيل.

إن الحرب أول كفاءة فيها هو إماتة الخوف فإذا مات الخوف في
العمال الكاملة للأديب الأساتذة محمد حسين زيدان

جيش. في أمة محاربة كان لها النصر، ولقد مات اليوم - بعد عام - هذا الحفوف فينا. بينما هو بدأ يسري في أعمال إسرائيل. فكل تصريح لدبيان وليبر كان من عمل الحفوف، وحتى تصريح مستر "راسك" فإن رأيي يخالف رأي الناشرين له، أو السامعين. إن مستر راسك حينما نشر رأيه بسطه للدنيا. لا يسأل عن فرح به أو منكر له! فمن حقنا - ونحن من أصحاب هذه الدنيا. من أصحاب الحق المهدور فيها - أن ندللي برأينا فيه. لا أحسب إلا أن مستر راسك قد عرف هذا الحفوف بدأ في إسرائيل فأحب أن يعطيهم الجرعة في "برشامة" مختلفة بالسلام. لا يغيب بها عربي في ظاهر الأمر، وتفرح بها إسرائيل في باتن ما تعبني. كل ما تعنيه في نظري أنه لا تغيير في سياسته. هي المبادئ الخمسة. هي قرار مجلس الأمن. هي مهمة يارنج. أي إنها ما تريدنا إسرائيل.

- وكثيرًا ما تلمف فكرة على كاتب تشده إليها لبطل موضوعها على صورة سؤال قابل للمحوار والنقاش!

ولكنه في الكثير من حاله في زمانه ومناخه يفكر أيضاً للفكرة نفسها!

هل هي ملائمة لوقتها أو لوقته تحوطاً بالتوقيت يصلح مناخاً لطرحها؟

أو لما يحن بعد زمان الطرح لها؟ سيان! فلسوف أليها عن كاهلي فقد ضقت ذرعاً بها!

الفلسفة الحث على في سؤال عن الدروز في إسرائيل؟ هم عرب ولا شك. أبناء معروف تمت أعرقهم إلى المناذرة ونحن ونسان، وهم لم يبالوا باحتلال اليهود للأرض. فلم يرحلوا لاجتنب كييتهم من العرب الفلسطينيين، أسركا بالبقاء ولم يطردهم اليهود.

بل إن فريقاً قد كثر سواهم به قد انضموا إليهم ليعيش جميع الدروز
مع اليهود في فلسطين المحتلة كمواطنين في دولة إسرائيل، وهم أيضًا قد
تنادوا للإقامة في إسرائيل، وكجزء من جيشها، وكقوة لها شأنها اليوم في
دعم القوة الإسرائيلية.

وحتى أنهم قادرون على الثبات في العيش في أراضهم كمواطنين في
دولة اليهود. قاله لي أكثر من درزي تحدثت معي:

وليتهم صانوا القدرة العربية تعيش في أرضها! لا... إنهم
أصبحوا اليوم الطغيان الشرس المفطع المفعج، ينكل بالعرب والפדائيين.
بل إنهم الفرقة التي اجتاحت غزّة بزي عربي كأنهم جيش العرب، فخدوا
وأهلوا، وهم الأداة للكتل بالعرب اليوم، كأنما اليهودي يقتل العرب
مرتين: القتيل والقاتل، قتل الإرادة لدم المقتول، وقتل من الفرقة في
وجدان القاتل، والسؤال أطرحه على أكثر من زعيم بينهم له مكان السيد
والقديس في السهيل والجبل من أرض عربية، كما أسأل عنه عبد الله التجار
بالذات، ألف كتابًا عنهم، يسمىهم المؤلّفين المحمديين حتى ليقول لي:

هل هذا من عمل الموحدين المحمدين؟

ولو كان كاتب العرب الغزلب عباس محمود العقاد حياً - يرحمه الله -
لسألته هذا السؤال كنقاش لما أورده من حجاج يشفع لهم به في كتابه
"فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

السؤال قائم فإن التكية تجلع من الصبر على ما يفعله الدروز من عون
اليهود، ولكن التخوف من شيء اسمه الرأي العام العالمي غرس فينا الخشية
من المصارحة عن فعل أقلية أو طائفية. نجامل ونتحمل فتلقى الضرب
والحيف خوفًا من الضجة تديرها قوة مغزاة!

إني ما زلت أسأل عن إجابة، ولكنني لن أجدها عند من سألت غير أنى
سأجدها تحدياً وتحديداً وبطشاً من عرب يعيشون في إسرائيل يفتنون عرضاً لحساب اليهود.

- تعريفان درجنا عليهما... تلقيناهما بالقبول والترديد والتأكيد هما:

إسرائيل ركيزة الاستعمار. إسرائيل جسر للاستعمار قديمه وحديثه.

لكن حرب يونيه وما جاء بعدها أظهر أن هذين التعريفين لا ينطبقان تمام الانتباط لأن الاستعمار يتصرف على ما نسبه الاستعمار القديم أو الاستعمار الجديد.

ليرجع هنا في فريق معين أتخذ اسمها جديداً: الإمبريالية كتأكيد للحصر وتوقيد للنفي. تبعد به هذه الصفة عن فريق ثان.

إن إسرائيل لم تعد ركيزة تقف منها دولة مستعمرة. تفتح أرضًا...

تستغل شعباً. هي لم تعد جسراً يعبر منه الاستعمار الجديد. استغلالاً وانقلالاً وإغلالاً. قد يكون القصد من معرفتها أولاً أن تكون كذلك في تخطيط الذين يقولون إن إسرائيل وليدة لنبأ. ولكنها الآن فيما اعتقد أصبحت غير ذلك.

لقد أصبحت مشكلة الجميع حتى إسرائيل نفسها. هي مشكلة ذاتها...

لا تطبق أن تكون سيدة نفسها. وهي في خيالنا الآن تتأرجح بين من تختاره سيداً لها.

إسرائيل مشكلة إسرائيل. مشكلة حلف الأطلسي والرأسمالية والاستعمار. وهي مشكلة حلف وارسو والشيوعية. وهي مشكلة العرب.

وأيضاً هذا كله أضحى مشكلة عالمية. وأصبحت مدولة كما لا تريد إسرائيل. وكما لا يريد. فهي في هذا الوضع ليست أقل من خط برلين.
- بغداد... وليس أخف من دانتج وليست هي البعيدة الشبه بفيتنام في سايمون ومن هم حماة السايمون، هم تركوها تصنع نفسها عليهم يستغلونها. يصنعون بها مناطق النفوذ لهم. والقبض على المصالح... فإذا بها تكاد تقضى على مناطق نفوذ سبقت... لتحل محلها مناطق نفوذ لحقت.

فهم وإن اختلفوا في المظهر على وفاق في النتيجة... الاتفاق على الغنيمة... الغنيمة هي المشكلة... مشكلتنا ألا تكون الغنيمة... ومشكلة إسرائيل لن تكون الغنيمة... ومشكلة المعسكرين شرقي وغربي متي يتم توزيع الغنيمة؟... فالجبهة المدنية... والتي على ضوئها تكون المعركة الفاصلة. لنا أو علينا. أو الهدنة القائمة لإسرائيل لا علينا. فالهدنة سلام مؤقت لا تطبيقه إسرائيل. وهي حركة مستمرة لإعداد الجندي العربي وتوحيد الجهاد العربي.

المشكلة هي أن الذين صنعوها أول الأمر... هم الخاسرون لها تألي الأمر والذين يعلنون المناواة لها الآن هم الكاسبون اليوم... والذين أعانوها ويعينوها يضطرون لقبول التوزيع للغنيمة... فهم في مشكلة منها تتضخم مشاكلهم بها... هي مشكلة نفسها... ومشكلة العرب... ومشكلة الاستعمار جديده وقديمه ومن ورائه يكون الكسب للخاطفين... أما إسرائيل فلديها العلبة لتكون مع الفريق الكاسب... فعندها رصيد من الرجال في كل مجال ولكل الأحوال ومع كل المذاهب... يعملون لها عمل السادسة...
ولن تدير الخد الأيسر يا ابن الهفري. فلقد صعنا قبلك أيام حرب الصليب همفيًّا لعله من أجدادك - فالاسم لكما اسم عليه طابع الأنجلوسكسوني. صنعه صلاح الدين، حين غزا كرش (أرناط).

أنت مع إسرائيل بكل قوادك. ولت أنت جعلت التصريح باسمك. بل أنت جعلت نفسك كل الولايات المتحدة. وهذا ما تقضيه به الملاحة والملاسة .. لأنه الرئيس الثاني الآن، ولأنك الرئيس الأول بعد إذا ما نجحت في الانتخابات.

تجربته يقول:

أمريكا مصممة على الوقوف بجانب إسرائيل. أمريكيا لن تجعل إسرائيل تقف مكتوفة اليدين ضد من تحدده نفسه بتدمير إسرائيل.

الأمريكيون يقفون بشموع لمشاركتهم بجزء بسيط في معجزة إسرائيل! إسرائيل دولة تمثل جزءاً من تراث أمريكا الروحي، ولذا نضحي من أجلها!

هذا كلامك! فهل هو الجديد؟ ليس هو الجديد منك ولا عليك فقد صرحت بمثله من قبل أوجزنا ردًا عليه فيما مضى من أيام.

فهل أحد من يعتذر لك بأنك لم تقل إلا كمرشح في الانتخابات تشترى أصوات اليهود . حربًا منك على منافسيك. كنتي ومكارتي العضوين في حزبك، ونلسون روكفلر ونيكسون من حزبك الحضيض صانع أسباب الحرب كالمحافظين في بريطانيا ليتحمل أثرها حزبك الديمقراطي كحزب العمل في بريطانيا أيضاً، كسير التاريخ في أكثر من حال.

وهل أنا نقبل هذا العذر الآن! فهل نقبله لننسى أنك لم تقله إلا
كمبادئ تطالب بها يوم تكون الرئيس؟ إنك تعرض على الناخبين برنامجك ومبادئك كرئيس مقبل. فلا وجه للاعتذار عنك بمسؤولية الواحد المرشح لأنك ستكون المسؤول الأول إذا ما نجحت في الانتخابات. لا عذر. لا عذر. إننا لن ندير الخد الأيسر. فهذه دعوة قد نسخها ديننا. فنحن اعتذى عليكم فاعتذوا عليه بمثل ما اعتذى عليكم.

ثم أنت لم تقل هذا كرجل روحي مع أخلاقي المسيح على السلام. وإنما أنت وقفت تعرف على أوتار قيثارة نبرون يرقص على نغمها النشاز عصابة من طغمة اليهود.

وقفت على حريق في الشرق الأدنى تغني لليهود. ليس هذا من عمل الروح المسيحية، وإنما هو عمل اليهودية الشرسة.

كل تصريح ينادر اليهود في كسب للعرب. فلسنا الغاضبين منك ولا عليك.

إن العرب بتصريحك يكسبون الزيادة في المعرفة. ليكسبوا أنفسهم.

وإنما ستكسب الشعب الأمريكي كما يكسبنا إذا ما ترأنا فعلًا من قولك حينما يسقطك في الانتخابات. ساعدتها نصدق الاعتذار عنك لأنهم صدقو في العمل ضد تصريحك.

.. وسمعت المخبر من إذاعتنا أمس الأول. يخبرنا أن حكومة سيلان الجديدة برئاسة السيدة "بادرناكيا" قد قطعت علاقتها السياسية مع إسرائيل. أحسبه توقيفاً على شرط أن تنفذ إسرائيل قرار مجلس الأمن الصادر بحكمه عليها بالجلاء عن الأرض العربية التي تحتلها. بعد حرب الأيلام ستة من شهر كيفذا الشهر "ويوني" حزيران قبل أعوام ثلاثة.

هذا عمل مشكور من ناحيتين التثمن:
1 - في مناصرة للعرب تعلمن الحرب على البطل بالصورة التي استطاعت. فقطع العلاقة بين دولتين إعلان للخصوم، بيان عن عدم الرضا من الحكومة التي أشعلت بقطع العلاقة على الحكومة التي تغطي وتهز.

وتتحدى وتصنع في الأرض الموقع الصعب ضد السلام.

2 - مناصرة سيلان لموقف القرار وعمله وتنفيذها. فكأنما تقول: إن قرار مجلس الأمن قد وضعت عليه موافقتي وتوقيعي، فلكي أكتمل هذه الموافقة والتوقيع فينيغي أن يكون معه بقوة أمكها دفاعاً عنه. واندفاعاً معه لأبين لأعضاء الهيئة عموماً. ولأعضاء مجلس الأمن خصوصاً أن يتخذهما من المواقف ما يؤدون به مواقفهم على القرار، وما يدعمون به توقيعهم عليه.

إن سيلان دولة صغيرة. لكنها بهذا العمل تصبح في احترامها لتوقيعها أكبر من دول كبرى لم تفعل شيئًا مساعداً لهذا القرار.

إن سيلان حكومة فيها أكثرية مسلمة فألزمت حكومتها صاحبة الأغلبية الحاكمة أن تكون مع إسلام الكثيرين من رعاياها.

إن سيلان شعب تعاقب مع الإسلام والعرب في التاريخ طويل. فلا بد أن تقدم عواطفها من خلال هذا الموقع.

إن سيلان تفعل بالأسطورة ذات الحقيقة المتواصلة في نفسها أمه، والتي لها سلطان مؤثر في النفس العريقة من خلال الخبر والتاريخ.

هذة الأسطورة، الخبر، تقول: إن قدم أي الإنسان قد نزل في سيلان.

عنى أن هذه الأرض كانت أماً لأرض الناس جميعاً.

ولا أظن العرب في موقفهم اليوم إلا الشاكرين لسيلان على هذه
العاطفية البسيطة والإتجاه المعين عن عقل مدرك لمشاكل الشرق كله.
تحيتي لسيران. تقديراً وشكراً. ولا أكثر ولا أقل.

- وتصب إسرائيل طغائها على العرب. في الأردن الصامد بقنابل النابال، فيشكو العرب إلى مجلس الأمن شكوك لا تطلب العدالة من مجلس الأمن، وإنما هي تعم الدنيا بالعجز عن رد الطغائ. كأنما العالم - بكل إنسانه - قد خلا من وجدان الإنسان، فلا رادع بقوة، ولا مدافع عن قانون!

حال لا تطاق... من العجز أن نطلب العون أو العدل من أحد، ومن شيء آخر لا أسميه ألا نطلب من أنفسنا... عن أنفسنا الدفاع عن أرضنا!

فهموها كما شئتم، فلتكن عينا على الدنيا فإن هذه الدنيا ترد العتاب علينا بإلغاء اللوم. بالوصمة. بالمعاية. كأنما كل ما يصنع لنا نحن الذين صُنعنا بأنفسنا!

الشكوى إلى مجلس الأمن أصبحت كقراراته «حديث خرافة يا أم عمرو»!

لا نقولها هذه الأيام... فالدين لا يعملون جديدا بهم ألا يقولوا!

- وإنما تقولها الأجيال القادمة تصب سخريتها لا على الطغائة وحدهم. لا على إسرائيل وحدها وإنما على الذين حاربوا «موسيلين» و«هتلر». كان بعض ما أساءها فيه تحطيم عصبة الأمم. بينما هم هؤلاء يحطمون المشاكل، وهيئة الأمم، ومجلس الأمن، والقانون الدولي، والأعراف الأخلاقية بأسلوب ناعم.

لو كان لي من الأمر شيء لما شكرت إلى مجلس يقدم بعض أعضائه
القرار الصريح. يجمع عليه الأكران. فإذا الأقلون يخضعون مقدمي هذا القرار إلى صيغ مائعة كهذا التصريح بلسان دولة تقول إنها تعرض خرق إيقاف القتال! أي كلام إنشائي هذا! إنه لا يضرنا بل يدفعنا. تعلم منه كيف تظهر الظروف الدول الكبرى!

إن أي تصريح، وأي بيان مشترك أصبح لا يفيد كقرارات مجلس الأمن، حيث خرافة الفائدة أن تنفس الخلاص بكل وسائل الخلاص، ولكن بإخلاص إخلاص الجميع.. نضع كل سب للمفرقة تحت أقدامنا. لتعني أنفسنا، وعلى الأقل لا نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا الموت المقتدر. تأخذ جرعة في كل يوم ضربة من إسرائيل. فلتكن الضربة الواحدة علينا أو لنا.. لعل الدنيا تنتبه،.. لعلهم يعرفون أن العربي لا يموت كالمحترق.. كالموقدة.. كالمردية.. يعني قطيس!

فطم بموم في أمر حقيق كتطعم الموت في أمر عظيم!

الذين يموتون بالأمراض خير لهم أن يموتوا بالقتال!

إن الشكوى لمجلس الأمن أصبحت المخدر الجديد.. بل هي أخطر أنواع المخدرات.. هو أخطر من الحشيش والأفيون، والطاورزة، والهرودون، والكوكايين، وحبوب الهلوسة، وحبوب الكونغو.. كل هذه تخد الأفراد.. أما قرار مجلس الأمن فمخدر الشعوب المستضيفة، وهذا أخطر. ومن واجبنا أن نتجنب تعاطي المخدرات!!

- حسبت إسرائيل أنها ملكت بوسائطها الرأي العام العالمي.. تثير ضد العرب.. وقد نجحت في ذلك إلى حد بعيد في الأيام الأولى. فهو على الأصح في الأشهر الأولى! 
شيء من وسائلها، وأشياء ممن أعانها، لكن الشيء الأكيد تقاعس
بعض الرؤوس في أكثر من دولة. ليس أمام الضرورة المذهلة، وإنما أمام
الرغبة الذاهلة!
لكن الرأي العام العالمي - ولا أستطيع أن أقول إنه خرافة - قد اتضح
له ما تفعله إسرائيل. ولم يتضح له ذلك بما جرى في مجلس الأمن، أو
في هيئة الأمم من كلام فضيح إسرائيل. إنما الوضوح جاء أكثر وأكثر من
مواقف إسرائيل نفسها. فكثير من الدول في أوروبا تسأل نفسها باللحاح
عن هذه المواقف من إسرائيل:
- إغلاق قناة السويس - إغلاق المطارات حيناً بعد حين؟
- أوروبا تسأل نفسها الآن عن الشلل الذي أصاب المواصلات؟
- هذه الموقف من إسرائيل شاهد يفتح آذان الرأي العام العالمي عن
 طريق الصراع في أوروبا، وليس أبخش القيمة للكلام في مجلس الأمن لأن
 هذا الصراع في الغرب قد أعطى الكلمة في مجلس الأمن الأذن المصغرة...
 تسمع فظائع إسرائيل...
من هنا. جئت في هذه اللحظة أشير للباكستان، وللسنغال موقفهما
يتزعمان الشكو في مجلس الأمن ضد ما تفعله إسرائيل من فظائع وأعمال...
في الأرض المحتلة.
إن الباكستان والسنغال بهذه الشكوى قد منحتان الفرصا لأن تفتح أعين
أعضاء مجلس الأمن. الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة. الأخرين في
التفاوض الأمريكي لليهود الفظائع. بصورة بالكلمة، والصورة. لبعرف أن
النازية كانت أقل من ذلك!
فالنازية قتلت رجالاً. لكنها ما هلكت نساء. ما جزات أطفالاً. ما هدمت بيوتاً على أصحابها. ما فجرت في المساجد والكنائس. ما تباهت بما فعلت. كنت أيام النازية أنمنى هزيمتها لحساب الإنسان، لكن هذا الإنسان حينما امتلك القوة أصبح بطغى. بيني نازية أخرى. هي نازية بالفعل، وشيوعية في المستقبل، ولن تكون غير ذلك!

شكر للباكستان ول السنغال هذا التمكين لنا في إعلان الفظائع. ففعلَ إسرائيل - إن لم تستح أو تخف - يستحق الآخرون إن لم يخفوا!!

- فوضى عالمية. إن العالم قد خلا من العقلاء، فقد أخذته اليهود بما صنعت وتصنع من كل عاقل. إن حلم الصهيونية قبل أن تسود في الأرض أن تفرض سلطاتها على الفكر وعلى النفس، وكثير من الشعوب والدول قد وقع في ذلك. فأهملوا إنسانية الإنسان، أما نحن العرب فأحسينا بالصمود في حرب اليهود يعرف الإنسان أنا مخلصوه من خدر اليهود وسلطان الصهيونية!

هذه الطائرات التي تفجر أحدثت فوضى عالمية، في خطوط المواصلات ما صنعتها إلا اليهود، لو خسرنا رجالاً منهم. إن اليهود يريدون هذه الفوضى العالمية، فهم يتهمون العرب بأنهم قد فجروا الطائرة النمساوية. والعرب أنكرنا ذلك، فلذا لا يتهم اليهود أنفسهم بأنهم صانعوا ليشعروا الرأي العام العالمي كما فعل غيرهم قبلهم في قتل السردار، أو إغراء «كشتر».. هذا احتمال راجع، وهناك احتمال قد يزعم بعضهم أن الذين فجروا هاتين الطائرتين قد استأجرهم «البئنس» من بعض العرب أو من أنصار العرب. «البئنس» له فعله. الأجر المدفع لعمله. لا تعجبنا فإذا كان أكابر الرجال في الدول الكبرى قد طوعتهم
الصهيونية لأغراضها بالأجر المدفوع "بزنس" فلا يبعد أن يغرى عامل في
طائرة.. حما تحريبا مهندس بأجر مدفع.. ليضع المنفجر. فحينما
فجرت أخلاقي الرجال بالخضوع للصهيونية تفجرت أحوال الدنيا بهذه
الفوضى. أليس هناك عقل يعود إلى شعوب كبيرة تقول للصهيونية: قد
رفعنا يدك عن أكابرنا لينقذوا الدنيا الإنسان من هذه الفوضى العالمية؟ يحسب
اليهود أنهم بما يصعون يلوين الدنيا على العرب؟.. لا..
مواقف ورجال

هو شاب لم يبلغ السابعة عشرة بعد. جلس يسمى إذاعة لندن
يشاركتي في ما أنا فيه، أو يشارك الإنسان تلك اللحظة بكل ما هو له من
الهتاف لانتصار العلم، وما كادت الإذاعة تختتم الأخبار عن سلامة الهبوط
لعبارة الفضاء "أبولو13". تسبت الفرحة الغامرة بجهد الرجال، والغامرة
بنجاة الإنسان.

لقد سمع وسمعت فقال: هل تعتقد أن العطب أصاب المركبة
 بالمصادفة كحدث عرضي منها الهبوط على سطح القمر؟

قلت: نعم إنها مصادفة، فما هي إلا آلة يحتريها كل ما يعترى
الآلات. بل إن كل البراعة في دقة ما ركبت فيها ترجع كل الاحتمالات
للإصابة بالطعوب. فالتركيب المعقد الدقيق، والموجه من الأرض، والمدار
برجال في الفضاء يحمل في تركيبه الخطر والخلي.

قال: أنا أخالفك في ذلك، إنى أعتقد أنه مخطط متمدد فيه إيقاع
الإصابة بالطعوب لامتحان الكفاءة في مقاومة الجاذبية على القمر لاختيار
القدرة في صمود الرجال. لإبراز الحقيقة في اتقان العلم!

أرادوا أن تصاب بالطفوب ليكسبوا التجربة الصحيحة في إنزال سفينة
تعطب للمصادفة.
- قلت: هذا كثير.

- قال: الذي كثر في نظرك هو الإخراج المسرحي في وقوع الحدث

- وإخراج الأخبار يجعل الإنسان في رفقة.. يتصور بها بعضًا من النقمة،

- ويمتصن بها أيضاً كل النعمة.. نعمة المجاد.

- قلت: على هذا تصلح أن تكون معلقاً سياسياً. فكثر من التعليقات

السياسية لها نفس الملامح التي تتكهن بها!

- قال: النجاح سيجعلهم يقولون إنهم صنعوا ذلك، والفشل كان في

مقدر أن يتقلوا عليه فيعمر أنها المصادفة.

- قلت: حوار أعرضه.. لا أشكر كل الإنكار، ولا أستطيع أن أتنه

لكنه أعجبي كإثارة من ذهن، ولو لم يصادف الحقيقة إلا أنه يقول مشاعر

الذين يألمون من سفك الدماء، ويأملون في نجاح السلام حينما ينجح

العلم!

- ثم قلت: إن عملية السلامة بهذا الهبوط المنقى لا يفترق توقيته إلا في

ثوان خمس.. أمر عظيم. أشعر أنه أعظم من عملية الهبوط على سطح

القمر.

- أحسن حكايته سمعته عن البرلمانات جاءت من إذاعة لندن.. البلد

الذي أنشئ البرلمانات في العالم، فالإنجليز استطاعوا أن يستخدموا البرلمان

كصمام آمن، وكمصمان من الوقوع في ما يحذرون منه!!

لكن الذين نقلوها عنهم ما كانت توائم طبائعهم، ولا تلازم حتى

مصالحهم فتخيطوا بها وأغرقوا شعورهم التي لم تكن في حاجة إلى خلاف

أكثر.. فأوقعوها في الخلاف الأكبر!!
كثير هي المسارء، غاية من منها: التدريس بالتعليم إلى درجة أن
كثر المحامون ورجال القانون - يعني أرباب صناعة الكلام - من أجل
البرلمان.

الحكاية تقول: إن أقدم برلمان، أو هو أعظم برلمان كان في دنيا
اليونان في إحدى الجمهوريات الإغريقية. صنعوا هذا البرلمان، ومن
تقاليد أنه يجب على النائب إذا ما عرض قانوناً أو مشروعً لقانون. يجب أن يندد أولئك أشدمة، ثم يطرح المشروع على المناقشة، فإذا لم تتم
الموافقة عليه يسحب هذا النائب صاحب المشروع على وجهه - يعني
يسحل - ويذهبون به فيقتلونه. ويشتملون لأنه رجل فاشل. عرض
مشروعاً لم يوافق عليه البرلمان!

هذا الوضع قد أمد برلمان بعمر طويل. مائتي عام، ولكن ليس هذا
هو السؤال. السؤال: كم قانوناً أصدر هذا البرلمان؟

الإجابة تقول: في هذه المدة الطويلة لم يوافق البرلمان إلا على قانون
واحد (!!!).

حكاية لها مغزها، ورمائها. يطرح سؤال بعد ذلك:
- هل كان الرفض من هذا البرلمان عن اقتراح، ومعرفة، وحجة،
ومصلحة؟ أم أن هناك سلطة فوق البرلمان اتخذت منه صورة للديمقراطية

والفتت عن طريق الديمقراطية؟!

أعتقد أن البرلمانات كلها واجبة للديمقراطية. تستلب بها ثقة الشعوب
ليكون من وراء هذا السهل التنفيذ لآراء معينة، أو مبادئ معينة يخطط لها
فريق من الناس المتنمرين لحزب ما باسم هؤلاء الناخبين...
حتى البرلمان البريطاني لم يخل من هذه السواد، وحتى الكونجرس الأمريكي أصبح الآن يتحمل لأن كثيرًا من الأمور تجري دون علمه.. تستغلها جهات عرفت كيف تخرج من المأزق بتعدد السلطات المربوطة بمؤونة!

إن هذه الحكاية قد لا تصلح دليلاً على الحكم بالسوء لأي برلمان، وإنما واقع هذه الأيام هو الحاكم بالسوء على برلمانات تسكت عن الذبح والقتل للإنسان الذي صعد إلى القمر.

ـ وأطبق اليأس على كثير من الفرنسيين حينما هبت النازية بالضرية العاصفة للخطوط والجسور والحصون فتقدمت بزحف الحاقدين إلى أبواب باريس، فكانت نجعة عالمية!!

ولم تصل سحابة من وراء الأطلسي، صرخ يناديها (بول رينو) كأنما هو يقول: أيها الشاكرن لفرنسي صديق أعيان وانشطن في حرب الاستقلال (لافاييت) ردوا إلينا جميلاً صنعه لكم.

ولم تسرع السحابة، لكن الغدانية في دم الإفرنسي. وقائد المقاومة (ديجول) ومن معه صنعوا أقدامهم على الأرض وأطبقوا على اليأس يريحونه من نفوس الفرنسيين فجعلوا السحابة من وراء الأطلسي تجد لها مكان نزول تضع ثقلها فيه. تمبرر انتصاراً على النازية ونصرًا لفرنسا حققه الفدائي. وجاءت به المقاومة الوطنية حتى عادت فرنسا الدولة الكبرى في مجلس الأمن، والدولة الكبرى يقيم جيش من أبنائها في أرض ألمانيا التي عادت محتملة بعد أن كانت زاحفة تحتل!!

وأطبق اليأس على كثير من العرب. في أيام يونيه السنة منذ عام حينما زحفت نازية ثانية بضربة عاصفة تحتل الأرض العربية وتقيم على أنقاض
هزمتنا نصرًا لها فكانت في حيزة إنسانية! 
ورجنا سحابة من وراء الأطلسي لا نأتي من دولة واحدة وإنما رجنا وصولها من الدول كلها في هيئة الأمام أو مجلس الأمن. فإذا السحاب جاهب لا يمضي ما يغيث. الظلة تبعث بالعالمين. ويعيش بنا بها الظلمون.
لكن الثورة في الذهن العربي قد جعلت السحاب العربي يمطر العدو
وابلاً من القتل والخراب. يكون من الغيث لنا والغيب بالغيدوا
إن المقاومة والدفاع هي السحابة المغيرة أمطرت النقاط الألفاس ورفع
الرأس. كأنما هي تطبق اليوم على اليأس تزيله ترمي به وراء خطوط
الأعداء. ليكون الأمل في النص قريبًآ.
لقد أكسبنا الاعتبار، فأعطوه العون مقابل العزة، ردوها إليكم مقابل
ما يبذلون من نفس. هم يبذلون دم الشهيد. فابذلوا أنتم العون للشهداء.
قرواً.. سلاحاً.. لقمة خيزةً.. أمالاً فيه.
إن الثقة فيهم تجعل للعطاء قيمة. وإن البذل منكم يجعل للثقة قواماً
في نفوسهم.
كونوا أفراداً بالرفد والعون والعدو من كل ما تقدمون عليه.
إن اليهود قد تحذروا الفاتحين الأولين. يتحدون الإسلام في أبي بكر
الفتح الأول. في عمر الفتح الثاني. في خالد. في صالح الدين.
أيدوا الفاتحسة عوناً وتطوعاً وأمالاً وحفاذاً تكسبوا اليوم الأبيض رغم
السحاب الجهاز يأتي من وراء الأطلسي، ألا سحقاً ليهود جنوا من
جيشهم.. جيش «باتيستا» في الشرق ستأكله عاصفة ليست على اليسار وإنما
على المعتفين الظلمين.
- الجزء الثالث - الشر - كلمة... ونصف

- أسسانيا الدولة نفت ما ادعته ألسنة الصهيونية ودعاة إسرائيل. فقامت أسسانيا بإصرار الرجال الذين يعرفون أقدامهم. ولا يتلاعبون بالقيم الموروثة، ولا بالمسؤولية المورثة. قالت: لا... لا... لم ولن يكون هناك تبادل اعتراف، ولا خطوات تعارف بإسرائيل. قالت: نحن ما زلنا مع العرب لأننا نحترم قيمتهم في تاريخ الإنسان. وقوامهم في حياة الدنيا فيما مضى. وفيما يليق. نرفض الظلم، ولا نتصالح مع الظلمين!

 أسسانيا ما قالت ذلك لأن وداتها، أو مصانع الأسلحة فيها تعود لها سوقاً عند العرب، أو أنها تغاضب السوق الإسرائيلية حتى تسحبها بنوع من التراضي لتشري الواردات، أو لتقنتي السلاح. وما تقول ذلك لأنها تعود أن ينصرها عرب في المشرق على عرب في المغرب. فهي قد صفت الكثير، وهي في طريق التصفية لكل ما يضر بعلاقاتها مع العرب في المغرب. بل إنها بهذا الموقف تيسر للصدافة أن تعمل عملها. يرسخ بها المجد القديم، وتنمو بها الحياة الجديدة!

 أسسانيا قالت ذلك بقوة جنرال لعله الأول قبل ديجول. رجل ما كان خلفاً يلعب به الرياح. أثبت للدنيا كذب الظلمون التي كانوا يظنون، فلم يصبح لعبة في يد النازية، ولا دمية في يد الفاشية رغم العون المبذول له منهم. وهو الآن - أعني الجنرال فرانكو - يثبت أن مصلحة أسسانيا هي التي تقوله أن كان محايداً في الحرب العالمية الثانية. لم تقم عاطفة نحو موسوليني ولم تأخذه نزوة إلى هتلر. كل عواطفه لأسسانيا. كل عقله لها، وحتى «صوماليه هور» وزير خارجية بريطانيا سابقاً. سفيرها في مدريد أيام الحرب (لورد جين) لم يصنع شيئاً ليكون فرانكو المحايد في الحرب. كان ذلك عمل الجنرال فرانكو نفسه سلمته به أسسانيا خلفاً
وسياسة ومستقبلًا. هكذا الرجل لا يبيع شعبه مخافة أن يتضاعف عليه الأعداء، ولا يهدد حق شعبه في سبيل الكسب من مادة قد تجيه، برخاء الشعب اليوم لكنها تنتهي برحاته غداً!

إن الجنرال فرانكو، والجنرال ديجول رجلان لا يلعبان اللغة القذرة من أجل إسرائيل، وإنما هما قد جذا في ذيل الصداقة العربية التي باعها أصدقاء لم يحكموا عنعهم وإنما قد حكموا بعقوبة مدمرة لشعبيهم.. لا خير في رجال تمتلى جيوبهم. وتخوي قلوبهم!!

بتة طلاح الكومونلث الجديد!

فهل هي تجربة تخضع للظروف. أم هو مخطط يصنع كل الظروف؟

كل المعقلين، وكل الآخرين يذيعون أن "تشيكوسلوفاكيا" قد انتصرت في تحريرها الوطني. ونظامها الداخلي، وحتى قوميتها!! وعليه أبدو شاذًا حينما أزعم أن ما صدر به بيان المؤتمرين في "بتسلايا" لم يكن إلا انتصارًا للإمبراطورية السلافية. إمبراطورية الكرملين!! ولم يكن ذلك تصفوًا عاجلاً. صنعه المؤتمرون في ٢٤ ساعة. وإنما هو تخطيط مدروس.

صنعت من أجل تنفيذ أحداث في مقدمتها وجود الجيش الروسي في تشيكوسلوفاكيا. وليس آخرها خروج الجيش دون أن يحدث أثراً. أو أن يتولى ضغطًا على شعب يبدو في ظاهر العيان أنه يريد الانسلاخ عن الإمبراطورية الروسية!

قد يكون الدرس الأول ليس هو فيما وقع في تشيكوسلوفاكيا. ولكن فيما صنعته يوغوسلافيا من قبل. أيام سلطان المذهب يفرض فرضاً بالفسر. وفيما صنعته رومانيا!! إن يوغوسلافيا ورومانيا قد أعطتا الكرملين نهج المؤتمرين في تشيكوسلوفاكيا. تحقق به الانسلاخ عن الدمج بالفهر. وعن
سلطان المركزية إلى قوة التجمع بالحرية الشخصية في إطار العمل الجمعي. قد يكون في هذا إضعاف للمذهب. روسيا لا تمانع فقد فرغت من ذلك بالكلمة التي قالها خروشوف: "أندلع وصلنا إلى الرفاهية وهذا ما تعنيه أو ما نريده من الشيوعية". حينما وصلوا إلى ذلك رفع الاتحاد السوفيتي إلى مجدر الإمبراطورية ليعمل بأسلوب الأباطرة!!

إن روسيا الإمبراطورية في احتلالها من قبل الشيوعية لبولندا وفنلندا، وفي عدائها مع ألمانيا وفي غزواتها للدولة العثمانية لم ترد أكثر مما وصلت إليه الآن مؤتمرات تشيكوسلوفاكيا. لقد حققت بذلك سلطان موسكو على هذه العواصم. عاصمة للكومنولث الجديد. وفي هذا يبدو الخطر في أكثر من ناحية. فقد كان هناك المطمئن الأول والأخير. والمحذور منه. والمخيف هو: كفران الشيوعي بالوطنية، والقومية مما أصاب الأحزاب الشيوعية في إيطاليا وفرنسا بالعجز إلى درجة التقلص. ولكن بهذا المؤتمر وبالنهج الذي أعلنه قد أزال هذه المخافة. فكل الشيوعيين الآن في حلف وارسو أصبح لهم الحق بالاحتفاظ بالقومية والوطنية. لا يغيرهم أن يكونوا الأعضاء في الكومنولث الجديد ليكون غيرهم مثلهم.

إنني أشتم رائحة الخطر من ذلك. تفوق ألمانيا الغربية على حافة المخافة. ولقد كان في تصريح "كيسنجر" ما يلقي الضوء على هذه المخافة فقد جاء فيه: أنه بالرغم مما صدر في هذا المؤتمر فإنه حرير أن يكون على علاقة طبية مع دول أوروبا الشرقية!

إن هذا العمل - وأجد فيه الخطر، خطر التوسع الروسي بالأسلوب الناعم - لم يكن مقصوداً في دقائق أو ساعات وإنما هو صنع الأيام... صنع الأحداث... صنع الضمانات... ضمانات القوة أتاحت لروسيا أن
ينتشر أسلطولاها وقواعدها العائمة.. في كل المحيطات.. في أعالي
البحار.. في البحار الوسطى. في الخليجان.. فلماذا لم نسمع تعليقات
من الغرب؟!.. لأنه لا يعرف هذه الأخطاء.. أم لأن كثيرًا منهم يرى
فيها توازن القوى؟!.. لا أحسبهم يسكنون عن ذلك. ولكنني أعزو
الصمته إلى الشعور بدقة الموقف. وعظيم الخطر لا يحسن إبداء الرأي
 فيه عاجلاً

لقد حسب بعضهم أن الجيش الروسي في تشيكوسلوفاكيا سيصنع من
براغ سايجون ثانية لتكون بون هانوي أخرى، أو هو العكس.. لكن
الروس، وقد أطبقت عليهم الخيبة وكادت تضيق الشباك.. قد أنفلت من
بقوة الرأي فلم يصنعوا ما تريد حماة القوة!!.. ولعل أحداث الشرق
الأوسط قد أثارت لروسيا أن تسرك هذا الطريق.. فهنالك سؤال طالب
قادم من أمريكا طلب من أستاذته الإجابة عنه.. السؤال: من هو الذي
انتصر في حرب الشرق الأوسط؟!

الإجابة: إسرائيل أولاً، والذين أعناه ثانياً، والذي خسر الحرب هم
العرب!

وأجابه الطالب: لا.. إن إسرائيل لم تكسب الحرب. والعرب لم
يخسروها بعد.. إن الذي كسب هذه الحرب هو الاتحاد السوفيتي. والذي
خسرها هم الذين أعناها وما زالوا يعبونها!!..

فهي للاتحاد السوفيتي في الأمد القصير، لكن فيها كل التضييق على
الغرب في الأمد الطويل!!..

فهل عرفنا بعد ذلك الخطر!!.. هم آراء أسجلها لا لحساب أحد
وإنا لحساب الفهم والفهم وحده لا أكثر ولا أقل!
ولعل أنواع ممكناً ما يعلّق به رجال يقولون الكلمة الصرحّة لقومهم كما "الترنيمان!" 👇

الأمير فهد في الصومال... وفي الصومال فهد!
فلو لم يكن في الصومال فهد.. قد استأمد على الاستعمار لما استقل البلد الشقيق.. يرتفع فيه الأذان على المنائر المسلمة!
الأمير فهد في الصومال يحمل أمانة التبعات.. لا تقول بها الأتباع ولا تسعى بها إلى الابتعاد. وإنما للجنه مع الآخرة المسلمين المتبينين لكلمة التوحيد.. المدعين توحيد الكلمة!

الأمير فهد في الصومال يمثل الدولة في احتفال الدولة باستقلالها.
رآيته وقد نزل من الطائرة يسير بين تصفيق جماهيره، واستقبال الجماهير من عليه القوم. نظرت إليه أفتش عن المعاني في إقباله من خلال المعاني في استقباله وجدتي أرى تأ، خير.. أرى البشري في باقة من الزهر يحملها عظراً في وجداته.. كالرونق في الاحتفاء به.. كالاعتداد والإعجاز في تحيتهم له.. في تحيته لهم!

باقية من الزهر تحملها النغمة المسالمة في يد المفطرين على هذا الإسلام.. طفل يقدمها إلى الأمير رمز محبة لتوثيق الفطرة .. عنوان صداقه من رسخ التعاون.. صلة الأيدي المؤمنة باليد المؤمنة تضاف إليها.. تساندها.. تنصرها ليشد شعبي المسلم في الصومال برد كيد من حوله ممن هم الحول والقوة له.. الحول والقوة من الله.. الله يعطينا هذا الحول والقوة بالكلمة المؤمنة بالصداق.. لفترة اللغة الشاعرة.. بالصدق مع كل ما ورثنه من تراث.. السابق فيه بلال، سابق الإفريقيين واللاحق فيه لا ينتهي بأحد المنتسبين في أروقة الجوامع المسالمة من "جبرت أحمد" أو "جبرت إسماعيل".
الأمير فهد في الصومال. ذهب إليها يطلب على إفريقيا المسلمة كأنما هو يقول لها: إن الحرخون على إسلامنا، يعتن بكل المسلمين، ولا يبتز العواطف للأفراد، وإنما هو يكتسي بها كالنبي. يتخذه منها زينة عند كل مسجد!

إن الأفريقيين لهم أمل كبير، صهره الألم الكبير فما أحراتنا أن تكون معهم تعالج الألم، ونسقي الأمل. حيتت لا نخفان أن تتكرر مأساة الصوت المرجح لإنشاء دولة إسرائيل بال إغراء أو بالتهديد. من شركة عجلات السيارات "فايرسون". وحينئذ يلتزم الدكتور باندا ومناقشة جانب الأدب مع العرب. مع المسلمين!

كل هذه المعاني حملها الأمير فهد ومعه. مثل هذا الكيان الكبير.

حكومة وشعباً. ومبادئ. يعني التمثيل الكامل للدولة كلها. إن الذين يمثلون بلادهم ينبغي أن يكونوا على المستوى الرفع حرصاً على مكان، وثوقاً بأنفسهم، وصوناً لقبة. ثقة بشعبهم، والأمير فهد من هذا الوزن الثقيل.

أما الآخرون الذين يمثلون المكان الكبير، والقيمة المقدسة لأغراضهم. فهؤلاء ينبغي أن يكون غرضنا الوحيد أن يكونوا في غرض لنا. فنحن أكثر من استغلال المعرضين أو الانهاريين.

تحياتي للأمير فهد. تحية المسلم لأخيه. تحية واحد من السعوديين لسعودي أمير.

• الحياة. حلوة جميلة. يريد الإنسان أن يحياها دون منصات.

والمهم أن يصحح على خير طيب مريح يبنغ بصحوة هادئة، ونوم لا يقظة فيه. البقطة منه على الخير الطيب.
ولكن لا يصح اليومن ولا ينام إلا على صوت العجيج والضجيج،
والهرج والمرج... كأنما الأرض جنَّت بأهلها، أو أن أهلها أصبحوا
الأبطال فوفها.. لم تعد الأرض جنّة يبسط الجليم.. ولا هي جنّة.. بفتح
الجسم يمرحون في حذاءها الغناء!

وتحدث إلي.. أوروبا هيحدث إليني.. قالت:

- ما بال أوروبا ترقق اليومن على برميل من البركود!! أو يمسك
جبلة صغار في صغر نيرون.. وجيروته يعزفون على قيثارة فوق فوق
بركان.. ليس هو حريق روما، ولكنه الحريق في كل روما.. أعني أي
عاصمة هي اليومن أغنى من روما القديمة بالخرف والمثنى والحياة والقوة!

- وأجتبتها: ليست هي أوروبا وحدها التي ترقق على فوق بركان. أو
تقتذب نفسها وسط الهاوية!! كان «دالاس» يلعب.. يخوض التجربة..
يجعل منطقته على حافة هاوية ليتقدم خطوة يوطدها نفوذها. أما اليومن، فالدنا
كلها صنعت لنفسها الهاوية!! لا يستطيع «دالاس» ومن إليه أن يتحرروا
بالخروج منها.. كل هذا صنعته أوروبا شرقيها وغربها، وشاركته فيه
الولايات المتحدة.. أرادوا لن حولهم أن يكون في الهرج والمرج ليجلبوا
الخنزير ولزابو والبرتول.. فإذا الحريق يعد إليهم.. في كل مكان من الغرب
والشرق زوبة.. عاصفة.. تأكل القادة.. تخرج القادة.. تشع الفوضى.
لا هي إلى اليسار المعلوم، ولا إلى اليمين المفهوم.. إنما هي إلى
الفوضى التي لا تفهم ولا تتفهم!

- قالت لي: وما السبب؟!

- قلت لها: ألم تقرأي «التجربة» لكولن ويلسون.. دعني لأشرح لك
شأنها منها، والتي أفهم بعض ما قال.. إن فيها الأزمة يصنعها المثقفون..
هؤلاء معذرون من آلة التفكير فينفرون أزمة الفكر. كل مثقف أتمتهه الأفكار أصبح فكره محنة عليه وعلى الناس. لقد ساعدت وسائل النشر على انتشار الأفكار لتتتصادع، وهذا الصراع بين الفكر والفكر جامع به المثقفين. وضع منها كل شعب. فأرادوا التحقيق لفكارهم، بالعمق والعمق.
الفكر صناعة الرأس، وكثيراً ما يأتي بهذا الذي نحن فيه. أما العبائدة حينما تتسخ، والإيمان حينما يتأصل فصناعة القلب. كل الدنيا تعيش بالفكر لتعيش بالقلب (1). هذه هي الحالة فكر بلا قلب!
فالكون ملحمة كبرى جوانبها
دم ونار وأنصار وظلماء
- بعد ظهر الجمعة أذيعت النتيجة المتوقعة لنجاح المحافظين، وسقوط العمال في الانتخابات التي أجراها حزب العمال الحاكم، فانتصر في ظل حكمه خصمته حزب المحافظين.
والامر الذي يعني كابحاً قرأ النبا، وفهم الخبر، وآخس بالتقديم لذلك كله. هو هذه الصور الباردة في الشعب البريطاني وتملجه.
ولقد أكثروا العرب من سياسة البريطاني، غير أن تقدير الشعب الخاص، واحترام سلوكها في ما عمله لنفسها، ويسير به في حياة حكمها، شيء آخر يختلف...
أعطوني حاكماً في أكثر من مكان قلذ النظام الحزبي والبرلماني في بلاد الإنجليز، وخفف عن التدخل في الانتخابات تقريباً وضفت إلى غير ذلك من الأساليب الطاغية وال القادسة التي تتناقى مع النظام البرلماني.
الخصومة حادة، واللسان يطلق على الطعن والتجريح والمغماز والمعاباة، والمعركة تحتدم. كل ذلك في الشوارع والنوادي ومجالات الانتخابات. أما دورات الحكم والقضاء والفرز فلا مجال لأثر من أبحاث الخصومة.

لا شكوى، ولا مطاعن بعد الانتخابات تجري في المحاكم أو في الشوارع، فمجال ذلك أضحك تحت قبة البرلمان.

في اللحظة الأولى من ظهور النتيجة، يذهب رئيس الوزراء العمالي إلى القصر يقدم الاستقالة. وفي اللحظة نفسها يذهب رئيس الوزراء لوزارة الفلق أمس، والوزارة العاملة غداً إلى القصر يعرض أسماء الوزراء ليتم التدفق الملكي للتعيين بلا ضجة، بلا عقبات.

لقد نشأ عن هذه الموافقة تقليد رسم أن أصحاب الأمر في النتيجة، وكأنه لا تغيير، ولا فرق بين الأشخاص.

فهناك ظاهرة اتضحت وهي في هذه المفارقة المنسقة بين إدوارد هيث وهارولد وليستون.

إن كل شيء في إدوارد هيث يجعله الرئيس الملائم لحزب العمال بحكم النشأة وما إليها.

إذا كان مستحيلاً ليس لويلستون يجعله الرئيس لحزب المحافظين بحكم النشأة وما إليها. كيف تبادلا المقاعد؟

تلك ظاهرة الصحة وتقدير الظروف والخسروع لسمامات الأمان.

إذا حزب المحافظين من أصحاب البقعات العالية لم يرفض هيث لأن الواقع يتطلب هذا، ولكن التقرب إلى الشعب ينبغي أن يعطي الشعب ملامح
الترغيب كحجر لمزايا العمال. وإن حزب المحافظين الذي قاده السياك والمحامين والصانعين قد رضي بأن يصبح هؤلاء لوردة من أصحاب الفعّالة في الوضع وال😊
الأمر هو الكفاءة. والأمر هو أن يتباقوا في الشكل. في المظهر مع التقليد الواسع والمنهجية، التي تبلغ حذ الحبرة. فلا ينكر الشعب من أخذهما لسبب لا يلائم طبيعة العصر.
فهل الذين يقدرونهم يطقون أن يسيروا على نهجهم. إدوارد هيث من طبقة متواضعة صار رئيس المحافظين، وويلسون من طبقة عالية صار رئيس العمال. تخطيط لم يضعه فلاسفة، وإنما وضعته يقظة الشعوب واحترام الشعوب.
ولأخيراً... هل سيكون في السياسة البريطانية تغيير مؤثرًا لا... ولا... كل التغيير وضوحهم في تأليب إسرائيل.
العرب

وسائل آخر يشتد الإلحاح به للإفصاح عنه. وقد لا أحد جواباً عنه الآن في وقت زاحم نكاد الرحمة تأكل الرحمة. جهود عدة ومن سنوات بذلها العرب. كل عمل له ليكون نطاقاً حولهم، أو سبأناً يصدر عنهم، أو قيمة تذكر عليها تربرعًا ما يسوعون إليه كقضية فلسطين مثلًا.

جهود ضاعت، فلقد ذهبت كأنما هي «قبض الرياح» أو هي «حصاد الهشيم». .. ورح لاح المعاني.

فماذاً مثاق «بادونج» أين هو الآن؟

لقد أطرفت. وكأنه لازمة التشديد يذكر في كل بيان ويمجد على كل لسان. لقد أصدرته دولة كبرى ووقعت عليه. هي الصين حينما أبرزت عضلاتها جنوب الهيمالايا وضد دولة موقعة على هي الهند.

فأما الجميع يتركونه، ومن بينهم العرب فلم يعد له ذكر عندهم. لأنه لم يعد له قوام يتركنز عليه! .. كسر العكاز فسقط الأعرج المستند عليه.

وكل الذين توسموا به نجاحاً لم يلقوا منه أي فائدة تذكر.

إن هذا الميثاق وأمثاله كسائر المنظمات «إيباها» أفريقية وغيرها أصبحت كالنوبة «الفضضاض» يدخلها أكثر من لايس فلا يضيق على الداخليين ولا يستمر لأبساً ضاق به ذرعاً من شدة أو كرب طرأ عليه يكاد يمرق
الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان -

الألوان.. الألوان تمزقت فعلاً حتى الذين فرحوا بأفقر شعوب عربية لم نجدهم الأفريقيين في محنٍ نالت العرب آسيويين وأفريقيين.

جهود أضاعت الفوز علينا، وأشاعت العداوة لنا وعليها بعضها له دخل في تأليب الذين خاتوها أول أمرهم ثم عافوا الخوف منها بعداء صريح لنا ولاصحابها، ولئن صرفتنا زحمة النكبة فإنه ينبغي ألا نرحم أنفسنا في ما لا يفيد.

لا فائدة من ذلك، بل هو أخس وأضر.. لا اعتراض على ما مضى، وإنما الأمر فيما يأتي...

- الأزراء التي تراكمت على الأمة العربية كثيرة، ومنهكة، لكن هذه الأمة عاشت رغم ذلك.. غير أنها تركت عقابيلها ورواسبها فأماتت فينا صناعة الموت.. من موت الحماسة.. من سقوط الغيرة.. وفقدان الشجاعة. ومن فنام تصدروا فلم يصدهم إلا أن يشردوا اللذة لتتجurer على أيديهم الخصص.. لا أعني بهم رعاع الناس. وإنما أعني بهم هؤلاء الحاقدن على الأمة العربية.. أو الخواني لها في كل حين.. حتى إبراهيم الإمام لا أعله من ذلك، فالخاسبه في كلمة على ضالة شأني، عن كلمة قالها لأبي مسلم الخراساني: "أيا طفل بلغ شبرين يتكلم العربية فاقتله عيب عليه أن يفعل ذلك، ولكنها شهوة الحكم، ونقطة الحقد، ورضايا الانصباب إلى الذين ليسوا من أهلك؟.. فالذين انضموا أمس، أو ينضموا اليوم لسبب أو لآخر.. لغير أهلهم.. هم بقابا الرضايا جلابة الرضايا.. هم يعرفون أنفسهم لا تستطيع أن تحوض معركة دونهم، ولا يعطون الفرصة لنخوض المعركة معهم!

لقد فقد العربي حواجز الاندفاع فاقفده ذلك دعية الدفاع.. فانحاز إلى
نفسه... يأكل لحم أخيه ميتاً، ويصنع منه أكلة دسمة للاكلين الآخرين... وهم كثر... والسبب؟!.. ضعف اليفين!!
والسبب... إضعاف الرجال!!
والسبب... فقدان الرجال... الذين يستحيون من الهزيمة لأنهم يخشون العار.

والذين يكسبون النصر لكسب الشرف من وراء الانتصار!
والسبب... من طغيان عناصر واغلاء ومنحلة لم يكبلها داؤها... بالعقد
المذهبي القديم، فأمسدها داؤها الجديد بالعقد المذهبي الجديد. سواء
كانت مستغولة من خارج الحدود، أو غائبة في داخل الحدود!

عناصر شئي... كل تعلقها بشيء نشأت عليه. أو مكان نشأت فيه أكثر
من تعلقها بهذا الشيء الذي يحتويها، وكل عيشة لها، وبها... كم هي
جميلة وجليلة، ونفادها كلمة جيران: ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة، ويل لأمة
تأكل مما لا تزرع، وتشرب مما لا تعصر، ويل لأمة تقابل كل غاز
بالترحيب والتبرييج والتكبير. وتشيع كل منهزم بالفحيح والصفر. وي
كأن جيران قبل أكثر من خمسين عاماً يشخص هذا الداء الذي نغرسه في
نفسنا شبانا بهذه الأمثال: "إذا طاحت السما على الأرض ما يؤويني إلا قد
رأسني... أنا عدد من طرف حزما، أردد مولك لا تعفر كله تتغير دقنك
وتنعج في شبه!!... وهكذا من هذه المخدرات الت волн. قد يستمع
 الواحد فيها بالسلامة لكن الأمة لن تناول بها سلامة.

---

- عدوان عربي على أرض عربية. في وقت سبق للعالم العربي أن
  أجهز على عدوان مثله قتل فيه العربي أخاه في الجبل الأشم... فأمسك
  العرب بخبايتها المقطع... فوثقوها ليصان الدم العربي لا يسفك إلا على
ضفاف النهر... أو على شاطئ الخليج أو على الهضاب لتتمكن اليد العربية من السلام. سلامة النفس والجروح والأرض من طغيان اليهود ومخططات الصهيونية وتنفيذات إسرائيل ومعونات الآخرين، عدوان عربي. سفكت فيه الدماء على الرمال من تراش محمد عليه السلام والسلام. سفك الدم العربي من الجنوب. يشرع السلاح لِبِئْسَ لَهُ كدولة وإنها هي لنا وله وللمقاتلين على الخليج وعلى ضفاف النهر لأنها أرض عربية.

ليس هناك خلاف على حد في هذه الأرض... وإنما هو الاختلاف لا يجد من يحده من رجال يقولون للعائدين: ارفعوا أيديكم عن أرض إخوانكم واملاوا أيديكم بدم أعدائكم.

ضاعت قيمة الرجال. هم أضعافوها. لأنهم لم ينتصروا على أنفسهم. كل همهم سواء كانوا الغالبين أو المغلوبين أن ينتصر عليهم أعداؤهم.

كيف تتحد الكلمة العربية في مكان يخضع الإمكانيات ورؤساء الأغلبية يشغلونها بحرب جانبية؟

لا... بل هو مخطط يريد أن يدمج توحيد الكلمة. لأنه قد شبع من دمار في نفسه لحلف الكلمة التوحيد.

دماء على ضفاف الأماء تسيل بسلاح اليهود.. على ضفاف النهر وشاطئ الخليج. وشعب يقتل في الأرض المباركة بسلاح عبد شرس يغشي، ورغب يصب نكبة التاريخ قد رزح تحتها نكبة على أحفاد الذين كانوا نعمة التاريخ على إنسان هذه الأرض كل الأرض. كل الإنسان. نعمة ذاق الإنسان فيها الأمن في الأرض المباركة. وفي غيره حتى...
اليهودي أمر السبي والقتل بالألوف في هذه الأرض التي يقتل فيها الآن الألوف.

وفي الأندلس والمغرب العربي والأناضول، لكن اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا. لا يرقبون في إنسان إلاً ولا ذمة.

الأرض حول النهر خضبت بالدماء.. والأرض في سيناء مرت بالدماء.. بينما انتظار صامتة تعذر معركتها الكلامية من أجل ما صنعه رأسبوتين الجديد.. لم يلبس ثوب القسيس.. وإنما ألبسوه ثوب القسيس.. يتزده في الصورة.. بينما قد أهطل الروح العربية.. تعطل فيها الجبهة الشرقية.
شخصيات

دخل سعد بن أبي وقاص بعد القادسية التي كان يمارسها المرجي، وقائدها الميمنون. وبعد إمارته للكوفة. وفي أرائه شيء عظيم حؤولة النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام والسابقة في الإسلام. والحراسة للنبي... والموقف العظيم في أحد. وفتح الفتوح للمشرق كله.

دخل على عمر. فإذا عمر يرى كل ذلك لسعد، يحبه قد دخل عليه مدلًا. ما. فرفع عمر “المرة” على سعد. لم ينله بها، رفع سعد يديه، فإذا عمر يخفف الدعوة المستجابة من سعد. وإذا بعمر يثق بالدعاء المستجابة منه.

لا صراع في النفسيين الكريمين، لم يبق إلا اللحظة الخاطئة.

رفع سعد يديه ولم ينطق بكلمة. بل ولم يزار الدعوة في نفسه. وحاطيت نفس عمر نفس سعد. وتكلم إيمان عمر مع إيمان سعد.

قال عمر لسعد: أريد أن تدعو. إذن لن تجدني بدعاء ربي شقياً؟! سعد معه البراءة. بدعاة النبي له. لو دعا لاستجاب له الله (اللهم) سددم رميته واستجب دعوته. فما دعا سعد على أحد إلا استجاب الله له.

ومعمر في وجدانه الإيمان بالله. والثقة به. كأنما هو دعا الله حين ذلك أن يستجيب دعوته.
من هنا أريد أن أفرق الموضوع من فقه الموضع، فالاستجابة كانت
لعدمها ما دعا عليه سعد.. وإنما دعا الله ألا يدعو عليه سعد.. فصبر الله
سعدا عن الدعاء لتلا يصاب عمر...

من هذا المعنى الدقيق يعطينا التأكيد لاستجابة الدعوة لسعد.. وأعطانا
الذي أن عمر قد احتسب دعوة سعد.. حسبها الله عن آخرين أصبحا بعمة الله إخوانا، لم يلبثنا لحظة غل حتى نزعه الله من بينهما "ونعنا ما في
صدورهم من غل إخوانا".

حال عجيب.. لو تمكّن المسلم من إيمانه لانصر على نفسه أولاً..
ولانصرت نفسه على الغل ثانياً.. وأصبح في مأمن من الذين لهم سلطان
سواء كان بالدعوة المستجابة أٰ و حتى بالضرفة الطاغية.

قال عمر لسعد.. يستحبل الصفاء من قلبه: رأيت تتخبط رقاب
الناس.. لا ترهب أمير المؤمنين.. فأحبس أن يعلم الناس أن سلطان الله
في الأرض ي ينبغي على المحبين لله المؤمنين به أن يخطروا سلطانه!
ورضي سعد.. ذلك أن سعدا أحب والي لعده.. وأحب الولادة
راعية للأمة.. وأحب الولاء إخلاصاً للجماعة.

من هنا امتنع سعد أن يخوض الفتنة.. فمات بالوعي يحمل على
أكبات الرجال.. يدفون في البقع.. رضي الله عن عمر.. رضي الله عن
سعد.

كان له حسين الشيخ الدكتور المعمد ينكر الارتجال.. ويرى أن
الحبارت بن حزيلة اليسكري قد زور الرواة عليه المعلقة الهمزية.

آذنتنا ببينها اسماء.. رب ثاويمي من الشواء
الآمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

حتى إذا سمع الكاظمي عبد المحسن شاعر العراق يرتجل المثين
بجرس ثابت اهتز إنكاره.
وجاء الذي زلزل هذا الإنكار فانقلب إلى تصديق ذلك الشيخ عقل.
سمعنا الرواة يذكرون كيف ارتجل أمام المرحوم الملك عبد العزيز في
منى.
ثم زار المدينة، فجاء يزور السادة أمين الحسيني ورياض الصلح وشير
السعداوي وعزة دروزة في مجلسهم في بيت الأكابر السادة آل هاشم في
الساحة، وكانوا منزلين ضيفاً على الحكومة.
وكنا نزورهم فجاء الشيخ عقل، وأخذ مجلسه ثم انتهت عليه أبيات
من الشعر. يرسلون البيت. فينشد على روية السنين والسبعين بيتاً قصيداً
محكماً رائعاً.
واخذت أرسل هذا البيت لأبن معتوق الموسيوي:

هذا التعقيق وتلك شم رعانية
فامرز عقيق الدموع من عقائنه
فأنشد وأنشد. فما قدر واحد أن يسارعه يكتب عنه. ولم تكن
الشروط
المسجلة قد وصلت.
ثم أنشدت بيت الشاعر المكي "سحرآه"
نظمي جاوي قدم سباني
لحفظه البحر الأنيس
رئبه أنقر مني في
شعره ك множ الالآئه
فأسرع كبارق يرسل السين والسبعين على هذا الروي ونحن نسمع ولا ندرك نكتب.

كانت ليلة فيها سمر طريف.

ولم أدر من قال: هذا برهان الصدق في الارتفاع. فما يصنع المتكرون.

أحسب أن المتكلم كان عزة دروزة برحمة الله.

وهذا المبادع أو المبادعة بين شعراء باديةنا قد نماهم إليه عرق في صناعة الارتفاع.

إن العربي قال الكلمة شعراً وهو أمي. وهذا يعني أنهم يرتجلون.

يسعون ويحفظون ويرمون ويذرون الرواة هذا الديوان شعراً.

إذا كان الارتفاع قد سقط، وإنكار الحفظ ساقط، فلا زيف ولا صناعة.

نسب بها صانعها الشعر لفحل من الفحول.

- أحمد بن أبي داود عربي ضاق بالشعروية في بلاط بغداد، صبر عليها حتى تمكن عند المعتصم. لكنها كانت قد أرضعته لبئسها فتمكنت منه. جعلته عميلاً يقول بما أنكره الأكابر من علماء السنة. من أمثال الفضل بن دكين أبي نعيم، والأمام أحمد يصفان أمام الباطل، فلا يدانون تحولاً له أو تحوراً.

- أحمد بن أبي داود كان طليعة عربية في فصلاحة وسنان. احترف المذهب للسياسة فاترق قلبه في أحبولة السياسة.

صبر في كراهته لمحمد بن عبد الملك بن الزيات حتى أحرقه في التمور. خلاف الساسة ومحتفي السلطان!!
عذاب، أي عذاب، تصنعه شهوات الرجال، تتخذ من مذهبها ذريعة..
تحرق لحم الإنسان في أتون نار!!
وكان الطبيعة العبقري أبو عثمان الجاحظ منططاً عن أبي داود، إلى ابن الزيات.
وهذا لا يعجب قاضي القضاة، لا يعجبه أن يكون قلم الجاحظ وفكره
في خدمة خصمه، فكرًا بعد فكر، ونزة المجالس في ترف العبارة!!
وطلب الجاحظ يريد القضية عليه، ولا أحسبه أراد الهلكة له.
أحسبه أراد إرهابه ليضوي تحت لوائه، يجعله حاشية له.
وأمسكوا بالقاضي يقدمونه في الحديد بين يدي ابن أبي داود.
معتزلي جعله مذهبه في خدمة السياسة والذات.
ومعتزله اسمه الجاحظ، جعله مذهبه في خدمة الفكر والكلمة والجماعة
التي يريد أن تكون تابعة لفكره.
وكتبت جولة سياس بين لسانين وفكرين ونوعين مذهبهما واحد
ومظهبيهما مختلف.
فاسترخي الجاحظ للسلطان، وطلب المغفرة، وبرع في لحن القول
بلاس وقلمهما السلاح في يد الإمام في البيان والتهيبين صنع الكلمة
البيانية.. وعا에게 قاضي القضاة.
واصل الجاحظ يعرج من كسر في رجله حين هرب من دار ابن
الزيات..
ومات الجاحظ، فترك صيته لم يخفث، وأمانة في اللغة الشاعرة أدركها
أحمد بن أبي داود.. ولم عاش لها، ولكنها تركته ليكون الجاحظ حياً
يعرفه كل قارئ حرف.. بينما خصمه لا يعرفه إلا قلة..
- والشيء بالشيء، يذكر. فقد حدثني أستاذنا أبو تراب، وقد جاء ذكر

تلفسر هذه الكلمة: «لحن القول».

- قال: انقلت من قلم الجاحظ غلطة في تفسيرها. فقد كان يقول:

يعني تكسير الكلام والثقة والأمانة به في نطاق الكواعب الحسان والمغاني.

فجاء صديق لم يسمعه أبو تراب، قال للجاحظ: إنك تخطئ في هذا،

إن المعنى هو تخريج القول وتثبيته وتفصيحه «العل özellikوصم ألحن بحنجته»

كما في الحديث!...

فقال الجاحظ: صدقت، إنها فلة، ولكن ماذا أصنع؟ لقد ذهب الكتيب من يد الناس إلى يد القارئين ليعلج القول في أذهانهم، فلا أستطيع إزالته. دعوا، ولأعنف بذلك لعل من يقرأ التعديل يعتدل. ...

هذه حصيلة الكتب التي تسمونها «صفراء» يا قراء الورق الأبيض!!

- أستاذنا السيد أحمد مصطفى صقر علمتنا الكلمة البانية. فقد كان يرحمه الله على قلته احتفاله من انشغال بالله طيلة ذكية. يعرف من تاريخ المدينة الكثير والخفي. حتى لقد كان الأيمن على النسب وشجيراته. يرد الباوث إلى أعراضها. خصوصا إذا كانت علثية. حسنة أو حسينية.

كان يطلب أن نكتب في موضوع ما. فلا نتركنا نمسك أفلامنا. إلا وأمسك نفسه بما في صالون الدرس يتحضر. كأنما الكلمة تضع له البته والزهو، فإذا هو يتغير. ينمزج وجهه، فإذا أعطينا الورق، وقف يمللي علينا. وهو يمشي جيئة وذاتيا، يلقي ما زور في نفسه من كلام في الموضوع الذي فرضه علينا.

يلقي الكلمة حرفًا، حرفًا، كل حرف من مخرجه بجرس أغنه له رنين;
فإذا أكملته تصب عرقاً من راحة النفس، جاء بهذا النفي من القول.
وكان بهذا يعطينا التصحيح في الأذن والوجدان، ثم يأخذ الأوراق
يعبدها بأرقام الصواب والخطأ، فلا تجدنا إلا وقد عرفنا الجيد من المحقق،
لا من أرقام الأوراق، وإنما من الكلمة التي ألقاها علينا، كتبناها وحفظناها.
درسه ليس كما يتدفق به ثم يمضيه، وإنما كيف يعرضه بالحوار لسأله،
يسأل ونجيب.

يعرف التركية كلها ما أغرقت لسانه فيها، فالاصالة وعمق الدراسة في
طفولته على يد العلامية أبيه السيد مصطفى صقر حفظت لفظه وجرسه
وقاموسه.

ضحوك لا يبذل غضوب لا يسرف، كريم، كريم على قلة. لقد
عاش أيام الشفف، فأحلاها إلى رغد فيما يظهر به علينا، ما حجب مجلسه
ولا مانتنه عن طعام. فلعله أحد الذين عرفتهم، لا يحبون أن يأكلوا
وحدهم.

طروج، لعل الرجل الثالث في المدينة اقتني راديو، أهداه له تلميذه,
ابنه وصفيه صديقنا أبو بكر ناظر رحمه الله. ولهناء الثاني الذي اقتني
الفوتوغراف شراء من جدة، فقد كان وطيد الصلة بجدة وأهلها. فقد كان
مديراً لمدرستي فيها في زمن مضى تعلم عليه كثيرون.

أذكر نادرة فيها شقوة النفس المحسبة. ونادرة أخرى فيها فكاهة النفس
المرحة.

كان جائساً في «طاقة الصالون» يظل على «برحة» الباب المجيدي
فإذا جنازة يدوي تحملها ثلاث نسوة ورجل، فانقلب إلى القبلة يسترجع

الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان -
ويلبس مشلله ويجري يحمل الجنازة، كانت جنازة مجدور يوم فشا الجدري في البداية. كان الناس يهربون منها. أما هو فقد أقبل عليها، تربية مسلمة!

- لل التاريخ ارتبطته. حلقته تلو حلوة، وله أسبابه. حدث وراء حدث، كأنما الشيء متصل به، ناتج منه، معزز إليه، مرتفع به، أو منخفض. فيه عملية التواد أو التوليد. وضع يحكم وضعاً، ومقدمة تلوها نتيجة!

من هنا قالوا: التاريخ يعيد نفسه، ومن هذه قروح حتمية التاريخ!!

ما لا بد أن يقع لا بد أن يقع. حذ مثلاً هؤلاء الرجال الخمسة وعلاقتهم يسماح في الشرق من تخوم «كاظمة» إلى تخوم الصين. له مقدمات كان حتماً أن يأتي بالنتيجة! هؤلاء الرجال الخمسة في التاريخ القريب من الفتح تلاحظت الأحداث بهم أو عليهم أو عنهم. لا نريد أن ندخل قضاة وما ملكت في العراق، وما امتلكت من الأرض، ونريد أن نبعد عن المنازلة، وكيف كانت المركزية لهذا الفتح في بواعظ الأمور رغمًا عن ظواهرها التي حاربت بها الفتح.

عدي بن زيد العبادي عرف الأكاسرة والقياصرة، وأراد أن يحدث شيئاً فما مكنته الأسباب، أو تغلب عليه الأسباب حتى في مرثيته التي رواها خالد بن صفوان يخشى عليه الضيزي. كان يحذر من المنازلة مما فعله ابنته الضيزي. خانت أباها، وراء عشقها. عشقت «سابور ذا الأكتاف» ففتحته له الطريق ليقضي على ملك عريض كان للمعر في العراق!

حقيقة واقعة تزيدها الأسطورة جمالاً. التزود فيها خير من التنقص لها. فليست الحقيقة وثيقة تذهب بها إلى محكمة العدل الدولية وإنما
الأسطورة توافق، ووثوق ترتفع بها همم الرجال من جمال الشعر فيها، وجلال الشاعرية.

وحاجب بن زرارة التميمي عشق الفرس. أحبهم، لله كأن يريد شيئا من وراء ذلك حتى إنه سمى ابنه باسم فارسي «دوخش» تركيب مزجي دوخش: البنت، ونون: الحلو، أو السكر، فلم يصنع شيئاً لما طلب - أعني الشيء المباشر لما طلب - أعني الشيء المباشر له، ولكنه صنع كل شيء غير المباشر. طلبوا قوسه الودية عند هاني بن مسعود الشيباني، فعز على هاني أن يسلمها. فصمد لقتال الأكاسرة. لا أدرى كيف لا يكون موقف هاني، أغرق في الوفاء من موقف السموأل. السموأل صمد لحرب قبيلة. أما هاني من أجل القوس صمد لحرب الإمبراطورية. انصير عليها في ذي قار. قالاها محمد النبي صلى الله عليه وسلم. (اليوم انصسف العرب من العجم وبي نصرروا) وكأنما انقضى دور عدي، ودور حاجب وهاني، ليأتي دور شيباني آخر اسمه سيدنا «الحشى بن حارثة» الذي هون أمر الإمبراطورية على أبي بكر. كنا نغزوهم فتنصف منهم وينصفون منا قبل الإسلام. فتولي قيادة الحرب. استغفر الله. قيادة الفتح.

وي؟ حتى إن سلمي زوجه، وحتى فرسه هما كالمشني أبنا إلا أن تكونا في القادسية من الفاتحين. ذلك كانت زوجة سعد بن المشني، والفرس كانت تحت أبي محجن في اليوم الأبيض: الفرس فرسي. والقتال. قتال أبي محجن. قالاها سعد. سعد بني أهبه.

- خبر أذين فلم أسمعه. سمعته فجأة، تلقاه الصديق عبد الله جفري من الرياض. من مكتب عكاظ حرضاً من هذا المكتب لا يركن إلى إذاعته. وإنما هو - أعني فهد العبدي - قد تلقن به.
الخبر عن وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى هذه الديار - الكيان الكبير - المملكة العربية السعودية.

كان الخبر مفاجئاً لنا جميعاً. لا عن إنسان يموت، كلنا صائم إلى ذلك. لكن موت العلماء هو انتزاع العلم وفزع الدين، العلم لا ينتزع انتزاعاً وإنما يكون الانزاع له بموت العالم.

لقد ارتج علي أن أتكلم. برهة استوفي بها هدوءاً. استرجع فيه ذكر الله بارئ النعم خلق الإنسان. قدر الموت عليه كما أعطاه الحياة.

وأرجعت النفس باستراحه النفس حتى ذكرت كيف ينزع الرجال إلى الأشياخ يجدون عندهم الرابحة في حل معطاء أو في إزالة مشكل فناديت:

فنايت باسم الشيخ والعزيزة جمرة تذيب دماغ الغيب والعقل ذاهل. وتذكرت دمعة حافظ على الشيخ السلف محمد عبده أرثي بها الشيخ الخلف محمد بن إبراهيم:

سلام على الإسلام بعد محمد سلام على أئمة النضرات

لقد حملوا الفضيلة في الثياب على الآلة الحديبة. ورجعوا يخافون الرذيلة في الإياب. من فراق الأكترم الأولياء.

لقد كان الشيخ من غراس الشيخ، علمه وأوصي به وتفرس له أن يكون من بعد أن يحفظ مكانه يقف على الثورة التي كان هو فيها. فالشيخ محمد بن إبراهيم هو من غراس الشيخ الكبير عبد الله بن عبد اللطيف. هو الذي صحت فراسته ليكون هذا البصیر المبصر وريثه في الإمامة.

إمامة الدين والفكر والفتوى. تغمدون الله برحمته.

كان هيبة تمضي على الأرض. غرسها الله فليس هناك ما هو ألم.
لحرس النفرة من الهيبة. فقد كان قائماً على الأتباع... يدفع الابتداع لا يشاد الحبل لئلاً يقطع... ولا يترأخي به لئلاً تنقطع أخلاق الرجال... كان مناعاً لكل ما هو شر من قديم أو جديد، لا يمنع أمام ما هو صالح من طارف وتلبد. مباغداً لإثارة الخلاف غير بعيد عن الألفة. لا يكلف في هذا ولا ذاك. وإنما هو قد عرف زمانه وإنسان زمانه فسار بالهوية لا يشتد ولا يترأخي. لا يتحدث ولا يلزم.

لست في مقام الأطراء له... ولست من العارفين لأجيد الرضاء... وإنما أنا من المحبين.

.. والرجال بناون إذ ما كملت أخلاقهم... هذامون إذا ما فسدت ضماناتهم!

ولقد جربت هذه الأمة طرازاً من الرجال، وهم الغالبون فيها الأكثرون، كانوا البنانيين... إخلاصاً في ضماناتهم... صدقاً في إيمانهم... تبناً في أعمالهم... رهباناً بالليل... فرساناً بالنهار!

ومضى في حياتها طرازاً أقبح اسمه في التاريخ مبودعاً!

ورسال الحماسة إلى الناس قد يكون في الكلام عن البنانيين، والمحلفين خيراً من كلمة عن الآخرين!

هناك رجال لهم مواقف... تذكرا بهم لتذكرهم بالثناء ولتتخذ منهم المثل المحتذى!

عاش سهيل بن عمرو في جاهلية، فلما أشرق نور الإسلام كان ألباً عليه... خطيباً بارعاً يرسل الأذى... يحارب الإسلام، وأسر في بدر مشركاً، أطلق بالغداة... فقال عمر يخطب رسول الله: «دعوني يا رسول الله...
أنزع ثنيه سهيل.. يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطفاءً أبداً!»

علم البشر، لكن علم اليوه قال: «دعي فله سقوم مقاماً تحمده!»

ولحق الرسول بالرفيق الأعلى فإذا هي الردة وإذا هي الفرقة، وإذا أصوات ترتفع في مكة.. كأنما تريد إعلان الفرقة.. فقوم سهيل وقد أسلم خطيباً يسكن النفوس.. يدعوها للشبات نباب أبا بكر، وإذا عمر يتذكر المعجزة فيقول: «الله أكبر».. أي بشراء من النبي.. بإسلام هذا الكبير للموقف الكبير؟!؟

إنها بشراء في دعوة لتكون معجزة:

وفي حين يرتد الجيش اللجب.. لم يُخِن عنه الكثرة، فإذا أبى سفيان يقول: إنها هزيمة لا يردها إلا البحر وإذا صفوان بن أمية ـ ولما يسلم بعداً ـ يرد على أبي سفيان.. يقول له:

ـ «أبشرني يظهر الأعراب؟.. لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن!».ـ

أخلاق عالية ليست من العصبية، ولكنها من الحصافة.. هذا يفعل

كبار الرجال حتى لو قتل آباؤهم في بدر أو قتل أعمامهم في أحداً!

سهيل بن عمر يعظهم في الإسلام.. لا يسأل عن موقف له في الحدبية، ولا عن مواقف أخرى لأنه الكبير، هداه إلى الخير عقل.. حتى أصبح أحد شهدان في اليموم.. رضي الله تعالى عنه، وصفوان يكبر

وبكر حتى يكون النقل في مكة.. كأنما هو شيخها!

مثلان.. تضر بهما لإيمان الرجال.. لا تأخذهما الأحنة يتهمون لآلام ذاتهم، وإنما هم يتتصرون بذات أمتهم.
وهناك مثل ضرره التاريخ العربي وقع على الأدنى من حدود نجد، والأندلس من حدود العراق في مدينة الزبير.. كان شيخها إلياهيم العبد الله مستقلًا فيها يحوطها طوال أيام الحرب العالمية الأولى.. فلما قام حاكماً في العراق رأده «سير بير سيكوكي» أن يفصل بمدينة الزبير عن العراق كيانه، فألما الرجل الكبير.. أي إنه رفض أن يكون أمرًا على قرية ليكون مخلصًا لكيان لا يرضى أن يتمزق.

ذرية بعضها من بعض بكثرة فيها الصالحين، وينبذ منها الطالبون من قوة الصهر بقوة الإيمان.. لقوى أمة عاشت على الدنيا منتصرة على الباطل.. ناصرة للهدية!!

• مارتن لوثر كنج.. قتل رجل أبيض.. الرجل الأبيض قتل إنسانًا.

أما «مارتن لوثر» فقد مات ليقتل الحقد.. الحقد أراد «لوثر كنج» ألا يكون في البشر لنطالب يكون في شعب الولايات المتحدة!! ولكنه ما استطاع.. فقد قتلته الحقد ليكون الحقد مقنولاً به.. في اللحظة التي أصيب فيها!! إنسان ما كان ينبغي أن يقتل لكنه كصاحب رأي.. داعية سلام.. كان لا بد من أن يقتل! كلمات ثلاث سمعتها من الكلمات الكثيرات التي صكت مسامع الدنيا في رئاته.. كلمة انديرا غاندي.. كلمة كارماكي.. كلمة جاكيلين كيندي.. هذه الكلمات الثلاث لها طعم وذائق، أخترتها.. حفظتها.. ولكن سألني بفهمي وسأؤدي ما أراه جديراً بأن يكون النتيجة أو الحقيقة لهذا الدم العراق.

ابنها نهرو قالت.. إن في قتل لوثر النكسة.. تحول دون الوصول إلى الضوء! كلمة مجنحة، وملحية. ليست بالغربية على أنديرا.. بل هي من طبعتها لأنها عاشت في حصن أب تعلم من أستاذه غاندي اللاعنف!
لكني لست معها في النتيجة عن الضوء. إنني مع كلمة "كارمايكل".
قال: الآن قد بدأ الضوء! نعم لقد بدأ الضوء! لقد شدت أعصاب الشعب الأمريكي على الكارثة. ليست هي قتل مارتن، وإنما هو القتال في الشعب الأمريكي كله. أيضا قتل أسود. السود يقلدون البيض!
إنزعاج الزنجي كان خصيصاً في الاتجاه لمارتن لوثر. لوثر كان يسير على اللا عنف... كارمايكل يريد العنف. وقد افتتح له باب العنف، ولا أحسبه يبتغاه. العنف المباشر، وإنما يريد أن يتوظف تهديداً لاستفتيق نفس البيض من أحفادها... وجاکلين كيندي... وهي أم أمريكية لا تحب الغناء لأبنائها، ما أراد أن تسير بكلمة قتل مثل أنديرا غاندي. وإنما أراد أن تطرد الكلمة لكارمايكل... كأنما هي وهو في خط واحد وإنما الفرق في الأسلوب الأبيض والأسود.
قالت جاکلين... إن الشعوب التي تعيش على السيف... أي تبني حياتها ومجدها بالسيف سوف تُفني بالسيف!
أليست هذه كلمة الزعيم الزنجي بأسلوب محذر لا بأسلوب يتعدد... ليس من هم أرثي غاندي الزنوج ففي نفسي منه شيء... كان يحارب العنف. ولكنه زار إسرائيل. وهي الطغمة التي تمارس أقوى أنواع العنف، لكنه على كل حال إنسان ما كان ينبغي أن يقتل... لكي ينتمي كتاب كنان ببغي.
في كتاب "ابن الناس عن أخبار بني العباس" حكاية السقاء والأصبغي. وفي جريدة البلاد أمس خبر قرأه كل الناس... هو ذلك الإعلان في الصفحة الأخيرة لا المتأخرة... ولا أسميها الثامنة... فالثامنة صفحة في "عكاظ".
حكاية إعلام الناس - قالوا: إن الأصمعي إماماً الموسوعة أحد حفظة
الذكر ولغة الذكر يرحمه الله. سمع سقاء يحمل قربة - يظهر أن القرية
كانت شعريًا - وأتمنى يا جيل اليوم لا تعرفون القرية الشعري. قد أضاءها
النكت أولًا وأضاءها المواسير ثانياً وأضاءها ضياع المهن البدوية. كل
شيء "براني" حتى القراب والمراوح والزنابل أما "الجوانى" فذهب. أضاءه
أهل.
كان السقاء يحمل هذه القرية. وينشد هذا البيت:
وأكرم نفسني إني لو أهمنتها وحقل لم تكرم على أحد بعدي

ويمكن أن السقاء الشعري كان ذواق أدب. عطشان كلمة. ريان
معاني، وسمعه الأصمعي وهو ينشد فأقبل عليه. قائلًا سائلًا: يا هذا...
أي كرامة لك وأنت تحمل هذه القرية؟!
فأسرعت المعاني على السقاء الشعري يقول للأصمعي: لقد أكرمتها عن
سؤال مثله. وسكت الأصمعي ليرويه. يلفن الدروس لسمعه والرواية
بعدة والقارئين له.

وعلّ صاحبنا الفنّ المعلن في البلاد بما نسبه "بكالوريوس إدارة أعمال
من الولايات المتحدة الأمريكية يطلب عملاً لفترة الإجازة الصيفية تلغيون
"3262" لعله يُجب أن يكرم نفسه. جاء في العطلة يشمّ تراب أرضه.
يضمه حنان أم وأب فلم يرد أن يتنقل في البيت. أو "يتصرّم" في
طريق المدينة. أو يفعل كما يفعل الفتيان إياهم فأحب أن يشغل فراغه
بعمل. قد لا يكون في حاجة إلى الأجر. وأنا باسمه ولا أعرفه أرض
أي عون له يأخذ، وهو قعبعة البيت. فوهم كبير أن هذا الفتى طالب عون. إنه طالب عمل.

الذين تأخذهم هزة من النخوة. من تأثرين بال-redux الفكري بهذا الشاب والوفرة في قوة أصبة ينبغي لهم أن يفتحوا له عيونهم وآذانهم وقلوبهم لإيجاد المجال. مجال العمل لهذا وأمثاله. كفانا مثلاً، كفانا مثلاً استفلاكاً. المجال في إحياء الصناعات اليدوية في توظيف رأس المال في صناعات ما أغنيي التراب مجالاً لها. مادة خام.

تحتوي لهذا الفتى ومعذرة للكاظم. تنشر إعلانه. دون أن تدفع قيمة الإعلان. لكن المثالية لقاء الدعوة الخيرة شيء لا يقدر بثمن.

الفاضي عباس بن رحمة الله أورد في ترجمته للإمام الشافعي محمد ابن إدريس المتالبي الهاشمي. ملحاً ومواقيف تحقير منها ثلاثة.

- لما قدم الشافعي على الزعفراني نزل عليه، فكان الزعفراني يكتب للجارية ما يصلح من الألوان كل يوم لطعامه. فدعا الشافعي يوماً الجارية، ونظر في الكتاب، فزود بخطه لوناً أشتهاء، فلما حضر الطعام أنكر الزعفراني اللون الذي لم يأمر به، فسال الجارية فأخبرته، فلما نظر في الرقعة وجدته بخط الشافعي، أعطه الجارية فرحًا بذلك. أيهما الكريم. أحسب أن الشافعي أكرم. لم ينفع أن يأكل من بيت صاحبه ما يشتهي، لأنه قادر أن يعطي صاحبه ما يشتهي، ثم هو الذي أعطى الجارية بما صنع وهي أعطت نفسها بما صنعت. تلك كرامة المعاني أرجحها على كرامة المادة!!

**

وروى أن الشافعي كان عطيراً. يعني يتغطر حباً في الطيب. وكان غلامة يأتيه كل يوم بغالبة يمسح بها الأسطوانة التي كان يجلس إليها. وكان
إلى جانبه رجل متزده، فعمد إلى عذرة الغانط، فجعلها في شارب نفسه.
- يعني دهن شاربه وغاصه بالغانط - مضادة لما يفعل وي فعل غلام الشافعي بالأسطوانة. وكان يسمى الشافعي البطل.

فلما شم الشافعي الرائحة - يعني كانت أصص خراء - قال: فتشوا نعالكم، ثم قال: ليثم بعضكم بعضاً، فوجدوا ذلك بالرجل. فقال الشافعي: ما حملك على ما فعلت؟
- قال: رأيت تجهرك فأردت أن تواضع لله!!
قال الشافعي: اذهبوا به إلى صاحب الشرطة ليعقله حتى يصرف.
فلما خرج الشافعي أمر به فضربه ثلاثين درة وقال له: هذا أراه لجهلك، ثم أربعين، وقال له: هذا لتخطيط المسجد بالعذرة.

***

قال الشافعي: من ولي القضاء ولم يفترو فهبو سارق، ومن حفظ القرآن نبل قدره، ومن نفه عظمت قيمته، ومن حفظ الحديث قويت حجته، ومن حفظ العربي والشعر رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينعمه علمه.

ملحوظة:

نقولاً عن "ترتيب المعارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك".

ج - ٢ - تأليف القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي - نسخة إلى سنة - جبل طارق - المطبوع في المملكة المغربية.

- قالوا: إن مالكاً بن أنس وصف أبا حنيفة بهذه الكلمة:
رأيت رجلاً لو قال لك إن هذه السارية ذهب لقام بحتجه!

وقد أخذها المتفلوفي فوصف "فارس نمر" هذا الوصف نفسه.

كاتب لو قال لك إن هذه السارية ذهب لقام بحتجه!

وبحاج لنا أن نقلد هؤلاء الأكابر فآقول في مشعل السديري في يوماته:

وفي دفاعه عن شاكر النابلسي: إنه قال:

- قال لنا هذة السارية ذهب قام بحتجه!!

- في عهد التدوين يضيع الكثير. وفي عهد المطبعة والكهرباء، ودور النشر يضيع الأكثر. أما في عهد الرواية والسماع فقد حافظت الرواية ودوزن السامعون في نواحيهم الأكثر والأجود والأصلح.

ويظهر أن الوفرة تسبب الانكماش فالتواكل. وإن الفاقة تحب على الجد والجهد والحفظ والصون.

فكم من خبر طريف ضاع، وكم من ملحة ذهبت تذوب في إهمال، وكانت لا تذوب من نسيان.

وقرأت في الأغاني في أخبار المخزومي عمر بن أبي ربيعة. تحت عنوان «المفاصلة بين عمر بن أبي ربيعة وتيس الرقيات» ص 113 - ج 1

- طبعة التراث!

أخيرني الحزمي، قال: حدثني الزبير. قال: حدثني محمد بن عبد الله البكري وغيره عن عبد الحبار بن سعيد المساحقي عن أبيه. قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مساحق. فإنه لمعتمد على يدي، إذ مرنا بسعيد بن السبي في مجلسه وحوله جلساؤه. فسلمنا عليه. فرد علينا. ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد، من أشعر؟ صاحبكم أم صاحبنا؟
يريد: عبد الله بن قيس، أو عمر بن أبي ربيعة:

 فقال نوفل: حين يقولان ماذا يا محمد؟ قال حين يقول صاحبنا:

 خليلي ما بالممطاء كأنما نراها على الأدور بالفم تنكس
 وقد قطعت آمنة من صباية فأنفسنا مما يلاقين شخص
 بهن فما بألوء عقول مقلص
 إذا زاد طول العهد والبعد ينقص

 - ويقول صاحبك: ما شئت!

 - فقال نوفل: صاحبكم أشعر في الغزل، وصاحبنا أكثر أفائين شعر!!

 - فقال سعيد: صدقت. فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل

 سعيد يستغفر الله وبعد يبهد حتى وفى ماته.

 - فقال البكري في حديثه عن عبد الجبار: قال مسلم: فلما انصرفنا،
 قلت نوفل: أتراه يستغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ؟

 - فقال: كلا! هو كثير الإنشاد والاستشهاد للشعر فيه!!

 ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه...

 فهذا الإمام الجليل، وبقية الناس، قد أنشد الشعر وحكم فيه.

 ● كنت أقرأ في تاريخ بغداد ترجمة لإمام المسلميين قاطبة "محمد بن إسماعيل البخاري". فوقفت عند هذا الخبر: كان الإمام يملئ "يكتب" يملاً المحرebb تلو المحرbb، يبري القلم تلو القلم، والساعمون، والناقلون
 يأخذون عنه. يعجبون كيف يتحمل هذا الرجل ما يصنع في رواية
 الحديث، وصول السنة، وقتل الكذب على رسول الله ﷺ!
- قال أحد تلامذته: لقد رأيته وقد أجهذ نفسه.. ترك المحمرة، والقلم، والتحدث، واستلقي كأنما هو يستريح، فسألته: لماذا.. لم تكن هذه عادتك؟!

- قال: يا بني.. دعنا نستريح قليلاً، فعلي العدو يغامصنا - يشروع بعدوان علينا - فيجدنا وقد أعطينا أجلسنا الراحة لعلنا نجد دفعاً في مقاومنا!

عجب! .. هذا الإنسان الذي شغل عمره بالكلمة الصادقة يقولها ويرويها بأدب، إنعمل العمل الصادق! يصون به الصدق الذي يتبع .. فهو لا يترك العمل وإن شغل بالعلم .. لقد كان عمله في طلب الراحة صناعة الرياط كأنما هو في كل ثغر مسلم .. في كل أرض مسلمة .. في كل سجدة مسلمة .. يحافظ على أن يكون مرتاباً لتجارب في سبيلها لحمايتها .. لا يكفي الصدق في القول، بعض حماية الصدق في العمل!

لو سأل الناس كليمهم: هل يكلف محمد بن إسماعيل البخاري فوق ما يعمل في صيانة السنة أن يحمل السلاح لجحاب؟!

لو سأل الناس كليمهم .. قالوا: كلينا نحمله دون أن يحمله البخاري ..
لكن الإمام بعرف أن هؤلاء الذين يحبون أن يستريح لا يحملون عنه السؤال في اليوم الآخر .. إنه يريد أن يحمي من هذا السؤال .. يريد أن يزيد الأجر .. يريد أكثر من ذلك أن يعلم الناس معنى الرياط لمواجهة العدو إذا ما غزا ثغراً مسلماً!

لقد أعطتنا سيرته هذا الخبر .. كما أعطته لغيري ممن هم أدرى ولكنني أعطيه للناس أمانة الحرج أن أتمها في وقت نحن في أشد الحاجة إلى أن تكون كلينا المرابدين .. فإن النغور المسلمة قد احتلت، والعدو لم
يشعر في الغزو، وإنما غزا واحتل، وانتهك، وطغى.

هكذا الإمام البخاري كان جنديا يرابط في كل أرض سكنها. إنه يحمل السلاح لحماية العلم. لحماية الدين! أولئك آباني فجئني بمشتههم إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

***

إني لأعجض عيني ثم أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا!

رجل واحد. هذا قليل، لا بل هو كثير!!

هنا يتحكم الكيف لا الكم، والأمثلة كثيرة على ما يفعله رجل واحد.

أودع الله فيه قوة قاتلة من قوة غير منظورة.

لا أريد أن أتحدث عن مثل مختلف من الشرق أو الغرب الآن. من الصالحين والطالبين الذين أتزوا في هذه الدنيا بعض ما أعطوا من الخير، أو كل ما زرعوا كثيراً من الشر.

المثال نضربه من تاريخنا: كان المشهور حارثة الشيباني رجلاً تمرس الحروب غير ولا يمسكه عدو. كأنما هو طليعة الغزاة العربي الأولي. أصبحت بقية أبي بكر قيادة فاتحة تستخلص الأرض العربية. ونشر الهدية الإسلامية. هذا الرجل الواحد المشهور بن حارثة طلب من أبي بكر المدد، فأرسل إليه رجلاً واحداً. قال عمر: أبسم الله المشهور فتحمل برجول واحد؟!.. فأجابه أبو بكر: بالقوة غير المنظورة فيه. الناظرة إلى كل القوة في الفقه من عمرو. قال أبو بكر: إن جيشاً فيه هذا لا يغلب!

فراسة الصديق غلب فراسة المحدث عمر. كانت خيراً ثم صارت
كرامة فقد قاد القمعات مشاركة النصر في اليرموك، ومعركة كل النصر في القادسية... قال في الرجل الواحد هذه القمعات قائده سعد بن أبي وقاص يوم قاد ليلة الهجرة ولا يلقى السيوف من يده ليل نهار اللههم لم أمره، فأبهيه بروح من عنده، هذا خير يذكر القائد العام ما فعل قائد الكتيبة لتكون الكرامة لسعد انتصار القمعات.

تذكرت هذين المثليين عن واحدنا الأول المشنى عن واحدنا الثاني القمعات... لأنى قد رأيت الواحد في الثورة الفلسطينية: أبو عماد ياسر
عرفات، وي! مالي غفلت... كيف اجتمعت له هذه الأسماء الثلاثة؟... عماد... ياسر... عرفات.

عمر كان صاحب قوة غير منظورة... كان أحد المعتديين في الأرض، من أول السابقين حمل العذاب لأنه سيرحيل الهدايا لنبات في بناء المسجد، ترابياً ثقيلاً في حفر الخندق، حارماً أقلل في صفين، حمله ليفتن، ولكنه حمله غيره حينما ظهرت بقتله الواضحة!... ياسر: أول شهدانا أبوب عمر!... كأنما الاسم ينتمي بالاسم لتكون القدة غير المنظورة في قيادة فتح والعواصم، ثم تكون الساحة في فلسطين تكسب شعاعها من الساحة في عرفات... عرفات موقف الحج، مدرسة تعلم الشهادة... عرفات الساحة في فلسطين موطن الشهادة... في عرفات أنسنت تعرب عن إيمانها في الساحة، في فلسطين قلوب وأبد وأبد لسننة تعمل لإيمانها... الإيمان في فلسطين ألا يترك الفدائي سلاحه فإن لم يقتله عدو فسيقتله قاتل غدرآ النكول والكفر ما قال عمر!... ما استطاع أبو جهل قتله ولكن أبا جهل نال ياسرًا، وسمية... ذلك أن عمرًا كان يؤمن بعقل استطاع أن ينجز من بريئتين الخليل.

أبو عماد الفدائي بالقوة المنظورة يتمتع بالقوة الناظرة... عاطفة لا تسأل
أن يسيل الدم، وعاقل يريد أن يصون الدم لا يبذل إلا في سبيله. لا يهدر
من قبالة. تلك حضافة الزعامة تجعل الرجل الواحد كل الرجال. أبو عمار
يمسك القيادة يقول: "ألف بندقية تزيدها نفعًا بندقية واحدة" من هنا أكست
أن أقول عن الرجل الواحد بعض ما أعرف من مثل كل ما ليسني من هذا
الرجل في زعيم الفداء أبو عمار ياسر عرفات!!

- لم أكن أعلم عن حب وفاته، لم أقرأه في جريدة. وعجب أن
يمرد علامة. أستاذ كبير تنشر له المجلات الكبرى بحوثه وتعرفه المجامع
ثم لا أرى حتى الخبر عن وفاته. ما عرفت ذلك إلا من رجل كبير له
وزنه يعتقد للدكتور فاضل قباني لأنه لا يعلم. وأخذ يواجه ببعض التغذية
لفقه والده الدكتور خيري القباني رحمه الله.

عرفته أول ما عرفته حينما قرأته له في مجلات كبيرة بحثه عن الخطي
العربي. مصورة الحروف التي يرى استعمالها خروجاً من الانتساب.
تتضح الكلمة دون سباق ولا سباق. وكان أيامها البحث حاراً يقطأ أمام
المコンテンツ والرافضين والمناصرين والمقبحين.

ورأوا صديقي فهمي الخشابي يرحمه الله طرفًا من البحث فقال: إذا
ذهب إلى مكة يمكن أن ترى الدكتور خيري القباني. إنه سيبهرك بعلمه
في التاريخ واللغة والأدب، ولم أذهب إلى مكة في تلك الأيام ولكني رأيت
الدكتور خيري في المدينة ثم طال اتصالي به في مكة وفي الطائف. فكان
متعا لفكري. موسوعة. ليست المصدرة في الصناديق وإنما هي
المتحركة إذا ما أثارها طالب علم يسأل. وكنا جماعة الأصدقاء. نعني
أن يكون الدكتور خيري أستاذًا في جامعة. لا طبيًا في مستشفى. فهو
من الأطباء الذين فتح الطب عواطفهم كعلم بالإنسان ليكونوا للإنسانية.
الجذر الثالث ـ الشرق ـ كلمة ١٠٠٠ ونصف

فالموضوع والروشة علاج الإنسان. أما الثقافة والأدب ففقية الإنسانية.

فقد فتح الطب عيون السابقين والمعاصرين للدكتور خيري على أمراض
الإنسانية فأخذوا يعالجونها بتخطيب فكرها. دوهمال، سومروست موم، ديكنز
حافظ عفيفي، إبراهيم ناجي، مصطفى محمود، يوسف إدريس.

وكبرت السن بالدكتور خيري فلم يعجزه فكره وإن ضعفت يده.

هكذا عمل اليد قصير اليد. أما عمل الفكر فرحب الامتداد.

يرحم الله الدكتور خيري لم يستخف من غيابه عن الرضوة ذات القرار
فقد استعاض بالأنس بهذه الرضوة على السراة اسمها الطافف. كأنما أنا
 وهو تعشق الأسطورة في الخبر تقول:

إن الطافف جننة من جنان الشام، قطعت منها، حملها الملك على
جناحيه يضعها بين الشفأ والهداء. على سفح السرا.

يرحم الله الدكتور خيري وعزناه إلى أبنائه وذويه. وأخص بالعزاء
صديقه أستاذنا الحبيب الصديق الدكتور بشير الرومي - أمد الله في حياته.

لماذا لم يحتله؟!

كان في إمكانهم أن يصدروا عليه حكماً بالقتل بدل السجن المؤبد في
محكمة العدلية البشرية التي صنعت في نورمبرج!

ماذا يضيرهم لو قتلوا «روتلف هيس» كما قتلوا «جورجين»؟!

تلك قصة ليس فيها عمد من الذين صنعوا هذه المحكمة، وليس فيها
وازع التاريخ الألماني. يأتي هذا الوضع إلا أن يبقى مثلاً حياً مكتوباً عليه:
وأما زال الإذلال مرسوماً بالبقاء على ألمانيا المنهمزة. إن حياة هيس في
السجن هي حياة المذله المرهقة. كان يقاؤه حياً إشارة بإصبع منه تشير
إلى هتلر، وجوليز المنتحرين: لقد أضعتما كل تاريخ ألمانيا بهذا الانتحار.
كانت إضاعة فيها شرف لأنكم قتلتما نفسكمما، لم تلتفت للكت أقل شروفاً منكم. لكن سرودية العذاب علنيًّ هي في الوقت نفسه سرودية اللعنة على الجبارين قاتلين ومقتولين! كأنما أنا الشاحص تتشر اللعنة من شخصي.
حيّاً.
إن الذين حرصوا على الحياة فوقعوا أمام هذه المحكمة قتلوا بطريقة غير شجاعة.. هم فقدوها لأنهم لم يتحروا، والذين قتلواهم فقدوها لأنهم خافوا حياة المنتحرين.
ليست هناك جبن أشد من خوف المنتصر من المنهز.. شعوره بالباطل يفقدته لذة النصر. الحكم عليه بالظلم لعنة سرودية.. أصبحت أنا المثل لها. لأسباب تافهة أبقوا على حياتي. لم يقتلوني أول الأمر كمعتمد على أرضهم.. افترضوا أنني لاجئ، وافترضوا أن مشروعي للسلام بيننا وبينهم أنه صالح للاستعمال في وقت ما. وحينما لم يصلح افترضوا أنني أسير.. أرادوا الإبقاء على ذلك. لعلهم يستأملون مدحة مؤرخ يشي علي أنهم لم يقتلوا أسيرًا.
أبتعّدون الملاليين، وينقلن الشعوب ثم يرغبون من مادح أن يرسل الثنا
عليهم لأنهم لم يقتلوا رودلف هيس؟
من هنا جاء الأوان للألماني من تاريخ هذا الشعب يمسك على حياتي لعلهم شعبي أنه مازال يعيش في الهزيمة. لست المعذب بألم الجسد ولا بألل النفس؛ وإنما أنا أصنع التعذيب لهؤلاء الذين قتلوا ألمانيا في شخص المنتحرين.. المقتولين والسجناء من أجل لعبة يهودية!
هذه اللعبة أصبحوا يمارسونها في الشعب العربي، ويستمرونها لأنهم
لا يتوقعون أن صنع محكمة مثل محكمة نوربرغ.. تصنع الانتحار والقتل
وعذاب السجن.. لكن الشعب الألمانى لن بموت رغم الهزيمة.. لكن
الشعب العربي لن بموت رغم الطغيان!!

... ومات أبو رجاء.. أستاذا أحمد حسن الزيات...

يرحمك الله فقد أمتلك المموتى.. ميتة بالخبر الخاطئ كان دافعها أن
نسمع عنك، نسمع عنك - يضم النون - وفاء الأستاذ.. فكانما أراد الله
في الموتى الأولي بالخبر الخاطئ أن تعرف قدرك عند قارئتك.. وأنثت
بكيريا الحبي كرجل، وفرحة النفس كحسان فلتها كلمة.. رأيت كلمات
الرثاء.. إنه لحظا كبير أن يذاع موت إنسان لم يست، ولكنه الحظا المحب
الجميل.. شعرت به كحسان أن لك في القلوب عيونا تدمع.. ترثيك.
وكنت أحد الكاتبين.. ففرحت بعدها الفرحتين.. فرحة الحياة لك، وفرحة
الوفاء معي.. وفؤاد.. كنت من أكثر الناس تفتقدا له، وفقدانًا حتى لا
أحسبك وقد مات المعنية الثانية يصدق الخبر عنها.. لا نسمعه إلا أخيراً...

كنت تنشد وأتى على فراش الوداع ببتي "النواسي":

وأما الناس إلا هالك وابن هالك
إذا اشتكى الدنيا لبيب تكشفت
لعن عدو في ثياب صديق

الدنيا ليست هي العدو، فما أرادها أبو نواس إلا نجزاؤها.. مكاناً
lلملكيين فيها.. تجرعت منهم وفاء ولا وفاء فيه. أعنيهم بما وجدوا
تعلمو الناس.. الناس المبین، فلم يعطك الأثرون منهم شيئاً بما في
أيديهم، ولا شيء من قدرتهم، ولا الحشاء من ألسنتهم.

وأردت نفسك في الموتى الثانية أن تستريح من عذاب القلم.. كنت
تأسِّر به مالكاً، ولا تسير بتشديد الياء - من أحد مملوكاً به.

مملوكاً به! فأغلقت الرسالة، وحزمت القلم. حزمت القلم حتى لو كتب به! فليس ما كتبه الزيات بالسرير هو الزيات بالليسر!

لقد عابوا على المنفلوطي - فاتح الطريق أمامك - أن يكتب بالأسلوب هذه البادية، فجئته أن ترسخ قدم البداية ليكون أكثر من كاتب عربًا أعرابيين، ولقد أراد صديقك طه حسين أن يكون الوسيط بين نهج لطفي السيد ونهجك. خضوعًا لرأي لطفي، أو تخضيعًا لمن حوله. فإذا هو يكتب الشيء الكثير عن نهجك. إنخاعًا منك له من عمل العاطفة بينهما. يرسخها الوفاء، ولا يمسحها عدم الوفاء!

ذين عابوك يحسبون أن في قدرتهم قصر لغة الضاد على أسلوب غير مبين. فإذا هم بالمران والممارسة، والمدرسة تقصرهم اللغة الشاعرة على أن يكونوا على الطريق. لا فرق بين نهجك ونهجهم إلا في بعض الشكل والألوان!

أنت اليوم من موتانا، وقد أمرنا أن نذكر محاسن موتانا.

ولقد أحستنا إليها كثيرًا. كنت تحب لغة القرآن. تنافج عنها. تكتب بجانك جاهزياً كصنوك الرافعي. وحتى الذين نازعواك لم يكتبوا أسلوبهم جاهزياً قارنهم العلم أن يكتبوا مفعولياً. وعلى نهج ذلك الآخر "أبي حيان". كلكم نج الدروحة الواحدة: لغتنا الشاعرة. الدروحة الواحدة التي فقد كنها أحد إخوان الصفاء "عزيز أباظة" حين قال ينافج عن اللغة: إن التطوير غير التدمير. ولقد كنت مثله. أو هو كان مثلك. تريدان التغيير للتغيير بالتغيير. ولا تريدان بالغور للتغيير. لقد أبت وعلى سناً
أقلام مثل هذه اللغة التي تتنصر فيموج بيانها كما أبت بك وبأمثالك أن تتكسر فيموج لسان الكتابين بها. فاللههم زد في حسناته لتمحو سيئاته فما هو إلا بشر. لقاء ما أحسن إلينا إذ علمنا. لقاء ما أحسن إلى اللسان العربي المبين!!
شعر وآغان وأمثال
شطر وأشعار وأمثال

- ونقلاً عن الأغاني، قالوا:
مات كثير عزة وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، فاجتمعت
قريش في جنازة كثير. ولم يوجد لعكرمة من يحمله!
اليوم الواحد كان في سنة خمس ومتانة.
هكذا وله الناس بمن يدغدغ عواطفهم. وهكذا ترك الناس لفقيه إمام
يعلمه. يربي مداركهم وعقلهم!

حتى قالوا: مات اليوم أفقه الناس، وأشهر الناس.
- وقالوا: مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد، فأخرج جنازتهما
فما علمت تخليص امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتهما.
- قال: وغلب النساء على جنازة كثير يبكيه، وذكرن عزة في ندبتهن
له.
- فقال أبو جعفر محمد بن علي: "يعني محمد الباقر" انفرجوا لي عن
جنازة كثير لأرفعها. فجعلنا ندفع عنها النساء، وجعل يضربهن محمد بن
علي "علي زين العابدين" بكراه.
- ويقول: تنحين يا صواحبات يوسف. فاتدبت له امرأة منهن
فقالت: يا بن رسول الله لقد صدقت: إنه لصواحبات يوسف وقد كنا خيراً.

منكم له؟

فقال أبو جعفر "جهز الصادق" لبعض مواليه: احتفظ بها حتى
تجيئي بها إذا انصرفنا. فلما انصرف أتي بتلك المرأة كأنها شرارة تار!

فقال لها محمد بن علي: أنت القائلة أتكن ليوسف خير منها؟

قالت: نعم! أتؤمني غضبك يا بن رسول الله؟

قال: أنت آمنة من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا بن رسول الله
دعوناه إلى الذبح من المطعم والمشرب والتمتع، والتنعم، وأنتم معاشر
الرجال ألقيتموه في الجب، وبعثتموه بأبؤس الأئمن، وحبستموه في
السجن، فأنا كان عليه أهني ويه أراف؟

فقال محمد: الله درك! ولن تغلب امرأة إلا غلبت. ثم قال لها:

ألك بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعله!

فقال أبو جعفر: صدقت... مثلك من تملك بعلها ولا يملكها...
فلما انصرفت قال رجل من القوم: هذه زينب بنت معيقيب... أو هو
معيقيب... حلم الإمام... وترف في البيان... ورجعة إلى جواب في ظاهر
اللغظ... وإلا فالتحية جاءت من يوسف بما صنع الرجال... وبما امتنع عنه
من عطاء النساء.
كلمة طويلة ليس فيها فرض الحقيقة... وإنما منها افتراءات المران
لصناعة الكلام.

- المعري شاعرنا البصير المتبرع... لا أعرف... وهو لم ير نجماً
واحداً - كيف ملا شعره بالكلام عن النجوم؟!.. لعله قد اعتصف نفسه بعاصفة حبيت عنه السمات فاشتهى أن ينجم.. لا بطريقة المنجمين.. وإنما بطريقة عشاق النجمة!

المعري أحسبه عاشق نجمة.. كأنما كان يجري وراء الزهرة.. يطرد عنه زحل!.. لكنه لم يستطع، فقال:

وقال السهمي للشمس أنت ضئيلة وقال الدجي للصبع لونك حائل أعمى ويري السهمي.. نجم صغير لا يراه المبصرون.. تميل قليلاً، بعض المفتحة عيونهم كما يقول المشتبه لا يرون الشمس!.. لا يعرفون عنها أنها نجم.. لكن لأنه يحرق يهربون منه!

كثير هي النجمات التي تحرق..«بس بعضها يحرق على الناعم»!!...

وقال:
لا تطلبن بألة لك رتبة قلم البليغ بأي حظ مغزل سكن السماكين كان كلاهما هذالله رميح وهذا أعزز!

كم منا نحن المبصرين يعرف السماكين?!.. دعونا من معرفة الروية، ودعومنا من معرفة العلم.. أريد أن تعطوني معرفة الوجدان.. يناغي النجم.. هذا الزينة في السماء!

النجم أصبح وقد «بهلقت» عيناه يهرب منه الحالمون.. لكن النجمة ساحبة غير ناحية.. وإنها آمرة نافية تسمع منها حلو اللاغية.. تشتم منها في ودها الليل شذى الفاغية!.. حلوة هذه النجمة عشقرها حتى العيان!!
ليس ضروريًا أن أكون أنا الأعمى، فما زلت والحمد لله يملحلق
العينين. لكني حينما أرى بذني، وأسمع التعبير بعيني، وأتعلم الوجودان
من الوجودان لا يعنيني أن أكون في حماية عنها لأنني في صحتي منها...

ّ

بس يا ليل ما تورثك النجوم في الظهر!!

ويظهر أن القاضي عياض رحمة الله لم يلتقي إلى القمر إلا أنه ذكرى
لها... فهي في نظره أجمل من القمر!! قال:

رأيت قمر السماء فذكرتني باليالي وصلها بالرقمتين
كلداناناظر قمراً ولكن رأيت بعينها ورأيت بعيني!

على فكرة.. القاضي عياض الإمام لم ير الرقمتين. لكنه حن إليهما

حنين العلم، والمعرى!

• يا قمرنا يا ملت حضانك واستريح...»

ولا أدرى بما أجاب القمر، فالذين كانوا يسمعون همسات الأقمار ذهبوا...
والذين يناغون القمر شحوا بالخبر عنهم. أين هم؟ ما لهم؟ هل
تناولتهم الفزعة من الذين زعموا أنهم قد كشفوا القمر؟

هم كشفوا. وما كشفوا. البديل لا يصلح إلا «يدك» والستين» يعني
نصوصية، تسلية. لقد جربوا حينما هانت عليهم الكلمة التي قالوا، أو
يقولون. كأنهم في مكان الشموخ من المتنبي! وما دروا أن شمعة المتنبي
ليست في الحب، حب القمر.. وإنما هو كان عتاباً للصادقة مع الشمس.
كان صديقاً للسيف والقلم والقلم والقرطاس والشم.. فما رأى القمر...
كانت «خولة» هي القمر.. ولكن المتنبي صادق الشمس بدلاً أو دليلاً.
فما ظفر إلا بهذا يسير في دنياه الشاعرة به.

إذا ترحلت عن قوم وقد قدرنا ألاتفارقهم فالراحلون همو
كلام فخم لجرسه رنين، وينفح فخراً، ولكن ليس فيه أنين الحنين.

إنما فيه رنة الذي خسر البديل.

ولكنه لا يتفع عقبة ولا وعدياً. فعاش القمر لا يتعد، هكذا قالوا:
«نا كهنة الليل، سدنة الحب، سمار القمر، الذين لا يتبدلون، ولا يستبدلون».

حينما يصبح الوعيد لفظة بين جبين، يسمح حتى الصدأ والنداء.
والمكان والليل والسكون.

الصلبة في هدأة من ظلمة ليلة في ليلة مقمرة، همس، مناغاة، صدى
مناجاة يعني: السكون، في حركة الشعلة التي تسهرت في قلبين.. السكون
يتحرك، وحركته تسكن بقدر يوقته الوعيض السريري لهما. المحمون عن
غيرهما، فإذا نفر نافراًهما بكلمة أخرى ذات موضوع على غير موضوع
الوعيض. الحب فإن السماحة تصبح هي الحركة لا سكون فيها، يسقط
وعيض، يذهب النور، في ظلمة دامسة عليها «برجكتور» يحدد أبعاد البعاد
طويلة المدى.. الوعيد، البديل، وهز الأكتاف غشارة أرسلها وهج لم
يحس بعداد خطاب القمر.. أسلوب ذهاب مع أهل، ويقي أسلوب فاضح
كعملية الكشف بفن الفضاء.

- يا عيني ع الصبر...».

أصبحت على لسان المكلومين بالحرمان.. الواجدين كل ما يجدون...

المحرمون المنته بهذا الموجود.

عذاب أن تجد، وأن تفقد في الوقت نفسه!!

وعذاب آخر أن تفقد ما لا تجد حتى إذا وجدته فقدك هو!!
يا عيني ع الصبر ..
صبها في آذان المقربين .. في قلوبهم .. في ألسنتهم .. في الوجود
المتفقد هذا المغني الخشن المتمرس "وديع الصافي" ..
الصبر قوة .. القوة وحدها قد لا تكفي ..
الصبر برحان الحق ينتصر به .. أيضا حق لك ليس برهانه شهادة أحد
عليك لأن البطل يمتلك أقوى البراهين .. سرعة يتحكم لأنه .. وقد أنهك
الحق .. قد امتلك كل الوسائل التي جعلته يتطاول على الحق ..
الصبر يعطيك الفسحة .. والروي .. ينطلك بالغرة .. يحتفظ الحق
بوجود لأن انتصار الحق استمرار .. فوز البطل مؤقت .. كالحب .. الحب
كالحق استمرار لأنه حقيقة نفسية .. وما يعاني هذا الحب من شوائب
باطل .. عجل .. فالصبر علاج لهذا الحب الحق !
ـ قالت لي .. ومن زمن بعيد .. لو كنت تقدمت لما كنت لغريبك !
ـ قلت .. أنت ليست لغيري الآن .. فامتلاك الزوج لك يعني الحرمان ..
لكنه حرمان الشخص .. أما الودنان .. القلب فيعيش مع الحقيقة
المستمرة .. مع الحب ..
من هنا .. لا ألوم .. وإنما أقدس ..
الكبر في الحب يعيشون في رهبة الشخص كشيء برياني .. لكنهم
يحيون "بجوانية السلوك المحتضن لخيال يتجسد .. المقتضى من حرمان
يذوب ..
وخطرت على بالي .. لو بقيت حبة لكان في وهم الشخص مثل
كرامة بنت عبد المسيح .. في نظر الصحابي شويل .. أعني حياة التجسد ..
لكنها ما زالت حية في صمت على راهب أمام محراب يستكبه. يشتم يذوق
حتى ليعرف نفسه مع نفسه. كأنه هي.. كأنها هو!
- أشوف خيالك في الوحدة في قدامك أكلمك وأسمع حس ويوكي
غرامي وأقوم أضحك.. مالقاش غير أوهامي!! في قلب الروحية قداسة
ليست أوهاماً.. يصنع ذلك الصبر!
ما أجمل «وتواصلوا بالحق».. وتواصلوا بالصرر». إنها مشاعر ظهر فيها
شيء من الفهر لكن ليس فيها هذا الشيء من الهزيمة!!
- جعلني أطبق جفني.. أطرق حسرة من فجعتي على الكلام الفصيح
والرجيح كيف يظل محبوباً في صدر شاعر، أو على أطراف قطراً!
جعلني أتحرر كأنما أراد أن يكسر شيئاً من الفرحة في نفسي.. به...
وبمثاله، وحتى بنفسي!!
جلس يقرأ لي كلاماً لغيره.. كأنما هو يفاخر به نفسه.. حينما تعجب
الكاتب المفتون الكلمة البيانية تكون لغيره يصبح من إعجابه بها كأنما هو
قائلها.. لأنه - على الأقل - يحظى بها. ينسدها كالمتشائين.. بينما صاحبها
لأسباب لا يستطيع أن يكون مشاء بها يكتمينا.. هو لا يقللها، وإنما هو
يذوق نفسه أجزاء أجزاء.. فالحبين وراء قضبان قد يطلق الكلام منه على
لسان مشاء، أما الحبيب كلامه فيلبس هو بالمنطق.. حينذاك لا يكون
الجسد وراء قضبانه كأنما يكون القلب والوجدان وراء هذه القضبان التي
يصنعها غريه له، أو هو يصنعها لنفسه.. لأنه ليس هو مصنوع زمنه. وإنما
يريد أن يكون صانع زمنه.. هذا القسم يحرره.. لا يستطيع أن يغفر له
الإله التماثل الناطق لأن الفنان تصنعه الروعة التي تملك وجدانه ليصنع بها
الروائع يملك بها وجدان الآخرين.. فالفنان - أي فنان - هو مصنوع
الفترة، وصانع الانتان!
الفترة، في صورة، في أسطورة، في لقاء، في وداع، بعض
الوداع لا يرخي الستور على شيء، وإنما هو يفضح المستور. هذا الوداع
الفاضح حينما يكون اللقاء فيه لا يعني إلا أنه حب الحب. أما اللقاء
السرمدي فهو ملالة للحب، وإن أمعن المحبين!
حتى في اللحظة العامة تجد سحر البيان لأن قالها أحب الحب حينما
أرخي عيني للحظة الوداع. يتكلم بما جاش في نفسه حتى إنه ليرى في
البعد ساعة الوداع قرب الغرب!!
الفترة العامة التي تناغي هذا "المصدق" في أضلاعه. المهندم بكل
مشاعري. هو قلبي. يرفع يديه تجاه لما أسمعني صديقي المضض من
شعر لشاعرين. ما أباه لي أن أذكر اسمهما. كما يصفق ساكن الجوائح
لهذا المعنى جاء بلحظ عاري في قصة سيد درويش. حوار بيه وبين البطة
هكذا!!
- جليلة تقول لسيد - أعني الموسيقار العظيم - "يعني افتح لي قلبك يا
سيد"! فتأتي الجواب من الموسيقار بمسكنة المحبين، وعظمة الوالدين
يقول: "هذا بقيمو ضرف يا جليلة!! أي أصبح قلبه دون باب، ينفتح
بالجروح. جروح الحب للفترة القائلة حتى يسمع اللحن الفاتن!!
- أي بيان في هذه الكلمة العامة؟
- وهذه صورة رائعة من مناظر المخابر في نفس شاعرة نقلاها من
الذخيرة، لتكون ذخيرة قارئ راوية. قال:
ومن أحسن ما جاء من توقع أهل التمائم، والاحتيال لكتمان الدموع
الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان -

السواحم، ولا سيما قد أزف الفراق، وعست بما فيها من الدم الدماء،
قول بعض العرب:
ومما شجاني أنها يوم ودعت
ولما أعادت من بعيد بنظرة
إلى التفاتاً ساحتها المحاجر

وقال آخر:
ولما أبيت عيني أي أن تبكي البكاء
تشابت كي أبقي لدمعي علة
أعرضتي للهوى وننمتا
علي، لبت الصاحبان لصاحبه

وأتبع:
وعست ممها دمعاً كانه
على الخد لما ليس برقاً حائر
لمما انحل من عينيه في الماء ناظر
فأعشي وظراً تحسراً فابصر

وقال آخر:
وقفنا والعيون مشفقات
نةهته ريبة الواشين حتى

وأتبع:
إذا هو أبدى من ثناياه لي برقاً
فمن أجل ذا تجري لتدركه سابقاً
كأن دموعي تبصر الوصل هاريًا.
والبيت الأول من هذين البيتين كقول الشاعر:
تبل خدي كلما اتبعت من مطر برقه ثناياها

وقال أبو الشعبي:
وقائحة وقد نظرت لدمع
أتكذب في البكاء، أنت خلق
قمعصك والدموع تجول فيه
نظر قميص يوسف حين جاء وا
فقطت لها: فدناك أبي وأمي
أما والله لو فتشت قلبي
دموع العاشقين إذا تلاققت

• أهداني الموسيقار الأستاذ طارق عبد الحكيم كتابه عن مشاهير
المغنين من العرب، فشكرت له التذكر والتاليف، فتح به طريقة لأمثالنا من
المحججين عن مثل ما صنع.

ثم وجدتني أتذكر طارقاً وما أعطي!
لقد أعطى للغناء في هذه الحقبة التي عشناها ونعيشها ما أعدة من أجله
رائد الموسيقى في هذا البلد. منح زمانه وإخوانه فرصة أمسك بها فلم
يفلئها حتى نشر الآلة، كل الآلة، فجمع الهواة لصيحوا المحترفين. كنا لا
تعرف ضارب القانون إلا سعيد شبانة وتمليذه حمزة، ونادراً أن نجد
غيرهما، ومثلهما الضراب على العود، والعازف على الكمان.
كان هذا الشيء من الموسيقى خاصةً وخفياً، يمارسه علية، ولا يعرفه
لا جماعة من صحاب كونوا لأنفسهم شيئاً من ذلك فنجاء طارق إذا هو يعطيك الكثير من هؤلاء وهؤلاء. ولا أحسبه حينما ترجم لكثير ممن ذكرهم الأصفهاني في موسوعته الكبيرة «الأغاني» إلا وقد أعطى للعين ما تقرأ كما أعطى للذين ما تسمع. وللسن ما يهتدى بالنغم.

طالعت الكتاب فإذا هو تراجم فهرست، لا أمثلة، لا تاريخ، هو فهرست يحمله قارئ ليهتدي إلى الأصل. ولقد أجمل كثيرين من أبيناء القصور. كما نسي أن يضع للآثر من المجتمع وأحواله الأسباب التي جعلت الغناء أول ما يطلع في فترة ما في المدينة ذلك من أثر الدعة والترف والفراغ والارزاء.. والحقن العمد تعطي جرعته على صورة من بدرات الدنيار وما إليها، ثم الآثور للترف وما يجره في قصور بغداد.. واللقاء الفارسي بالعربي وما إلى ذلك من لقاءات مع ثقافة اليونان والهند. هذا ينبغي أن يذكر. ولعله يتبعه بعد.

والشيء الثاني الذي أحسبه سيأتي به في جزء نال. هو الكلام عن البارعين في الغناء هنا ممن عرف أو سمع منهم. من أمثال: حسن جاوي، أحمد شيخو، الحلواني، إسماعيل كرديس، سعيد أبو خشبة، الخطابيين آل شاكر من مؤذي مكة، حسن بنى، محمد علي سندي.

وفي المدينة كان هناك من يعرف النغم على أوسفع وأحمد من القباني وسلماء حجازي وزكريا أحمد وعلي محمود. من أمثال: البناني وكامل توفيق، أحمد توفيق، عبد الستار بخاري، عمر عبد السلام، محمود نعمان، عبد الرزاق نجدي، وطالب توفيق، عقيل توفيق، حمزة حبش. وغيرهم. وهنا وهناك ممن كنموا غناءهم فلنا يعرفون إلا عند حملة الأسرار وكاتمي الأخبار.
كما لا أنسى ضاربي العود والكلمان... حمزة شحاتة. طلعت وفاء، عثمان خميس.

- قرأت الـ «قطوف» أمس... أورد فيها أستاذنا ضياء الدين رجب شعرًا حلوًا للشاعر الإنسان... شاعر الناس للنساء «بيرم التونسي»... ذلك الذي يمنعه أن يرى الحق مراءًا للباطل ويرهقه أن للباطل صوأًا رائحة... ويهيمني من ذلك في تعليقي اليوم هذا البيت. ورد في مختارات الأستاذ:

يصمم الطائر المغرد في الدوّاج إذا كان تحته شعبان
لعل طائر بيرم كان من الطيور الزقاق المترفة... بليلا، أو عندليًا... وهي ليست من طيور أرضنا...

الصورة رائعة من شجر بيرم... غير أنني أريد أن أدافع عن بعض الطيور كالعصابير - مثلًا - فإنها لا تتصمت حينما ترى الثعاب... بل تهيج به... تهيجه... يتلمذ... تهاجمه وهي توصوص... تجميع - أول ما تجمع - العصابير كلها لأنها كل عصفور يلقي النداء. ويسكن الثعاب كلما اقترب عصفور منه يريد أن يترقه إبنله. والعصابير تشاهد صرعها في فم الثعاب ولكنها لا تبالي... تهال عليه رديفًا وراء رديف لتبه إنسانها أن يعينها على قتله فلا تنصرف... أعني لا تهرب لأنها لا تخاف... لا تعرف الجبن...

حتى إذا انتفخ الثعاب من كثرة البلع أصابها وهن في الحركة يضمحم سرحه وتتفتق أضلاعه، ويزرخ كرشه فيأتي الإنسان يقتلها، وإن لم يكن الإنسان فيجفي العصفور النجدة ذلك الطائر الأسود واسمه «المجيبة» أسود غطيساً... يحرك ذيله كأنه مروحة يابانية من صناعة هيوشيميا!... فيقض هذا العصفور
النجاح على الثعابن.. لا يأتيه من أمامه وإنما هو يعلو فوق رأسه يسقط عليه ويطير عنه أكثر من مرة.. يسلط منقاره على رأسه ينفره حفراً حتى يقتل الثعابن!

هذه العصافير تصدم أمام عدوها.. لا تتصمت صمود الطائر عند بيرم!!

العصافير.. لم يملكها الترف، ولم يطيرها صوت الناعي.. ليس فيها الصداق، وإنما فيها المهاجم للثعابن لا يبالي بمن يبتعث الثعابن منها لأنها ستقتله في النهاية لتعيش آمنة في أعشاشها.. والعصافير (المجابة) عرف بمقاتل الأنفى يصبر النقر على رأس الأنفى فيقتلها كأنه أحد النقالين.. لا يبالي بالموت وإنما هو صانع الحياة لجبل من العصافير قد أتتها الله يثبان فتجمعت عليه تقتله بسلاح هو أضعاف السلاح أمام الثعابن: منقار عصفورا كم في دنيا الحيوان من عظات.. لو عرفها الإنسان لما صمت أمام العدو صمود العناند، ولصمد في جماعة أمام عدو يقتله، ولو بأضعاف السلاح.. أضعاف السلاح لا شيء.. قوة السلاح هي الإيمان، والتجمع، ومنقار المجابة!

- على غصن البان.. عصفورتان.. تتاجيان.. بأذاع الألحان..
- أغاني الوجدان!! أغنية.. فظل الشاعر إلى حب العصافير.. كان غيره يتخذ من اليمامة، أو الحمامة أو التمرية معتملاً لدروس العش.. غرمه من هؤلاء بطيء الحركة.. ثبات الملامح.. لا يتغير منهن شيء عليه!! فلم يعر العصافير التفاؤلاً.. العصافير لم تضع أمام المشاهد من الناس صوراً من حينها كما تصنع الحمامة.. ومن إليها.. لأن العصافير سريعة التحرك.. تقفز من غصن إلى غصن.. تنتقل من مكان إلى مكان.. تعمد إخفاء الرؤية على
الإنسان... كأنما كل حركة فيها مفرضة للعمبة... فالعصفور المشهور
بالحراس يعرف فضول الإنسان... يريد أن يعجزه بالتخفي... ت تعد الرؤية
عن الناظر بسرعة الحركة، ويفكك التشابه السرمدي في العصافير... لا
يمثبط أن يضع علامة على واحد ليعرفه حتى إذا كاف عصفوراً وعصوره.
وإن استطاع أن يميز بين الذكر والأنثى، فإنه يحكم أنهما ليسا زوجين في
علاقة دائمة بينهما... بل إنهما يقودان في حزهة... يحكم عليهما بإباحية
لا تعرفها حياة الطيور، ولا حتى حياة بعض السباب!!

يري في كل عصفور يطارح عصفورته أشودة الصباح... يناغيها...
تساعده في بناء العش إنه عصفور طائر عليها، أو هي عصفورة طائرة...
حتى أنكر الإنسان ما أن العش لا يضم زوجين، وإنما هي عصفورة نائحة...
تاهت فبرز لها عصفور ناجحاً... جاءت تترك على بض تلك التي شاركت
في بناء العش ثم تاهت... حتى لعلها، وفي اللحظة نفسها، قد احتضنت
بض النائحة الأولى!

إن رؤية الإنسان لن تعطي الحكم الصحيح على هذه العصافير... لكنه
لو عرف أن السرعة، والتقليل، والوصولة كلها قبل بناء العش عيش حياة
مزدوجة بين عصفورين حبيبين!

لقد ضاع حكم الإنسان برؤية غير صادقة... يأنف الأجرام الكبيرة،
والحركات البطيئة، والجمود الطويل، فيصير حكمه على تلك بالرضا، وعلى
العصافير بالعلامة!

العصافير أصدق من الحمام... بين الحمام أحمق وبلغ، وليس من
الحماقة والبلادة صدق... أما العصفور فذكي، وسريع، وجريء، ومتقن
لبناء العش... يعني أنه «حريف» حياة!!
لا تفهم السبب في غيابها هذا المثل على ألسنت أهل الطائف وأجبابه.. "الطائف رحنا".

اليوم تذكرها تاريخاً مضي وحالاً يحكي عن بأسلوب الرضا.

لقد كان الطائف قريب يصل إليها بعض ما هو ضروري وكل ما هو
كمالي أو ضروري عند الصاعدين إليه بطرق "القدوم" قائمة الجمال، وبطبيعة
الحالة لا يطلب تاجها أو لا يرسل تاجر إليها إلا ما يباع بكثيره وما يصدر
على الحمل والشدة والزمن.

أما اليوم فأصبحت مدينة كبيرة.. وخاطئ من يقول إنها من صغرى
المدن في بلذنها. لقد استطالت واستعرضت وكثر سكانها وكثر القادمون
إليها. سواء من أخذها طريقاً، أو من صاف فيها.

في عصر الخمس ألزمني ضرورة أن أطلع بعض ولدي إلى الطائف
فلحه الخريز. فتلتقت أشتهي أن أشتريه هدية للطائف. ثم انتهت إلى
أن الخريز في الطائف موجود مثلما هو في مكة ووجه...

وقلت لولدي: أصبح الخريز لا يهدى إلى الطائف. فقال: وحتى
السمك الناشف والأحمر أغني عنه. وهمذا، تقارب المدن بالمواصلات
والسرعة بالسيارات أراح الطائف من تكاليف الفضول عليه بهدية خريز،
أو حوت ياس، أو غير ذلك مما كنا نحمله معنا إلى المصيف.

إن الطائف رحا كل يوم الآن. فذاب المثل وصفا لحال واقع الآن.

 وإن يقي إشارة في التاريخ على وضع كان قه. 

ولكن رأيت في طريق البدا، "بكس ونبت" يسقط طفل تعرضت السيارة
وراه، عجز أن يدفعه بسرعة لازمة وقوة لصعود القبل الأحمر.
فلما مررت بجانبـ«البكس» ورأيت الطفل أشرت إلى أبيه، أمسك
دقي، إشارةً أن هذا عيب.
وسرت. فإذا بين أقدمـ«البكس» يلقيها بسرعة يسوقه الأب ..سمع
النصيحة ..

شدت القافلة وشد خالي معاها .. وأصبحت في الفيضان بالليل عنين تراها

أغنية شعبية سمعناها أطفالاً فلما أفتنا لأنفسنا بالإغمازة في بحبة من
الولع والشدود والأنام والبجو والنجوم والضحكاًت فإذا نما نصحت على شيء
مليح وسريحة . يسوقنا إلى التحمك بتراث ورثاء من أعراف أصيلة متمنى
إلى زمن بعيد نسمن به إيقاف على حياته وتنويعه بالارتفاع لا يفرض
أغنية عربية هي للجميع ولا نبت الشعرية . فإذا حينما نجحوا وترفع بها
تصبح شاملة منتشرة يسمعها الجميع من كل الناطقين باللغة الشاعرة.

أذن من أجيال لم تتألف هذا الأسلوب الشعبي «الفلكلوري» قد لا
ترتاح إليه لأنها لم تعود السماع له .. نعذراً تساهم، وتركرما لا ينفذه
دون معالجة . فالتكرار عليها يثقل في مسامعها ما لم تتألف لتناوله،
فستثنيه بعد وأجيال أكثر تعرف، سمعته من قبل، فلماذا نحنها فلا
سمعها هذه الألحان؟ . إن محمد علي سندى ومن غنى بعض ما يغنيه له
ولهم آذان تسمعهم، فهم في سوق رائجة وقبول واسع ..

شاهد بعض النابهين من المخضرمين ومن جبل بعدهم الحلقة، الأغنية
الشعبية، تراجع أهل الهدى، أو ترجع الحاضرة في مكة، فصفقوا لها،
مسرة بنغم، احتراماً لتراث، مباهة بأنموذج يمكن أن يعرض في عالم غير
عربي دليلاً على حضارة وذوق.
هذا شيء... وهناك أغاني البحارة... والناحية يمكن تسجيلها في الرويس أو في ينبع أو في الوجه... ولا أنسى جيزان، فهناك في العشاش في جيزان وصيا وعريش فن، وحضارة...

فلا دخلت عشة لرأيت ديكوراً بسيطاً، عوداً، كمنحة، طبقاً. كل أعصاب الساكنين هناك نفس سامة أو أنشوطة، كل هذا إذا تكون بأسلوب فني وتلحين متقن موانئ لا يخرج عن الأصل ليضمن مع العرضة وأغاني الخلبيج... إنه سيكون عندنا فتاً نباهي به... وغنيه. ويصلح بعده نواع

شيء أكبر، يأتي به الزمان من الأغاني الرفعة والمثاليات والقصص...

إن الأغنية هذه، نواة أسطورة، روح شعب، ثمار أمة، فحذآ لو عنى الناجحون من المغنين والمطربين، فعملوا لذلك يجمعون ويزرون ويستحرلون ويسرون...

إنهم إن فعلوا ذلك كسبوا الشيء الكثير حتى المال الوفير... ولربما بيعت "شرايط لبلاد پره".

• ونكتب اليوم عن وادي "أتش"... جاء استطراداً في "كلمة ونص" فلاأخذ السفالون يتراسلون بينهم هامسيين، أو جاهرين: من ابن زيدون؟ وما هو وادي أتش؟

وجدير بي وأنا أحب الحب، ولا أنغمس في أخبار الحب... فالحب ليس خيراً، إنما هو - الخبر - بضم الخاء وسكون الباء!

وأنا زيدون... كان حب الحب حينما يقول:

أما رجا قلبى فأتت رجاؤه يلا ليتهي أصبحت بعض رجاء

يدنوه خيالك حين شط مزاره وهنم أكاد به أقبل فناك!
كان نظيفاً... فحزنت أن يتسخ شروع لاسم نظيف!
وأين زيدون... شاعر الفردوس المفقود "الأندلس"، وفي هذا الفردوس
"جنة" يسنداً في الأرض اسمه وادي "آش". لا أريد أن أصفه من ياقوت.
ولا أريد أن أرجع إلى عاشق الأندلس... شكيب أرسلان، فإن الصورة
يجلوها شاعراً الذي يقول... ووصف وادي آش:
وقانا لفحة الرمضاء وأد
سقاء مضاءف الغيام العميم
نزلنا دوجه فحناعلينا
حتى المرضعات على الفطييم
تروع حصاء حالية المذادر
فتنمس جانب العقد النظيم
أي صورة أبلغ من هذه؟... تخيلوا كيف أن العذراء ترى الحصى وسط
الماء كأنها هو حيات من عقدها، فترفع يديها تنمس عقدها... تحسب أنه
هو الذي انتزا!
ألست هذه نظافة في جمال آين؟!!
إنها نظافة في وجدان الشاعر... من نظافة من وجود الأرض.
الإنسان ابن بيته... جمالها جمال في نفسه... جلالها جلال في
كرياتها!
ولوادي "آش" قصة أخرى... جلس أستاذنا أبو إبراهيم عبد الوهاب
آشي إلى أمير البيان... حفيد ابن ماء السماء شكيب أرسلان، قال الأمير
شكيب لعبد الوهاب آشي بفرح عاشق الأندلس: هل أنت من وادي آش؟!
كأنما هو يريد أن يقبض عليه فقال عبد الوهاب: لا... أنا من آش
الأخرى: في الشرق الأقصى... لا في المغرب الأدنى... آش الذي أنتسب
إليه هو في سومطرة! وضحك الأمير، وضحك عبد الوهاب. لكن عبد
الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان.

الوهاب لا يدري أن صلة اليوم كرجل ببيان هي الأعمى لأش الأندلس كما هي العميق لأش سومطرة وهكذا. لا تمنع قرابة النسب قرابة السبب. السبب دين واحد. ولغة شاعرة الأمير وعبد الوهاب فيها شاعرون! هما كلتان في كلمة. أولاهمها عن مثل.... والثانية عن رسالة من لبنان.

المثل يقول: "والولد اللي ما بال على كراعي ما أخلبه لشاعي راعي!" سمحته من صديقنا فهد المارك. في تلافيف حديث ذي شجون. على طريقة: ولا بد من شركى إلى ذي مروءة بوسبيك أو يسبيك أو يتوضع! قالت عجوز من جدتنا المكتوبات بناّم الجبرية. والظالمات الراويات من عد القلوب الخيرة. فأعجنيما كأنهما هو كبي أصائب المجون. كان يحس بوخز من ذات الرنة "البنية". فلما وضعوا المسمر الأحمر المشتعل على الوخزة طرقت لها صوت. فسمعها مثلي كاوية. فقال: ثم. قم سالمًا. وقامت سالماً تلمس المثل. أذوقه. أشربه. أشبع من معانيه حتى عدوات وكأن حامل القصيدة أطوف بها على أصداقتي أرويه لهم. لأرويههم به. هو أحد وأشد وأوفر من المثل الفصيح: "ما حك جدلك مثل ظفرك؟". فتول أنت جميع أمرك. وهو أصلق وادق من المثل أخيه:

النار ما تحترق إلا رجل واطيها! ".

لأن في تلك صرخة بالذات. أما في هذا فصرخة الذات ونداء الأم، وترف التعبير، وتحدي الحاجة، والنضال على الشاة. أما على هذه الأرض: أترك لكم تفسيره على طريقة: كل يغني على لباه، متخذاً لبلاي من
الناس أو ليلاي من الخشب، كاد الكاكاظيون أن يهربوا رسالة لا أراها في
أيديهم! . . تواضع جميل، ولكنه مخيف!
الجميل ألا تبخس الناس أبيه، والمخيف أن تبخس نفسك! . .
فستجري بعد الممارسة لبخس النفس على أن تبخس الناس!
فتنة من لبنان كأنما هي أملت من قلم "فارس الشدياق" أو
"الياجين" أ" الخوزي" أو من قلم أبي محمد "مروان عبد"! . . لترجع
إلينا تقولنا . . ثم تكتب لنا . . تشدد بما تقرأ . . عددها الأبواب والأسماه،
وشتكت بكبرياء أنها لا تقرأ عكاظ إلا مجموعة في أسبوع، وليته كل
الأسبوع . . تريد أن تقرأنا يومياً، ولدينا القدرة على ذلك . . أربدنا أن
تتصل بالخطوط السعودية، فرسلها لها نسخاً توزعها على صديقاتها من
عكاظ! أنا فرح بهذا . . لا من أجل عكاظ، ولا من أجل الكاتبين فيها . .
"ظلاليين" و"موجهين" و"مطيري" و"فتحيين" مقطعي "قطرات" و"قطوشي" حتى
إنها لم تنس الإشادة بالصفحتين السابعة والثامنة . . وإنما من أجلها هي
قارئة رجعت إلينا! أحبها وأستزيدها أن تزودنا من عدد القارئات لنا!!

إذا المهر لم يدنس من اللؤم عرضه
ففلك رداً يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيماً
فليس إلى حسن الشنا سبيل

ليست هي وقد أنشدت هذين البيتين . . مطلع القصيدة من قصائد اللغة
الشاعرة . . كأنما هي إحدى المعلقات . . قائلها عربي تهود، أو يهودي
تعرّب اسمه "السماول" هكذا يعرفه العرب . . لم ينطقوا اسمه بالعبرانية
"صومالي" وأنا مع العرب في ذلك فلا أحسب السماول في مروته ووقته
وفصاحته يهودياً تصلب، وإنما هو عربي تهود، وكثير من العرب دخلوا في
اليهودية. لأن اليهود كانوا في حاجة إلى تكير سواهم في وادي القرى، وما عليه، في المدينة، وفي نجران أن يقبلوا العرب إذا تهود، وأن يدخلوا في ظل حلف مع القبائل. اعتززاً وصوناً لهم. ليس من همذ ذلك، وإن قدمت بعض الشرح، وإنما همي أن أتكلم عن اللؤم والضيم!

الرجل اللئيم لا مروءة له. لا نجدة عنده. لا كرم. لا وفاء. كل هذه أخلاقي المروة، والضيم ضد اللؤم حتى إن اللئيم لبّنجل على نفسه. باكل موائد غيره. واعلاً يّلحس كل صحن حتى إذا شبع ذهب إلى الصحن الآخر ليلغ فيه، فهو الوداع الواعظ، وصاحب المروءة هو الذي يحمل الضيم إذا ما انصب عليه صيراً في كبراء الرجال، وارتفاعاً عن الشكوى، فلا يجر بها إلى أحد!

الرجال الذين يتحملون الضيم عافون. من شيمة الصبر فيهم، ويعفون من سيّمة الكبرياء!

الذين يتحملون الضيم في سبيل الهدف الكريم دفاعاً عن عقيدة. دفاعاً عن وطن. اندفاعاً لنجدة صديق، أو إغاثة مكروب، أو عوناً لضيفهم، هم الكرام.

إن هؤلاء الرجال يصبحون على الألسنة. كل لسان يبني عليهم، فالسموال تحمل الضيم والحرب، والحصار من أجل الوفاء، والوفاء مروءة بل هو في الذروة منها:

الذين لا وفاء لهم لا خير فيهم، لا يؤمنون على شيء خشية العقوب! فإن الجفاء عدم الوفاء.. يجلب الأذى!
احذِر عدَّلَمْ، وأحذِر صديقك أَلف مَرة
فلربما انقلب الصديق فكان أَعلم بالمضرَة
من أين تأتي مضرة الصديق؟ لأنه لا يعرف كيف يتحمل الضيم في
سِبيل صديقه، أو من صديقه، لأنه قد حرم نوعة الوفاء!!

• يقول أحمد بن الحسين شاعر الدنيا المتنبي:
  ستالف فقدان الذي قد فقدته كالفك وجدان الذي أنت واجده
  ولكني ما ألفت غيرها. ولا كلفت إلا بها!!

هي .. يا بنات الهنود يا فاغية في العُعظم.
الفاغية زهرة الحنان .. هي التي تكلفني كثيراً فيما تحملني من النظره
إلى ياضها، والروحة إلى روحها .. رخصة الشم والتكليف، غالية العطاء،
شذا. عطرها، ما محلاه. لها رائحة جمالها في التجمل بها. ول اسمها في
أذني جرس لأحرفها كأنها المناغية بالفترة المليحة.
أحبها .. اسمها الغوالي باسمها إذا ما كتبى عن واحدة منهم لا تريد
أن تصرح باسمها.
عرفتها .. هذه الفاغية طفلاً في أحواض في المبارك، الخيف في سفح
رضوى من ينبع النخيل.
أحواض يجمعها أهلها بزراعة الحنانه .. يتخذون من ورقها خضاباً،
ومن زهرها عطرها، وشات على العظام.
الخضاب في البند نقشباً، نخفاً يساوي فيه النقش حتى تسود «كأنها»
الرومبا في البند لا في العين. فالعين العربية لا تحتاج إلى سواد.
والخضاب في القدم تحت الخلاخيل والحجل يحمر. حتى لتحمر خندق الناظرين.

زينة كانت مغنية من الأحمر والأسود والأزرق الجليب المجلوب بالدولار.

وسرقتي هذه الحلوة المخلة بالحناء تلوينًا لجمال. وتلوينًا بشذى العطر جمالًا في الجميلات.

سرقتي وأنا راكب جمالًا يتهادي راكب من ينبع إلى بدر، فالمراعي الأخضر الفوّاح في وادي الصفراء، أعاد الله إليه بالغيث ماء، إليه. شنفت سمعي بخير الماء في عين بعدها عين. وفاحت بأريجها الفاغية، فإذا هي تفرق النوم، وتعطي الوعن.

حلم غروقت فيه «جوانيا» اغشيت نفسي بعطر الفاغية في ليل صحا فيه النسيم. وصمت هامساً النغم. . يعني نسمة تناغي من بعيد، كما يناغي صداح ناغمه. نسمة تلمس منها البح، لأنها لا تكتم الفوح.

وصفت نجمة بخيط من شعاع بين سعفات النخيل، نخيل نصف .. لا هي بالبائقة، ولا هي بالواطنة إلى مستوى اليد الجانبة «القاطفة». . تنحمر عنها العاصفة، وتنكسر عليها روائح النسمة. . بسرور نور لا يفضح، ولكنه ينفع بشيء عجيب الفئنة. تكون لك فيه «فيك» المؤنسة من واحة أثرائها عاصمة أبعدت عنك النسمة فجاءت النتيجة تقرب إليك البعيد عن نفسك.

و حينما أيقنت بدوره الفلك هذه النجمة، أرسلت نورها في عطر الفاغية.
اجتماعيات
عادات وعيوب اجتماعية

ognition

وتشا الفثن في قرية ذاق فيها حلاوة الطبع، وصراحة العشارة، ورقة

القصة.

هم قسا من قسوة الحياة في القرية. قسا على أنفسهم من تذوق الصبر على مكاره الحياة. فالقرية دائما تعطي المدينة كل ما تعيش به. بينما المدينة لا تعني بأي النفاظ إلى القرية. كأنما هي السخة المفروضة على القرية تعمل للمسارحيين في حلقة الليل. الناعمين في أضواء خالقة. كأنما هم فيحلم. يصحون في تذوق الخلاف. ويغفرون عن صانع الترفه لهم.

وداق متعة جارية في صحوة الفنادة. فنادم. يذهب إلى النفس في الكنيسة!

وأعرف أمام كاهنها بالزاله ليطني العبان. لعبة الكهنوت. يشرون من الناس ببيع الرحمة. ويسخرونهم عيباً بشراء الجريمة، فهم وهم ودجل.

وتقرس رجل الكهنوت في هذا القس، شام فيه الذكاء.

وعرف بذكاء الكهنة أن لهذا الفثن شأنا بعد. فالكهنة لهم حساسة الفناء، يشمون الخطر من تطور الأحداث. فهم قراء الأماني والأفكار من كثرة ما علموا من أسرار الناس.
فطلب أن يكون الاعتراف مكتوبًا لتحكُّم المغفرة سرمديًّا لأن القس يدعو له كل يوم ما دام الاعتراف في ورقة لديه.

وكبر الفتى حتى أصبح من أبرز الرجال في المدينة. يقترح، ويقدم المشاريع للإصلاح. ومنها ما يمس الكهنوت.

وكبر القس حتى أصبح سيد الكهنوت في الدولة، وما كاد يسمع بمشروع الفتى حتى جاءه في ليلة.

- أيها الفتى المحترم، إنك ستلغي هذا المشروع.

- ف قال الفتى: لا . . سأمضي به إلى النهاية!

نشرى الفتى: سأذهب ماضيًا في إنجاح مشروع لأقتل هذا الدس والخداع في الكهنوت.

أبرز هذه الورقة. ستكون دليلي على خسة ما تفعلون.

- خبر غريب، ارتحت إليه، أشره مع التعليق. وأرجو أن يحظى بنقاش واستيعاب وفهم له.

- قالوا: إن بلداً كبيراً ومساماً كثير السكان لا يعيب الكماليات أو حتى الضروريات بالنقسيط. وإنما هو برسام الأجرة. فمكان التنسيق والمراوح والثلجات وما إليها تؤجر بتعريف معينة لطابعها. وهذا يعني أن المستأجر يتنفع بها طوال حياتها معه، عنه، ثم هناك معنى امتلاك الشركات لها بأنها مطالبة بإصلاح ما تملك من هذا المستأجر فالمتتبع سالم من الإصلاح والصيانة والمصاريف العارضة لذلك. لأن الشركة تؤجر وتقبض الأجرة...
العمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

والتي تلح وقد يكون هناك مبلغ إضافي للإصلاح إذا كان الخراب يفعل المستأجر. شيء لم يتم له علم.

الخلاصة أنهم سلموا من شبهة الربا في التقسيط، فبعض الخيرين يتوجهون من رفع القيمة على السلعة المبيعة لأجل.

ثم هناك السلامة من الشكاوى والدعاوى الناشئة عن البيع بالتقسيط.

وأكثر من ذلك حصر الاستعمال للضرورة الملحقة للحباوة والتباهي.

وهناك أيضاً التعميم بهذه الآلات والأدوات والزينة وما إليها. ففي قدرة الفقراء والمقل أن يستأجر ويدفع الأجرة. حالياً يدفعها. حالاً تقبضها الشركة والمحلات.

أما لا أقول بإلغاء التقسيط، وإنما أدعو إلى وضع نظام للتأجير.

لقد اتبعنا التأجير المؤقت للكراسي وما إليها. فإذا وضع نظام بشكل لطيف وحذر ممكن إدخال الحضارة لكثير من البيوت والأسر دون تضخم الآلة المدنية بهذا السرفر.

صحيح أن الأجرة تستغل الأيام حتى تستوفي الآلة قيمةها. لكن التعويض سيكون بالكثرة المستعملة المنتفعة بهذه الآلات.

ومرة أخرى هناك السلامات من تدمير البئر وقطع الغيار لا يرق بهما المنتفعة، لأن الشركة تعرف ما يصلح وما يكفي وما تصلح به أدواتها.

• الزياب ناقل لكثير من الأمراض. نسأل الله السلامة منه. فقد أصبحت الحرب الساخنة التي كانت بيننا وبينهما المتمثلة في حركة القتال، وقته بالغازات الخانقة. «كالفليت» وما إلى أصبحت هذه الحرب رغمما سنا، وبانتصار الزياب علينا المعايشة الإسلامية. فقد استطاع أن
يغتصب هذا الدبابة لأن المحاربين في الجبهة وقيادة هؤلاء المحاربين قد أصيبت بنكسة... كثرت القمامات وانسخت الشوارع فشيع الدبابة وأمرع، وهو يستطيع أن يشكلي في كل بيت منصة قضائية!! لأنه بالنسبة إلينا نحن سكان البوت هو من رواد الفضاء... يهبط على مواطننا كيف يشاء... يسقط على ملعقة الشاي... في زبديته الشورية... فوق الحبة! فوق السكر... هو يحب الحلاوة! سواء كانت طعاماً أو هذا الدم الزكي النقي في الإنسان... يمتص، ويصغي... يمتص الحلاوة ويصغي بزراعة الميكروبات...

ما دام هذا الوضع أصبحت المسؤولية على وزارة الصحة أكثر من البلديات!

إن الدبابة يستملح الحلاوة حتى إنه ليلم الخردل الناعمات... ويتغزل مع السوق المنتشرات... تصرخوا خداً ناعماً تلطفه ذبابة فتطلبها اليد الناعمة؟... تغيض الذبابة فوق هذا الخد... يعني هذا ذروف؟!

رقفاً بالقوارير من هذا الدبابة... ورحة للمصابين بالنقرس يصرخون كما كان يصرخ الجاحظ، فلا يتخلون من الدبابة إلا بالأغطية!

تصرخوا أن الخد الناعم إذا ما أصابه "القرف" كيف تصيح الحياة في شهر العسل؟!

غلطت وجهت سيرة العسل... هذه من أخطائي كإنسان... يسمع الدبابة سيرة العسل، فيسقط على العروسين لأنه يحب العسل!!

الدبابة... لو أعرفنا ... ويجد أقول ... وسيلة من وسائل الهزيمة في الشعوب المحاربة!
نصوصوا لو فشا مرض من الأمراض التي ينقلها في المحاربين أو في من وراء المحاربين.. كيف يكتسب العدو النصر؟
حارةذا الذباب بغير "الفليت" فقد أصبح "الفليت" لا يفع لأن الذباب قد اكتسب المناعة كما تكتسب الشعوب المرهقة بطغيان الأعداء المناعة ضد الخوف!
أرجو من رئيس البلدية، ومدير الصحة أن يأخذنا معهما.. تلقي نظرة على النظافة في البلد، لعلهما قد صانعا بينهما من الذباب لكنها صيانة لا تحمي أحداً ما لم تكن صداقة للجميع.. فالعدوى لا تعرف الحجرز، والواء لا يحبهو غطاء.. لكنها رحمة الله تجنينا ذلك بما ودعته في هذه الشمس المحرقة تقتل الميكروبات، لو كان هذا الذباب في أرض لا شمس فيها لفعل، وفعل!!
بإذا حرص واحد منا على أن يبال حقه، أو أن يمنع نفسه بما يريح فإنه ينبغي له أن يحرص على حق الآخرين، وألا يشقيهم بما يتعبهم من تصرفاته.

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

"خالق الناس بخلق حسن".

"عامل الناس بما تجبر أن يعملوك به".

فقد عملت عصر أمس جندي مرور، والسبب هو حراس البعض من راكبي السيارات. سائقين أو متفشرين. أن يقفوا حيث شاءوا.. وأن يمروا قبل الآخرين. فلا يفكون بما يضر غيرهم، أو يحول دون غيرهم أن يسيروا كما يحبون هم السير لأنفسهم.
في الشارع النافذ من أيسر الشارع الجديد المدخل من حارة اليمن إلى حارة الشام. الموصل إلى باحة البيت الكبير، بت نصيف، والموصل من وسط المظلمة إلى دكان الشبيبي أبيع للسيارات أن تذهب وأن تروح. شارع ضاق بالناس. فمن العسير أن تمر فيه سيارات ذاهبة راجعة لكن سد الطريق إلى باب مكة وما إليه ألمر بذلك. ضرورة يمكن استخدام الشارع من أجلها لا أنصف السائق إلا "يدور" سيارته في مدخل الشارع.

سائق كان يمكنه أن ينفد من زقاق إلى المنشية. لكنه أبى فدور واستدار. وراءه سيارة، أمامه فيسوبا السيارة التي وراءها واقفة. والilmington واقفة. واسد الطريق فهو لا يستطيع الحركة. سيارات ذاهبة توقفت. سيارات راجعة توقفت. ليست منها سيارتي. فقد أوقفتها في براح في الشارع الأوسط ومشيت على جلي. 

ضفت ذرعاً بحيرة الناس، سألت لماذا لا تتحرك الفيسبا. خاطبت راكباً فيها بجانب السائق. نزل دون أن يرد جواباً كأنى طالب منه السير؟!

- قلت لسائق الفيسبا: تتحرك مترن. يستطيع المدور أن يلف وتنهي الأزمة. فسكت ولم يجب وتبغ المشاكل: "ما أنت شابوف هي خربانة".

- قلت: لأنها خربانة. يجب أن يدفعها صاحبه إلى البراح ويفضح المرفق العام. فيسوب هو أعني الشارع بالمبيان المشبع للخربانين والخربانات.

- هل تصدق إذا قبل لك أن الخيز في الرياض والقصيم أكثر من خمسة أربعف بالرمال؟

لم أصدق ذلك لأن الفرق في أجور التحويل يجعلنا نعتقد أنه إن لم
يقل عدد الأرغفة بالريال عن جدة فعلي أكثر التقدير يكون المساوي لا
الأكثر...

صدقوا أو لا تصدقوا، فالقيق أن خمسة أرغفة ريال في جدة أصبح
مبدأ ثابتاً لا يتغير تعلم منه الثبات.

فقد وصل كيس الدقيق إلى أكثر من ثلاثين ريالًا أو فوق العشرين بما
يقارب الثلاثين ريالًا و الخبز خمسة ريالًا، ونزل السعر إلى أقل من
خمسة عشر ريالًا أو ستة عشر ريالًا للكيس من الدقيق، والخبز خمسة
ريالًا، أو أن الرغيف الواحد من خبز الحنطة الكبير اسمًا بستة قروش.
ما سبب هذا الوقوف والثبات؟

إهمال من الرقابة، وتواكل من الذين لا يراجعون البلدية!

أضع هذا أمام بلدية جدة لتسأل. لترافق، لتحل مشكلة.

إذا كان هناك ادعاء بما يفرضه الأجر لل الفرن والدكان الكبير والعمال.
فإن التعويض لهذا الأجر وما إليه في القدر المباع من الخبز، الفرن الكبير
قالوا له أن يعجن أكثر من خمسين كيس دقيق. هذا القدر جزء من رحبه
يكفي النفقة التي يحتاجون بها...

وهناك وعن الخبز أيضاً الدقيق. فبعضه مز دو رائحة. لقد رأيت
فروناً كنت أشتري منه الخبز قد وضع أكداً من أكياس الدقيق في العراء
تحت الشمس والريح وربما المطر، فعدلت عن شراء الخبز منه، والسبب
مرارة الرغيف.

دقيق رخيص فاشتراه هذه الكمية، فهو إن لم يخبزه صرفاً يخضعه
للخلط بدقيق آخر يسرع عيبه بقدر يلزم به الغش.
حسناً ترى شيخ الفرقة من أعظم الناس عنيدي سببها صلات كبيرة وغالبة.

أرجو من البلدية أن تتحرك قليلاً فتنتظر في سعر الرغيف ودقيق الرغيف. فرمضان غداً أو بعد غداً. والصائم يجب أن يأكل ما يستألهه برياله. ولا يرضى أن يؤكل جزء من هذا الريال.

ويترى أيضاً لعياج خيواً حلواً لا مرارة فيه.

وأضيفوا إلى ذلك الكنافة. صائغها أصبح يغش. دقيقه مر.

يا ناس دووقوا لتعرفوا.

وهل أسأل الغرفة التجارية. أم نوع التجارة بقدرة؟

كلهم لو تتحركوا بذوق لطردوا الدقيق المر وألقوا به في البحر.

التسعير مرفوع. فلا تفرض تسعيرة على سلعة. أو على بائع.

هذا مبدأ أساسي من حرية التعامل. لكن هناك تسعيرة تشاع في الإذاعة. يطلبها بعض السامعين على أنها تقيق لسعر مفروض يلزم به بائع السلعة المسعرة. وهم معذورون في هذا الظن الحسن بالتسعيرة المذاعة.

أما غيرهم وقد أكر واحداً منهم فلا يظنونها. أو لا يظنونها إلا خيراً يداع لإعلام السامعين بوجود السلعة المعلنة عنها، والإخبار عن ثمنها، وذلك بدليل هو أن الأسعار المذاعة تختلف بين سوق وأخرى، وبين دكان وآخر.

يعني أن فرض السعر يدعو إلى عدم الاتفاق. أما الخبر عن السعر فلا يمنع الاتفاق، ولا يعد عيباً متقداً.

ولكن عندي سؤال تحيرني الإجابة عنه!!
حينما تنجم أزمة في مكان ما، وهذا المكان ما نجلي منه مؤكدًا يومياً. بصلًا، ثومًا، بطاطس وما إلى ذلك. وتحدث فيه أزمة يشمل البائع بجمعية تاجر البضاعة راحته الأزمة ومنعها للاستيراد من هذا البلد. فلا تقاد تمر دقيقة على سماعه خبر الأزمة إلا ورفع سعر البصل والبطاطس!!

الخبر عن الأزمة أذاع في الليل، وتذهب صاحبا إلى "الحلقة" والسوق، وتجد المخزون الوردي قبل الأزمة، قد ليس سعرًا فاحشا. ليه زاد؟.. ما هو يجي من لبنان؟

بكل هذه الجرأة يقول لك. أصبح ما يجي البصل من لبنان.

لم يذكر لأن غيره لم يذكره بأنه مستورد قبل الأزمة. فلا ينبغي له أن يستغل المعنى المتوقع في رفع سعر المخزون!!

الأزمن أكثر مما تحصر، وقد يأتي غيرها، فلعلني لا أبالغ إذا ما طلبت تدخلًا لحصر كل ما هو موجود من أي سلع حتى تعرف على أي أساس تصرف حينما تدعو الحاجة.

إن ترك الخزانة والمستغلين سواء كانوا تجارًا أو أن أكثرهم من غير التجار يتحدين أخبار الأزمات فيدخلون السوق شوائب بسعر ليحجزوا ويبيعوا بسعر فاحش. فما أظن ذلك إلا أنه ضار بالعامة التي تسأل عن زيادة قرش في السلعة كيف بمصارفة السعر. لو كان مجملًا بهذا السعر لهان الأمر. لكنه موجود في البلد قبل ساعة اشتراك واحد بسعر، وبعد ساعة يضاف السعر!!

العامة تحتاج إلى حماية من شيء هو أسوأ من تلقي الركيان.
إن تلقي الأخبار هو من نوع التلقي للركبان، النتيجة منه غلاء الأسرار، والتلاعب بها.

• حينما تدخل إلى مكان - أي مكان - على صاحب، أو أصحاب، تعرفه، أو لا تعرفه تقول: السلام عليكم. تحيه مسلمة. تترعر بها أدياً لدخول المجالس، ويفرض على واحد منهم الرد نبأ عن الآخرين.

هذه الطريقة نجدها عميقة، وعملية في عامة الناس، ولكن بعض الخاصة من الناس يدخلون على مجلس فيه صحاب لهم، ومن أزواجهم، أو معهم غيرهم. فلأ يلقون التحية السلام. كأنهم يريدون أن يمثلل لهم الناس قيامًا؟! إن تعجب فاعجب بأنهم من الذين يفترض فيهم إشاعة الدعوة إلى الخير، ومنها إنشاء السلام. هم يعلمنه في دروسهم. لكنهم في تعاملهم ينسون، شيء من الورم، أو هو الشيء من الورقة البيضاء أعطوهن لأنفسهم. كأنها صكوك غفران تحميهم من العتاب، أو مما هو أعظم.

أسلوب كسي، وكهنوتية لا تليق بأمة مسلمة!!
أو هو أسلوب عنواني على طريقة: نحن هنا...

عجبت.. لكنني ترحبت على الذين كان لا يقوثم ذلك، وسألت الله أن يصالح الأمر لهؤلاء.

كنت مرة أجلس في مكان، فأتقب شيخ لباسه من السواد لأنه من أهل السواد. دخل مجلسنا، وجلس على كرسيه في صالة الأوائل تكاد أيدينا تلمس يديه. كأنما الركبة تحتك بالركبة. أدرت أن أترك الموضوع لا أسبله؟ لماذا؟!.. لكن ورقة سقطت عرفت منها اسمه، فقمت تواء لأعود لحظتها فأجهر بالسلام، فكان أول من رد هو!
عجب؟! إذن هو من العارفين؟! كان كذلك...
هو السيد الجليل العلامة النبي. أحمد شعراء العراق. عضو مجمع اللغة "محمد رضا الشبيبي" قلت له:
- دخلت علينا ولم تسلم. لماذا؟!
- قال: لا أجد عذرًا، فمعذرة!
- قلت له: أولئك القائل:
فخنة الناس - وقينا الفتنة باطن الحمد، ومكنزه الشنا
هذا رجل كبير يعرف أنه أخطأ حينما لم يرد السلام. حين وجد من ينافه. كانت المناقشة حبًا في أن يبقى هذا الخلق - السلام - وكانت الكرامة منه حيًا لهذا الحب.
ما أجمل الكبراء حينما يتواضعون!!

اليوم صنعت لنفسي عملية جفاف أو تصريف.. على طريقة صديقنا "أحمد لاري" - يرحمه الله - كأن يقول لنا: يبتغي على الساكن في جدة أن يضب عنها شهراً إلى بلد جاف.. ياسب لتزول هذه الرطوبة.. ليس عن الجلد فحسب.. وإنما عن العظام!!
وكان رحمه الله يعمل بهذه النصيحة.. إذا لم يستطيع أن يسافر يصعد إلى مكة فينام تحت السماء في الصيف.. يفر من الرطوبة والمكيف.. ويبتغ أن "أمين المميز" سفير العراق السابق قد أخذ هذه النصيحة من "أحمد لاري" وذكرها في كتابه.. وهي لم تذكر من الاثنين عن طريق المعاب.. ولم أسر على هذه النصيحة غير أن اليوم شعرت بصحتها.. فقد
طلعت إلى مكة فشعرت بشيء من الجفاف على الجلد، بشيء من الترقب في النفس.

ولو أمكنني الفرصة لسلكت أسفل النافورة، ولكننا نحكم فيما.

بعد.

نزلت إلى جدة رآيت ظاهرة أعيثتني. فقد انصرف كثير من الناس عن طريق المدينة المزدح، والمضطرب بسلوك السائقيين فيه. فذهبنا عنه إلى طريق مكة.

فمن بعد الخزانات، ترى السيارات، والأطفال والأمهات، والآباء يمرون على الرمل، يسرقون النفقات من فوق الهشيم. لم تعد تصلح لهم أنفسهم لأنها أصبحت "زحمة" أكثرة من اللازمن بها، بالجدران، والاشتراحي الحوضي. كل حوض للفلاشات ألف وعرضه ألف كأنما هي حواجز على البحر. فأنصرفوا من الزحام ومن الرطوبة ومن ضيق الصدر بتحواز إلى طريق مكة. عملية توزيع صنعها الناس لأنفسهم.

هذا لو تمثل هناك ملاعب للأطفال، حديقة كبيرة. وراءها خزانات مباحة للجميع على قسمها، وقسم للنساء والأطفال وقسم للرجال. وجدنا أكثر من اعثى توزيعها أخرى في الساحل الجنوبي يخفى بضغط على البحر، والزحام عن طريق المدينة!

• وكمة مرة كتبت عن التسويق لمنتجات الوطني! ولا ينبغي أن أمل الكتابة عنه، فالجواب يقتضي مني أن لا أنظر وأعرض، لعلني أجد أذنا مصغرة.

هي إذن ثلاث.. وزارة الزراعة.. وزارة التجارة.. ملاك الشلالات الذين يصومن المستورد من خارج البلاد، ولا يساهمون بالدخول إلى
السوق شارين لبحفظ السعر عن الهبوط المجحف، والتصعيد الفاحش، مساهمة وطنية وتجارية.
فمثلًا الفلفل الأحمر، وهو غذاء، ومادة أساسية يحتاجها كل بيت على ماندته ومطبه.
فقبل أيام شرينا الصندوق. وزن خمسة كيلو أو أكثر بريال واحد، لأن الوارد عرض في السوق بأكثر من العادة، بأكثر مما اشترى «الخحضية» يوزعونه بالقطاعي!!
وفي يوم بعده لم يبعد أصيح هذا الصندوق بخمسة ريالات. أي إن الكيلو أولاً بيع بربع ريال، وفي هذا دمار للمزارع، لا تفي القيمة بأجور الحمل وما إلى ذلك، فكيف بقيمة ما أنفقت عليه حتى نزول السوق. وفي المره الثانية بيع الكيلو بريال، وهو سعر متنزقل من سعر الوارد المحجوز في الثلاثات. وحين نقص البارد أصبح الكيلو بريال ونصف وأكثر.
هذا الاختلاف سبب عدم التسويق في السعر والتوزيع على المدن والتصدير لكل جهة ومقدار ما تستهلك.
ومثل آخر أخبرني من لا أذكره. رجل كبير القيمة قال: نزلت إلى السوق كمية من التمر. فعرضها الدلال في المزارع، فكانت سبعين كيساً ثمرة. فرسا المراد بقيمة الكيس خمسة ريالات. ثم بنحس معنا القضاء على عمتنا وزادنا نحن العرب.. النخلة.
ذهب صناع الخل،ذهب الحيوان المعلوف ثمرة، ذهبت الشيكولاتة والحلويات المستوردة بالتمر تلقي به بعيداً.
وسبب يرجع إلى العمالة. والعمال، والتسويق والتصنيع، الاستيراد
المفتوح، لنضع خطأ مشيراً إلى هذه الأمور كحالات ثم تخطط لها علاجًا.

أحسبي لا أنسى الجبن...

هو القليل الوارد، يحظى بفرص تسعيرة جبرية عليه. إنكم لا تسعرون أي منتج وطني غير الجبن في رمضان حينما يشتري الناس كمومس له.

اتركوا الجبن مثل غيره يربح جدتهما الصائعة. الباقية من صناعات الخير.

أحسبي مرة ثانية في نظر بعضهم متجاوزاً ما يفرضه واقع الحياة!

لا. لا. لنحن الذين نصنع كثيراً من الواقع القاهر لثورتنا وجهتنا.

إن الاستسلام لشيء اسمه الواقع، لن يكتب السلامة للاقتصاد وزراعة وصناعة.

شيء من التنظيم يرفع عن كاهل الزراع والمستهلكين!

الإبحاح والفحش. لا ضرر، ولا ضرار!

• القصيم. القصيم. يحدث كل قادم منه عن وفرة الماء، وعن نجاح الزراعة. يضيفون إليه شيئاً جديداً إنه بدأ يصدر ما ينتج إلى الرياض وإلى إخوتنا في الخليج، وحتى صادر إلى بروت. يصدر أكثر من مائتي سيارة كبيرة من الخضروات، والبازنجان، والبطيخ والثوم، والبلص.

هذا خبر بروية كبار وصغار، ولكن هل هو الجديد. خير عن القصيم؟

.. وإذا لم يكن هو الجديد في الخبر فما هو المتجدد للأثر، أو التأثير؟ ..
القصيم على حوض نهر جوفي فيه الماء الغزير الوفير المتتفرق. رأيناه اليوم نستخرجه بالآلة، ورأى آباؤنا من زمن بعيد، فهناك مثلاً في الجاهلية الأولى يقول: إذا سالت الرمة ربة العرب. والرمة عودنا أن يسيل فيرتع طلاب الكلا. أهل النحعة، واليوم... الرمة بدأ ينبع من الأرض لترتع الجزيرة كلها في خيرات القصيم.

كنا قبل سنين وسنين نسمي القصيم «أوكراتيا» بلاد العرب. لأنه الأرض الخصبة. فيها الماء الخصيب كأنها هي حوض النيل، أو حوض المسبيسي، أو حوض السند والمكنج. هذا النهر في الأرض. أعطانا الخبر من قبل، وقد كتب أكثر من مرة عند ذلك. أعيده اليوم لنعرف السبب الذي سمينا القصيم من أجلها «أوكراتيا».

فلكد شهدت شبع قومي في المدينة المنورة ومن حولها من حنطة القصيم... تأتي الحنطة منه بوفرة تغني... كانت المدينة في مجاعة... في حالين مضياً... في الحالة الأولى: لم تك تفتح للحاكمين الجدد إلا والجمال السود تحمل «العدل» الأسود. العيبا السوداء ملائمة «باللقيم» والحنطة. فتأكل بعد جوع، فلا أدرى أي ذهب ذلك الخبر؟ هو لم يذهب من النفس، ولا من الأرض وإنما أظهبه صارف من هذه الصوارف. يجعلنا في بعض الأحيان نأكل «الدردي» دقيقاً مسوساً مطناً، مخزوناً، والأخرى مرتفع الثمن. فوضي الاستيراد، والغفلة عن حمالة الزراع. بل واسمه التفاعس عن معونته، ولا أتهم الدولة فقد صنعت للزراع الكثير، وإنما أريد أن أناشئ فقد صنعت للزراع الكثير، وإنما أريد أن أناشئ رأس المال. ماذا صنع من معونته؟ لهذا القصيم؟ لا أريدها مالاً يصب في الأرض، ولا قروضاً تعطى، وإنما أريده
الاستمرار. بالتعاقد والتوثيق. أريد من أصحاب التلاجات أن يتوجهوا
 نحو القصيم، فلا عذر لهم بعد تنظيف الطريق وتمهيده بخط مسفلت. لاحق أصحاب التلاجات عليهم أن يكونوا المسوقين لهذا الإنتاج، وليس هناك ما
 يمنع وزارة الزراعة - ولا وزارة التجارة أن تتفاهم مع أصحاب التلاجات.
 قبل عام أو عامين اشترى كيلو الثوم بثلاثة عشر ريالاً. وهو في
cيصيم البلاش، والقوة أصبحت في ارتفاع وانخفاض كأنما
 أصابتها أزمة الأسبريني أو أزمة الذهب!!

نستطيع في هذه المدينة أن نستهلك إنتاج القصيم بسعر أقل من هذا
المستورد، وبسعر مناسب يتعش المزارعين في القصيم، قد لا يتحرك فرد
وحيد لهذا الأمر. فالرجال أن تتعرفوزارة الزراعة ووزارة التجارة لتحرك
الذين لم يتحركوا بعد!!

الالتزام ما هو؟

كثير من الكلام يقال عنه، حتى لقد عدنا منه هذا السؤال في باتنه
جوابه.

والسؤال في بابه جوابه هو.

هل الأدب للرفيق؟ أم هو لأكل الرفيق؟

الرفيق مادة بها حياة معدة. وقوم حياة الجسد. لكن أكل الرفيق هو
حياة الحياة، ومادة العيش.

أكل الرفيق الإنسان ليس كله معدة، وإنما هو فكر وقلب واتجاه
عمل ومصير وعراك وفشل ونصر. حتى الموت حياة جديدة بعمله الذي
آقامه. أو بعمله الذي يتظاهر في معاه.
لكثير من الكلام على الالتزام قرأته، وحاولت فيه. وكل الخلاف بيني وبين هؤلاء هو أنهم يفهمون الالتزام على أنه مهيئة نسق الواقع، وتطرد الحاضر وتضع دستور المستقبل. كأنما المستقبل هو الشيء الجديد بذاته لذاته. لا تكون دعائيه على ركائز من ماض وخلق وتراث وتاريخ.

هذا لا أقرأه، فالالتزام أعرفه. هو اتخاذ الموقف لمواجهة الخيال المثل مع الواقع العمل.

الالتزام يعني الثبات على دعائي من مبادئ الجماعة، تشد أزرا وتوائم ما تريد لها من تطور وتقدم. فلا تعصف ولا تتفجر.

الالتزام اتجاه الفرد في اتجاه الجماعة، وتوجه الجماعة للملل التي يراها الفرد صالحة لحاضرها. عملاً لمستقبلها.

أما الإندراوية أو هي الشذوذ بدعوى الالتزام فهذا شيء لا يطرح نفسه مادة عمل. وقوام أحياء.

أما ملتزم في اتجاه الجماعة لتوجه الجماعة. لا لتخوينها أو تهويتها أو الحرب عليها.

وكتبت أحد المُربِبين بنظام العمل والعمال، ظهر في حديث كدعامة من دعائي التنمية والتقدم. فقد منح نظام العمل والعمال المجتمع بجميع أشكاله وأسسه ومراقبه الواجبات، لأنه حدد مسؤولية العامل، ومسؤولية المعمل. فردًا وشركة ومؤسسة ووطيراً.

ومنظمات الأعيان المكمل دربنا لنظام العمل والعمال قد أوضح الحقوق للعمال، فأعطают الرعاية في أشكالها المتنوعة، والمعتمدة، والناجمة عن العجز والمرض والشيخوخة، وتقاعد والعطب وحتى نتائج التعاقد.
فأمسكنا البداية المتطورة لمجتمع نام. لأنه جعل الجماعة كل الجماعة

مسؤولة عن تطبيق هذا النظام المتكامل!

فلن فائدة من نظام لا يخضع للتطبيق، إما لأنه غير ملائم أو غير
واضح، وإما أن يكون هناك رفض من أناس يريدون أن تسير الجماعة على
هواهم، يكسبون التشرف والثراء، ولا يعطون التكليف حق الوقاف بما ينمي
المجتمع حضارياً في عصر تزاحمت فيه المصالح إلى حد مريب ومزعج
ومثير، وترامعت المفاسد إلى حد موجع ومرهق.

إذا المجتمع يشعر بصحة ورشاد حينما يخضع لنظام يحدد الواجب
ويصون الحقوق.

والدولة عرفت ما تريد، وضعت ما يحسن، وأفلحت حينما سبقت
بهذه الدعاة المنمية لبداية التنمية.

إذا التنمية تم بأمان حينما يشعر العامل بعدم الإجحااف. وحينما يشعر
صاحب المال بضمان الاستقامة والأمن بهذه الواجبات التي أعطيته له على
العامل. هي عملية أخذ منه لطعاء. يعني يعني هو مقابل ما يؤخذ منه.

إذا الذين فرحوا بهذا النظام لم يفرحوا لأنه كسب للعامل فحسب
وإذا لأنه تأسيس لضمانات مؤكدة كصمامات أمن.

أما إذا كان هناك من لم يغتبط بظهوره وإبرازه بهذا الشكل والموضوع
المتكاملين، فإنه في ظني خاطئ في حق الأمانة التي هو مسؤول عنها. ...
سواء كان ذلك بالنسبة لعمله الخاص، أو هي للعمل المسؤول عنهم كمدير
أمين يمثل الشركاء والمسؤولين أو بالأحرى من حق الجماعة التي هو عضو
فيها.
ال珕ادم الكامل للذياذ الأستاذ محمد حسن زيدان

العشرات، أو المحامين المستجدين لذلك!!

السطح بعد أن كانت مغطاة!! إن هذا الإبراز سيثير الجماعة بصحة وسلامة ووقاية، الوضوح، والجهر، إنصاف للجماعة نفسها، فلا يأتئيه المغطى بما يفاجي!!

وصحيح أن هناك ستكون عقبات ومشاكل وتأثيرات، فإنها ستأتي من وراء الجهل، ومن عبث المحضرين. ومن استغلال كتاب العشرات، أو المحامين.

لكن التحديد الصريح، والسلطان البيط والقوى مساعدة الحواجز التي تمنع التلاعب والسببل والفساد والفوضى. فالنظم كلمة تعبت القضاء على الفوضى.

أحببه بهذا النظام المتكامل دعامة من دعائم التنمية لمجتمع نامي. يسعى جهده أن يعمر. وإن يحل دون المراهقين سوء كانت من أحلام المحترفين أو من تصرفات الذين لا يفرجون بالتنظيم والتجديد!!

وأسأل الله أن يمنحنا الرضا والقوة لتطبيق هذه النظم على مستوى المسؤولية كواكب وعلى مستوى العصر كتحقيق.

• ونسأل الله أن يتم على جميع العشائر والعروسان نعمه الفرح في ليلة العمر، وفي أيام العسل، وفي الأيام التالية من عمر مديد وحياة سعيدة. يغليها بالماء وتغليه بالعباء. ويتغلبان على حياة زاخرة بالمتغيرات والمتناقضات بالمعرفة والعلم والخبرة والصبر والشكر.

مقدمة لا بذ منها. تدخل بها على الأمهات والأبناء، فهم يأبون إلا الزراعة والزمنية تطر فيهما المصاريف ذاته هبة. لو صانوها لاصونا.
ال كثير من المريح والمفرح والمعين.

تسأل الجدات والدياارات: كيف ما تòصعوها! إيش يقولوا الناس؟
والمسالة ليست في قول الناس. وإنما هي من قول فارغة تزيد أن
تغلب نفسها بقتل فراش.. سهرة ليلة تأكل النوم من عيون الجيران إلى
مسافة كيلومتر مربع. أي مليون متر بالميكروفون المصرف في أذن النائمة.
كأنما الرحمة بالغنه لا يكفي سماحة على الضيق في مكان الحفل. وإنما
الشهرة ما تجيء إلا بإزعاج الناس بالميكروفونات.

في ليلة أمس وفي الكندية أكثر الناس ما ناموا من إزعاج المكبرات
سهرة صباحي. والصداقة الوطني شرع الله با زيد.
من الجيران المريض إما من الحمى من ردد الفعل بالتطعيم. وإنما من
الأنفلونزا أنف العنتزة المستشرية في الدنيا. كأنما الأرض أصبحت مرتعاً
للهذا الداء الناعم النجس. بسيط في مداخلته. خبيث في معاشرته. ما
أكثر شروته في عقابه ومضاعفاته. رفقة بالجيران افراحوا، وغنوا «بس» بلا
مكبرات تزعج سكان المحلة.
• وعلى فكرة. كم مرة نصحتنا المذيع ألا يدخل أمام الميكروفون
بجريدة الأخبار إلا وهو يقرأها قبل أن يذيعها يعني قد بروقة ولو على
نفسه. فقد أعجبني ماجد الشبل في هدوء أصواته!

أزويعنلنا الأخرون عدا بـ«كريم» الغلف كثير، والخوف أكثر. كأنما
المذيع في ريشة. أذكياء وفهمون. وبس» الإعداد ناقش من عدم الكفاية.
يتمشى المذيع فلا يأتي إلا قبل دقيقة من قراءة الأخبار. الحظوة لا
تكفي.
أبوها لا يريد أن يزوجها إلا لدكتور لأنه مضمون الدخل. دكتور
يدفع مهرًا كبيرًا، ويشرب لها سيارة، ويسكنها في "فيلة" ملكه!
كل عقلاء يعيشون هذا الزمان، فعله جد إدراكه، أو كإباع لمطامه
كل شيء بقيمة اسمها الريال، أو الدولار، أو السيارة، أو "فيلة" ولم يدر
أنه بهذا قد جعل ابنه سلعة أعلى ثمنها كان هو يطرد الشارين لها. فهذه
الاشترادات لا تمكنه من التخيل. وإنما هي تستمم من باعلانها على كل
خاطب.

إنه يعطل الحياة. بعض فئاته، بينما فئاته قد تعلم ونضجت، وهي
حرية على أن تزوج. كانت ترضى واحد من الذين ردهم وأفسهم بهذه
الشروط. وزاد شرطاً عندما لم تكن بعض أصدقائها هو أن تنعلم شؤون
البيت. ينبغي أن تجلس في البيت عامين حتى تصبح مست بيت. أضاف

هذا الشرط على ابنه لبلا تكون عليه حجة بالشروط الأولى!

وتكلمت الفتاة مع الراحين لها، وتكلموا معه، ولكنه لم يبد أي
حجة. هي شروط يفرضها هكذا، وإذا ما غليهو برغبتهما قال: "بنتي ما
تدري عن شيء... أنا أبغي أضمن له مستقبلاً حتى يعيش في غنى!".

- قال له واحد: هل المال هو الضمان للزواج؟! لحضور أن طلقها
أنه لم يجدوا راحة، ولم يتم لهما وفاق، فهل تجد في المال تعويضاً عن
الزواج؟ إنته تتخيل لنفسك زوجًا تباهي به ولا تتخيل لابنتك زوجًا
يسعدها!

- فقال الأب: "أنا أعمل بكيفي... هي بنتي وأنأ أدرى...!

- قال له صديقه: هي بنتك أمها، ولكنها بنت نفسها ومستقبلكي اليوم.
لا تجدف ضدد التيار إذا جاءك خاطب اسألها هي فهي تعرف الناس لأنها
وصلت إلى السن التي تفضل فيها معرفة ما يطيب لها!

وسمعت الفتاة هذا الحوار فسكنت آلامها، واجأت لأبيها تقول له: لا أريد "فيلا".. لا أريد سيارة. أريد زوجاً طبيباً أعنيه على الحياة، ويسعدني في الحياة!

فسمع الأب، وذهب لأصدقائه.. كلهم قالوا له: الحق معها. فخطأ من الآباء أن يفرضوا ذوقهم، ومبادئهم على مصر الأبناء والبنات.. يكفي أنك أحسنت التربية.. يكفي أن تعطيها فرصة.. تهمها لها الآن. فإنما نخشى أن تفوت عليك وعليها.. فإما أن تبقى البنت عائساً، وإما أن تزوج نفسها على يد القاضي!

ما زالت المشكلة معلقة. لكن الأمل في حب الآباء في ألا يكربوا الأبناء على ما يضطرونهم إلى شيء من الخروج أو العقوب!!

وأما أخباره إلا رواتها...

مثل عن حكمة تقبلناها أول الأمر آملين أن يرددع رواه الأخبار.. رواة الأخبار حينما يتخفضون قد يفرحون بين المرء وزوجه، بين الصديق والصديق. وقد يرتفعون على مقاس الحجم.. حجم الأخبار التي يرونها، وحجم السامعين الذين يتلقونها فيخرون العامر على هذا المقاس أيضاً.

والشيء الذي أريده الآن، وقد عمت به البالوى، ألا نلهم رواة الأخبار، ولا نرفضهم، فهم من الكثرة، تعينهم الأوضاع الممزقة في البيت والأسرة والعمارة ذات الشقق، والحياة والمدينة، والمجتمع. فالتمزيق فيها ما هو إلا معامل لتفريخ الخبار ونشرها والعمل بها والشتات منها.. فالبغياء (ونير العسل) أو زيد الشيخ كأسه.
الواجب الآن أن نغلق آذاننا عن السمع.. نرفض الخبير قبل الخبر
لنهاذا.. لستريح.. إن الرفض لهذا كله يعني نماء الثقة.. قتل الشك...
حين تنمو الثقة يفقد التمزيق كل مادة يمزقها.. ينمو الحب تطمئن النفس...

هذا الرفض.. علمت كيف أن الرفض.. قال سباحته وتعالى في محكم
التنزيل: {إنها آذانك عامة إذ جاءتك قبضتك.. فرميها قبضتك.. أن تضيعه قبره، إياه نداً}.

الحجرات: 6 صدق الله العظيم.

بعث الوصول ولد بن عقبة إلى بني المصطلق يجيب الزكاة منهم فنظر
فإذا جمع لم يثبت.. ظن الجميع المناوئ له.. المحارب، فرجع إلى النبي
يخبره أن بني المصطلق تجمعوا لنكر فخاف أن يفعلوا به شيئاً فرجع.
وجزع رسول الله ﷺ، فما ظنوه إلا أراها بشد الحملة عليهم ليرجعوا عن
نكرانهم، فأدرك رحمة الله رسوله أن ينتهي الأمر به إلى خير كاذب، وأن
يدرك المؤمنين آلة تنتهي حياتهم في كاذب، فإذا طبيعة من بني المصطلق
تفرست الأمر فعرفت ما يجلبه رجوع الليل دون تبيان الأمر، فأسرعوا إلى
رسول الله ﷺ يقادمون بالطاعة، ويعلمنون القسم بالإيمان، ويذكرون ما أخبر
به الوليد، فنزلت هذه الآية تصدق المؤمنين وتفسق العجلين الذين يخبرون
الخبر الكاذب بسوء الظن.. سواء قصدوا الفتنة لتعمل عملها، أو جاءت
الفتنة عاجلة بالفعل العاجل منهم وهم لا يريدون!!

أحسب أن رفض السمع للأخيار من تقوى القلوب!!!

• هناك مثل يقول: من أحب نفسه كرهه الناس!

مفهم ومعلوم.. بينما هو لا مفهوم ولا معلومات عند الذين يمارسون
الحب لأنفسهم طارحين وراء أظهرهم كل الاعتبارات واللياقات والترامات
على حد المفهوم لدى عمنا وصديقنا القديم يرحمه الله الفنان الصيدلاني
الشيخ "جميل ودل".

أنت تحب نفسك هذا صحيح ولازم ولا نكران عليه. فمن لم يحب نفسه لن يحب الآخرين. حتى حب الولد هو من حب لنفسك. لكن المقصود هو "آانا" ويس عنزة ولو طارت من سرداب، في خندق، لا يستطيع أن يتحرك فيه إلا الخفافيش.

فمثلاً إذا جاءك رب أسرة، يشترى الناقة بمفتاح ويضع المفتاح في جيبه، أو يربطه على "الكبة" كما قالوا عنه، فهذا أحب نفسه وحرم عياله من الماء البارد.

إنه قد غرس عقدة في نفس كل من طعض وشرب من "الزير"!

ومن ثم ذلك الذي يشترى المحم وحقاد واللثب والفناجر، فغلق عليه الثلجة، أو الدواب، لياكل هو دون غيره.

فإن الذين معه سوف لا يحبونه. لأنه أحب نفسه - الآنا - فقد العقد في نفسنا! نحن...

والعناد يرأي رغم التبصير بالخطأ، والدواب على الزولات رغم الدقات والضربات، هو شيء من حب الذات "آانا" يجعل الناصحين والمشففين والرايعين ومن إليهم في عقد من كراهية هو صنعها، ولم يحبوا عليه، ولم يجلوهوا لذبحهم.

حذر حذر، من فرحة تطغى على الاعتبارات، ومن ترحة ترزا بها

• حمار، بلغت القيمة المدفوعة ثمناً لبيعه أكثر من خمسة آلاف جنيه.
ذهبًا مستورة على سنادات مكتوبة فيها مبالغ متعددة. قرض حسن برد عند الطلب.. كل سناد بقيمة ثمن الحمار.. اشترى وقبضت الحمار بمانة جنية، باقية في دمتي لصاحب الحمار فلان. 

وهكذا بلغت خمسة آلاف جنيه قيمة الحمار وهو لم يخرج من العزلة.

بيع الحمار بمانة توافق بسناد مشهود عليه.. محدد فيه الأجل، أو مذكر في القرض الحسن.

وبعد توقيع السناد يقوم شاري الحمار بمسك برษته ويجبر أمتارًا ثم يعود به قائلًا: عدلت عن شرائه.. أبيعك الحمار وتعطيني الثمن.

ويشتريه صاحبه بقيمة لا تبلغ الربع أي خمسة وعشرين جنيهًا يقبضها الاتاري الأول "المدين" من صاحب الحمار الفاتح بنكًا متفقاً يفرض الناس ويبنفهم على طريقة بيع الحمار بثمن فاحش ويشترى بثمن مقرر لا يتعداه حمار آخر.

حيلة على الربا، يضطر لها من يستدين حتى موسم الحج...

هي ربا ومقامرة واستغلال.. وأخيراً توقف كل مدین لا يدفع.. ذلك شيء باهظ.. لكن الوثائق مشدود، سناد مضمون. ويدفع أولاد الحلال بالحل صلحاً. يدفع النصف.. وهذا أيضاً كسب بقيمة كبيرة قيمة حمار.

والحمار أمثاله كثيرة وكثيرة.. تلك طريقة قديمة في الربا والاستغلال.. ولعل الزمن أثبت طرقاً جديدة في هذا الشأن.. والتحارة أم الاختراع.. "والشبعان ما يفت على الجيعان، وإن فت فلأمر ما باعت سمسساً مقشورًا بغير مقشور".

وصور أخرى من التي ينتجها الزمن. صور العم "جعيدان" كان في
الحوس، ويسكنه المتحضرة أي دلالو الفحم، فيصف أحياناً أن يهبط جلابة، وليس عند الدلال ما يقدمه عشاء لهم، فيذهب لعم «عبدان» يستقره أرازاً وسمناً ولحماً، أو دراهم.

ويم الأمر بشراء فحم تعدد أكياسه عشرة أو أكثر، بأكثر من خمسين مجيدية. ثم يبيعها الشارى المقترض كعملية بيع الحمار بمبلغ عشر ميجيديات يقبضها نقداً. يشتري عشاء الضيوف ويكون قد كتب السند بالخمسين ريالاً.

صور بدائية، حمار وفحم. فهل هناك صور حضارية، ارتقت وساحتها وتسارت غاباتها؟

الفرق في الأسلوب، أما النتيجة فواحدة.

- قال: ليست هذه شجاعة، كما أن الحالة الأولى لم تكن إلا شجاعة الجبن، أشجع لأخفي محاسني، وإخفاء المحاسن مرهق، وأجبن أن يرى أحد مسانوتي، حتى ظهر «فلان» فأعطاني أن أكون أشد وقاحة من جبان، وأقوي وقاحة من شجاعة، فمن الضروري أن أظهر المحاسن لأنتحدى الذين يعيشون مسانوتي، ومن الإحسان إلى نفسي آلياً، بما يقال عن المساوية، فأننا بما أظهر منها اتحدى الشمالين. كنت لا أستطيع ذلك قبل أن يظهر فلان. ولكنه - حفظه الله وتعني الله بطول لسانه - وزاده فضولاً على فضول
هذا الحقيقة قد لا تتفق الناس عنك، أو بك، فإذا استطعت أن تصوغ لنفسك الأروح بما لهذه الشجاعة التي فعلت فإنك تكسب الاحترام.

فالناس قد لا يحترمون من يحسن إليهم بقدر ما يجعلون قاهريهم!

هذه الوسيلة لتصورن صورتها لوجدنا أنا كثيراً من الناس قد وجدوا

السلامة في إذاعة متعاتهم، وإشاعة الشتائم عنهم.

- وكتبت أشتري السمك!
فوقعت أفخض عن المقشر حول الضحل يقشر فيه. فإذا بأكواص من الزبالة على الضحل. وإذا واحد من هؤلاء يفخض في القمامة فوجد سمكة من النوع الناجل ملقاة على الزبالة. أي إنها زبالة فأخذها يسهمها. ثم مضى يodemها كشيء طيب وصرخت فيه: ماذا تصنع؟ ارمها. ارمها. وقال: هي ناشفة.

- قلت: إنها من القمامة. تغش بها مسلمًا أو تأكلها أنت! وخفف مني كأني مفتش بلدية أو هو استحى. فألقي بها في الزبالة.

وعزمت ألا أقوم السمك في هذا المستنقع. أقشر فيه البيت.

**

- الحجر الكبير يضعه صاحب البيت في جانب الشارع المسفلت يحمي جداره. يصنع العجب في إرباك السيارات. وكلما رفعته البلدية أعاده شيء من الشعور بإحساس الآخرين، وشيء من الرحمة بعدم الضرر بالآخرين.

- قال له صاحبه: ولدك يصل غداً إلى جدة. فلمي رأسه وقال: أدري. أدري.

- وقلت له: ألا تسعى لمقابله في المطار. إنه قادم مع الكبير...

الكبر. فقال: لا.. لا.

- قلت له: قسوة. لقد كتب الله على ولدك الرضا لك وكتب عليك الرضا منك. الطاعة منه، والرحمة عليك. فارحم برحمك الله وبرحمه. ودمعت عين الأب ونزل يقابل ابنه. فإذا هما على صفاء بعد جفاء
كلمة خير تذكر بها... لها أجرها ولها أثرها...

سمك يأكل السمك... أما السمك فيأكل الأسماك، والحيتان، والديدان، وقد لا يتورع عن أكل بعض السماكين.

صراع الحياة في البحر والبحر. أكل وذئاب.

السماك ليس هو السارق، ليل وفجر... يصطاد ليأكل، أو لشيئي قوت
عيانه بالثمان الذي بيع به صيداً... السماك الكبير هو غير من صيد... هو الذي يتصيد الصائد بأي أسلوب. السماك الصائد قد يكون هو العجوز صائد الحوت... عجز عن حمله في "الهوري" فرقبه ورآه يجريه، فإنه
القرش ينشق مزقاً حتى إذا وصل لم يجد شيئاً! مسعود أن يضع جهد في
ساعات منظدة إذا طلع النهار طلعت الخيبة معه!

تلك هي سخرية "هيمنجوي" بالحسرة القاتلة له ضد الغوا الناهضة
القاتلة لحياة الذين لا يجدون سمكة يصيدون، أو هم إن وجدوها أكلها
ناهش مسعود، أو هي عاطفة قد برزت من عتامة الظلمة تعيش فيها حياة
قومه هو منهم في كل حين، وهو لهم حتى إذا غضب منهم... ذلك أن
الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من الذين هو منهم حتماً أن يكون لهم
عاطفة ساقته إلى ذلك في استمرائه... جامعه من إفراز النشوات
والبهوثات إلى صحوة الإنسان... يصغر ضميره لحظات... يترك فيها
الخطأ الكبير وهو التعبير عن إنسانية الإنسان!

الضمير عند الأخلاقين خلق ولم تعزقوه به لكونه الآن هو نقطة
الضعف... لا يمزق الأخلاق فقط وإنما هو تمزق الخليقة حين أنهكه
بعضهم كشيء في وجوده. حين حاربه بعضهم كشيء لا ينبغي وجوده.
حينما سخر «هيمنجواي» أسرع الناهضون الذين كربوا بهذا الكتاب فساقوه إلى «القرف» منهم. « فالقرف » من حياته. فإلى الترف - كما يزعم - في ميتة متحورة!.. انتحر الجسم ويبقى الكتاب، وما زالت الكلمة تصارع.. تنهر الناهضين.

إن هيمنجواي صوت كبير لم يستطعوا صيده.. فصاد هو نفسه باستقلاله على الساحل يتمرز فيه ليتنحر كإملان عن السوءة التي حدثت في مرقبه داخل مغارة الحينان، في جوف البحر. حوت ما أراد أن يتنحر في البحر فالنهاش فيه طبيعة. أراد أن يتنحر في البحر لأن النهاش فيه صناعة ابتكرها الإنسان فغليت على طبيعته!

- في أيام زمن كانوا يختنون أولادهم الذكور وهم في سن كبرة، بعد الخامسة أو حتى السابعة، يخافون على الطفل الصغير.. وهم معدونون.

أما اليوم فالنهاش في اليوم السابع عند الطبيب بدلًا من الحلاق.

الطب تقدم.. والطبيب موجود!

وفي حفلة الختان يعملون «زيته وزنليطة» على طرقية ما يدونه «الجبرتي» وهذا لا يهم الآن! فالهم هو أن الطبيخ المشهور لعمل الأرز بالحمص كان ماهرا في سطخ الأرز. فهمما بلغ من كيس أو مدع ومهما كثرت خلوف الضأن فهو مجيد. غير أن فيه واحدة فهو غالبًا ما يحرم عن غذائه من هذا الطبوخ بيده. يتركهم يغرفون ويذهب هارباً. لماذا؟

إذا أحد الخبائث علق وراءه بذناتية «حمراء» أو لفظ اسمها، فإنه يجهن وترك الطبيخ ويجري هارباً، يضرب كل من هو أمامه.

كانوا يقولونها أو يفعلونها قبل أن يبدأ عمله.. فيتركه ويعطش الحفل.
في عهد عقيدة من اسم البذنجان!

كما العقدة التي عند بعض الناس من اسم «شوقي» إذا ذكر اسم شوقي. جنوا الجنون البذنجاني كما شرشورة!

من يطلب لكل مثلي .. من يعرف مثلي .. أنا أبو الحفلات الخنانية.

والأعراس غير البذنجانية!

وقد فعلها «شرفية» في خانق قريب لنا. قلم بأكل الاثنين إلا بعد العصر، حتى راحت زحمة البذنجان في أعصاب «شرفية» وحتى وضع صاحب الحفلة حرساً يحرسه يمنع رؤية البذنجان عنه.

وجين قال: تكميل. زعق شيطان .. بذنجان .. بذنجان .. فأقبل بالعدة على الأرض، وخرج يجري. لكن الناس غرفوا وأكلوا.

هكذا العقد تفعل في صاحبها ما يجعله الجنون حتى لو كانت العقدة آرية عن شوقي!

كما هي العقدة عن غيره في نفس تتوهم أنها نابحة القمر!

- قال أحد القادرين من المدينة المنورة:

إن الصيف ويعني الرطب متأخر شهراً عن كل عام مضى!

قلت له: إن عهدني به أن تترفعوا من صبرانكم .. أو صبرانكم في أول يوم من السرطان. يوم 21 يونيه، ويتولى كل يوم في الزيادة بعد الحليلة يأتي ما هو أطيب وأنعم وألم.
قال: إن شيخًا من العارفين بأنوح عمتنا النخلة هو الذي ذكر لي عن هذا التأخير. وما العلة؟

السبب هو الرياح. الغيث. المطر. فلم تعطش نخلة. تستجمع في الجفاف قوة العطاء فقد شغلها الحمص وأهلهها الرضاعة من الرى أن تعطي ما يكمل به النضج للسدي فالزهو فالرطب.

أهلكذا يفعل المطر؟

وأخذت أنظر حوالي وفي جدة توجدنتي أقطع إلى شجرها. النيب؟ ليس فيه الدلالة فهو الأخضر كل يوم!

ورأيت البنسيان قد ازدان خضراء كأنها هو الورق الجديد نبت بعد أن حط ورق قديم. إن هذه الشجرة شجرة الشتاء، تمرع، وتزهو فيه، خريفها الصيف، كيف بقيت خضراء في الصيف على غير ما عودتنا؟ أهو المطر إن عبت به، كأنما هو قد بدل البيئة تحتها وقوقعها وبها وعندها ولها؟

سؤال أطرجه على العالمين بالزرع والشجر. أرجو الإجابة عنه.

فقد زرعنا الذرة وهي صيفية، فلم حصدناها وجدنا تحتها في ظلالها من الحنطة وهي نبت الشتاء ما يبرو على أربعين كيس حنظة صاحبة صلبة كأنها في وقتها، كأنما الذرة ومن ظلها وبرده قد صبرت الأرض المثير فيها القمح بقية "الجريم" بيئة صالحة نبت فيها الحب. حب الحنطة، النتائج أماننا، والعلة واضحة. فهل هذه من ذلك.

الحمد لله على الغيث. أغاث النفس والأرض والحيوان حتى الأبدان أغاثها بهذه المطاف، قهرت الجوزاء أن تكون كأعوام سبقة.
وبما كتبه "العكاظيون" عن الرشوة... كأنما أمكنتي يدي
النهائية الحتمية لها.. فشيء طيب وحسن أن تعالج الداء... نعرفه... نصارح
المرض.. نصييح العلاجشقفاً به.. نصييح العلاجشقفاً به.. نصارح
المرض، وتخطط للمواقيت منعّاً لتفشي المرض.

ولعل بعض المرضى - ولو أزمن مرضهم - يفتشون عن الشفاء
بالقوى.. بالقوة.. بالثقة.. بالمرح.. بهذا الإسلام حرم عليهم الرشوة
ليكونوا المسلمين.. يسلم إخوانهم مما تفعل شهورهم وتستبيحه أبداؤهم!

السرقة ملوّنة.. كبيرة، والرشوة سرقة، بل هي شر منها لأن فيها
العنوان المتبيح.. فيها الفشي الوقح حتى ليتيم بعض الجهلاء من كثرَة ما
يرونه من أثارتها إنها الشيء السامح!...

هي سرقة جميل من يد طمعاً في المزيد، وإغراء لصراعها.. يتساقطون
حولها كما يستقبل الدبّاب على القذارات، هي سرقة الواحد من أخيه حتى
لتكرر لتكون سرقة الواحد من الجماعة.. أي من الناس العام حتى لكان
الراشي هو الراش في الوقت نفسه لأنه وسيط الصفة.. لا دافعها. هو
يدفعها شكلاً لأنه الوسيط فيها موضعاً وفعلاً أما الخامس بالفعل والنتيجة
هي الثروة العامة.. فكاننا الدولة التي أقامت الأمر مضروب مثل في الدنيا
كلها أخونها إذا ما ارتيشتن، وهي التي تأمني بهذه الرشوة أحسن من الفساد
إفساداً!

الخامس بهذه الرشوة هي الأمة كلها يسرق أبناءها مال أبناءها.. مال
بناتها، والخامس بعد كل ذلك هو الراشي نفسه يعيش في مخافة وعذاب
من هذه الأسباب تشير إليه.. وحتى ليندس في نفسه من نفسه!.. يخاف
صورته في المرأة.. ليست مرآة من زجاج إنما هي عيون الراشي
والمشاهدين والسامعين، والرائشين والحياري يرجون. يرجون الهدية للجميع!

تفاؤلوا مثني. فمقاومة الرشوة، والقضاء عليها جاهز نظامها. موجود.

سته الدولة، والأمل كبير أن يتم تطبيقه. هو نظام! من أين لك هذا؟!!

إذا نظام «من أين لك هذا؟» ليست بدعة، وليس هو تقليداً لأحد فيه إلا للدولة الآمنة المطمئنة. آمن شعبها بها. وما أحسن، وما أكبر أن يأمن كل شعبها. هو سنة الخليفة الراشد سيدنا أبي حفص الفاروقي عمر بن الخطاب. الإمام العادل رضي الله تعالى عنه. الذي حكم بنظام الإسلام ليعطينا الدروس كيف ساد نظام الإسلام. ليمحو الكذبة أن الإسلام دين فقط. سلطة روحية فقط. إنه دين ودولة، وعمل، وسيف.
حديث الجدات والعجائز

يتكلمن أنني منذ زمن سمعت كلام العجائز. لا لأني فقدتهم، وإنما لأني بعيد عنهم نوعاً ما!...
لكن العجائز من الرجال يظهر ـ مرة أخرى ـ أنهم تركوا كل شيء وانشغلوا بأنفسهم. أما جدتنا فأكثر ثباتاً على "الدقة القديمة"!! ـ قالت إحداهن لواحدة من البنات: "اعقلن يا بنت. ترى الصرعة ما تفعل!".
ـ قالت البنت: "ليه يا ستي. أنا ممروعة?!!".
ـ قالت: "فيه أكثر من هادي مره. تكسر كلامك زي ما تكسرك أجنانك! هو لسانك اللي يتكلم ولا أجنانك!! الصرعة ما تصلح. ترى اللي شووف بخته. لا يسويها تحته!!".
ضغحك غيرني حينما سمع ذلك حتى الفتاة ما بكت. اعتبرته كلام جدة "محرفة" وراحت تلعب الحيلة، أو تتكلم في التلفون. تسأل زميلتها سؤالاً في الجبر، اليوم البنات جدهن جد، ولعبهن لعب!
لهذا.. النجاح أصبح ظاهرة فيهن. أما أنا فحين سمعت كلام العجوز تذكرت بعضهن. تعطي إحداهن الفرصة لتفعل ما تجد، وهي تفعل ذلك وتجيد إذا ما بقت على ما تحسن. أما إن تخطت ذلك لنقلد غيرها. إما
يصعب في النقوش، أو بداعة من الغيرة التي هي في المرأة أكثر. فإن هذا يصبح «مرواية» أكثر!!

لتدع أن تكون ظاهرة، فإنها حينما تدع ذلك يصبح ظاهرة... بالوقار...

بالإجاد... بالسلوك المتنز!!

وذهب استقرئ حالات أخرى... وجدت الكثير لكنني ما زلت في الكبير أعش... ذلك هو حكمة العنان.. حكمة الجادات.. أما الرجل العجوز فأصبح خاوي الوفاض لأن «الدشة» والقلق النهاري أضاعا منه حكمة الليل.. في «البلوت» حيناً، أو في أي شيء آخر...

لقد سلمت جداتنا إلا من الجد.. فهن أشد صرامة، وأشد ملاحظة للحكمة...

إن الجدة في البيت رحمة وصيانة.. لقد رحمت فناها حينما انتهيت إلى أن «المرعية» ما ترعى.. «المرعية» ما هي صنعة.. يمكن تكون صرعة تستر بها الفراعة!!

• بعد ظهر أمس رُن جرس التلفون، وجرى الكلام بين جدة وحيدة...

- قالت الطالبة للجدة في بيتنا: «من العائدين.. كل سنة وأتشم بخيراً!!» فأجابتها:

- «محرم خاص، فأي عيد؟!!» قالت: «بابريل.. أنت لا تعرفين أن اليوم أول إبريل؟!».

- قالت: «وما شأني بابريل!!» فأجابتها العجوز الطالبة التي تقلد أحفادها في تساهات أول إبريل: «ألم يكذب عليك أحد اليوم، أو لم تقرألي على أحد؟!!".
قالت جدتنا: "الكذب حرام. أعود بالله، أتريد أن أكذب تقليداً لغيرنا واتصرف بهذه الرقاعة؟!"

قالت لها: "ما هو ضحك، أنا اليوم صحيت من النوم على الهاتف وجدت فلانتين تنادي: تعالي يا أستيه أنا وحاجة جداً. ماني قادرة أتكلم.. فأسرعت إليها فإذا هي تضحك.. كذبة إسرائيل!"

هذه المحادثة التلفونية جرت حقاً بين جدتي. لم أزيد فيها، لكن المفجع أن تأتي كذبة ليس فيها مثل هذه الادعاء. كذبة مفجعة تسبب بالصدمة العصبية، أو بالشلل، أو بالإغماء، أو بالنكت المفجع، فمن الظلم أن نكذب هكذا...

سمعت ما وقع للاخ يوسف شابو. ناداء أحدهم بالتليفون وقال له:

"الأثيوبي العائدم للمدرسة اصطدم، واتسروا البناء، وقالوا إن ينطلق نقلوه إلى المستشفى!... فصعق الأب يوسف شابو، وصعقت الأم، وأغمى على الجدة، وخرج الأب والأم لا يعرفان طريقهما.. يطرقان أبواب المستشفيات يسألان عن الأثيوبي المصطدم والبناء. .. لم يجدوا شيئاً، فاظفنا قليلاً، وذهبنا إلى المدرسة، فوجدنا البناء في خير ونعمة. .. ولم ينته الحادث بعد. أحدث عقابه السيئة من رذد الفعل في نفسههما، ومن فعل الفعل في جدتهم. .. أخذوها إلى المستشفى يعالجون إجماعها!.."

أهذا يليق؟! لو كنت مكان الأخ يوسف شابو لسألت عن هؤلاء الرقاعاء وتقدمت بشكوى إلى الإمارة لأخذوا جزاء ما صنعوا. .. وأنا أحدهم:
"هل تجزي الحكومة من يفعل ذلك؟..." قلت: "لقد دفع الجزاء عمر على نفسه من نفسه حينما فعل ما هو حق. لكن الرحمة فيه جعلته يدفع الجزاء" عمر أمير المؤمنين حاكم دعا امرأة لقضية لكنها روعت بدعوته
 فأجهضت فلما سمع عمر سأل أصحابه: «لقد دعوتها، فروعت فأجهضت فيلما قلت جنيتها؟» قال الكثرة من الصحابة: «لا... ليس عليك شيء... وإنما أنت حاكم دعوت امرأة في قضية. وكان على كرم الله وجهه حاضراً لم يتكلم، فسأل عمر: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: «أنت روعتها فقتلت». وجلست إليّ أفسر لها حلمك رأته. كانت جدة قد وصلت إلى سن اليأس.

قالت: «رأيت في المنام موسي. سألت من هذا؟ قالوا: موسي عليه السلام فار تعدت هيبة وإجلالاً لاسم نبي وصوت نبي».

قالت: «هذا خير... كنت كاربة في ضيق وشدة، وهذا فرج لها... فموسي كان فرج الكرب عن قومه... فارتاحت وطفح سرور على أسرتها وذكرت لنقول: «وقبلها رأيتها مع الناس وهم يقولون لي: أنت مكروا، حبل، سمتليدين»... و كنت أقول لهم: «لست حاملًا، لا أشعر بحركة الجنين». فما صدقوا وأصرموا على أن حامل... ثم رأيتها نساء...».

قالت: «لماذا لا تسلكي السرير الزمني؟».

- هذه مفسرة لرؤيتك موسي... فالنفس فرج، ما تأكد بولاده الطفل...

فأكدته رؤيتك لموسي».

- «أبشرني فيبأني إليك الفرج تسرين به وتحملين معه ثقلاً... فموسي حمل قومه أثقالاً وإن كان فرجاً عليهم... والطفل يحملان أثقالاً وإن كان فرجاً لك... لكنها أثقال معينة وتبعات تحملتها في سبيل ولد أو زوج أو قريب».

ورضيت فرجة بهذا...
فهل عند مفسر الرؤية خير يصدق به تفسيري أم لا؟

قد يقرأ واحد لا يصدق الحلم والرؤية فهذا لا شأن لنا به...

ولكننا من المؤمنين بصحة الرؤيا، لقد جاء مصدق ذلك في القرآن والسنة.

حتى صاحبهم فرويد لم ينكر ذلك وإن جاء يعمل ليكن ما يقوله صحيحًا في اخبار المختصين في الشعور الخفيف. ولكن ما يقوله صحيحًا في الأحلام العضوية. لكن الصحة في عقيدتنا عن الأحلام الروحية في كشف الروح من صفاء الروح...

هذا هو ما نصدق وما نؤمن به.

فكم رأى أناس فصدقو الرؤيا، شيء واقع لا ينكره إلا من فاته صفاء النفس.

- صورة في حكاية ترويها لنا جدانا حديثاً، وأشياخنا حديثاً آخر. نتعلم منها حرصهم على صون ما ورثوا، ونصبحهم للذين ورثوا.

أشياخنا في القصص يقصون علينا هذه الحكاية:

قالوا: إن رجلاً أتاه الله صحة في الجسم، وكفاءة في العمل، وإرادة للعمل. يملك مزرعة في كل عام يزيد فيها وينييها. قدم لها كل فه وعلمه، وماله. فمنه، وعمرت وأمروته وأفرعت. وأثرت، وأثبتت من كل زوج بهيج. وكان يعشق النخلة كأي عربي يحب عماته النخل. وفي أواخر عمره خاف على مزرعته إهمال الأبناء يصررون عليها. إما بإسراف يضيع، وإما بكسل يعيب! ففكر في موعظة يعظ بها أبناءه. لكن المواجهة بما يريد صعبة لأنها لا تفيد، فاختال عليهم. قال لهم:
• رَبُّ كَلِمَةَ قَالَ لِسَاحِبِهِ: دَعِيَ
وضربوا لذلك مثلاً. جعلوا منه حكاية، تحكيها عجوز من كثره ما تحمل أصحت تتخفى سرد الحكایات.

وهكذا الفرغ والسام يصنعان قاتلهما. مع أنهما ما دخلنا نفسل إلا أرادا قتلها.

قائل الفرغ والسام هو المشغلة بشيء. أي شيء فالعجز مثلا لا تعرف القراءة، ولا تقدر على عمل اليد، فالخرج هو في عمل اللسان، في حكاياتها. تجمع دنيا حافلة بسيرة من هؤلاء الأحقاد، تسمع منهم وهي تحكي. آه.. آه.. أه. كمان. كل تأمية، كل استزادة شحنة قوية تقوم بها نفس العجوز فلا يبقى لديها فرغ، ولا يبقى في نفسها سام، أو قلق أو كأية.

والفرغ باعث الجنون ألا يقتضيه، فإن عز العمل لطرده، أو الكلام لقتله فهناك أحلام البيقظة (!!) فقد تكون وسوسة، همسات النفس لذاتها. لكنها على خفيف فهي طائرة الجنون.

إن أحلام البيقظة قصور في الهواء، وثروة من سراب، لكنها تفضي على أوجاع الحسرة واليأس.

سرحة النفس والخطر في الأمام تطرد الموجمات.

- قالت العجوز:

- كان الفلاح يبني على حمار وثور. يسقي نخيلات. غير أن الحمار الذي يبني عليه يزيده كرباً بعمل خرج "المجار" السماء، الماء للشرب، الحجارة، فشكى إلى الثور حاله. فأشفق عليه الثور وقال كلمة:
قال: "تمارض. لا تأكل فإن صاحبك يخشى عليك الهملاك فتستريح.

أياما".

سمع صاحبهما الكلام، فالعجوز تقرر أن صاحب الحمار فهمه

لغة الحيوانات.

فجاء وشد على الثور عريته، وجره يعمل بدلاً من الحمار، فنهى

الحمار شامئاً في الثور.

فخرا الثور بسملته يعرف لمالكه ويعترز له، فعفا عنه وجر الحمار

على قفاه يغسله مضافاً جزاء له.

وهكذا، كلمة قالت لصاحبهما: دعتي، لهفة الشماتة، أعادت الأحمق

إلى الإرهاق.

• حكايات العجائز من جداتنا تبدو وكأنها من لوازم (كلمة ونص)

تعود إليها ضرباً لعله نذكروه ونبصره. لعله إن لم يطبق الفعل، أو لم يأت

على المجز يصل إلى حد الإشارة تغيي عن العبارة.

- قالوا. إن رجلاً أعوزته الحيلة في بلدة، ففتق له ذكاؤه أن يهجر

أرضه إلى بلدة مجاورة فيها أتاه يمكن التفاؤل معهم أو استغلالهم.

وانتخذ صمحة الدرويش، فطلق له كثيرون. هذا يضع عنه أمانة، وهذا

يأخذ التسح منه. الأمانات ترد والتصح يفيد. عملية الذكاء وعن حط

مرسوم. عشرات تعاملوا معه فما أنكروا عليه شيئاً

وحان الوقت ليستغل السمعة الحسنة غرسه له في مهجره. فأخذ

بتربيص، بتحين فرصة حتى واتبه على بد رجل جاء يحمل كيساً فيه ألف

دينار. يضعها أمانة عند الدرويش! فأخذها منه. وأحضروا له سجلاً يقيد فيه
الأمانة، ومشى يكتب وهو لا يكتب. يصرح لصاحب الأمانة أنه حريص
بينما هو لم يضع رقمًا أو حرفًا على القرطاس.

وعاد الرجل يبغي أمانته، فتشثر الدرويش الدفتر لم يجد فيه شيئاً لأنه
لم يكتب فيه شيئاً. فاغلظ الدرويش القول لرجل يطلب ما ليس عنه!

وذهب صاحب الأمانة بعض ناجزه. يأكل أصابعه، ويسكو لطوب
الأرض.

وسمعت سيدة كريمة قصته فأرسلت إليه تقول له: "إسمع إني ذاهبة
إلى الدرويش فاتبعني. ولا تتمكث دقائق بعد أن أدخل إلا وأنت داخل
نطلبه الأمانة، فإنه في الحال يعطيها لك، ولا تسأل عن السبب!".

وحزمت أمراً على صندوق جواهرها - تذهب إلى الدرويش، ومعها
تمشي وراءها جارية معلمة - علمناها ماذا تصنع حين تكون هناك.

ودخلت عليه. تقول له: "إني امرأة وحيدة، بعلمي مسافر، وخشيت أن
تسرق جواهرى. لهذا أضعها أمانتي عندك". وشبتت الجواهر لبدها
الدرويش. ليسجلها في السجل. وبينما هما كذلك دخل صاحب الآلاف
يسأل أن يعطي أمانته. قاله الدرويش يوازن بين الآلاف والآلاف. ففتح
جراه ونقد الآلاف لصاحبها.

ولم يكد يخرج بالله حتى دخلت الجارية تقول: "ستي... ستى...
ستى... سيدي جاء، ولها صوت له رنين الذهب من الفرحة المعلمة
للصانع.

ونهضت السيدة تلم جواهرها. تضعها في صندوقها شاكرة الدرويش
ونظر إليها نظرة حسبر كسير. ونظرت إليه نظرة فاحصة. كأنما هي تقول
له: في حارة العرج وتجري.

وجمع الدرويش أثوابه وركب حماره يذهب إلى مكان ليس فيه امرأة ذكية.

وهيذا جدتنا يحكين، وعلل الحكاية تصل إلى مضروبها بذكاء الفاهمين أو غباء المتعافين.

- وعن السوء والكفن والشباب والعجائز، نحاول أن نبرز خطرات نفس أو هو الحوار مع نفس أخرى.

- قالت لي عجوز عندها: «خذ هذه الريالات البيض من القيرة خزنتها في صرة، أيام كان المجيدي والبشكك والريال، وصرفتها سعودية. احفظها ليومها وهذا يومها...»

- خذها اشتري لي كفتا وحنطا وليها وصابونا والباقي تصدق به بعد إعطاء وارثي الوحيد ما يستحقه من إثر! هذا ولد لا تعفره ولد قبل أن تكون، وهو بعيد عنني حيث يكون، لا أدرى أين هو؟ لعله حي. لعله ميت. فحلفه يحفظ له».

- وقفت لها: «حساب طويل. لماذا الكفن من اللهجة أو الحرير ومعه القطن؟ لقد كان مصعب بن عمر شهد أحدا في ثوبه، وقد كانوا إذا غطوا رأسه اكتشفت رجلا، وإن غطوا رجليه اكتشف رأسه فأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يغطوا رأسه باللوب ورجلين بالأذن».

- قالت: «تلك منزلة. وهذه حقيقة. ولا فرق إلا في حسن الختام. رضي الله عن مصعب وأمّي الله الرحمة لي ولك».

وأخذت أذكر أن الشبان يطردون التفكير في الموت وهم الأقربون إليه.
الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

من هوجهم... من سرعتهم... من عدم مبالاتهم... كأن طرد التفكير فيه...

يعني نسيانه... فلا نسيانهم الموت لما غامروا بهذا النشاط.

والشيوخ الكبار في السن أكثر تفكيراً في الموت لا يطردون ذكره، فهم
بتذكره أكثر تباعداً عنه، بالتعقل والمشي على العكاز والدواء والعلاج
والنوزة والراحة. همذاكرون له... المبتعدون عنه. كأنما التذكر له
قربى، فكر ونفس وقين، والباعد عمل العقل والزائدة.

ولا هؤلاء ولا أولئك بالناجين من الموت... حال بلايس بعض
النفسوس... وحال يلامس الآخرين... كجتنا هذه، والعجوز تخزن ريال
الكفن، وكفننا ذلك الساحب في أبحار

"وكم فاطر شرتب بجلد حوار".

- الجداد يعلمن البنات شيئاً ليس في كتب التدبير المنزلية!

وحملت البنت الحفيدة - وقد كانت عروساً - الدلة تصب القهوة،
فذاقتها الجدة... ثم نظرت إلى البنت، وقامت إلى موقف النار لم يكن
وجاقاً ناره حطب... وإنما كان "بوتجاز".

يا خسارة!... القهوة ما تصلح إلا على وهج الحطب، أو على
الجمرة... لكن ما باليد حيلة...

وأسرعت البنت تريد أن ترى ماذا تصنع الجدة!

- وقالت الجدة: "تعالي... ما أحببت التكلم أمام العريس خصوصاً أن
أمه جالسة معاناً... ما شفتها حين ذاقت القهوة مدت بوزها".

- "إيش بها القهوة؟ أنا طبختها وأصلحتها مثل ما تعلمت منك".

- قالت الجدة: "هات الدلة أشوفها... الدلة يا بني طرشت... صارت
الجزاء الثالث - النثر - كلمة... ونصف...

طروشة. يعني ما يتجاوي مع اللبن والهيل. ينبغي أن تعرف أن اللبن مثل الشاي يريد التجاوي. سريعاً الالتفاق لروائح جيدة، أو روائح كريهة؟

- "الدلة تصب طروشة من الإحماء والركنة!".

- "هيا خذفها. فوريها أولًا بماء وملح. وثانياً فوريها ببء وقرنفل تنظف من أي رائحة زنة".

- "وثانياً أتركني الحثل فيها، فالقهوة تطيب القهوة... إذا أبقت الحثل في القهوة، تسمعك الدلة، لأنها تطرد أي رائحة تتعلق بالدلة".

وجاءت الجدة، فسألتها أم العريس: "هيه علمتها كيف تسمع الدلة؟". فقالت الجدة "سامعه... يا فاغي... ترى الحيطان لها آذان... أسمعي كلام ستكي... أهي عرفت غب القهوة!".

- وقال العريس: "الدهن في العناقي. علميها يا ستكي، علميها تشرب قهوة. وتصنع قهوة".

قالت أمه: "وليه ما علمتها أنت... أنا ما علمتكم الكثير من شغل البيت حتى لا تغلبكم العروسة".

قال العريس: "حلو على قلبي أن تغلبتي الفاغي في شغل البيت. وأننا أغلبنا في شغل السوق... البيت ستر وغطاء عليتنا... كيب وليس يطلع كويرك!".

وتهلمت الجدتان. "أهنا نحن أدينا ما علينا. رينا بهنهم بعض... متي تبغيين تنم الزفاف؟".

زفاف ريم على أحمد!

قالت: "لما تقصصي إذن أحمد... وقول هاتوا عروستي"..."
ثم قالت أم ريم لأم أحمد: "أهوا أخوان وسلال وابنها وسلفتنا؟!"

وَنِسِيَ يَكَاهُ جَدَتِهَا، تَرَكَهَا تَحْضِر ثُوبهُ فَقَدَ سَلَمَ الثَّوبِ يَصُنَّعُ مِنْ قَماشِ يُصِبْعُوْهُ بِلُونّ "الكَمْيَت" وَقَدْ لَا يُشَتْرِهْ بُلوُّهُ المُصِنِّعُ قِبْلَ نِسْجِهِ، فِي نُقِذِ المَصِبْعُ بِالعَرَّارِ، فَهُوَ أَقْلُ ثَمَّنًا وَأَشْدَد تَحْمَلَةً لِعَبْرِ الحَوْشِ المُشْبِع بِدِهْنِ الأَبَاعِ، وَجَلَّةَ البَرْقِ، أَوْ رُوْهَا.

وَذَهَبَ يَلْعَبُ مَعَ صِبْانِ الحَوْشِ "جَزِيَّ، وَمُطْلِقٍ، وَبَادِيَّ، وَتوْقِفِ الْلاَعِبِينَ يَسْمَعُونَ دَقَ النِّقْرَانِ".

لَقِدْ رَجَعُوا غَالِبِيْنَ، هَذِهِ أَهْمَايِجِ النَّسُرِ... الْبَاشَا سَيْعَطِيٌّ قَانِدُ الْجَلْكِ

نَيْشَأُ، وَيُزِيدُهَا رَبِّةٌ وَالشَّوَافُوْيَ يَرْفَعُونَ إِلَى أَوْمَيْشَايةٍ!

وَذَهَبَ "يَنْطُحُ" الرِّجَالِ... مَنْهُمْ مِنْ ذَهِبٍ إِلَى حَوْشِ الْبَاشَا فِي أَوْلِ السَّاحَةِ، وَمِنْهُمْ مِنْ ذَهِبٍ إِلَى زَقَاقِ الطَّيْرِ... أَمَّا الْقَانِدُ "سَيْفٌ" وَخَالُ الْفَتَى

وَزَمْلِهِ "صَالِحَ الْفَرْقِي" فَقَدْ رَجَعُوا إِلَى حَوْشِهِمْ... حَوْشٌ خَمِيسٌ.

وَاجْتَمَعُ الرِّجَالُ فِي بَيْتِ جَدَتِهَا، يَنْشُرُونَ الْغَنَّائِمِ... كَلْ وَاحِدٌ يُبَاحِي

بِمَغْنِمِهِ وَنَحْنُ الصَّغَارِ... نَقُولُ: الْحَذْبَةَ الحَذْبَةُ، وَيَقُولُونَ أَبْشَرُ بِالْعَطْيَةٍ!

وَآخَرُ جَمْهُرُ الْرِّجَالِ خَانَمَا يَلْعَبُ بَقِفَرٍ... وَلَمْ يَكْنِ خَانَمَا هَذَا الَّذِي نَظُرُوهُ

فِي يَدٍ! مَا كَانَ؟

كَانَ إِصْبِعُ أَنْثى... قَطَعْهُ لِأَنَّ الخَاتَمَ اسْتَعْصُى عَلَيهِ... فَقُطَعَ الإِصْبِع

بَلْتَصُقُّ فِي الخَاتَمِ...

وَصَرُخَتِ الْجَدَةُ، تَبَصُّقَ عَلَيْهِ، وَتَقُولُ: "إِنَّهَا أَمْ، إِنَّهَا أَحْتُ، إِنَّهَا مُنِيَّ" وَمَنْكَ... كَيْفَ أَطْلِقَ أنْ تَفْعَلُ؟ أَتَرَكَتْهَا تَمُوتُ؟ قَتَلِتْهَا؟".

وَلَمْ يَسْمَعِ... فَقَدْ كَانَ الخَاتَمُ لَمَعَأً مَعَرْيَاً... فَخَرَجَ بِهِ... يَلْتَفَتُ إِلَيْهِ...
خلال الفتى: «أمك خرفت. لقد كان هؤلاء الآلهة في قيادة الذين جلونا من أرضا، وحرقوا زرعا. وقتلوا ما في القصيم وفي كل البروع» وذهب يعرض الخاتم على صانع. فقال الصانع: «هذا الخاتم مسروق. قطعت إصبعها فسرقته» فقال: «لا.. لا هذا كسب!!».

وصرخ الصانع: «هذا أنا صنعته وبيعته قبل يومين لها، أنها بنت الفلالبة! كانت عروساً يوم اشترته!! أنعرف كم يساوي؟» قال «خمسة عشر ريالاً مجيدياً». القيمة للقص.. هل تشتريه؟» «لا.. لا» أشترى نكل العيش. لو رأتها بثوبها البناوي لقتلت فنجراً قبل أن تقطع إصبعها. اذهب يا قاتل دمك، ومهلك الجمال!!».

ودمج بالخاتم، يكسره بين حجرين: ليذهب الإصبع.. ورمى الإصبع في الطريق.

وكان الطفل يتبعه. فأخذ الطفل الإصبع يدفنه في التراب، كانه غراب.

هابيل يواري سوءة قابل.

لكن الطفل قد وارى سوءة هابيل هذه المرّة.
المَرَأَة

١- شيء يشرح الصدر، ويتنفس به النفس الأمل والمرحب، حتى ليشعر
الناظر إليه بأنه يقتل الرأس بحياة الأمل!!

لقد افتتح بعد عصر أسر سمو الأمير مشعل بن عبد العزيز معرضاً
شاملاً في دار الحنان، جمع جهد الفتاة - نماذج من الفن والزخرفة
والديكور والصناعة لما يأكل، والصناعة لما هو نموذج لآلة.

فرأت الناس الزائرين المدعوين يلفتون حول كل معرض، ينتفضون إلى
نوعه وكنه وجماله، غير أن بعضهم النفت إلى عملية التقدم بتشجيع
هؤلاء، وبالأسحاح "أولئك" البنات.

تقرأ الدرس عملاً لفكر، تغذية لذهن، إثارة لوجدان، وتعمل باليد
حركة البقعة للذاكرة فينفس، ودعاية التمسك بما تصنعه صغيراً اليوم لتصنعه
كبيراً غداً.

يقف في فكر الحنان، الزوج، الأم، المعلمة، وسلطان في يدها تعرف
به كيف تمسك بالآلة، مطرقة، مقصاً، منشأ، خشبة، مقلاة، فرن. .
تصلح نافذه، تدهن جداراً، تزركش غطاء، تقدم على المائدة ما تستغني به
عن المعلقات، تخيط لبيتها غداً الحلو الجميل الفرحة.

الآلة، كل الآلة في يد الفتاة معناه توفير المال. وحياة الإنسان في
فواreira يقتل لو لم يعمل الإنسان عملًا نافعاً فيه.

الإبرة. حياة، كانت تعطي ثروة أيام زمان حينها كان البنات يشتنغلن
لف، النسلة، المنبتاري، طواقي السيم، البراقع، حلية الملاءة، والبرقع.
ليس هو الجديد عمل البنت، كل الجديد أنه يتطور، بالأمس كانت
دابغة جلد، خارزة غرب، فاتلة زمام وارشية، ناسمة من الشعر الزولية
والشملة وبيت الشعر، والصفة والخرج وحلية الشداد.

صناعة الجبن والمغرب، هي صناعة الكيك والبسكويت، والتركو.

أحبى دار الحنان في شخص ناظرتها ومعلماتها.
والتحية من قبل ومن بعد لرايتها، التي لم تأل جهدًا إلا وذلته حماها
الله بقدر ما صنعت وحمت للبنات العلم والصناعة اليدوية.
إن دار الحنان أعطتنا الفتاة التي سلكت طريقها إلى مراحل أكبر في
العلم والمعرفة.

كل الذين يرعون بيت العلم، إنما هم في رعاية من رحمة الله،
فالراحون يرحمهم الله، ولا شيء خير من رحمة الفتى والفتاة بنور العلم
الهادي إلى خير، العامل بإيمان، الخادم تراثه وتاريخه ووطنه.

• كانوا ثلاثة في "كفتيريا". الفندق الكبير يغص بالسواح.
والمستريخين والفضوليين والطامعين والحياري، فсадق ذلك الكاتب، سمى
الحياة فندقاً كبيراً.

تصور المدينة وشوارعها الغاصة بالرجال والأطفال والنساء، تعرف
الفندق بأنه دلل أخرى تعيش في مدينة.

طلبوا مشروبهم المفضل. شاي بالليمون، فالوقت عصر، وهم
يشربون الليمون بعد العصر!!
هم أحمد ومحمد والياس.
وجأت تضع الشيء تحمله في يدها على الطاولة الشاي وبطاقة
الحساب!!
أما الشيء الثالث الذي تواضعت في صنعته توا، لا تأخير فيه
فإنها بنا. نحوا بالاحترام المشروب باللهجة. فلا جمال يبهر في
تقاسمها، ولا فتنة تظهر في لفته باهرة، ولا تذيل في حركة متعلقة هامة.
تتكسر بها الأنش.. وإنما هو منها فيها الأخذ بكل ما هو أصيل منسق
متسق في قوامها وقبامها ومقامها.
- وهنا قال أحمد: ماذا فيها؟
- فقال الياس: السؤال ليس هو ماذا فيها؟ وإنما هو ماذا به. ليكون
الجواب هي فيه. حلت وما تخلت!!
واسترد أحمد أنفاسه الباهتة اللافتة من سعير بارد ليتوقد في حرارة ما
تنفعله نفسه، فما كان يستروح كلمة سمعها حتى قال أحمد: معدون
هو... أي لسعة عارضة؟ أم دفعة لا مفر منها ولا خلاص؟
- وقال محمد: أتحسبني مثلك أشوقي القطة المنتمرة.. كأنها من
أولاد ... إنك تأكلها وهي تعتني بعذب السبع. إنها يا أحمد
شرسة الجسد، غائبة المنظر، نائمة الطموح، تخريشك بصورتها العارمة..
تأكل بها عاطفة كنت تسمى بها إلى فوق.. لتأكل أنت منها نزوة ساقطة إلى
تحت. أما «الق.. فشيء سمح مرح.. فلا تلمعني.
- وقال أحمد: أريدني أترك الشحم واللحم إلى هيك من عظم؟
قلت: لقد نزعت إلى عرق. فأتت تعشى بفهر الوراثة. فلا أريد أن أتأثر مثلك. فخذ أكلاً "المغلفة" و"المفتقة" ولوزة البقرة، والفطر المشلت المعجون بمضم "اللية".

فوزية أبو خالدة!.. فوزية أبو خالدة!..

فتأت أعرفها من خلال ما تكتب إلي. حينما استطعت رأي قبل ثلاثة أعوان. معرفتي بها عن طريق الفرظاس، والقلمل. عن طريق الاتلفون، وليست هي معرفة رؤية، وإن كنت أنا كأبيها.. هي قالت: أنا جدها. لعل صغرى نفاديتي وحيدة لها في المدرسة - في مثل سنها.. أبواها من العارض.. من اليمامة المشمش.. أمها من مكة.. ومن الوادي...

كأنما اليمامة قد عانقت خندقة وقائعان.

دعوني لأقسم بأن أرضكم، وجبالكم تعشق بعضها. تحن إلى بعضها أكثر من حنيكم.. لأنها تعرف أن كل هذا الثرى تراب واحد، ولكنكم لا تعرفونها!

تكلمت معها بالتليفون. قلت لها: أنتح أحضرت في ذهني ذلك النجدي - الحجازي.. فارس بني هلال.. أبوه من نجد، وأمه خضرة الشرفة من مكة. قائل الله من يفرق هذا التراب.. من يعبر هذا التراب!

كتب عنها اليوم. لأن بعض "الأغيلمة" من سفهاء الأهلام يحسبون أنها لا تكتب لنفسها. وإنما يكتب لها غيرها، وهذا كذب.. فسوق في الرأي من فسوق في النفس، وحتى الأنثى أختها تكتب عن ذلك؟.. تكن! وتمراز. إن هذه - وأعني أختها - كاتبة اليوم، ولكنها قبل أعوام لم تجرع أن تنشر شيئاً حتى جعلت بعض كاتبنا السفراء يعلمنا جواز المرور لأن تنشر.. فهل هم حين فعلوا ذلك كتبوا لها!
طيب... فوزية تكتب لنفسها... أعرف هذا قبل سنوات... دفعت بعدها إلى "البلدة" فنشر... دعونا... يا سفهاء الأحلام... يا عيان الأفراح... من الكلام الغارغ. إن هذه الفتاة ينبغي أن تحتبرها... نعتني الفرصة... فمن العيب أن نضيع الغصص في طريق هذا النشوة... هذه البراعم!

تحيتي لفؤذية أبو خالد... ولا عتب لي إلا على أختها التي كنت

أجيرها أن تكون مثل غيرها!!!

● صورة:

- لا يعيب المرأة أن تفضح معايب رجل لأن في هذا إنقاذاً لغيرها.
ولا تستطيع المرأة أن تصدق نفسها لنعيم أختها... لأنها تخاف أن يرجع إليها العيب!

- وعيب الرجل أن يفضح معايب امرأة لأن في هذا فضحًا لأخلاقه، وسلوكه قبل أن يكون باناً عن أخلاقياتها!!

- طفولة أن نصف النملة بالجنود... فالنمل يتمتع بإرادك عاقل... لا يعقله إلا حكيم ذكي، ولا تسمعه إلا أذن نبي!!

- الجنون العاقل... هو الذي يرى كل الناس عقلاء لا مجانين، والعقلاء الجنون هو الذي يرى كل الناس مجانين في أئتم العقلاء... ثم يرى نفسه العاقل الوحيد!!

- حينما أذهب إلى البيت يكون طريقي من شارع أبو عبيدة... في هذا الشارع مدرسة للبنات، لم أالتلف إليها حتى أعرف اسمها... لكن الذي لفتني إليها فشرح صدري رؤتي للمطالبات وهن خراجات منها في حشمة ووقار... كل منهن أدلت جلالبيها عليها سارة... وأجمل ما في الستر
الوقار في الشارع من وقتهن. أظهر هذا كله أنهن المشاهدات. لا أدري لولا أن أدري.

ورحت. وقرأت «قل آمود برألق» (الفصل: 1) أكملت السورة كأناها هي الرقية أتقت بها نفيح الحسد.

والأنثى كل الأنثى في هذه الفتاة تعلم. تعطينا معنى القوة فيه. كل القوة لنا. سيدة بيت كأم تربي أولادها. معلمة. كاتبة، شاعرة وظاهرة.

وذكرت قيمة ما تعطيه فتاة. تكتب لنا كلمة في جريدة. أي جريدة سواء كانت وعلى سبيل المثال عكاظ أو اليمامة أو الرياض أو الندوة.

إلاها تعطينا الاحترام لها، صاحبة رأي تبديه، والانتقاء بها اقتضاء يحملها هي على أن تكون قدوة في مسلكها. هناك عتاء كبير تفعلي لا أفتح صفحات الأب لألفه على الأسماء اللامعة في تاريخ أمتي، الخنساء رضي الله عنها، ليلى الأخيلة، ولادة، ملك ناصف، عائشة تيمور وحتى إذا أغلقت لا يجعلني أنتف إلى الأسماء المعاصرة حملة الدكتوراه من كرائم بناتنا في أمتنا العربية. وإنما بنات بلدي.

إني أول ما أقرأ في صفحات أنغذي عاطفتي الأبواه. ولنحني أفراح القلب لا أقرأ إلا هذه الكلمات للكاتبات من بناتنا.

وهناكما الفرق بين أدب الأنثى وأدب الرجل؟

لا فرق. كله أدب. لو نشرت مقالاً لفتاة دون توقيع لما عرفت أنه لأنثى. ولو نشرت قصيدة كذلك. ولو كتبت أنت مقالاً واستعمر توقيع فتاة لما رجع إلىك. كان هذا رأي.

وقد زدت ثباتاً عليه بهذا التفاذ. سمعته من الدكتوره سهير القلماوي.
قالت: لا فرق بين أدب المرأة والرجل، الفرق كل الفرق هو الإمضاء تحت ما ينشر.

أعجبني رأي الدكتور. وقد كان رأي. ولعل رأي النابغة الديباني في خنفس قالي له في يومًا في عناصر وقد أنشدته شعرًا: لولا أن الأعشي سبقلك لفصلتك على شعراء هذا الموسم.

أخيرًا فما دمت أنا علمانيًا. ينبغي أن تتعلم منها فلندعها تكتب كل ما نزهو أن يكون ما يكتب النزاماً بما تعتقه. ولزاماً بما يصلح لنا.

لا خوف فالمرأة حريصة على أن تكون السيدة في الشواء عليها. كما هي الزوجة في السكون إليها. كما هي الأم في الرحمة منها، اقرأوا لهن ليكون في عملكم المحدد لهن عدة واستعدادًا. فإن كنتم الأغنياء عن المداد منهن فإنكم في حاجة إلى الامتداد لهن ليكون المداد منهن سعادة بيت، رقي مجتمع، حضارة أمة. ارتفاع أدب. أي إن المداد منهن لكم نفحات غير مباشرة. أما منكم فهو النفع المباشر.
حَوَّار
حوار

الأصيل تعطل اليوم... أخرج في لحظاته أرى كما قالوا: ذهب الأصيل على لجین الماء.

لم أجد هذا الأصيل، كأنما الشمس قد تبقوت بالحياة من هذه المزنة... هتائتا على جدة فأصبح لجین الماء، قد أذاب ذهب الأصيل.

كان عصراً من أيام الجنان... لا هو بالظلم المعتم ولا هو بالصاحي.

الوضوح!!

كانت مزنة في السماء... أشرقت بها فرحات في القلوب... كأنما التعيم قد توجنا وما تخطتنا تعيم نحسه على أجسامنا من روح في وجداننا... واستراحة لعائلاًنا... وأمل في نور الربع، من نور اللجین على ذهب الأصيل.

هتائتا فنانا... أعشت شاباً كان بجانبي... كاد يطير... قلت: تطير يا عروس الندى لنترك أرملة القدر؟!!

لم يعد صاحبك أرملة... فإن العشق زوج لا يموت... بعيد هذا العاشق عن النروق والعقل والليتم... لأنه كله يوم في حياة.

سألني: أ حينما سألت فناناً... أي ينغم بالعشاق... كنت تستمطر المزنة!!
قلت له: أورثك أن تلباثي العاشقين... ما هي إلا واقعية المنزلة؟

قال: وما هو العشاق?

قلت له: نغم لا أغنيه... وإنما أغني به... لعلّك تعرفه كضارب عود

أكثر من معرفتي كضارب قلم.

قال: أعرف فقد أنكر عليك بعضهم أن تذكره هكذا دون معرفة!

قلت له: قد أكون عرفت اسمه بالسماع... وما أنقنت رسمه بالسمع

قارناً لما في الكتاب عنه أحب أن تعرفه كضرير منثقافة؟

هذا هو قسمان: العشاق المصري من مقام «الدركة» والعشاق التركي... من مقام «البيات» فلنكن محمد عبد الوهاب سيد من غني بالبيات... فإن أم كلثوم هي الصوت الذي أحسن «للسيكا» بما لم يحسنها

أحد مثلها.

وما زلتا تغنى للسماء... تسكي العطاش الذين عرفوا عشاق لأرضهم

فلم يرضهم أن يعقلوا... ولو أتساءلهم حيناً جدب... لكنه غني النفس بالحب للتراب... جعل من بيت الشعر القوة والمدد والعدد.

وتركني الشاب... ذهب ليطير... ولم أذهب لأنهد... فما زال قلب

يطير حوله... يتلو عليه آية تحفظه ليغنم وينعم بالمزون الهنون.

• تلفون... تلفون...

• الو... الو... مين أنت؟

ولم يفسح عن اسمه... إنما قال:

يغني يا أستاذ مشتهي تسوي مدير مستشفى؟ أهوا!! ما بقي إلا هذه؟

اعازب تنافق وتداهن عشان الفترتين، تقوم تفتح دهليز، تدهلز به هكذا؟!"
قلت له: "الجواب حاضر، بس أولاً قل لي: اسمك إي؟".
قال: "ما فيش لزوم وما أريد جواباً. يعني راح تقول إي، ولا إي؟!"
وأرحى السماحة بشيء من الغضب. على طريقة المراءقين حينما يعاسون في التليفونات!!
وضحت لأشد هذا الشطر من شعر أستاذنا التونسي محمد عبد القادر الكيلاني. ابن خلدونا:
"تسمع لهم وهم عليك شقاق".
يا أيها المراهق المدلع، إن أعرف أن طالب الوظيفة لا يوظف!!
بقي أن تعرف أنت ومن إليك، أن شر أيامي وارداها تلك الأيام التي كنت فيها موظفاً عبداً. وجهت بسبيبة الكثير، وتعلمت منها ما جعلني أشوق على الفكر أن يوظف. يضع وراء خشب، ويذوب زمانه في تقليب الأوراق روتينياً، يشرح بما يلزم، أو ينفاذ ما يلزم مشروحاً من غيره. يجري وراء رئيس مشغول فلا يتلقى جواباً إلا من وراء الأكتاف في الفهدليز الموصل من الصالون إلى باب السيارة...
وخير أيامي تلك الأيام التي كنت فيها معلماً ولا أحسني إلا فيها هذه الأيام وأنا أدر الحرور معلماً مفهماً باسمي على القرطاس لا كما كنته في أسلاب التليفون.
إن الاختصاص والفن والعلم مجال أوسع من أن يحصر على مكتب. فلن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ولكن يشفي الله بك مريضاً أو عاجزاً خير لك في نماة العلم، وحسن السيرة من الجري
وراء الفاكهة المعطنة، واللحم المشغفت. والقرائ المكلف بكمس وتنظيف الطريق والغرفة، ثم يثقل ويرمي عقب السيارة في مكان كان قد نتله وهو ماش.

أما النفاق والمداحنة، فهي في الحمس، أو في الرقص وراء الفازه.

هو ليس في الجهر الواضح تقول ما عندك.. وحسابك لا تخشي به.

إلا الله.

لو شعرت أنت، وأنا معب، وغيرنا معنا بعمق المسؤولية وواجب المرحلة التي نسير فيها لوقفت على الثورة تسدها قدر جهلك.. سامحك الله.

عبد الرحمن العلولا.

شاب لا أعرفه، ومن الرياح، كتب إلي كتاباً تجاوز عن ذكر ما جاء فيه من ثناء واستملاح، لأذكر الإجابه عن سؤاله.

سألني النصيح فيما يقرأ؟!

الكتاب كان قدامي على ركيزة لا وهي بالخوان، ولا هي بالمكتب، شيء مستطيل من خشب، ورفعت لأقوم أعود إلى البيت، وعلي زورت في نفسى تأخير الإجابه إلى ما بعد.

لكن المورف سقط، وتناوله هذا الجالس بجانبي. يمتعني من القيام!

- قلت: اقرأ.. وقرأ فأعجب يضحبح بوقار عليه طاب الفجاهة لي...

- قال: أتعرف من هو هذا العلولا؟

- قلت: لا أعرفه!!
قال الصديق الشاعر الأديب محمد الفهد العيسى: هذا أنا خالِه!

أنا خالِه قالها بجرس يعربي، في غة المدينة، وفيها رقة نجد.
فذكرني بهذا كلمة... باللغة نفسها، والجرس، كأنه هو... سمعتها مرة...
أنا خالِه من أديب خان الأفغاني الشامي خال الملكة ثريا، ملكة الأفغان.
كانت شامية أفغانية، شامية لأن أباها محمود طرزي باشا، وأفغانية لأن زوجها أبا خان خان رحمه الله.

جرس أديب خان قد اكتسب من القرآن، هو في أذني أعلى من جرس...
طق حسن وناهيك به، ومن جرس أحمد فتحي ومن مثله!! محمد فتحي...
وقبل أمثاله. وجرس الشيخ أبي الفتحي نادرة الوجود في حياة اللغة تخرج...
من أشداق ملبيه للقرآن. هذا الجرس يجعلني أقول للعالِل: أقرأ القرآن.
فبالقرآن يفقه فلبك، ويسمو ببيانك، ويصلح إيمانك، ويблиقي الكلمة...
لسانك.

أعرف السماعة تجدها على أساليب الكاتب؟ لا تحسبها عن جهل باللغة... وإنها هي عن الجفاء للقرآن.

القرآن صان العربية أن تنتصر على لسان. حتى فحول العرب من النصراء حينما بلغوا الذروة في البيان فإنهم ما بلغوا ذلك إلا بقراءة القرآن...
وتهمته.

ثم اقرأ كلام الأكابر في تراجهم، ونهج البلاغة والبيان والتبيين...
والبخلاء وكليلة ودمنة ورسائل الأكابر. حتى إذا تمكننا أقرأ لكل أحد...
وفي الشعر عليك بالأحذرين الثلاثة. المتنبي، المعيري، شوقي، ولا تنس...
ابن الرومي والشريف الرضي، والثلاثة الإسلاميين من قومك: الفرزدق...
وجريراً وشيخ النصرانية الأخطل.
وجاء يحمل الغضب في عينيه، فقد تواضع سلمه الله، فلم يحمله في لسانه، ولا تعامل به معنا في يديه، وإن كان هناك تعبير يزيد على ما حملته عيناه. فهو بهذه التكشيرة، فتح بعدها فمه لتكلم، فظهر في الفتحة ناب قد اصغر، واستطال على المجموعة من الأنسان والอาศار، حتى لحسبه لم يذهب إلى طيب الأنسان.

ولم آشي أن أعيَّا بعين غاضبة، ولم أنثني إلى اليد الفارغة من الغضب، فكل ما "استرعي انتبهاء" هو هذا الناب المصغر الباز.

وسألت هواجي: هل عنده شيء طفح به هذ الناب؟

قلت سأل، وسأل فأشجع، ولكنني لن أترك سؤاله عن نابه النائمة كمنشه على سطح الفوهة التي هي فتحة الأشداق.

- قال: لقد قرأت كلامك عن الشيطان. لا يتجسد لأصدقائه، والمطعنين له. لأنهم من طاعته يسمعون الوسوسة فيمتلون!

- قلت: وأي شيء في ذلك أغضبك؟.. ألا تكون أنت الشيطان قد تجسدت أمامي؟!

وانتظرت أن يجيب، وهنا كان ذكيًا تشيطن بجواب بارع أعجبني لذة السخرية بي.

- قال: دعك عن الورم يا أستاذ. تريد أن أفهم أنك لست من أصدقائه فجعلتني إياك أتجسد أمي ليتاهي غداً بأني قد طردتي؟!

- قلت: أخجلتم تواضعنا، وأرثتم كبريائنا فما نحن وذل، لكن هذا الغضب والنايا بالحضور، والحماسة والناب الأصغر كلها تجعلني أتخيلك كأنك هو!
قال: اسمع.. أنا ليست الشيطان نفسه، ولكنني من أصحابه.. أنت وأمثالك جعلتموني من أصدقاء الشيطان.. تتظاهرون بالبراءة منه وأنتم أصداقاؤه.. تصبون الكلمة الرحمانية في آذاننا وقلوبكم شيطانية.. تظهرون بيننا على أنكم الآباء المعلمون بينما أنتم - باعتيال - تحرمونا من أن نمارس تجاربنا، وهي باب العلم.. تستعملون حتى بما تقطعونه في سبيل الشيطان. وتنظرون إلينا بحقارة حتى لو كان من جنود الرحمن.

لقد رأيت الشيطان اليوم فقال: اذهب لهذا الذي يحاول طردي من حظيرته وقال له إنك ما زلت في حظيرته، فما كنت حتى كان من وسوستي، وجئت إلىك لأقولها لك.. قلت له: وما أبديت نفسي إن النفس للأمارة بالسوء» ولكنك حين وصلت إلى هذا الحوار مع الشيطان فإن الإنسان فيك سيغلبهم كما غلبني أنا حينما بصرتني بيواعث الانفصال والفضائل بين جيلين!!

سؤال أطرحه على نفسي هو:

هل أكتب عن الاقتراح البريطاني.. بنصف قرار مجلس الأمن، وهو-
أعتي قرار مجلس الأمن - اقتراح بريطاني في الأصل صدر بالإجماع؟
أم أكتب عن قرار مجلس الأمن هذا.. أبطل أي مشروع قبلي حتي النقاط الخمس؟

الإجابة: لا أريد أن أكتب عن ذلك!!.. فمثل كمثل ذلك العجز، ومعه حرمه الحصون عجز أخرى أقيلا على الشيخوخة، وجلسنا وحدهما في البيت لأن الأبناء والبنات كبروا.. كل منهم، أو منهن ذهب إلى بيتته. ولا طفل صغير لديهما يقولان له: «أطو.. امبه.. بشيش.. حييوه.. ده.. كنه (!!)».  

الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان -
فتق لهما العجز، ومن حبهما في التدليل ألفاء.عاش عليه السنين الطويلة... وقد اقترحها السيدة حرمه المحسن عليه... ولا أقول أنا! أن يجعلها من نفسها طفلين... كل منهما يتعامل الآخر على أنه طفله... فأقول
لزوجي بدلاً من اسقفي ماء: اموه! فستقيني...

وإذا نهنتي عن شيء، قالت لي: اقو..!
وإذا رغبتني قالت: دحه!...
وإذا نهنتي قالت: كجه!

وعلى هذه الصورة أعملها، فأقول لها: أف.. دح.. كح.. حبوه!
وجرت الأمور على هذه الصورة...

وبينما كان الرجل- الأب - الذي هو نحن بملاء الدلو من الشهر، انزلقت رجليه فسقط في الشهر، فأخذ يعالج الغرق بالصراع والخطب بديه، والرفس برجليه.

وسمعت الزوجة صراخه فوقفت تنظر إليه وهو موشك على الغرق، وأخذت تدله وتقول له:

"اسم الله عليك!.. بتسوي بشيش؟.. يا عمري.. خليقي افصح وانزل معاك!..".

- فقال لها: "يا حرمي أنا بدي أغرق.. جروني من إيدي بطلنا دلع!!".
وجذبته من يديه، ومن يومها تركا لغة الأطفال.. أعلهما قد وصلا إلى لغة الرجال.. الآباء.. إلى لغة الأمهات صانعات التاريخ.. منجيات العظماء!

صورة قد تكون تافهة، ولكنها تنطق على وضع تائه!!
قال لي: ألم تجد غير بشار، جعلت الكبار يجرؤن ذكره وشعره.
على ألسنتهم؟

- قلت: وأي شيء في ذلك؟ إنه مولى مضر من هؤلاء الذين نالوا العلم المعلق في الثريا. ثم هو رأس المولددين. أو أي إنه الثالث الراووس
في طبقات الشعراء بحسب الترتيب الزمني، جاهليون ومخلصون،
ومولدون أو محدثون.

- قال: إنه كثيراً ما مارس المجون!
- قلت: وكثيراً وأكثر ما قال أجدود الشعر سارت به الأمثال وطارت به
الركبان.

إن هذا البصير المولي قد فخر بضرر فقال بينين ما سبقه إليهما مضري
على الكثرة الكثيرة من شعرائها. وما لحقه بها مضري، فلا زهير وعشرة
ويليد، ولا ضرار بن الخطاب وابن الزبيري، ولا المخزومي والعريج، ولا
جريب ولا الفرزدق ولا المتنبي والشيريف الرضي.

إنه قائلها:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

- قال: كلام هجوس وورم.

- قلت: لا، لا نقش هذا على وضعك اليوم. فما قالها إلا وفي بده
إمبراطورية في الشرق لم يكن غيرها. وملك في الأندلس ولا أرقي منه
في زمانه..
فًن أن أستمع إلى الرأي المشور: فاستعان
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فًن الخبراء قوة للقوام.
- قال:

- قلت:

فًن أن أستمع إلى الرأي المشور: فاستعان
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فًن الخبراء قوة للقوام.
- قال:

- قلت:

فًن أن أستمع إلى الرأي المشور: فاستعان
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فًن الخبراء قوة للقوام.
- قال:

- قلت:

فًن أن أستمع إلى الرأي المشور: فاستعان
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فًن الخبراء قوة للقوام.
- قال:

- قلت:

فًن أن أستمع إلى الرأي المشور: فاستعان
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فًن الخبراء قوة للقوام.
- قال:
الفناعة في جيل السنين حمد وشكر، وليس هي الجمود... في بعض
الشيوخ أكثر تحركاً، ولو لابستهم الفناعة... وبعض الشباب بطيء الخطوة
ولو كان شديد التطلع!

ـ قال الشاب للشيخ: ما باللي أراك تفرح بالقليل... ترضى به بينما
حولك في العالم الكبير، والكثير لا يرضيني إلا أن أكون المستحوذ عليه...
ولا لنفسي وإنما لبادي؟!

ـ قلت له: اضرب لي مثلاً بالقليل الذي أرضاني، ودعني عن الكثير
الذي تريد أن ترضى به؟!

ـ قال: إذا فتحت مدرسة في قرية صفتها لها، وإنك لتصفح لمدرسة
فيها مائة تلميذ وتلميذ أكثر من مدرسة فيها مائة تلميذ حتى التلفاز في
القصص أكبرته وصفقت له... حتى المستوصف في وادي العيصر ترده... وإن
هذه الأشياء ليست بالكثيرة، ولا بالكبيره... هنالك ما أطم فيه مما هو
أكبر وأكثر!

ـ قلت له: هو الخيط الرفيع فارق بيني وبينك... أنا رأيت العدم...
عشت الألم... لهذا أفرح بأي مصباح كهربائي في شارع يحل محل
الأثريه حل محل الفانوس... حل محل الفنادق... الذين قرأوا على
الشماعة يفرحون حينما يقرأون على الكهرباء... الذين كاد يغشي أعينهم
الرمل يشترون قطرة "الوسيد" كأنها هي الأمس في أرحاتهم من "التشميه" و
"الصرافه" و"الحك" بحجر جهنم...

إن بعض هذا الوجود - مما تستقبله - هو خير من العدم الذي كان
يستقبلنا... يركنا وكثير هي الأشياء، فلا تحسبني أريد أن أجمد على
القليل... إنما أريد أن أترى مع نفسك بالطراوة في نفسي... تلمس بعض
جوانب ما تختلف عليه لتنفق على حمد بعض الموجود، وبالآمني نجد فيما ما تريد. إن بعض الشكيران تسجلاً قد يكون فيه جانب من التحفظ أو الاحتفاظ، ولكن لا تنس أن فيه جانب آخر هو الحض على المزيد ليتحقق الكثير الذي يرضيك!!!

الوقت السريع يمر، واليوم امتحان، فأخرج سيارته وركبها يسرع بأطفاله إلى المدرسة يؤدون الامتحان...

هو من أهل هذا البلد. لكن عمله أن يلبس القميص والبنطلون!...

وينما هو حريض على الوصول مبكراً، أطلعت الإشارة الحمراء فوق من شدة حفاظه على النظام. لأنه واع وفهم ويعترف نفسه وبلده، ونظام حكومته...

وكان وراءه سائق وقف. جزء هذا المحجوز به وبالخط الطويل أمامهما في شارع المطر.

وأحسح الطريق فسار يميل إلى شارع في الشرقية فيه المدرسة. وما زال السائق الذي كان وراءه يمشي خلفه. ولم يكد ينتصف الشارع حتى سبقه من كان خلفه يعترض طريقه.

كان مثله في لباس. قميص وبنطلون. بجانبه طفله كما أن في جانب صاحبنا طفلين.

وأخرج السائق الغاضب الذي تقدم يعترض لسانه بكلام حاد وشرس...

ما تعرف تسوق كان تخطيط قبل الإشارة حتى أسرع وراءك. أنت فلسطيني» فقال: «ترك. الخطأ على من جعلك سوقًا عندك ومسكك سيارة...».
سمع السعودي هذه الشتائم.. وعرف من لهجة شائعة أنه هو الفلسطيني. فوقع أمامه وقال له: يشوفني أن أكون فلسطينياً!.. ألسنت فلسطيني؟

- قال: لا، أنا لبناني...

- فقال صاحبنا، لا تشكر.. أنت فلسطيني فأنا أعرف كل شبر في فلسطين فقد كنت هناك.. لماذا تسب نفسك؟!

- أسمع أنا سعودي من أهل هذا البلد.. وسأحتملك لأنك ضائع في نفسك لو احترمته لما شتمت نفسك.

وجاء شاب يسلم على السعودي باحترام ويقول: ما عيش يا عزم...

- فقال: أنا حزين لمحله.. وهنا احمر وجه الشتائم واعترف بأنه شتم نفسه واعتذر...

حكاية.. كل الخطأ فيها على ضيع النفس بإرهاق الأحداث...

رائد الفضاء المخلتف عن الرحلة بسبب الحصبة أو "العنقرة" كان يعيش طوال الرحلة أمراضاً ثلاثة.. في أول الأمر، ولكنه قد صفح الآن من هذه الأمراض الثلاثة ليعيش العرض الوحيد.. لا يشيق منه إلا إذا كان أحد الرواد في أبولو 14!!

قبل أن يصعد كشفوا عليه خلفوه لأنه مريض. أمر عادي، ولكن حينما وقع العبء في السفينة نسي مرضه، وتناوله المرضان المثلان الأولهما: مرض الأناقة في الإنسان.. يرتاح لأنه سلم من الهلاك. ومرض الطموح في الرجل.. والتربيبة في المجد ذلك يقول له: أحمد السلامة. أما الثاني مرض الطموح فيقول له: قد فاتك المجيد.. لقد فاتتك هذه الصور.
المتفاوتة... هذه الرؤية في جوانح الفاقدين... هذا الصمود في مشاعر
المفكودين... هنا جاءه المرض الرابع، فالطموم قد تحقق الآن بسلامة
الرواد. لم يحسد السلامة بل إنه يحمل على مرضه وحتى على الأطباء
الذين اكتشفوا مرضه، لقد صنعوا له الشفاء من مرضه العضوي، ولكنهم لم
يصنعوا له الشفاء من مرضه النفسي إلا إذا صعد إلى فوق... فوق في أعالي
الفضاء!

ولكن... هل يكون هناك عطب ليكون له مجد الناجين، أم أنها ستكون
رحلة عادية؟!

حسب أنه حتى ولو وطئ القمر فإن يشفى من نكسة الطموم أو
نوازع الطموم.

هوي الآن يشعر أنه قاتله الشيء الكثير!

فكر معي صديقي: إنك قد أمرضته فلا يشفى أبداً، قلت: هو كذلك
لكن صعوده مرة في أبوللو 14 يضع البسم على الجراح. قال: وهل هناك
رابعة عشرة؟!

- قلت: نعم... إن لم تكن قريبة فإنها كائن، فالعلم جشع لا يشع.

- قال: أما توى أنها منازرة للتعطيل أو للتأجيل؟!

- قلت: قد يكون التأجيل، أما التعطيل فلا، فلن شبعوا من القمر،

فهناك كواكب أخرى، العلم جشع لا يشع!!

• نجلس في أبراج عاجية، ولو كانت أكواخاً، أو غرفًا ليس فيها
رياش وأثاث "مدوكر" الحهم أنها غرفة تعزلك عن الناس، وتفضل أن
تكون ذاتاً متحركة تشغله نفسك بما يفيد الآخرين.
نحن هؤلاء الذين نجلس في اعتزال عن الآخرين المتعلمين نرتكت
خطاً ضاراً بنا وبيغنا.

بدا، يعني نحرم أنفسنا من متعة الاسترادة والفهم والتعلع، فلربما يأتيك
سؤال من شاب. يفتح لك باباً من المعرفة حينما يحملك على التقضي
وابحث.

بيغنا. هم هؤلاء الذين يجب أن يعرفوا عن طريق الحوار والنقاش
أشياء كثيرة يفهمون ملحم منها. يريدون الوضاء أكثر وأكثر.
ومنا نحن يتحدث شيء. هو الدم والحملات على هؤلاء الذين لا
يعرفون مثلما نعرف. ويعتقدون ما نعتقد.

هذا إجحاف وجور، لا تعطي، ولا تتصل، ولا تعلم ونحرم أبناءنا من
كل ما عدننا.

اللوم أساسه ينبغي ألا يصب إلا على الباخلين والمعزولين والمحارمين
والوارمين.

فكلي ت قضي على التصميم وانقسام ينبغي مرة ثانية أن تكون حركة فكرية
تعطي الصواب، وتأخذ التصوب إذا ما أخطأت، وتمنح الفرصة للمسلمين
أن يتحركوا في اتجاه الحوار معك.

لست في هذا أشير إلى واحد بعينه، ولا إلى آخر، وإنما أضع الإشارة
على كل من يجلس أوهما، وكان مسلكه هو ما ذكرت.

لقد جلس إلى شباب متفزق الذهن والبيئة والشباب، ما كنت
لأسرب منه. حتى وجدته أن تقرب إليه بسؤال منه عن افتتاح ذهن ورغبة
ملحة جعلني أشنذ من اشتتاد القوة في تطلب الإجابة. أذكر ما أعرف:
وأعد بأن أرجع متي أعرف.

هذا الشاب هو الذي جعلني أشعر بما نقتره من إجحاف بهؤلاء.

• حوار معه.. كانت الكلمة فيه طارة فرضت نفسها لأنها أصبحت التحويلة للحوار. لم تكن في الأصل بدائه، ولكنها في النتيجة هي مداره ونتائجه.

قلت له: إن الصفحة ذات الرقم المعين لها اليوم طعم جديد فيه شيء حريـف - حراق - لم تصنعه الحراق، وإنما تصنعه بجهد التطوير. لا من فوات الطاقة، وإنما هو الهروب من سردمية المعطى جرعات متواجدة لقارئ تخم بهذا الشيء. قد ابتلعه لأنه ما وجد غيره يقبل الريق، أو يسك المعدة!

قال: ليس هذا صحيحًا من فعاليتي، ولا هو بالجديد من افتتاحاته، وإنما هو تفاعل الناس المحسنة باحترام الكلمة أولاً. لا احترام القارئ أولاً مرة أخرى! إن هذا التفاعل هو من مكاسب القراءة المستمرة، والانفتاح الجيد، والانفتاح عن كلمة لا يختار بها قارئ. الانفتاح اختياري، وهنا تكمن الصعوبة، أنت تقرأ وتقرأ تستد من تطلب. أما الاختيار لفظ التعبير الصعوبة، وأيضًا ليست الصعوبة أن تختار، لكن الصعوبة أن تعتني ما يختار. فالاختيار صعب من ناحيتين. من ناحية أن أدرى فأعطي، ومن ناحية ثانية أن أعطي القارئ تذوقه!

ثم أدرف... كأنما أنتهي هذا الشيء تقريباً منه لحقيقة ما هو فيه. عن ما أراد، أو ما أريد به، وانتقل بسرعة ليسأل: هل هو واقع صحيح ما يقومه الجيل من جيل جديد. من أن الجيل الجديد لم يأت بشيء، ولا يستطيع أن يأتي بشيء حتى لو أراد؟!
- قلت: ليس هذا هو الواقع الصحيح، وإنما هو الشيء الطبيعي..

- اندفعاً للدفاع عن الذات. وبالتالي عن العمل. عن الفعالية خوفًا من التحطم. ليس في طاقة القديم أن يحول دون نهاية الحياة، ولكن في طاقته أن يدافع عن حياة حياته: عمله الذي أنتج، فهو يخشى أن يمارس جيل جديد عملية تحطمته. هو طبيعة لإثبات الذات لا أكثر ولا أقل، فليس منه تحطم التالي بعد، والجديد طبيعي أن يتنقص من أقدر القديم لأن في ذلك ليس الدفاع عن الذات وإنما هو إثباتها، وتثبتها ليسير دون معوقات.

- كذلك يحول دون أن يضع، وهذا يحاول أن يضع. إلا أن قدم الأمر كان جديده، وجدديد اليوم هو قديمه جداً. المسألة تنتهي بخاتمة هذا الحوار!

- قلت له: إن الرائد ينبغي ألا يهزم. والتاشي ينبغي أن يخدم.

- الفعالية لا يمكن التسامح فيها. أما الاكتساب فمن الممكن المصالحة في اقتسامه، ونمانه.. الفعالية هي الموعبة، وقد تكون هي العبقرية في أصحابها. الاكتساب هو تنمية العبقرية.. تنئبها المراهب، إن الفعال الصحيح هو الذي يتقبل بفرحة فعالية الآخرين حينذاك سيكون هذا التقبل جزءًا من فعالية.. إن لم يأت بها مباشرة.. فإنها قد أيده، ولو بكف الأذى عن السابقين، طريق الانفتاح لما هو أجمل وما هو مقبول!

- هو صديق أرشح إليه، ويرتاح إلي.. كنا في سير ولكن ذاهبين قادمين من زيارة واجبة! ورأى صاحبي شيئاً أعجبه. فقال: كان في مقدورى أن أملك هذه! وتمها وأكثر.

- قلت: أيه ندمانة عن حسرة؟ أم هي الذكرى تحمد بها الله على ما أنت عليه من قيمة وقوم، وتشكره على أن لم تكن لك هذه ومثلها وأكثر؟!
أتجب أن تكون لك هذه، وتقول ما عندك مما أنعم الله به عليك؟

قال: ما عندي شيء أفقده، أو أفقدته!

قلت: تعني العقار والنضال والنشب والعروض؟

أما هذا فما عنيته ولا خطر في بالي. فالذي أعنيه هو شيء آخر

أعلى من كل ما يملك من عروض!

قال: تحدث دون أن أسأل. أريد أن أسمع.

قلت: كان لي صديق كثير التأوه، كثير الشكوى، فسرت معه في

زقاق، فأخفقي أمام بيت كبير في حارة الباب. فأنظرني الحجر والطين،

بمسها بيد.

وقال: هذا الحجر، هذا الطين، حملته وآنا يافع. كنت أعمل في

الحجر والطيب بأجر يومي قدره نصف مجيدي، أي عشرة قروش، أقول أبا

كان مريضاً.

قلت: وأنت اليوم ألا تقدر أن تستحيه أو تنشئه أكبر وأجمل منه؟

قال: نعم. نعم.

قلت: هذه ذكرى ينبغي ألا تؤلم، إنها عنوان الحوافز لأن تكون كثير

الحمد لله. أنعم عليك بمعرفة وتعلم وغنى، فلماذا تتأوه كلما رأيت إنسانًا

منعنا عليه. أفليس أحد المنعم عليهم؟

أما كان من الجانز أن تصبح قرآياً، أو معلما ينادونك يايا بدلا من

هذا الذي أنت فيه؟

المعلم إنسان كادح حمد الله على ما ناله. وأنت إنسان أقل كدحا

وفي مكان مرموص. ألا تشكر وتتفرج نفسك عن هذا الضيق؟
هذا مثل...

وهناك الآخر:

أتذكر فلانة وفلانة وهما أختان، زوج الكبرى قد اتقى له ما يملك من
 قيمة في الذات والامتلاك والعزة، وزوج الصغرى على باب كريم.

فهل تعرف أيهما الأسعد والأهدا بالآية؟

إنهما الصغرى، انظر إلى بنيها، جمالاً في الصورة وجمالاً في السلوك
وغني عن الناس. وسلاماً من كل الناس. يتعلمون ويحكمون فما أكبر
فرحها إذا ما نظرت إلى واحد من ولدها.

أما تلك فماذا تراها؟ إنها في كبر، إنها في قلب من كثرة ما تملك
فتهلك!

ولقد ماتت الكبرى فما وجدت بجانبها إلا عنابة الصغرى وأبناء
الصغرى.

وماتت الصغرى فما سار وراء نعشها واحد من أبناء الكبرى.

ضياع البطر! وصون الشكر، ذلك ما وقع!

وسكت صاحب يقول: اللهم احفظ لي ما أملك من نعمة الخير في
نفسي، والخير في أهلي وولدي.

واللهم لا تشمتنا ببطر، ولا تبطرنا ببطر، واتهمنا مقبل، وأنعم علنا في الحامدين
الشاكرين.

قال لي: حضرته - وأشار إلى ابنه - لا يريد الجلوس في الدكان.

- ألقت: مخطئ، ومصيب في آن!.. هو مخطئ ألا يرغب الجلوس..
يتعلم منك. يحفظ عنك، ومصيب أن تفرض عليه أن يكون معك طوال النهار تحبه معك، إن في هذا حجزًا له يكبه، فهو قد ألف قسماً من الوقت أثاثته المدرسة له، حتى المذاكارة في نفيسة لأن فيها تغيراً من وضع أمام الأستاذ إلى وضع أمام نفسه. دعه يجلس في الأيام الأولى ساعة أو ساعتين، ثم أفسح له الطريق ليذهب إلى البيت. إلى نفيسة أخرى.

إن فرض القيود السردية هي فارضة النفاذ من هذه القيود. لا تكن
ساباً فتكسر، ولا ليناً تتعصر.

أعد تاريخ حياتك طفلاً. تصور ما جرى لك، كثيراً مما ضايقك
وتمنيت إن لم يكن.

إن حبس الفتى على غيابك كلها لا يطوعه لك، وإن إطلاق الفتى
لرغبته كلها يبعث العصيان في نفسك عليه. من هنا يكون الانفصام
والغيباب، وسوء التفاهم.

تذكر مرة في حياة إنسان ما أن والده قد زرع أحيوانيًا كبيرة من
الحزمة، فلما أبلغته، واستوت النسيب على السوق كلف زارعها ابناً له
يحرص هذه الحيوان من الطير لا تأكل الحزمة، استمر أياماً لكنه
استوى حتى لم يكن هناك أحد يقوله. فثاني، وكأنما أباه أشفق عليه،
فجأة قبل المغرب بأقل من ساعة، وأخذته إلى حفل كبير، وتركها المزرعة،
وفي الصباح، وجداها خارجة على عروشها. نزلت عليها العصابير فأكلت
الحزمة كلها. لسبب: الضغط على طفل، وال الرحمة من أب. ثم تركه
يحرص ساعات، وناوب بينه وبين أب جيل للحراسة لما تأزم الطفل، ولما
أشفق الأب، ولما خسرنا الحزمة، هكذا. العصاوة تضر، ولو برحمه
متأخرة، والكرازة، البخل عما أشد ضرراً لأنهما السبب في حجز الطفل،
وفي الرحمة الفجائية، وفي خسارة الفرح!

- قال لي: أنت مكبوس! يعني مكبوس النفس لا مكبوس النفس!

- قلت: ليست المشكلة أن تكون مكبوسًا تطهّن أعب أحاء خاصة، أو مستديمة حتى الأزمات في النفس تصبح هذه الأيام كالمعاهة المستديمة!

المشكلة هي أن تعجز عن النفس بالبرح. تعبر عن ما تآزمت به حال
لديك، والمشكلة أكبر هي ليست من فقدان الشجاعة، وليس من الفرس، وإنما هي من الاستحيا. تعرّض لك الأزمة النفسية من خبر مدمم، أو
حالة موجع ليس هو خبرك، وليس هو حالك وإنما هو حال ودمع من
تعرف أحياناً، ومن يعرفه لك إنسان آخر!

- مكبوسًا لا من الاستحيا، أيضاً، وإنما من الآثار التي تنغلق
أوتوماتيكياً إذا سمعت كلمة خيرة عن أحد، أو دعوى خيرة لغوث أحد،
وتنفتح أوتوماتيكياً إذا ما سمعت المعابة، أو تلمّشت على خبر عرض حالاً
لمسكين!

- مكبوسًا لا الصمت إرهاب، ولأن النطق ضياع!

وسكت.. لأنه انقلب مكبوسًا أكثر مني.. وتنقلت أكب لأنه سأتأتي
وأجبيت، فنفنت.. بقي هو أن يسأل غير يليببس!!

- أصبحنا لا نقرأ.. يعني هذا التجميد في ميوعة الحياة...

عندما كانت حياتنا صخرية كما تسلق صخورها بالقراءة.. حينما ذاب
كل شيء أسكسر الحاسة القارئة نفسها تصورها عن الميوعة، فلا تجد إلا
أن تجمد..
التمجيد فيك كقارئ توقف عن الحركة في متابعة الفكر الإنسانى والموهبة حولك كقارئ تعبير جهادك فلا تمسك بشيء أفضل أن أشجع على ما أسكت لئلا أذوب في هذه الأشياء التي لا تسكن!

الأشياء الشائعة في المكتبة الإنسانية أو مكتبة اللغة الشاذرة أصبحت بعيدة المنال لأسباب نحسبها مانعة ألا تذوب… بينما هي واقعة كالحمى تصيب إنسانًا في فلاته لا يجد العلاج أو الطبيب العلاج والطبيب لقارئ هو ألا يتحمل وأنا ينتزد كل ما كتبه الفكر الإنساني.

أصبحت… بعد سطورين مما كنت قبل… أفضل أن أذوب مع كل ما يقرأ… ولا أشجع مع الذي قرأ…

تناقض...!...!... هو هكذا الكاتب قارنًا... والقارئ كاتبًا، لا بد أن يعيش التنافس ليصنع الفروشة… هو مسؤول عن ما يعطيه للناس، لكنه ليس مسؤولًا عن ما يأخذه لحساب الناس.

• في حوار بينه وبينه قال: أريد أن أحب ولكن الزحام ضيق على أن أجد من أحب، أنا لا أحب الزحام...

- قلت: أنت مثلي تمامًا… كنت لا أحب الزحام حتى إذا زاحمني أحد تخلت دون ألم… لماذا!!... ثم تخلت عنه دون من يزاحمني عليه لأنني فضلت نفسي من ألمها. لكنني حينما يطردني الزحام عندي لا أشعر بهذا الأليم… أهذا حب؟… كنت أحسن الحب… عشت عليه في أكثر من حالة… غير أي الآن أكاد أمح هذا الأسلوب… أحسن نفاهة، فالقرار من الصراع جلن الأنانية. لو كنت شجاعًا… يعني أتحمل الألم… لكان الرفض في الزحام أكثر إيلامًا لأنه الهزيمة!!...

أما التخلي لسبب منهم… لسبب مني في هذا شيء غير ذلك… إنه
باتنصاره هو علي فانتصار الحبيب حبيب إلى النفس، فعلى أقل تقدير كنت
ميداني. نتصارع فيه. أفقه، ولا أخسر هذا الميدان الذي هو أنا، وإن
كان بانتشاري عليه فشيء حبيب إلى الأنثانية أسترخمه ولكنه من ناحية أنه
ميدان فيه بعض العزاء. على أقل تقدير أرى في وجداني هذا الميدان فيه
شيء من الذكرى، فالمتنصر والمنهزم هو نوع من أوضاع الصلة. أما
المتنصر دائماً فهو الأصيل دائماً. الحب نفسه وذكرياته!

الذكرى حياة الجمال في هذا الجميل. وحياة الحب على كل
الأحوال!

وحين أقنت بعد أن تعلمت لم أجد في نفسي قبولًا لأن أجد من
أتصارع معه. يعني ذلك أنني فقدت إلى حد بعيد الحب والحب!

بصراحة. لأنني غير صالح لذلك. لا إигра... لا زهرف... ولا
حتى ما استبدل به المتنبي ماله وخيره! لأن منطقتي أصبح غير معجب...
قديم عف عليه الزمن. لكنني سأتنصر. لن أكون منهزماً. حيث لا
حبني ولا حبيب، ولا كفاءة في أن أجهدهما فإن عندي كل الكفاءة لأن
أحب ما هو أغلق، فلتئن فقدت من هو أغلق فلا عائق إن هو الأغلق.
ذلك هو حب المحب!

هذا ميداني أتُحدى من يلقاني فيه، فإني سأتنصر عليه.

حب الحب... جمال الشيخوخة، وجمال الإباء، وفضيلة الأصدقاء!

قال: أنت شيخ تصابي، تتلقع الشبان ليزفوك في هودج!! فحينما
فقدت عرس الحياة جئت تتطلب التعويض.

ـ قلت: هذا غير ملائم للواقع.. فحب للطفل أبى الرجل.. أملٍ في
الرجل صانع التفوق في المستقبل. هو داعي من أول يوم وقت في معلم صبيان. في كل مرحلة لم أبخس إنسانيًا حقه. ففي كل رحلة رافقت المقدمين على نجاح.

برنت من إلحاد. وترأت من كلمة قالها أحدهم قبل خمسة وثلاثين عامًا: أنت تشع فلانًا! ألا تعرف أنه إذا تفوق سينساك ويهملك؟

قلت: إذا ما ذكر نفسه بالتفوق فيه. فإني لن أنسى نفسي واضح لبية في بناء أعتر بصوته ونمانه.

***

م حوار آخر: أنت تجبن عن مصارعة هؤلاء الشبان ومقارعتهم.

قلت: لم أختلف معهم على شيء ينالني منهم. بل إنني أحب أن يكون أول حجر يرمون به هو الحجر المسلط على الخطأ ولو كنت هدف الحجر إذا ما كنت من الخاطفين.

أما إن اختلوا على أنفسهم. فلست عليهم بمسير!...

وإن تخلفوا عن الحق، فشأن غيري أن يرد على من الباطل.

فق أسعى جهدي لتحرير رأيه. ولا أحب أن أكشف اللحم في السوق!!

- هما قالا ذلك. فلم أنهزم. لأنه جرأة على الحقيقة، ولا يهمني إلا داعي ووازي، ولكن.

- قال الثالث: لا. لا. إنك تسوس عقولهم، وتوسوس لهم وتفسد رأيهم!
الأعمال الكاملة للدكتور الأستاذ محمد حسين زيدان

- قلت: هنا يكمن الخطر... هنا دافع حقدك، وسوء قصدك. فليت ولدي من صلى يسير على إيماني ورأي في ترابي وقومي ووطني.

- قل غير هذه...

- إنني أدفع الجرأة... وأتسأل بالانشاط... وأحاول الرأي لأنني أحب الجهر... وأكره الهمس... وأرفض الكبت...

- ثق أنك حينما تقول هذا لواحد، فإنك تريد أن تسنه كفاءته في تميز الأصدقاء والرجال.

- لا حقد، لا إفساد... إنها هو الحب لكل المتفوق والمتفوقين... أما سواء القلب والحقق القاهر فمتع الذين يحبون أن يعيشوا وحدهم.

- والفى الذاهب إلى بعيد يتعلم... جاء اليوم يتكلم... ذهب يحمل تكليفاً... وجاء يضع تشريفاً، كان عمله الأول أماني الوالدين... وأصبح عمله الأول العمل للقادمين والحاضرين حتى تحبست أن شيئاً جديداً ورائعاً قد تجسد أمامي في كيانه... من لسانه.

- طفل كنت ألعب معه... أناجيه وألاغيه، فإذا هو رجل يلعب بي بجد من القول... يحاول ولا يداول، يتصال ولا يتحول... يتناول خير ما يعرف... ولا يتلقي بسر مما عرف... يرسل كلامه كأنما هو في الواقع يحدد قانون مسيرتي معه في قابل... أعطياته من عاطفي حياة مسيرتي له... ويعطيني من عقله الشيء المفروض غير المرفوع... يفرضه هو، فأصبحت بهذا كله صديقاً لا أبّا... وأصبح بهذا كره الابن الصديق...

- يلتقي بي بالانطلاق، لا أسمع عليه قيداً. يتجه به الشقاق إلى فراق.

- وسألته: كل هذا مسلم به... ولكن ما أنت صانع له؟
- قال: لا تجزع.. أحسب أن غيرك يفعج إذا ما أخبرتك بقراري...
فبعد عام سانتهلي لأكون معلماً في أي مجال.. لا يغريني أن أكون متدماً في قرية.
-
فقلت له.. أتصنع التهجم.. ماذا تتوقع من إجابتي؟ هل تحسنني أقول: لا.. لقد سمعت قبل أن أسمع هذا منك ليكون الذين سبقوك على النهج الذي أردت.. أستاذة ومعلمين.. ولكنني فجعت بما لا أقدر عليه إن استجاب لي طالب عز عليه مطلوب.. حتى الذين كانوا الحربين بأن يستجيبوا.. فتكرون من المعلمين.. وجدت في وجههم استغراقًا...

- قال لي واحد منهم: كيف؟ أتريد من ابنك أن يكون أستاذًا؟...
-
فقلت: نعم.. فالبلد في الحاجة العامة إلى المعلم لا إلى المدير.. فأعجب لحامل الإجازة العلمية ألا يستفاد من علمه إلا توفيًا على استمارة.. أو حدودًا بالاشارة!

وضحك.. فقلت: أنت محقق في أن تضحكي.. إلى أن تسخر...
لأنك إنسان قد سحرتك البطن.. إلى أن أماتت الفطنة.. أما غيرك.. فلم يسخر لأنه مسير بما يدعو إليه نهضة في هذا البلد.. يرجو أن تسير بالعلم وبالعلم.. فلا تتعثر بالمسلمين الساحرين؟...

وسكت الفتى.. لأجد دمعة أخرى كان فيها بلسم الجراح.. وكان بها الطلسم.. لا تخفيه به ذخائر المحج.. وإنما هو شيء من الطرق الطبية الحلال.. ألقواها عليه.. أسأل الله أن يحفظه من نكحة تقتل عواطف الرجال وآلامهم.

الحب.. حب هذه الأرض وقاية من كل شرور المسترضبن بالعلم..
بالعلم.. نقضي على هذه الشرور.

سمعهما يتحدثان على قارعة الطريق، ولشدا ما سمرت قدمائنا!

أسلما عليهم، وأسألهما عن فحوى الكلمة التي قالها سالم لسعيدة.

هما كهليان من كهول الحارة القديم.. وأنت في بلد قل أن ترى في شارع.. أي شارع واحداً من الجبرة الأقدمين. كله جديد، كله طريف، ذهب بالنثيد، فالشيء المقرر في حياة المجتمعات أن القادم جديد يطرد الساكن القديم.. ففروض البواطن.. أطلوا قريش الظواهر، والأحباب.. أطلوا البواطن.. وهكذا. حتى أصبح اسم دار أي سفبان القبان، وحتى أصبحت سفينة بني ساعدة شيخ النحل، أو السحيبي.

.. سأسأل الشيخ.. أين قلت؟

- قال: قلت: الحمد لله على نعمة الجهل، فأعترضني سعيد ينكر عليّ ذلك، ينكر أن الجهل نعمة أحياناً.

- قلت له: فسه لنا.

- قال: الجهل النعمة هو الذي لا يخرج بك إلى ضلالة ولا يدخل بك إلى أذي الناس.. تعلم ما ينعك لخاصة نفسك، ولا تبتعد بشك ولا تهلك بالحيلة.. انظر إلى هؤلاء الذين جعلوا العلم نعمة..

النعمة في العلم، أو بالعلم هي في حامليه، ما استطاع أن يصلح أخلاقهم فزادهم العلم نباهة ذكر، وذكاء ذهن صلحت لأذوات الشر والفساد بين الناس.

إنك تعرف فلاناً صاحبنا، وتعرف آتي بعيد عنه، جليلي النظيف، أبعدني عن علمه المستنسخ «يفتي على الإبرة، ويلمع العتلة» كم مرة أبكي
يتبناً أضلاع حقه، وأرملة أنذرها في غتم حقها.

كرهت المعايشة معه، وقد كنت أحب أن أتعلم منه.

وهكذا... فالجاهل في الأدغال لا يعملون على قتل الإنسان.

فالجاهل تجد منه الحماية، أما العلم فأين نجد الحماية إذا ما سلطه

إنسان على إنسان. (حيلة) "خدعة" (قنابل) "غارات" قوة حمامة.

لمرة الثانية. وفي المطر حملني صديقي الشاب في سيارته إلى

البيت. لا أدرى أينذاك مصادفة أم هو العمد منه. يعجب في هذه اللحظات

التي تضحك فيها الأرض من بكاء السماء، أن يضاحكني وأماحكي!

كان الحديث في المرة الأولى عن شجونة. وكانت شجونة شجونة

المترفين الذين يعلقون غيروهم على أهداب البلكونات! أما الحديث الثاني

فمن شؤون أخرى ليس فيها شجون. وإنما فيها شدو.

- قال لي: كيف يستطيع أن يكتب أخو أنا "عبد الله جفيري" كل يوم.

يؤعى هذا من القراءة، أم أن هناك شيئاً آخر؟

- قلت: هما واحد. القراءة أولاً، والشيء الآخر أولاً!

- قال: أرسلوه يعجي. ويعجب الكثيرين!

- قلت: والكثيرات أيضاً! أحسبك تسأل عن هذا؟... انظر إلي

لسمع. لا أريدك الآن أن تعلق أهدابك إلى فوق. فليس هناك إلا حبل

الغسيل!... أحياناً النظرة إلى تحت تعلق بك إلى فوق، فالذين لا تحتم

لن يكون لهم فوق. الجهر تحت. يعني الحياة تحت.

وهنا مستند عصا المعلم المضاء... لأقول له:

- في هذه الخمسين عاماً التي عشتها. يعني وعينا أن نعيش لها...
نبت عندنا أساليب. كل أساليب أعلن عن كاتبه. إذا ما قرأته، ولم تر توقع صاحبه قلت هذا فلان. هؤلاء أصحاب الأساليب كأنما برزوا في حياتنا الكاتبة على نسق متسلف. تحسبهم المتواجدين يحفظون اللسان. مكانه: حمزة شحاته، فحسين سرحان، فعمر زبيان، فمحمد عمر توفيق. ... لكل واحد من هؤلاء الأربعة تمطل أساليبه علينا. غطانا. ولحنا. 

فطبيعته قراءة في "رانجوس" قطعة لحمزة شحاته في صوت سفري إلى الهند، ولكني قلت لصديقي الشاعر محمود شويل: "كاتب هذه حمزة شحاته" ذلك لأنى. ولكن أقيم الدليل على نفسي، قرأتها بصوت مسموع فكان الجرس هو حمزة حمزة. وقد وقع لي قبل أن أصل إلى التوقع أن أعرف الكاتب حسين سرحان، وعمر زبيان، ومحمد عمر توفيق. لقد حجبت الأيام هؤلاء إلا في النذر القليل، فجاء صديقك "عبد الله جهري" خامساً لهؤلاء، يكتب بأسلوب مميز كأنما هو صحوة من فترة غفوه! لذا يقرأ الكثيرون وال كثيرات. ... غير أنه أوفر من أولئك حظاً لأن الكثيرات أصبحن يقرآن!

قال: أيها!

قلت: هم يمتصون قصب السكر، ويتضحو دمهم بالشهد. أما أنا فأجاد وانتدق!

• سؤال ألقاه آخونا م. ع.:

س - ما هو أحب شيء إلى المرأة؟
ج - هو أن تكون أما. فالامومية أحب شيء لها. فهي قوانرها وقلمتها ومدار رغبتها ومسيبة حياتها.

س - والجواهر والفساتين؟
ج: هذه «مذاعمات» وكماليات. شهوات تتنزيح بها المرأة حينما تنبيذ للذكر. «من ذكر وأنى خلقهم؟»

هي أم ولا شيء غير هذا. وكونها الأم يعني ذلك أنها الأنسى. والأنسى لا يمكن أن تكون بلا زوج. الذكر. «من كل زوجين الأنسى». سن إجابه ما كنت أتوقعها. لقد فهمت الحقيقة وأغرقت الفهم الدقيق لي.

ج: الأنسى الأم غالبة. فلم استرخى الإجابة عنها. فرق كبير بين الأم والأب.

فالأنثى الذكر قد يصرف ماء الحياة. وقوام الحياة في كل منصرف نيلا لشهوة. ارضاً لنزوة. لأنه لا يحسب حساب الأبوة قطعاً وهو ينشئ ويفعل.

أما الأم فهي مورد ومصنع. لا تنصرف إلا وهي تشغف البنوة والأمور. فإنها في التشهي والنزوات والهفوات تنقطع نفسها حسرات. هي البكاء بعضها على بعضها، غالبة البضع. مرهفة الحسن. في أشد حرصها على غواليها!

ما البقاء في الذكر بعيد عن القلب. أما هي تحول القلب في هذه التراثب في صدرها.

تعطيه لطفلاها طعاماً.

لفتلاها طعاماً غذا من ثديها.

يخبر من بين الصلب والتراثب.

هي مصنوع البنوة، وغذاء الابن، ورحمه الخالق، من هنا. ا. الجنة
تحت أقدام الأمهات» أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك.

ومن هنا أيضاً، «حب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقفة عيني

في الصلاة».

س - لقد قسست على نفسك ذكرآ أباً!

ج - لأعطي أمي حقها، لنبا أخس أم ولدي حقها، لأرحم البنت في

هذا الزمان المستغول، إنها عاشت تحت غول من الكبت.

- قلت له: هي واحدة من ثلاث، من صالحك أن تسأل عنها قريبة

حياة: الفاغية تخف نفسها، والغالبة تخف غيرها، والفارغة لا تخف

نفسها، ولا تخاف غيرها، وإنما هي تخاف الخوف، وتأمن الخوف في كل

لحظة لها مذاق!

- قال: هذا كلام يسأل الوضوح، ويرفض التعنیة، ويرغب التعريف

بالدليل، والعلامة والميزة. وحتى المعبدة، عن كل واحدة منهن.

- قلت: إن التي تخف نفسها رفضت أن تعيش تجارب عدة فهي تكبح

الرغبة لا تخضع لإغراء، وترفض الافتراه، وتود أن تجد الأمين المؤمن,

وهي أيضاً لا ترجي الحبيب إذا ما كان الأمين، ولا تلجئ إلى ممارسة

الحيلة معها، فهي تنعرف وتعرف حتى تعرف، ثم تعترف فتقع في شباك

إنسانها الذي يحترم خوفها لأنها به حافظت على نفسها حتى حفظت هو

نفسها!

- قال: والثانية؟!

- قلت: التي تخاف غيرها؟!

- قال: نعم.
- الفصل الثالث - التسول - كلمة...

قالت: إنها هي التي تقع من تجاربها مع الذي يجسد الخوف فيها.
كان تخيلها مزاجًا فاضحًا طبيعة. إنه يمثلكها بهذا الخوف، فتصبح عبأً له يسومها بالحذر منه وسلوك المخادع الملابس. الخوف الطبيعي حينما يترقب بها ساعدته المريرة في مثل لها نفسه الرجل الرائع. فتضع بين يديه سيدًا لها يحكمها بالخوف، ويتسلط عليها بالمذلة!

- قال: والثالثة؟!

- قالت: لا تخاف نفسها ولا غيرها؟!

- قال: نعم!

- قالت: هذه س تكون عبأ تفسحها من تصورها أنها سيدة نفسها حينما تأمن بالوهم لتكون المراجعة من إنسانها، لأن وضوح الاستقلال فيما يمنعه من أن يمارس حياة إنسان مع إنسانة لأنها تشمخ بالأمن في نفسها جامًا.

أيامها الشابة المريرة. حتى إذا نعت النفس من حماية النفس جاءت تجري نفسهاً جديلاً تسأل الإنسان فيما يصعب عليها أن تتجه لأن الزمن قد صنع لها الخوف من نفسها ومن غيرها لتكون كالثانية... حينئذ تعيش الحياة والخسارة. إن ملك الأمر في نقبل الأنسى رجلها السكن والمطمئن هي أن تخاف نفسها فلا تخاف غيرها. أفر لا تأمن نفسها، نمخاف النفس هي مجلبة الأمان في الأنسى، ولا شيء غير ذلك... إن التي خافت نفسها عاشت حياتها آمنة ببرجل لا يخف ولا يذل!

ليس كالحوار جالب ثقة... مثبتًا لقواعده كرامة. وطارةً لرأي لا ترضاه... معلماً لفكرة تفيد... به لقاح الفكر وغذاء المعرفة. وتفشي الرأي، وهو بهذا كله لا يصدر إلا عن عدة كقوة في عرضة الجدل.

أو هي القوة في المعرض للحوار... يستاهل نطاق قرون، ولو كان...
ولو كنا غير شرفين ... بِهِ تنمَّحِي الفوارق بين الاثنين المتعارفين فرداً أو
جماعة. الفوارق تنمَّحِي ولِو سِنَّة جِدِّ، والحجاج يكِرُّ صِغيراً ... يرتفع
بالرأي ويتواطن كِيراً احتفالاً بالرأي.
وِكِيراً ما تكون غِير عارف بِمَسَألَة أو فِكرَة. فِيذَا بالحوار يفتح لك
باباً تجد المَسَألَة عندك، وِجواهِرُها في المخزون رُصِيداً في عقلِك الباطن،
أو أنت تخذه من عِندي سؤالاً ليكون عندك الجواب، أو يكون الجواب
من عندك لَمسَألَة وِجدهَا في لِحْظَة الحَلِيْث تُطْرُحَها لِجيب، فِيما أن
ترضى بما أتدله بِهّ- أَعِنَّ تُقَنَّع - فِلاً مَجَالٌ للْغِضْض في الحوار، وإِما أن
تَناقِضُه ليكون صوِباً صوِباً عنه، أو لا يكون.
إن الحوار مران، ومعاناة ... لا تغنت، يَأتي بالِمَمِارَسة للمَدارسَاء.
فَمَثْلَا، تَحْدِثَت إلى صديق مَثْفَف من الهند قال:
- نحن نخوض التجربة الحريرة في برامج التنمية مَتعْجِزْنا عن تمامها
مشاكل ومشاكل ... سواء من الداخل أو من الخارج. ليست هي الأفواه
الجائعة التي تحيرنا، ليست هي الأرض تُريد الحُرث والزرع، والمصئِب
ليكون الإنتاج نوَأ**ا النِمة. وإنما هو هذا الشَّرَفُ، أو هو الإسراف في توقي
عَدْوان علينا. تَسْتَرْضِنا من نفقات التسليح لَخطونا خطوات كِيرة في
التنمية. هذه الحرارة التي تَشْرِع بِها ليس سبيلها ما ذُكِرت لَأنه سبب
عارض. السبب الصحيح هو أن حَصْنا على الاستقلال دون أن تقدَّم كثٍيرةً
من الضحايا.
- قَلِت له: الاستقلال هو الهدف والغاية، أما الضحايا فوسيلة. لم
تَسْتَطْعِموا استعمالها ... بهذه الفلسفة أو المبدأ أصلها غاندي فيكم.
"اللاعنف". اللاعنف يعني لا ضحايا كَأَنّما تريد أن تمسك بالاستقلال وقد
سالت دماء يرهبها الشعب... بالعكس... إن الدم يبعث الجرأة على الدم... إن الهند في آلاتها الطويلة كانت هي الضحية الكبرى، وغاندي في مصرعه كان ضحية يعادل الآلاف... لقد ذهب واحداً ولكنه بالكيف لا بالكم ضحية كبري رستخت في أعماق الهند كألمن طويل المدى. عميق الأثر... إن الضحايا لا يجري وراءها إلا من يريد التصفية على طريقة هتلر، أو من يتذرع بالتطهير على طريقة ستالين!

قال: لا أريد هذا... لو قدمنا كثيراً من الضحايا لوقانا شعبنا كثيراً من نفقات التسليح حينما يكون كله جيشاً يدافع عن أرضه ولو بالمبدع والفؤوس والعصي... هذا الذي أريد!

ثم أردف قاتلاً:

- إن مشكلتك مع إسرائيل لم تكن وليدة وعد بلفور، ولا أنشئت باعتراف ترومان، ولا طغت بالمعونات... كل هذا كان يمكن ألا يؤثر لو أنكم قدمتم كثيراً من الضحايا...

الشعوب التي تقدم الضحايا لا تمكن عدواً أن تكون ضحيتها... يسيطر عليها كل يوم بعدوان جديد... لو أنكم في عام 48 استمرتم في الحرب ولو على صورة العصابات، أو الكموندوز (الغاديين) لانتهتم من إسرائيل لكن بعضكم دخل الحرب وهو ينتظر الهادة. وبعضكم رأى الهدنة نهاية المطاف، وحتى في حربكم الأخيرة خفتم من تقديم الضحايا على صور شتي.

قال له: لقد تعلمنا هذا الدرس... لقد بدأنا نقدم الضحايا... كما قال شاعراً شوقي:

ولا ينبغي الممالك كالضحايا ولا يتأتي الحقوق ولا يحقق وحررت الشعوب على قنها فكيف على قنها تستر؟!
حوار كحديث بين أكثر من واحد، وأقل من خمسة!

م: كنا في مرح ليلة أمس، نسينا ما نطلب لتعيش في ذكرى ما نحب، ومن نحب!!

ج: لم أكن مهكم لأني لم أكن ضائعاً خارج نفسي. ولم أكن ضائعاً من التي هي نفسي.

ز: يا للشباب المرح المنصبي رواج الجنة في الشبان. والشباب مصاص تفاح، يطرد الراحة وينسي الراحة، يتفاقي المنعشات، ويقتل المنغصات.

ع: والشيخوخة؟

ز: هي امتصاص واجترار، تبلغ وتختنز، ولا تملك فتطرد، كل شيء يتأتيها تحمله حتى إنها تستقبل الراحة، خوفاً منها وتستدر الراحة راحة فيها، فإن اليأس هو ملهمها الملح، فمن أعاجيبها أنها تتغطرف القلق راحة وديدناً فلا تمله.

ج: أو تفسو على الشيخ إغراة للشباب؟ أم هي الحسرة؟ أم هي غير ذلك؟

ز: لا قسوة وإنما اعتراف، ولا إغراة وإنما هو تحذير، ولا حسرة وإنما هو الحرص على أمر لذيذ.

س: ما هو الفرق بين الألم الملذ، واللفزة المؤلمة؟

ز: الحب والهجر والوصول والعذاب ألم لذيذ وتهذيب مريح. أما التشهي والنوال وعقاب الجنس فلفزة مؤلمة.
فما من ألم ملد تبغي عنه نوبة. لكن اللذة المؤلمة هي الرغبة قسرًا بالندامة إلى النوبة.

ش: ما هو الجمال؟

جمال كل شيء. كل شيء تأخذك قوة الأسر في أي شيء أو حي تعشقه، أو حياة تعشقها هو الجمال.

أما ما يبعدك يقصيك، فلا تأخذ، فلا تأخذك فهو القبح، القبيح.

من هنا تناوته النظرة إلى الجمال والجمال. فارس يهربه، ملاكم ينصيره، زين يخطر خطوة الهواء. حلوة. زهرة. حصان. بناء... كل هذه حين تأخذك نفسك لنفسها هي التي أسميك الجامعة. والجمال. لا مقياس... ولا نظام... وإنما هو التجاوي والتلاقي كهيئة يرسلها إليك تدغذن ذاتك.

هذه القوة المغناطيسية هي دفق الجمال واندفاعه وأخذه وأسره. فالطاعة له جمال في نفسك من جمالك في نفسه. لنفسك أخذه.

لتأخذك بها.
صحافة وكتابة
صحافة وكتابة

- حتى في الحب لا أحب الزحام، ولا يعني هذا أنني أحب الوحدة، وأشوق الغربة... ولكن ليس من طبيعتي التباهي بالانتصار على أحد... لاخوض في الهزيمة، فالهزيمة لا ضرائب عليها... تدفعها هي فقط لا غير... إنني أخف الانتصار لشخصي في أي معركة وجدانية... لأن ضرائب الانتصار قد لا تستطيع دفعها!

من هنا، أتخذ في بعض الأحيان من "كلمة ونص" منتفساً ابتيج فيه الهزيمة، واقتحم الانتصار!... محطة استراحة... فمثلًا: أجد بعضنا لا يقدم على موضوع يكتبه أبنداء، فأقتدم لأكتب فيه، فلا أجد فيها اليوم الثاني إلا فائقة "السقاية والأنفريسيه"... أصبح كل جمعية يشترى يا واده!

يذكرني ذلك بالحجاج الجنوبيان أيام زمن... يرحم، أيام السقاية و"الأنفريسيه"!

وفي حال آخر... أجد موضوعاً كلهكم كتب فيه... زخمة... تكاد تضيع الفكرة... أهرب من هذا الزحام إلى فكرة جديدة أرسلها بعد!

لا يجوزني أن أكون الأخير ما دمت وراء الجماعة رداء لهم، أو حتى "تشاؤما"!... ورضي الله عن صفوان بن المعطل!...
المزاج، أو حالة. لهذا سأبتقي في اليوميات عن مواضيع حجبتي عنها الزهمة!!

**

- في المأموم عادة يجلس الناس للعزاء بأدب، وسكينة، ووقار. صمت من الكلام إلى درجة الهمس، أو السكت. عدم استعمال أي شيء باليد. السكون يخيم على الجميع كأن على رؤوسهم الظفر. لا أحد يستطيع أن يجرؤ على "شخطة" كبيرت. يبرع سيجارة. لأن الإنصات إلى القرآن يعلم الناس الأدب.

لكني رأيت صديقياً لنا هو أكثر صداقة لأصحاب المأموم قد وضع "الغليون" في نموه. هم يسمونه "الباب" تقليعة جديدة يجريون فيها طريقة تشرشل، أو "جون بول" آخر، يكلم والباب في فمه. ذلك أحدث لهجة جديدة في اللغة الإنجليزية أخذت على اللهجة أيام شكسبير من اعوجاج الفم!

استكررت ذلك منه. كيف يشرب الدخان وهو جالس للعزاء!!

نصحته حين قمت إليه، فانضاع. اعتذر بأنه قد نسي نفسه!!

حالة قلق. الله يعين الناس هذه الأيام، وتذكرت الأستاذ حمام في قصة رواها لنا. قال: كان أحد الشيوخ من الأكابر يقرأ القرآن في مأمن لمصري كبير من حقه أن يحضره الكبار حتى رئيس الوزراء، ولاقت الشيخ فوجد أحد الوزراء قد وضع السيجارة في فمه فقال الشيخ: صدق الله العظيم، وهب قانونًا يترك المأموم، فلم أمسكوا به قال: لن يجلس حتى يتآدب هذا الذي يشرب السيجارة والقرآن يتألى.
يظهر أن الزمن والأرض والأحوال هي التي تعلنا على كاتب هذا، وهناك أن يقول مثلاً يقول الأخرون.

كل الفارق هو اتساع النشر لما يقولونه، وضيق االانتشار لما يقوله. ذكرني هذا بكلمة فاخرة من صديق كبير حضر قبل خمسة وعشرين عاماً مؤتمراً ضم كباراً من العرب في بلد عربي.

واتهى المؤتمر، وجاء صاحبنا إلى بلده، فجرى حديث معه. فقال: وهو فرح فخور: كلهم مثلنا، سرحنا معهم حتى تجاوزت الركوب، هم زيناً ولا فرق.

مرة أخرى ذكرني ذلك كله بكلام سمعته. كنت قائلًا له من قبل، تحدث به صحفي كبير في إذاعة عربية. هو يروي كلامه، ونحن صناع كلامنا.

قلت من قبل: إن القارئ هو كاتب ما يقرأ حينما يرفضه أو يقبله.

والكاتب قارئ لما يكتب إذا وجد ما يلاحظ عليه من عيب أو نقص أو نداعة.

وقال الصحفي الكبير: إن القراء هم الذين يغيرون ويدلون ما يكتب يومياً أو دورياً. فما يعجب القارئ تستمر الجريدة في نشره، وما يرفض تغلبه.

وليس هذا بالشيء القليل. فإنه يعطيئ الفهم لقيمة الجريدة من الفهم لقيمة القارئ.

إن يقطة الجريدة لمطلب القارئ هو أساس نجاحها، تعطيه فكرها من فكره...
هو يأخذ فكرها لفكره، وبعطيها فكره لتفكيرها.

إن أي جريدة لا تعب بالقارئ فسوف تجد نفسها قارة نفسها.

إن أي قارئ لا يعباً بأن يفكر لجريمة، فإنه سوف لا يجد نفسه قارناً ما يفيد.

قطر الزمن، وتتشابه الأحوال يعطيك الكلمة الواحدة لحال واحد لا يختلف من مكان إلى مكان، فليس هناك كبير أو صغير عن التفكير المحتم
بمحتوى تداعي الأحداث والأفكار.

لم أسمع أن البنات يلدن الأعداء أو هم الأعداء إلا أمس، فلقد
وجدت بجانبي "كليلة ودنية"، فأغراني أن أطلع فيه تسلية.

قرأت باب "الطائر فنزة" ووجدت فيه هذا الكلام. فهل هي عقلية ابن
المقفع الفارسي حملته على ذلك، أم هي شبيهة من الثقافة العربية الحاملة
عليه؟

لا أرى أن آمة من آمن الأرض قد ذاقت طعم العداوة بسهام البنات
بلاً الأمة القبلية في عصر العرب الجاهلية. يتقابلون بالتزويج كعمل العقل
لتنامك الأرحام والأنساب. هذا يحميه أخواله إن جار عليه أعمامه...
فالخيل عندهم والد.

فكم من أخوان أصطفوا ابن الآخ فأخذوا حقه وصانوه. فالقربي
بالخالات والأحوال جلب الصدقة والصدق. وهي أيضاً في أوضاع شتى
جلبت عداوة ولد البنت إن جار أخواله على فهم وأعمامه، أو قتلوا
أباء.

أحوال شتى فيها الكثير من الطيب والجمال جلبته البنات.
ولأحوال أخرى جلبت عداوة ابن كليب على أهل أمه حين قتلوا أباه وحاربا قومه.

وحسب هذه الأخيرة ولادة الأعداد، لا تكون قانونا يفرضه سابق البلاغاء. معلم البيان عبد الله بن المقعف.

فال الفنيات حبيبات، يضمن الحب ويلدن الأحياء كما هو قليل أن يلدن الأعداء.

فابن المقعف كان يشخص حالة مر فيها. إنه قد بلي بتلك الأعمام من ابن الأخ. لا من الأحوال، فما تلك المنصور وهو الخال لعمه عبد الله ابن علي، وإنما كانت تلكب لأنه عم.

فهل ولد الأنابيين الأعداء؟ وقليل ذلك. وهو لا يصبح قانونا. يرحم الله ابن المقعف فقد قدم على رب واسع المغفرة.

- أستاذنا الراقي كتب تحت عنوان "كلمة وتصف" فلا عيب علينا إذا ما قلناه. بل إنه يشدد أن نشعر قارنا بذكره.

- عندما يتحول الفكر إلى حب نسمي عقيدة. أي عقيدة، كل وما فكر وما أحب، أو من أحب.

وحينما يتحول الحب إلى فكرة نسمي عقيدة أو فلسفة.

وحينما يكون الحب مجرد من الفكره نسمي طبعة. أو هو العادي.

وحينما يكون الفكر مجرد من الحب نسمي الواقعة، التجرد.

و حينما يكون الحب جموعا في تحقيق رغبة نسمي شهوة، مطالب.

حيوان.
- حينما تكون السرقة مجدداً يصبح المسروق مستضعفاً أو راشياً .. وإن خلا من هذين فهو السارق لنفسه .. أباح لسارق أن يسرقه ..
- حينما تكون الأمانة أو العفة ضعيفة أو بلا دوم في نظر بعضهم يصاب المجتمع بردة أخلاقية تنزف الفضائل وتزعزع الرذائل .. يدله بها الكرم ويقوم من أجلها اللئيم ..

ليكون رد الفعل في الصورة التي تنسب فيما أذكر للإمام علي ..
«أخذوا صولة الكرم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع».
الكرم لن يكون واحداً .. وإنما هم الذين أصيبوا بردة الأخلاقية ..
وأما اللئيم فواحد وإن تعددت الصور.
- حينما تمضغ الشاة ورقة عصي فلنها لا تفكر باجرها .. كل عملها أن توكلها الآن وإن اجتنبها بعد .. عملية ديناميكية .. قصرية .. لا اختيار لها.

لكن الإنسان حينما يأكل لحم أخيه يمضغه يجتهر .. هو ليس له معدة تجتبر لكن عملية الاجتبار في عواطفه .. يجرجو صاحبه إلى موقف مردوم ..
على الناس يصدقونه فيما قاله فيه ..
- التفوق أو النجاح ستائر سميك يغطي كل المعاب .. فيه فتحة ..

يظهر منها وجه يشير إلى الناس .. كل الناس: اتبعوني!
- والفشل ثوب فضي ضافية فيه منات الرقع .. كمضربية الدرويش .. كل رقعة يقل منها وجه .. وعلى كل رقعة يمد لسان .. الوجه يقول: ابعدوا عن طريقي .. الجبران يعدي .. وألوين البشر تقول: مسكين!
- بعض الشعوب تطرد الموت بالحياة .. وبعض الشعوب تطرد الحياة
بالموت. سلاحها في يد الجيناء وأموالها في يد البخلاء. ورأيتها إملاء الدخلاء. وحكمتها من أفواه السفهاء.

وأمسكت باليد الأكبر أريد أن أفتح الباب، فنعدي إذن سابق
ندخل البيت من أبوابها ونستأذن من أهلها ونسلم، فوجدته مرتجأً أغلبه
إنسان يكتب. كانت هوايته الكلمة فاحتفته الكلمة! يريد أن يخلو من
غوغاء تأتيه سائدة على الأخبار، والجو والسيارات والسواقين، والبطل
البطاطا، والعفلات والذباب والإنفلونزا ومشلحي الكفرات وهي على أبواب
العمارات!

وأتذن لنفسني بالدخول أسحب لسانى إلى سكوت. أمنعها عن أي
سؤال من هذه الأسئلة الرتيبة يتخذها الناس مداخل لمخارج. يأتي منها
بعض ما يريدون. أطله العكنة. وبعض سوف الأخبار في مكان آخر.

وجلست في مكتبي أتسودد فيه متقمشًا في لحظات أعيشها، تخوض
حينًا فيما يخوض فيه لاغ من هؤلاء اللاغين، أو تخوض معاً في حديث
وحدث. إذا ما اجتليت أو خلتنا. نلمس جوانب الفكر النفس والحال
والأمل والسأم. أتعلم فيه الإجابة وأتعامل فيه مع السؤال في حوار لا
يعجزنا من يلغو لنكتب، ولا يلبس بنا من يتلهى عن وضع الحرف في
سطور بضاء سوددتها في سوادها من سيادة الكلمة المصافة بالواضع النظيف
للغرض النظيف!...

غرض الكلمة دائماً نظيف حتى ولو كانت مقززة جارحة، فالعصا آلة
نظيفة في يد العربي. يجر فيها من هو راحم. فبعض الناس يتأملون
أن تشيوع آذانهم بكلمة لعل قلوبهم تصحو من لوم يركنون به الناس!
الكلمة بوازعها من كاتبيها، ولنموردها لا بد أن تكون لها هذه الركائز
الثاني، فإذا وجدتني أحبك لا بد أن أجدك صاحب وضع أو أهلية لهذا الحب.. لكن الصرامة عليّ ألا أرضى لك أن تعش السارق المسروق، أو الرأسي المرئي، أو الكاذب في غفوة زمان خدع الناس فصدقوه! حبي لك يجعلني أمسك بكلمة المقذعة كعصا العربي أرجو منها الصنو للحب فلا يذهب هدراً كموضوع فشل. إن غواوى الوجدان يحرص على صونها الأمانة لتاريخهم وأحبابهم...

الحياة ليست عطاء من يد تسيطر بها على آخر، وليست استعفاء

تستخدى به أمام مستعين.

الحياة عطاء من وجدان المعاني وأخلاق وسلوك وصداقته، يحتوم فيها الصديق صديقه. يحتوم الذين يحتومونه.

إنه بهذا الحشد من الكرامة يستطيع أن ينتصر على الخزليين والناكرين. تلك كلمة. قلتها وأعرف بأن كل حرف فيها له ظله الواضح على مقاس إنسانه الذي لم يتضح بعد.

• في الصيف يستجم الإنسان. يستريح - يعني يأخذ إجازة «يغير هواء»!!

وفي الشتاء يستجم الحيوان، ولو دفن نفسه في جحر من الثلج.. هي راحته، بل هو دفؤه. كما النبات يصوم في وقت معين - يعني يستريح من الامتصاص - الكفاء فيه - يعني بقاء الكفاءة - من قوة امتصاصه لنفسه، وأنا كإنسان أسأل قارئي لعله يمنحني إجازة.. فقبل أن أمنحها لنفسي، أو استمنحه عكاشة. أستاذن القارئ. أي قارئ؟! لا تحسبوني أعني المستجيب. يستحسن كل ما تحسن فيه. فللقارئ السالم المناظض كل الحرة. مثله مثل القارئ المستجيب. كلاهما يزودني. على الأقل
بالحرص على الارضاء كالتصميم على الإغضاء.. فمعنی الكاتب أن يكون بين هذين.. موجب يحثه، وسالب يستحثه!!

أفكر، إذا رزق الله، وطلعنا إلى الطائف.. تكون لدينا، يعني وطلعنا!!

وإذا حالت العقبات، وأبقنا صارداً طاح على بدران.. نصير على الندى.. الندى يعني الضباب، وليس هو الندى يعني الجود!!! فالجسد من الموجود.. يعني وجود الكرم في النفس.. لا وجود المتخمن بما لا يجوزون به، وليس هذا المتخمن الذي أعني متخم بالمعرفة.. إنما هو المتخم "بالمحمرة"!!

قوة أن يستمر القلم في يدك تكتب الكلمة.. لا تستعيرها من المنفلوطي، كما يجعل بعض المتخمن بالمعرفة الآن - أيام صمت!! - ولا تستعيرها من مسخر باليد العليا تخضع لها اليد السفلى.. تسخرها أنت بالإكراه لأنه يمد يده، أو تخضعه بالولد لأنه يفتح قلبه، أوحت بالله بالمسكينة.. تعطيه خلجانه.. كما إنسان استشعر عليه حيوان!!

وكفاءة أن تكتب ما تريد.. وقدرة أن تكتب ما لا تريد.. سواء أكان وهو الحراد منك بالتسخير، أم الحراد لك بالسخرية طلیاً لمنفعة، أو إرضاء لمن تمسك بعض يديك حتى إذا تمكِّن "تتلعن"!! فالقوة طاقتلك المعدة يعني هي "القوة" و"الأميرو" والكفاءة إبراز الطاقة مرونتها.. تلوينها.. حتى تلومها، والقدرة زخرف هذه المرونة في الكفاءة والقوة.. ليس هذا تعريفاً كقانون المدلول، وإنما هو قانون الحرفة المطلول.. أتعرف به على فهم لتفهم ما أريد، أو لأفهم ما تريد، لكن هذا الاستمرار بالقوة، أو بالقدرة، أو الكفاءة، تكتب وتكتب.. قد يكون مبعوثاً من تضافيف الاستضعاف، أو منعول الضعف هو مسخر القوة والقدرة والكفاءة لكون
السخرية من عجزك، وحتى الاستعلاء ليس هو من مظاهر القوة. لأنه
cوة المفتعلة لستر الضعف!
sخرية من عجز تموت به الحروف على سنان القلم. يكتب ما لا
يريد ليرضيك بما تريد! وحتى انصراف السائرين منك عنك قرأوا.
وقرأوا حتى إذا أصابهم "القرف" من السرحدية المحملة نفد صبرهم على
الطعام الواحد! لا يسألون عن القوة والقدرة، وإنما سألهم عن تقصير
الكفاءة.. عن الضعف في التلوين والتجليد!

الضعف لك فيك.. من نفاد الصبر. يلقي بك القاري في سلة
المهمات ومن الإنفاق المستمر ينتهي به رصيد: "جبال الكحل تقنيها
المراود، وكثير المال تفنيه السنون!"

رصيدك ينتهي وينفد من نضوب المعرفة، وجاف الإحساس وانعدام
الصدق في العبارة. لانعدام الصادق من التعبير!! الأكفاء لا يخرون من
الأفكار، وإنما المضحكون.. المقتلون ابتدانا الله بهم ولن التحدث معهم.

لا تجدهم إلا الساحرين من كفاءة الأ كفاء!

صباغة السيف كفاءة لكنها تبدو الكفاءة الأروه إذا ما تقدها وحكم
على جودتها صانع "كابن باني" ولكنها تبكي حتى وإن لم يتقدها، أو أثني
عليها صبيان الصاغة الذين ما صبوا لهم الفنجال، ولا حزموهم حزمة
الرجال!!

والملل الطويل قد تقدر عليه بالتمرس السرحدي.. أما الكلمة
"الأصانعي" القصيرة. يعني الإيجاز فصعاب أن ترسل إنجازها ترسالاً، أو
خرى مرسالاً. الإطباق سهل بالممارسة قد يستطيعه الذين ألفوا الإدمان
على الكتابة، ولو كانوا من سراق المقالات، أما الإيجاز فصعاب لأنه
ممارسة للفكر والرأي والكلمة، ولأنه العباء، الامتناء من كل ما حولك، بما هو فيه وليك منك، بهذا البسط من مقام الكاتب والقارئ نصحت لنفسك أن أتوقف قليلاً استجم شهراً في الصيف، أستريح من عنا، وأريح القارئ من غشه، فهل أمنحها!؟ إلى الآن لم أقدم الاستعمرة لمنح هذه الإجازة! الاستدعاء عليه طوايع بضع قروش، يعني شيء تطير الريال! قد تكون هذه القروش السبب في العدول عن الإجازة!

• وكثير هم الذين تغيظهم هذه الكلمة: «كما» أشعاعاً العكاظيون، بعضهم يهانس باستدلالها، وبعضهم يملك من الحب - ولا أقول الجرأة - أن يصيح بخطها!

كأنما من يكتبها قد افترق الانحرف عن البيان - بالانحراف عن تقنين اللفظ!

هي لا تدخل إلا على الأعمال، قانونها، تحت المان، وعلى رأسنا ما سنه البصريون من أن التواتر في السماع هو القاعدة، والشاذ لا يؤخذ قاعدة، ولكن - لماذا لا تضعون قانون الكوفييين على رأسكم؟ ولنعمل بهم، من أن لكل سماع قاعدة!

الصريون أكثر احتراساً، والكوفييون أشد احتراماً وتوسعاً! وما زلت - ورغم تبديل اللهجات - فإني أحمي سماعي بادئنا في سلامة النظام، في تركيب الجملة، وصيحة اللفظ، ولو تبديل النطق به كلهجة! فألفاظهم أصلها فصيح.

ويعبجي قول طه حسين: إن اللغة ينبغي أن نملكها. نتوسع فيها، كما هي تملكت، نعتز بها، أما أن تكون عيدة لا نتحرك في الاشتقاق الواسع والتعريب المتسع فهذا شيء أحبه الجماعة يضير ويحجر فلفضح
الكلمة الإعرابي العامي ليرتفع، نغلق الباب على الالحترام بأسلوب كله
العامي لا أصل له!...

كنت أنكرها كالمنكرين، ولكنني قد أحببتها، فأرغمني حبها على أن
أناكر الالكاري!.. كيف أحببتها؟.. ألا أنا كاتباً في عكاظ كتبها؟.. أم لأن
كاتباً عربياً أخر نقلها عن السودان فكتبه؟!

لا.. لقد أحببتها ظهر يوم في البدا.. كنت مقبلاً من البدا في مهنى
يملكه إعرابي من تقيق.. من هوازنت، ولما أردنا الرحيل حمل طفل معي
قطاً أصغر اللون.. مطمعاً بحبات باللون الكحلي.. كان «البسب» في المقهى
سراحاً ولكن يظهر أنه «خرج بيت» طيب!.. أليس.. لم يشاكس الطفل
حينما حمله، وقلت للهوازني: أهذا فطلك!...

قال: أخذتموه؟!.. وشعرت بهزة من الطرد لهذه اللفظة
«أخذتموه!».. لم يقل أخذتموه، وإنما زاد الحلم انتما إلى عرق.. جعل
هذه اللفظة من أعلى الفصيح، فكاننا أسمع نافعاً مولي بن أي نعيم يقرأ
بها القرآن!.. طرحت كثيراً.. حتى إذا ناهت حسامه قال لنا: ما طولتم.
لبت كل الناس «كما كم!».. قال هذه الكلمة.. فانكرت لالكاري.. لأن
بدوياً من بلدي نطق بها، فلا عيب على «عكاظي! أن يكتب بلهجة
إعرابي!

والسودان أخذها منا.. فإذا كان إعرابنا يقولونها، والسودان يتكلم
بها.. فإن السماح منهج يصبح دليلاً يعذر فيه كاتب إذا ما وضع هذه اللفظة
طوقاً كتحفة من وجدان الأعراب!

وفي استطابست لقبت «صالح أوزجان» عضو الرابطة الإسلامية فلما تكلم
معي نقلتي أفاظه ولهجته إلى «البحر».. إلى خبير كأنما أسمع أحد
قيلاتها، يتكلم مثل ما تكلم "صالح أوزجان". فهو من جنوب الأناضول ومن أصل عربي، كيف انتقلت لغة "الحرة" إليه. ولهجة بني رشيد ومن يقاربهم في المنزل لاي في المنزل من عزة، ولود محمد! إن السماع أعطى "صالح أوزجان" لهجة الحرة وألفاظها. انتقل بالهجرة إلى شمال سوريا، وجنوب الأناضول.

عيب هؤلاء الحاجرين أنهم لم يرضعوا لبان العربية من الثدي، وإنما تجرعوها من المرضعة الزجاج!

• كدت أتعرق من ضيق الضيق. كان مضاعفاً كأنما هو ركام في وسطه نار لما تترمل بعد. عليه رائحة الدخان كأنما هو شياط لحم.

• كأنما القلب في توجهه جمرة لم تسح بعده!

ليس هذا في نفسي من نفسي، وإنما هو بما فيها، بما هو عليها.

ضيق تعيشه وضيق يترامك عليها من حيث المعايشة معها!

ودخلت إلى المكتب نفسه في عكاظ، فوجدت حرفوشًا لما يبلغ الدرجة الكبيرة للحرافيش قد تسلطن عليه كرمي عرض، وقفت على الباب أنظر إليه، وكأنما كنت أعشي النظره من جهة الشمس تظلم العين حينما تدخل مكاناً ضؤه حالم. نظرت إلى هذا الحرفوش فحسبته إنسانًا آخر من الذين تقدموا بمكانة في نفس الآخرين، ونظرت مرة أخرى حين قاربه...

- قلت له: ظننتك الفلان. تعال اخرج عن كرسيك، وانظر نظرتي لترى أنك تشبه هذا الفلان! وضحك الجميع، فإنه إذا قام من الكرسي لا يبقى فلاين فوقه!

- قلت: لا تعرضوها نكتة. هي سورة الضيق. صور لي بالعشوة أن
أراه غيره.. حتى إذا سرقتني لأنسي أنه غير هذا الفلان جئت بهذه النكتة!

إنها ليست نكتة لأنها فضحة الضيق.. أراد أن يسرقني من بهجتي فسرقتني البهجة بالكلمة لتنفرج النفس فأصبح في لحظة ذات أبعاد.. بعدها الرابع تقلب الكلمة.. هذا التقبل لم يطرد الضيق.. وإنما أوجد سعة السمعة.. إذن.. حينما يأكل الإنسان نفسه بالاجتار لشيء ضائق به فإنه يضيع، وحينما تأكل الكلمة السباقية الضاحكة مع صحاب يفهمون فإنك تارد لهذا الايجار لا تبقي آثراً منه، فلقد خرجت أضحك لا يملء شدقي، وإنما بما تسعه رنتاي.. بما يمنع من هذه المضحة: القلب. لقد ذهب الضيق بضحكه صديق.. بكلمة رفيق.. ما أيسر المساعدات، وما أغنى المحركات، إنك لن تقرب إلا بما يعترى غوالبك، ولكنك لن تقرب إذا ما طرحت غوايلك تغتال نفسها.. هكذا ذهب الضيق، جاءت السمعة، واضحكوا معي!!

• وتنستم أشم عبير ترابي.. فإذا بي أشعر ببلقنة الوجدان قد أصابته نعمة من أمينة النعاس، فكأنما أنا أصحو لأنام في خدر العبير، وأنا لثلا أصحو على هدير محركات الطائرة.. وليس ذلك نومة العجوز وصفها حكيم يوماً فقال:

- لقد أصبحت أنام في العلا.. وأسهر في الخلاء.

أي نام وسط الناس، ويسهر في الخلاء بعيداً عنهم يتطلب فيها النوم:

وكانما هو يطرد الكرب بالناس.. ينام آمناً.. بصوت الإنسان يسمعه.

وهو لا ينام في الخلاء لأنه يكون وحده.. يطوي نفسه على كرب موقف.. لا يطرد إلا بشيء مخيف من أحلام البقعة تطرد إرهاقاً غيرها ليكون بها كل الإرهاق..
إنها نومة السكينة. اطمتن إليها وبها بعد سفر طويل مرحق من بومباي إلى بيروت، ومن بيروت إلى جدة.

إنها لصحوة السكن. أسكن في غيظة الوجود بين الأهل والأخوان. يلقاني كل مقاس حبه. أو مطالبه.

ودل يطليبي أن أكتب عن الهند. كيف رأيتها أمس قبل خمسة وثلاثين عاماً، وكيف أراها اليوم بعد الاستقلال ومخاض التجارة؟.

ولست مستجيب لكل ما يريدون. فالكتابة عن الهند ليست الخطوة الأولى فيها الملاحظة بالأعراب عن المشاهدة وإنما هي تكلف المراجعة والمطالعة والتفكير والتحليل والقول والرفض، وطرح ما يعتقد الإنسان صواباً لأنه أصبح الخطأ الآن، وكل هذا محفوف بالأمانى والمحاذير والفرض والانطلاق.

أعد أي صائب المقصور عن الهند. لا للهند، فهي في غنى عن ذلك، ولكن لغيرها من الذين يحبون البقاء على صواب قديم أدركته التخطة بالفهم الجديد. فالصواب والخطأ ليسا في واقع ما هناك، ولا في دوافع من هناك ولكنها في التصور عن هناك. والصورة عن الشيء في ذهن قد تختلف عنها في واقع أمها أو في ذهن آخر.

دعوني عن الكتابة عن رحلة خمسة عشر يوماً. إلى رحلة طويلة. هي رحلة الإنسان مع واقعه ومطالبه وآماله وتراثه. سواء كان لها لذته أو كانت كلها ليئته.

فإن البيئة تحكم السلوك. وهي طبيعة الحياة. فعلى الذين أرادوا النقل بالمسطرة من تطبيقات بلد ليطقوه في بلدهم هم خاطئون لأن ما يصلح لبلد لا يصلح لآخر. والمسؤولية تحت الانتزاع الفرحة بما يتحسره
الآخرون لزرع تطبيقات نواتج عقائدهم وتقاليدهم.

إن النقل بالمسطرة لأي تجربة أو لأي تطبيق هو تقليد لا يأتي بالأصالة الأصالة تبني الذات لبناء في البيئة تقبله ولا ترفضه ومن هنا يصعب الموضوع على الكاتبين وإن سهل على الفرحين بالنقد والانحياز بما رأوا...

ومن هنا أيضاً لا تعلج لأن يسأتمه وفي العجلة الندماء وفي التالي

السلامة.

• وتجيش في نفسك الأحماس، كل الأحماس، وتنفعل أفكارك،

يصهرها عمق التجربة، وتكدق تقرأ في الهواء كل ما تشعر، كل ما تفكر،

سطوراً منسقة...

وتلفت حولك... إنك في «الشاعر» تسيراً،

فتجري، تتجه إلى غرفتك، أو إلى عالمك الصغير.

ثريد قبل أن تبخر أفعالات نفسك وضعها على الورق.

أنت تعشق الكلمة، بواسطةها فقط تستطيع رؤية ما بداخلك، في هذه الحروف تنق، فتكشب نفسك وروحك معاني لا تكتمل إلا عندما تصاحب

أعينا أخرى، ومشاعر آخرين...

وهناك تجلس إلى مكتبك، فيلم بين أصابعك، وورق طوع

إرادتك، والابتسامة، بطموم ما زالت على وجهك...

لكن شيئاً يحدث!

الابتسامة تحول إلى تقطيع على جبينك، والقلب بين أصابعك يتسمر...

لا يريد حراكاً، والأفكار والمشاعر قد تجمدت في زاوية ما بداخلك... وتكاد
تحطم القلم بين يديك.. أو ترمي أرضاً، تدوسه بتقدمك...

ولكنك فجأة تذكر معاني فلسفية كتبها الوالد «الزيدان» ذات يوم:

» إن العلم لا يفسر بالاتجاه، ولا يكسر بالهوى.. هو دائماً الاسم حينما يعبر عن النفس.. لنكن مجرد آلة فإنه بنوازع النفس هو محركها..
والقلم بالتعبير كالبرد إن لم يحطم القيث دفعة واحدة.. فإنه يفتت الحديد بالاستمرار.. بمحاولة الانتصار».

وهنا ترتفق بالقلم.. وندرك بأن علامة السخرية التي رأينها ترتسم على مخبأ قلم إنما هي انعكاس لشيء ما بداخلك.. وتتجه صوب نافذتك...
تتأمل محتويات تلك الفلسفة.. وتحل الفلسفة الكامنة خلف المعاني.. وتستند برأسك إلى زجاج النافذة.. ترقب الطبيعة.. السماء.. تستمد منها معاني الحياة.. كل المعاني.. كلها.. ومهمها.

نعم إلي أيدي.. إنه ليس القلم.. ولكنه أنا! أو تغمض عينيك
لتعرف! إن أخاف، فتنتحر انطلاقاتي..
لا أخاف يأساً.. ولا أخاف «خوفاً».. كما أني لا أخاف انطلاقاتي،
ولكنى أشفق عليها..

إني أخاف على نفحات روحي من أعين لم تر قط من خلال منظر «هوهما».. أعين لا ترى وإنما تعصف فقطاً

وقد ترد عليك نفس قائلة:

إن السبب غير مقنع.. إن الأعين ليست كلها متحجرة.. ليست كلها رؤية من خلال منظر «هوهما».. هناك ظل أخرى تصل ما بين اللون الأسود واللون الأبيض! إن الانطلاقا حين تخطها أخرفاً.. تسحب ملكاً بكل
تلك الرؤى. ليست بملكك. إنها عطاء نفسي وفكر يجب علينا ألا نقترب بهداهنا لمجرد أن هناك من لا يستطيعه. وبالتالي يرفضه. وتستمتع إلى حدث نفسك. أو ربما هو حدث إنسان ما أو أنساء آخرين يشاركون حياتك ثم ترسم...
وتجلس إلى وريقات تنشرها...
ثم تفرغ. لنقرأ ما كتب. فيضوع ابتسامتك شيء من الحزن.
إنك تقرأ صورة لرواسب ذلك الخوف في نفسك...
إن الصورة تؤلمك. وقد تؤلم آخرين معك. فهل يدركون؟
ولكن سرعان ما تتشاعن نغمة الحزن. أنت الآن تعيش دون خوف.
دون رواسب. أنت الآن تملك انطلاقة. ولا تملك!!
لقد ملكتها فقط عندما تأكد لك بأن منظر "هوفمان" حقيقة تعمق من خلالها كل الرؤى في مشاعرك...
وتواصل الأبتسامة في داخلك. ولا تملك إلا أن تكبي سعادتك...
وتعمى أن تحل سعادة مماثلة في نفسك الآخرين. بل في نفس كل الآخرين!!
• بعض الناس يجلدك بكلمة. أنك في حاجة إلى عملية سلخ لهذا الجلد السميك. إذا ما تقطع بالجلد تفسح القلب كأنما النزف عملية حجامة لتقطير الدم!!
الجلد هنا ليس "بكراباج" فصاحبي الذي جلدي بالكلمة لا يستطيع أن يمسك "الكراباج"!
- قال لي: كنت اليوم في دار التربية. رأيت أشغال البيت. كلاهة
الشئون الاجتماعية لها أمرها. وتتفوق اليةميات نحن الكاسبيون لتواب. لنا. رحمة. عناية تكتنف مشاعراً بهذه التحية للفقائدم على الميهم أو المشغل للطلبات فيه.


- قلت: الألم يحس بالألم. التيم يعرف معنى اليةم و...

ثم قلت: لا يعرف الشوق إلا من يكابده، ولا الصباية إلا من يعانيها!!

- تقرأ في بعض الأحيان ما يكتب إنسان ما، فتعثر في الفهم. تلقى بهذا القروه أرضاً. تقول: لا نفهم. لم نفهم.
هذه مشكلة بسيطة.. المشكلة المعقدة لأنها ليست صحيحة.. أن تقول: لن نفهم ما كتب هذا الكتاب.

نظر أن تجربته .. تتهمني بالغلاق. هذا صحيح حينما قلت: لن نفهم. وهو صحيح أيضاً حينما تقول: لم أفهم. ففيهما التجريح، أما لن نفهم، فهؤلاء لك ليست استهانة به.

لو أعدت القراءة مرة أخرى لوجدت الفهم الصحيح. ففهم ما أراده، أو أكثر مما أراد، أو حتى التقيض لما أراد.

بالأمس قرأت عبارة في سطر واحد. تجاوزت عيني لفظة واحدة، قلت: لم أفهم.

قلت: لا أفهم لكنني أحجمت أن أقول: لن أفهم، هذا عيب.

ترفضك القراءة إن قلتها.. يطردك الكتاب إذا ما تعلمت معه بهذه الجملة ..

فأخذت السطر أقرأه مرة ثانية فإذا بله يستقيم للفهم لأنني حين دقت النظر أنهضت الكلمة التي سقطت، فنهض بي الفهم لهذا السطر.

قد يقول واحد: كيف يكون السطر معجزاً في فهمه؟ إني أقول له: الإيجاز المكتوب معجز، والإيجاز المقراء له المرتبة نفسها في الإعجاز؛ الكثير من القرائن يفهم الكلمة المظللة لأن السياق، والسياق والترجيح والتردد عوامل موضحة. أما السطر المضغوط فليس هناك سياق أو سياق، وما إلى ذلك. وإنما هناك أفكار محدودة تكون بها كلمات محددة حصرت معانيها في شيء محدد، فإن تجاوزت عينك لفظة منها قلت: لم أفهم. لا أفهم، وإن تجاوزت نفسك بالسماح حتى تقول: لن أفهم حكمت عليها -
أعني على نفسك - بالاستناد إلى التردد والسأل.. إلى الانصات عن الكد والجهد في فهم الكلمة.

الكلمة كثيراً ما تجبر على الكد والجهد.. لتكون مفهومة...

لكن.. كما قال أبو الحسين.. ذلك الشعلب: من يقرأ.. ومن يسمع?! 
أو كما قال الراحلاني أمين: لكي تفهمني.. ينبغي أن تقرأ وتأت جالس!!

• الكاتب المرتب - أعني الذي يكتب يوميات - ملزم أن يجعل موضوعه: الناس.. يكتب عنهم.. يكتب لهم، يدغدغهم حيناً، يقصو حيناً.. يعود كذلك، أو يهانت إلى تحت كذلك... مزاح!! أساسه طبيعي فيه، لأنه هو الذي سحبه إلى هذا الموقف، ثم زاده الانطبع الالتزاماً به، لكنه لا يجب أن يقلل على الناس بشيء من أزماته.. بحال من أحواله غير أنه واحد من الناس.. بشيء من التجريد يصنع من إنسانه إنسانين.. واحدهما من الناس، والآخر هو!

قبل أسبوع فاجأتني لحظة مؤلمة كارية من خطا المترجم لبرقية باللغة الإنجليزية.. قال: من سميرة؟ قلت: إبني.. فسكت قليلاً.. ثم قال بشيء من الأسى: إنها مريضة بمرض غير قابل للشفاء.. قلت: سرطان؟.. سكر.. أمات؟.. قال: مريضة بمرض لا يشفى.. كدت أنها.. تماستك.. حملت نفسى أجرها إلى مكتب الصديق السيد ياسين طه، قال: ما بك؟ قلت له الحكاية، وأتفاسي تقطع (إنما أولاً، وليستنا أكيدنا تمشي على الأرض) فنهض السيد ياسين وجه بالبرقية مكتوب عليها
بالحرف العربي الفصيح كترجمة لها: عظم الله أجرك - سميرة! .. فإذا هي برقية تعزي فيها بزوج خاليتها أو هو زوج أختها من الرضاع كقرابة ثانية، حبيب كوث رحمه الله.

ورغم الترجمة الفصيحية التي أراحنتي قليلاً، فقد شغلت، فسجلت مكالمة إلى لاهور، وما اطمئنت إلا حتى كلمتها يوم الجمعة.

هكنا نكون آباء .. نسعد بالطفول بعض السعادة ويكشفنا شفاء بالاهتمام بهم والحبد عليهم والحنان والمسؤولية.

أخرى .. تمت فرحتي اليوم .. جاءني تقرير من المستشار الثقافي ينفي عليها لتقدمها ونجاحها قفزتهي سعادة أزالت تلك الشقاوة التي جرعتها خطأ مترجح أراد الأ يفجعني بأسلوبه الذي استطاع، فأوجعني كثيراً حتى أقت البديعة.

أتحسونا نكتب لكم وكلنا خلي؟!

لا .. إن شجوانا مضاعفة بشجولي كل قارئ .. لا نريد أن نعلن له هذه الشجوع لأن رحمتنا له لزمنا الأ نشقيه بعاطفة نحنو.

القارئ .. قال: كل أمنيننا أن يكون سعيداً، فإن هذه السعادة له وفيه هي السعادة نرتاح لها من كل ما يشجي!!

حقوق الطبع محموزة شرط يوضع على كل كتاب طبع في حياة مؤلفه، إذناً منه، حجزاً لحق، تحملاً لمسؤولية واستفادة من غلة ثم التشريف لصاحب.

وبعد وفاته ينتقل الحق للمرثة كميراث ورثوه فأصبح ملكاً لهم كان يملكه أبوهم، إلا أن يحبسه على عمل خير أو جهة معبئة أو أن يبيع لطاع

- الجزء الثالث - الشعر - كلمة ... ونصف
أن يطبعه ليطبع الناس به، كل وقته ما يعطى مما ألف، ومن حكم في ماله فهماً ظلم.

وقد اتفق الإنسان في كل مكان على احترام هذا الحق، ولكن ما بالنا لا تلتقيت لكتاب مات مؤلفه من زمن بعيد فأصبح طبعه مشاعًا لكل مستفيد، ومستغل ونافع، فمثلًا تفسير ابن جرير أو أحد الصحاح أو المعامج، أو أمثال أخرى في التاريخ وما إليه يطبع كل منها على غفلة من يرتد، أو في مطابع ومكاتب تطبع وتستغل، حق ضاع على أصحابه فأصبح المشاع بين الطالبين والشامحين والباحثين.

من هنا أريد أن أسأل مقتراهاً. ألا يمكن وضع حد لذلك لا حجزاً له، وإنما لزيادة الاتفاق به اتفاقًا جماعيًا?

الاقتراح أدعو إليه، وهو تشكيل هيئة على مستوى الفكر العربي، أو مستوى الأمة العربية، والإسلامية أيضًا.

snippet نضع نظامًا لطبع الأمهات، ولو عن جامعة الدول العربية، ليكون الطبع وفق هذا النظام. وفيه ما يوجب على طابع لكتاب مؤلفه من القدامي، أن يوضع نسخًا لهذه الهيئة، وبعض نسخ للكتابة في كل بلد، ثم جزءًا ولو قليلًا من القيمة من كتب الكتاب كندوة لتصدوق الكاتب العربي، لتكون الحصيلة معينة لطب تكتب لم تطبع بعد، وليكون للأمة سلطان على كنزها!

يعني أن الأمة ستبرح حق المؤلف القديم، تصرفًا وإجازة واستفادة، حفظًا لسمعة الكاتب المطبع، ورصيدًا لطب غيره، اقتراح ظريف، قد يكون خطيرًا، أرجو أن يكون تلداً بعد، وخمرًا تأكيل الطيات منه.

- ورق أسمر أو أبيض تشرح صفحته بشيء يدعوك أن تلعبة بكلمة تكتب.. أو حرف لم يتم كلمة بعد.. أو بخطوط عريضة أو صراع يداعب
بعض المستكندين لأحوال النفس، ليقولوا: أنت قلق. أنت تعب. تفكر
في شيء لم يستمر فهمه ولا الشروع في عمله.
وترهي أذنيك. تسمع ما يقولون، فتصدق مرغماً بحكم الوضع
النفسي لك، ويتحكم الصورة المشوهة التي كتبها أو سرمت على الورق.
ثم أنت بعدها ترجع إلى نفسك. تلتقط أنفاسك وتخرج ناطق الحرف.
لا تخلص لهؤلاء وتقول: هوا... تخريف!
ومسك الورق قطعًا يمتلك تحت عين غير بصرة ما فيه. وإنما
هي متبرزة بالبيئة الوافدة لصفحة من خمدة الصعود أمام القلق.
وتهب بالزحف الشجاع على كل عدم حولك. تجد في وجدانك وجدان الشيء
الذي فقدت، وهو الانصراف فالابتداع عن الخطوط العوجاء والعوجاء.
خط مستقيم واضح، وحرف مستخلص مليح.
فإذا القرطاس الأيسر أو الأيسر قد تزين بحلية عبيرة، قطرات من
رهاق القلم. تكتب بها عنها لها كلمات. تقرأها فتحة البوح، ولا
يعنيك أن تقرأها أحب الناس إليك قرّمي بها على الأرض ويقول: ماله
يصدعنا بالقوطاس وما عليه من معابد هو صنعها، ثم يزيدنا عبأًا آخر بهذا
الحرح المستخلص من الترح.
أو حد أن أقول له: أنت بهذا لا تعرف قيمة الطرد لأن راحك باصطناع
الفرح والفرح!!
هب تمثيلاً تستر به، هب حبالة تصيد بها إغصان الذين يشققون على
قلفك ويقتلون بالإشفاق كل الجلد في نفسك. ليكون هذا الصنعين منهم
شماتة مصنعة واضحة في نبرات العيون الناطقة باللومض. غير فاضحة
بانحرافات اللسان يعوج بالمعارض.
وأخذت القرطاس، أدعه ليكون موضوع "كلمة ونص" أفهمتهم شيئاً?

لم تفهموا، ولا أنا، لم أفهم.

خطوط عوجاء عرجاء على قرطاس، نظرمه بها، ونظرمنا كذلك.

جبر يدرج نحو الناصعة والسبعين من عمره كما يقول هو، ذهب إلى مكة يحسبي هناك. وأخذ يسأل عني. فلم يدله أحد. لا شأن لواحد أن يقول له في جدة...

لكن موظفًا وكبراً تبرع فقال: هو في رابطة العالم الإسلامي. وذهب الشيخ إلى الرابطة في "المعابدة" يجر نفسه جراً، ووقف عند الباب، يسأل ويسأل فيما دله أحد. لم يقل له واحد ملك شعبة من شعب الإيجان البضع والسبعين شعبية: ليس هو للموظف في الرابطة. ثلاثة أيام يتردد وهو يسأل.

واخيراً رأى قتلى لعله لم يبلغ الحلم بعد. فقال له: في جدة أسا

 عنه في جريدة عكاظ أو في جريدة البلاد. وسمعت أن بينه في "الكندرة".

أليست هناك رحمة لعجوز؟ خنزواته تجهل. وعفولة جاهلته بأكثر من

الجهل نفسه.

كلمة للموظف هام. أسأله!

ألم يقرأ قبيل سنوات مقالاً في صورة حديث صحفي كتبه صديقنا

الاستاذ عزيز ضياء في جريدة البلاد. وفيه على لسان الأمين العام للرابطة

بأنه لا علاقة لي بها - وأني لا أتفاضى رابياً منها.

ثم هو ألم يقرأ خبرًا كتبته. أعلمني لمراحيئي من الأصدقاء ومن

إليهم. ألا يرسلوا بريداً لي على عنواني في الرابطة.
كل هذا نشر .. وما زال حضرت الموظف الهمام لا يتورع فيبرع بدلالة
العجز على مكان خطأ.
ليست هذه تبرؤا من النسبة إلى الرابطة، فأنا صديق لها، ولكنني غير
عامل بها، ولا متعامل معها، فما بال هؤلاء الناس يتخلون عن دلالة
الطريق لشيخ نخلته السنون.
هكذا القطيعة بين الناس أصبحت سمة الحياة الجارية بقلقا ومدنيتها.
واعتذرت للعجز، ولكنني ما عذرت نفسي ألا أكتب عن مفارقة
كهذه .. فلا يهمني أن يكون مجهولاً من صاحب يعرفني حق المعرفة ..
وإنما همتي من هذا الصاحب أن يعرف شعب الإمام لعله يعمل فيحم
الشيخ المسلم ..
الأيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها كلمة .. لا إله إلا الله وأدناها
إماماة الأذى عن الطريق ..
• مدهش: مدهش وآكثر من مدهش أن تقرأ «مع الفجر» يكتب فهي
غبار صاحبه محترف في عكاظ اسمه «علي مدهش!» شاب صغير السن ..
يشق طريقه، وما كان ينبغي لقلمه أن يصنع كلمة في عمون يومي اختص به
رئيس التحرير .. لجريدة هو أحد المحررين فيها! ولو كان عبد الله خياط
رئيس تحرير عكاظ يقلد غيره أو يبتخل على الطليعة أن يتقدموا .. أن يبرزوا
لما رآينا (المدهش) يملأ فراغاً.
والدهشة ليست في عقلي، ولا هي من إدراكي، ولا تجد بؤرة في
عواطفي .. فلست من الباحثين على أحد بالتقدم إذا ما كان جديراً به.
لا أبغي بحمد الله منزلة غيري أحق بها إذا راماً
ولست من الذين يصنعون الركاز دماراً في نفس شابة تتطلع إلى الفوز، لكن هذه الدهشة تصيب الذين يسبحون الناس أشياءهم. يحسبون أن الحياة كلها: أنا «أنورة» ما أفعها! مع أنهم لو عرفوا لوجدوا أن الحياة هي: نحن. «تحية» أجملها!

لقد عرفنا الباشرين لنجدهم يعيشون وحدهم، وعرفنا البذلين فوجداهم يعيشون للناس. بالناس. مع الناس!

ولست بهذه أزجية تحتية لولدي «علي المعدهش» وإنما هي التحية لسعة الصدر، وقول البذل، وإفساح الطريق في رجل اسمه «عبد الله خياط» وهي أيضاً أرسلها نصيحة لعبد الباشرين عن بخلهم، ولا أريد أن أسمي (!!). فحبي للجميع يلزمني بحب الخير للجميع.. حتى يعلم الذين يعانون مشاهاهم أن الحياة أقوى من عبث الأحياء!

ولكن كان الخياط حاضراً لما سمح لي بنشر هذا، ولكني أغفله فأنا أشنعها كأنما أنا أطلب التأييد لما صنعته، ولما أصنع، ولقد صنع الخياط خير ما صنع مفسح الطريق لغيره حينما تأخر افتتاحه بقلم فتاة.. أنا جدها كما تعتنني. أبواة الرعاية، وغنئ النفس.. كما أفسح الطريق «علي معدهش» ولغير علي معدهش!...

تحية لكل مفسح طريق.. فالحياة هي المستقبلي، وعلى الذين كتبوا بيعة الديك! يدلن بها علينا بأنها مجدهم أن يعرفنا أن المستقبل غير ما صنعوا!!

• أنكر بعضهم على الصديق «عبد الله جفري» ما كتبه في «الحوار». جرى بينه وبين الشيخ عن القدامى، ولم أذكر ذلك لأني أعرفها لم تكن حملة، ولم يكن فيها شيء من التجريح، ولو فرض كل ذلك لكنا من
الجزء الثالث – النثر – كلمة... ونصف

العيب آلا يأتي عبد الله جفري بالغدري. أما وقد أتى بي حينما سد الثغرة هو وجلبه فلا غبار على ذلك!!

الخطأ منا جميعًا أن يسكت بعضنا فيكفي بيعة الديك، أو أن يحاول بعضنا أن يجر زمان الآخرين إلى زمانه، وأكثر من هذا الخطأ هو الاستعلاء. فرض الأستاذية. سواء بالتمارسة لها، أو التلميح بها على سبيل الصمت، كأنما الصمت يقول: ابلاش شغل عيال!!

ألم يكن ما عملناه أولاً كان «شغل عيال»؟! اقرأوا ما كتب من قبل. وللاكثرين على الأخص الذين صمتوا الصمت العطقي فلا تجدون إلا كلمة واحدة رشحت كابتها لأن يكون موضعًا كبيرًا، واديبًا مشهورًا، وطليعة ظاهرة تأتي ألا تكون قاهرة، وليس هذا في بلدنا فقط فقد أصبح الجبل الجديد في أكثر من بلد عربي ينكر الاستعلاء منهم - أي من طه حسين والعقاد وغيرهما بأساتذتهم، وبالآراء الجديدة، وبالثقافة العريضة، وبالنفس المتطرفة، والفعالية المغيرة، ولكن الجبل الجديد - وإن احتشر ما قاموا به وما قدموه له - فإنه لا يطيق أن يحتفوا به لعبة يعثرون أكتافها، فلا يكون إلا صورة طبق الأصل لهم!!

من هؤلاء المستعلمين أذكرهم هناك، ولا أريد أن أذكرهم هنا. أذكرهم هناك لأن الدليل بهم أقوى وأتغافل عنهم لأن «القره» أقسى!!.. إبراهيم الوردي ن أصبح كابيًا كبيرًا بعد أن قسا عليه الصاوي محمد، وكان أحد المستعلمين، رفض رفضًا قاسيًا. أي أن ينشر له مقالًا. كان هذا الرفض الحافز لأن يكون الكابي الكبير، والداعي لنتلا يكبر هذا الاستعلاء على الجبل بعدة، ثم ليكون أكثر رفضًا للذين يستغلون على الناس!!

فنحن بالاستعلاء، وبالنظرة الشزراه ننظر أنفسنا حينما نكون أساس
الانفصال.. كان ينبغي أن ننقبل الجديدي بشيء من رحابة الصدر.. لا
نرفض الكل، وإنما نصير بالباطل ونفرح بالحق.
الذين يجيؤون بالدبديل فينصبون قاماتهم يسدن الغزوة ليس عليهم معابة
إن قالوا حواراً مثل ما قاله الجفري!
لكي يبني الحياة بالكلمة ينبغي أن تستمر الكلمة حراً يسلمها جيل إل
جيل بعده.. إن الراية ستتمزق إذا صنعت في مقصورة كتاب يستغشى،
وشيخ لا يرحب بالجديد!!

- وكثير حوله السعار.. وتناولته أخبارهم.. فتارة ينقلونها بالعشتهم
 وأعينهم، وتارة يكتبونها في أوراق ويدسونها في البريد، أو يتناولونها
 لاخدمه في مكتب الكبير. كلههم.. يريد التقرب إلى السيد الكبير بشيء واحد
 يحسونه يسره.. بينما هو في الواقع يؤديه.. يزعمون أنهم الناصرون له..
 كأنما هم يصورونه من خيالهم بحال ولده الوحيد.

- قالوا له: إن ولدك سرق بسب الدجاج من حظيرة خاله. إن ولدك
 يذهب إلى صديق له يركب معه الدراجة يلعبان في فناء الحديقة التي تمكناها
 جدته!

وكر الولد، فلم يتركوا الولد.. قالوا له: إن عطارد يلعب كرة القدم
 في قهوة.. يسبح في البحر.. أتى بهيكل شوارمة.. ناخف عليه من
 العرض.. يسابق في السيارة الموتيسكات..

وأكثر من هذه الأشياء، وكتبوا عن ما هو أقدر مما يفعل الآبن، أو لا
يفعل.. نقلة الأخبار إذا استمرها، صاغوها كذباً وصدقًا.. بل وإنهم
ليمونون في تعمد الكاذب أكثر.
إذا كان كل يوم تقبل منهم رسالة أصبحت راجعة، فلا بد أن نكتب، ولا مناص من أن يكون فيها الخبر. صادقًا في القليل، كاذبًا على الأكثرين.
وكان جواب الأب لكل ناقل خبر: هل هو يكذب؟
- فيقولون له: لا، ما جربنا عليه الكذب.
وأكدوا عليه، فجعلهم، وأخذ يقول: لقد أثرتهم عني، ولم تفرطوا لسؤالهم. هل هو يكذب؟ لم تفرطوا لذلك لأنكم كنتم في عملية السعادة، تحترفون نقل الأخبار، وكتبت أجزاكم أجرًا على ذلك، العملية، والطبع جعلتهم لا يفهمون سؤالي. إذا لم يكذب الطفل، أو الشاب، أو الرجل أو الأثرة، فالنهاية حميدة، الصدق يقتل كل هذه الزولات. يصره بضرها، ما دام لا يكذب فسيتهي من كل ما يسيء، الكذب تعتصره.
وتقترونه، بينما أنا أستهله، أراه أساس المحادث كلها.
وأرادوا النهوض فقال الأب: لا تذهبوا هكذا. لتقولوا إن هذا كلام والد يعطف على ولده. ثم تعبدون الكرة. تنقلون إلي الأخبار عنه، اجلسوا حتى أقطع دابر ذلك.
وينادي عطارد: أليس من العب عليك أن تقول عن أبيك أنه «آغا»؟
- قال: نعم. لقد قلت ذلك لفلان - أحد الحاضرين - ولكن لم أقصد أنك خصي، وإنما قصدي، وصدق ما أقول. وأنت تعرف ذلك، أنني أردت بكلمة آغا أن أصف بها تصنفتك، فكل أهل البلد يقولون عن التصرفات التي لا تفهم إن صاحبها آغا!
ملاحظة: صدقتك في حدود ما تفعل، فيما أردت لحسن هذا الصدق
منك هو الكذب بالعين بالنسبة إليك.
لقد قلت الصدق حقاً إنني آخنا، أنا يا ابن أخ، محبوب ومساكن.
تزوجت أبتك الاتفاق بيني وبينك لا تكون في رعايتنا بعد وفاة أبيك أخ، أهدا عظامك الصدق ولو كان جارحاً لي.
وأريد أن أرفعك لتصدق هذه الشتيمة منك في عرف هؤلاء نقلة الأخبار، فأردت أن أندب لهم شجاعة الصدق متي، ومثالية الصدق فيك.
جعلتك تتنقل بالحقيقة التي ما أردتها وإنما هي أرادت أن تكشف نفسها.
أنت ولدي لأنك ابن أخي.
وهنا هرب نقلة الأخبار، وذهبوا لا يرجعون، أما الولد فقد أصبح مكان عمه سيدياً كبيراً يصيح في وجه كل من نقل إليه خبرًا!!
كيف تهرب الكلمة المشعة المشرعة ذات الرونق الجميل؟ المعبرة عن الأبعاد العميقة في أرواح النفس، ومظاهر المجتمع؟
كيف تهرب من المعدين لأنفسهم لاقتراح الكلام وإرساله؟
الجواب بسيط، الإعداد الاحتراف، وكثيراً ما تهرب الموالي من المحترفين، والموالي تأتي من وجدان الهواة، وهي على قلتها أكثر روعة مما يأتي على ألسنة المحترفين!!
المحترفين مكشرون، والمحترفون لا يسلمون من العار. إن بعض الكلمات تسنعبة مرسلة من إنسانها فتغطع عليها رغم الغيف من أنها جاءت منه، ولم تأت منك، لأنك نجحها أن تكون قد جاءت منها لنا. لكن، نسمعها، نصف لها. نغتنم بالضحكة البهجة فرحًا بها، وبالآفنة الباقية
لأنها ذهبت عنا كأنها هي ملكنا سرقنا. ليس هذا ثناء عليها فهي، وإن استنارته فإنها في وهمنا المغالي بالثقة أو الخروج نحسه قد سرقها من الفحول. كأنها الكلمة قد حبست على الإنسان معين.

وقد تمكن لواعجنا حينما نعالجها بأنها صادرة من هذا الإنسان المعين الكبير في الثقافة والمكان، ولكن كيف تسكن النفس إذا أشرقت من غير هؤلاء؟

سؤال حصيف في حدود المقارنة بمقاييس الحجم والكم. ولكنه محفظ بعيزان القيم الإنسانية في نفس إنسانها.

إن الإنسان بإحساسه ومشاعره هو الكبير بها ولها. وعندها... الكيف هو القيمة في إنسان ما. من أي نوع كان، ومن أي قدر، فال مصدر الأصيل للتعبير الأصيل والرصين هو النفس من أي إنسان.

وكم هي الكلمة هذه معبرة.. طابعة سمة في وجداني.. في هذا الوصف.. وصف الحال المستكين المعلن في إنسانها.. من روعتها أخذت مني هذا الوصف الرشيق: إنها التمرد البديل.. فأنا ما كنت أغلق منها حتى ارتحت لها لأنها أعطنتني أن أقول كلمة رشيقة.. ذات جرس في أندي:

التمرد البديل!!

ما الفرق بين تمرد، وتمرد؟!

الفرق كبير، وإنها لأخلاق حينما يكون في وضع واحد، والشرح طويل.. لكن mıً أقتصر بمثالين: إيمان بلال تمرد لأنه شهادة بالحق. لكن دوافعه هي طرد الطفيان للسادة المذببين له، أما تمرد خالد بن سعيد ابن الأكرمين فهو تمرد لأنه شهادة بالحق.
في الخطوة الأولى كيلاف، ولكنه في الدوافع تمرد لطرد السيادة من نفسه.

- أتريدني أن أضع رقم (١) للكتاب اسمه "ع" ورقم (٧) للكتاب اسمه "ع" مكرر، ولآخر اسمه "ف" أعطيه رقم (٣).

قال الله ولا فالك!! فلست مدير سجين أضع رقماً على قميص أزرق.

ولست مدير مستشفى المجذوب أضع رقماً على قميص أزرق، أتريد أن أسمح الأسماء أضع الأرقام بدلاً عنها للكتب عرفوا بأسمائهم.

إنه هؤلاء وأولئك قد أصبحوا كما قرأ لهم بشيء اسمه الحرق والكرب والألل والأمل. لترديد أن يوضعوا في أرقام قأنهم "أورطة" عسكرية ذاهبة إلى حلبة تمرير إخوه اليوم عرفاء. نقباء أركان في جيش الفكر والرأي والكلمة.

هم جنود المعرفة، والعلاءفة تعريف بكيف وكيف وقيم لا أرقام صماء. تحسبها درجات التقييم وإنما هي دركات الخطأ في التقييم غير المستقيم، وسكت. حتي قال: لقد فتحت في رأسي فكرة فلن أعود لهذا "التقنيط".

الفكرة هي أن أعرف لكل واحد قدره، ففعل خيره في واحدة يوافي خير غيره في ثلاث.

فقط له: من هو القادر على الصواب في كل وقت؟ على صدق التقييم في كل حال. إنه لو صدق مرة لكتب هو نفسه مع الواحد نفسه في مرة أخرى!
إن أكلة القول العكس - كما هو قول الدكتور الأساتذة العميد طه حسين - أمد الله في عمره - تغير تفكير أكلها. فمرة يستجد فيعطي رقماً عالياً. ومرة يستقبل من كثرة الغازات السحرية تفرض عليه كربها ليكره بحكم غيره فيعطي رقماً نازلاً. فإرهاق المعدة إرهاق للفك وإرهاق الفكر إرهاق للمعدة. وصاحبنا للرقم المفتوح ما هو إلا معدة قد يكون لها فكر.

بخطئ ويعصب وإن هو أصر على التفتيش فخاطئ متروك.

طالب في الثانوية العامة، أدركته حركة المتاعب فأحب أن يكون مراضاً لواحدة من صحافنا العربية السعودية، وعلمه إن وجد الفرصة.

فأعانوه بالعادة وبالتشجيع ليصبح متعاوناً لنفسه ولآخرين مراضاً وكدماً وقارناً!!

كلف نفسه فنارتي فحمدته له حب التطلع لزيارة اب. وحب الاطلال. جعله يقرأ ويقرأ حتى أعرف كثيراً مما هو ظاهر على السطح.

ولا عيب عليه أن تغيب عنه ما هو مطمور في كهوف النفس التي ضمها حين ضمها شيء مرهق، وأحمها شيء الناقة. تفسر عليه. لأن تكون معنوية بالتوافه. مخبأة عن الدسم يمنعع عليها أن يظهر، ومنعنا هي أن يعلم فلا يعلم!!

وسأل: رتب لي هؤلاء الكتاب - و أغلبهم من الإكاظيين - على درجات كل باسمه ورقمه؟ وأضحكك سؤاله ولكني عذرته، فما زال حديث عن

بالترقيم كنطيمي، فلا عيب فيه إن غمرته هذه المشغلة الرقمية ترتيباً في درجات، ورتبة في سنوات. فهو يعيش الترقيم. اسمه وأمامه رقمه تلميذاً في كل فصل، سنة في دراسة، ورقة امتحان. نتيجة، نجاح، قيمة

تفوق، إن الرمـق كـبه بما يستاهل في حاضره ومستقبله.
- وقلت له: أنت معذور في هذا السؤال. ولكن لن أُعذر نفسى إن أنا أجيبك عليه كما تريد. فهؤلاء الذين سميتم ليثوا في حلبة امتحان مدرسي. إنهم في معركة الحياة. ومصارعة الأحياء. فهي وهم تعطى وياخذون الرقم صيتاً أو إخفاقاً. رعباً أو طرحاً، مجدداً وإيماناً.

ليس في قدرة أو طاقة أو قوة أحد أن يفرض أرقاماً في خياله يضع منها رقم الرجال. قد يريد بعض الواهمين ذلك ينظم الرجال على هواء وضع المنازل والمقامات بحسب ما يشبه حباً لفلان، وإغضاء من فلان آخر أو غضاً وهضماً لفلانين آخرين. أو خوفاً من الفلان السبليطاً.

هذا يفعله الذين يحسبون أن ذلك قيمة لهم، رقماً يأخذونه لأنفسهم. إنهم وهمون، فأقدار الرجال لا يُفطحوا صاحبنا. وإنما هي تفرض نفسها بعملها وخلقها ونهاها.
أكثر من موضوع
تلفزيوننا العزيز وأفلامه

شاهدت التمثيلية المثلثة، عن سيف الدولة وأبي العشائر فأرهقتني في
 ثلاث صور:
- صورة الدس بين البطلميين من أرومة واحدة ونبع واحد، كلاهما
 حمداني، ليس الإمارة فليس دولة عزة العربي، ونيل الفروسية.
 فدخل بينهما واغفلت «جنديه» أكمل الحق، وأغمته الحفيظة، فأغرى أبا
 العشائر بابن عمته ورأس دولته. أراد أن يكسر الشوكة، وسمي القوة،
 يحطب في جبل الروم يسمح له أبو العشائر، ويا جيشا يقاتل به أهله.
 وكادت تقع الكارثة، لولا أن سيف الدولة ترك الأرض برحلاً دون
 حراسة، يشرع أبوه حلب ليدخل أبو العشائر، فلم ينس الثورة، وذهب
 بكل قوته يصد الروم.
- موقف سيف الدولة ينكر الخلاف، ويرفض أن ينصر عليه ابن عمه،
 ولا تأكله الحفظة وفشيغ نفسه وجيشه في لقاء ابن عمه.
 تركه لأعاقته وديثه وأخلاقه، فأثرت خطة علي بن حمدان سيف
 الدولة ممدوح العتيبي أبي الطيب أحمد بن الحسين شاعر الدنيا.
- صورة السفاح في نفس أبي العشائر، أ шагع عونى المصري تمثيل دوره
 فيها. كما أجاد «جنديه» تمثيل دور الخانقان الدساسي.
كان يضع أبا العشائر في فم التاريخ. لكن الحيرة من خطة سيف الدولة ترك له الأرض دون حارس هي التي أهده إلى الطريق. ثم موقف البنت العريقة، والحب الصادق والإخلاص في الحبيب. حب العشق للأرض وابنه العم.

هذا موقف كان صمام الأمن. قيد أبا العشائر ليرفع إلى هداه. فلقد نزع إلى عرق وحنع الغار، فإذا هو يطبق بجسده فيتصنع النصر بعد أن كادت الهزيمة تحيل بسيف الدولة.

في هذه اللحظة ذكرت قول أبي الطيب في سيف الدولة وذكرت تدر سيف الدولة في المنتهي في حادثة وقعت. فدمعت عين، بعدها ضحك.

• العجوز في حاجة إلى النوم كما حاجة الطفل. كلاهما يبدأ مرحلة الطفولة.

فالجوز قد عاد طفلاً من جديد. كل المتعب أنه لا يعرف ذلك، وإن كان تعامله كتعامل الأطفال، وكل المرهق أن من حواليه لا يعرف ذلك أيضاً فيزعمون بالاحترام الذي يقصبه. بينما هو يريد الحنان الذي يدنه. أكبر مشكلة عندي - كجوز! أنى عرفت الطفولة فب، ولكنهم لم يعرفون بعد!

سعدت بهذه الفكرة فذهبت آنام في الخلاة نومها عميقاً كأن يحسدني عليه أيام زمان صديقاي محمد عمر توفيق، ويسين طه. لقد كانا حريصين لا أقول من حسن وإنما عن غيطة - أن يزعجا نومتي، ولكنني كنت آنام رغم صراخهما. في حسبانهما أن الصراخ يزعجي بينما لو سكتا عن هذا الصراخ لأفقت، ونالا بغيتهما!!
لقد نمت في الخلاء أمس على عكس ذلك المثل الذي يقول:

«الشيخ يسهر في الخلاء، وينام في الملاء» تحشوه الوحدة فلا ينام..

تؤمن الحتميّة فينا.. أليس هذه طفولة؟!

إن الذي أستأنف هذه النوبة الحلوة هو «دكتور هول» حينما تحدث إلى زوجه في الحلقة من المسلسل الذي شاهدها ليلة أمس.. تحدث الدكتور هول بشيء من الحنان عن أستاذته الذي عاد من باريس.. علم، ثم انتقل إلى باريس كهلاً وعاد عجوزاً.. كان الوفاء ممسكًا في الدكتور هول لأستاذته، وكانت الأشيى التي تحترم عواطف زوجه أشد حنانًا منه على أستاذته..

يظهر أن هذه تربية نشأ عليها، وذهبا إلى الأستاذ، وكان يعرف مجلسه في حديثة ما.. عرفاه بنفسهم، وكان حضويًا حلوً.. جلس الدكتور مدير الجامعة بين يدي هذا العجز كأنه التلميذ الأول.. يدغغ عواطف الشيخ.. وكانت الزوجة تستجيب لهذا الحنان.. تتحامل الشيخ كأنه أبوها. وعرض الدكتور على زملائه الأستاذة يسألهن عن الطريق لمساعدة الشيخ.. بعضهم اقترح العون على صورة الإحسان لكنه رفض - أعني الدكتور هول - قال: «إن البروفيسور لا يقبل إحساننا» وأخيراً قرر مجلس الكلية أن يعين الأستاذ بصورة شرفة.. رجعه أن يكتب الجزء الأول من تأريخ «إيفي» يأخذ جزء المؤلف.. مثلاً سيد الحاجه. كانت المشكلة أمام الدكتور هول في الطريقة التي يبلغه بها ذلك، وبكل الاحترام عامله بأسلوب الحياة للذكريات: قال له:

- «هلم نتناول طعامنا في مكان نظيف» فما استجاب الشيخ لأن العجوز من الصعب أن نتنزه من مكان ألفه مهما كان الترغيب، ولو كان هذا
الاكواب كرسيًا في حديقة، لكن الدكتور هول يعرف الطفل في العجوز.

فقال: تتناول الطعام في مطعم سماه. كان العجوز يرتدان دائمًا أيام

شاب. أثار فيه الذكريات.

- لمحة خاطفة شاهدتها أمس في مسلسلة "بونتا". "للت جو" أصغر

الشاب كان فرجينيا يسرع إلى المهرة والقتال في أكثر الحلقات، لكنه في
حلقة أمس كان الحيلولة الصادقة المضطربة يقف ضد العداوة. يحول دون

القتل والقتال. قلم في جانبه: غير.. ما هذا البدل في هذا الفتي؟

- قلت: الحب. في هذه الحلقة فتاة تنتظر بعد. علمته ألا يكون

فرجينيا، وأخيراً صدق حذقي إذا هو روميو على صورة صغيرة، وإذا هي

جوليبت في صورة مكبرة!!

وانتهت الحلقة بالكلمة المجنحة حينما شهقت شهقة الموت بين يده.

- إنها قالت لي: "لن تكون صلاة رحم بين أهلي وأهلك".

كانت العبارة تنفي الصلة في سامع تجرد من الفهم، لكنها في أذني
كانت الفهمة لهذا الحائر البعيد المدى. العمق الأثر. المفرق بين
الأحباء: الموت!!

- أتابع بإصرار - وللمتعة والتذويد بفكرة طويلة - الحلقات المسلسلة
التي تعرض "الدكتور هول" عميد كلية - إيفي - فيها شيء يحرك الفكر
النفسي، ويرمي إلى بعيد... يقرب إلى بعيد. بسبب هذا البعيد. كأنه السهل الممتع
حلقات مخيفة...

في الحلقة قبل يومين عرضت مشكلة الطالبة المثالية، والتمثال الذي
صنعته، وموقف العضو في مجلس إدارة الكلية و موقف صديق المثالية، ثم
موقع الدكتور هول نحو هذه الطالبة التي صنعت تمثالًا تريد أن تهديه إلى الكلية كشرط لما تلبله من عون لإتمام صالة الألعاب.

كتب كتاباً لعضو الإدارة، وكتاباً آخر للدكتور هول، فتشاهد المنظر فيه مكالمة تلفونية بينها وبين عضو مجلس الإدارة تساؤله رأيه. يرغب متحمساً، فكلما يريده أن تتم صالة الألعاب، ولا يعنيه من أمر التمثال شيء. إنه يقبله ولم يره، وسألته قائلة: «أقد كتبت للدكتور هول، فلم أتلق إجابة منه. هل أحمل كتابي؟؟ أنا حريصة على رأي الدكتور هول وهو الأهم في نظري» ويخاطب عضو مجلس الإدارة الدكتور هول يسأله: «ما بالك لم تجب عن كتاب المثالة؟» إنك تفقد الكلية صالة الألعاب.

بينما الدكتور هول لم يعلم عن الكتاب شيئًا. أخذته زوجه ووضعته في جب الجاكارة التي لم يلبسها. سأل عن الكتاب فأخذته الزوجة تقدح زناد الفكر حائرة تسأل نفسها أين تجد الكتاب، وأخيراً وبعد توقيفه وعند حوار مع صديق للمثالة مهتم بها وبالكلية وبصالة ألعاب وجدوا في ظلال المناظر الخلفية الواضحة من خلال التصور. المبتطة في ظلال التصور تجدهم قد ذهبوا جميعًا إلى بيت المثالية ليشاهدوا التمثال. كان التمثال محجوباً عليهم مبرعاً بستر يحجب النظرة عنه. وبعد حوار وقفاً ينظرون كيف يستنكر، فتقدمت المثالكة تكشفه فإذا عضو مجلس الإدارة يهت، شيء كل التصور فيه أو له أنه لا صورة لمثاله لكنه وبعد استراحة يرغب بالتمثال لأنه يريد صالة الألعاب، لا يهمه من أمر التمثال شيء. وينظر صديق المثالكة للمثال فيتحير. ترى الهزيمة على وجهه لكنه يجميل. كل رغبته أن يرضي صديقته. بعض من رغبته أن تتم الصالة. هنا قالت المثالكة «دعوا الدكتور هول يتكلم، أريد رأيه» وتكلم الدكتور هول كلام رجل يقدر المسؤولية يحترم الفن لا يريد أن يهدر قيمة الكلية بقبول هذا التمثال الذي لا
يصلح... همه الحقيقة، لا يسأل عن الحال أو عن صالة الألعاب... لا يريد أن يخدع نفسه ولا أن يخدع المثالة، ولا أن يجبر على الكلية إنما يهدده وقفاً... قال كلمته الصريحة: "إن هذا لا يصلح".

ضاقت عضو مجلس الإدارة... ارتكب صديق المثالة، كاد يضيع رشد الزوجة من هذه الصراحة... لكن الطالبة - إيفي - أثبتت أنها تحب الكلية أكثر من حب الشهرة الكاذبة.

لحظة تقيم فيها حواراً جاداً مع تلفازنا... تلفازنا المتنفس والمتبوع نريده أن يقدم تاريخنا على غير هذه الصورة التي أُجبرنا أن نشهدها في إحدى عشرة حلقة حتى الآن، ولعل هناك بقية من الحلقات تزيد على الواحدة، هذه الحلقات من مسلسل "أسرار المحراب" لا أظنها تأخذ من كتاب مقتصد مبين أو من مخرج يحترم التهن المدفع لقيمة الحلقة أكثر من حلقتين، وإن زادت ثلاث بحسب ما سمعنا أو رأينا... لا حوار دسم وإنما هي حركات فقط... الكلام فيها مكرور وغثه... بعيد عن لغة هؤلاء الأبطال وعن روحهم... لا تشعر بهم إلا في ظلة قائمة من اسم أقترحهم على هذه التمثيلية... من هو الشيخ علام الذي يجر قيس بن عاصم إلى الإسلام؟!

إن قيس بن عاصم رضي الله عنه أكبر في الجاهلية من هذه الصورة وإنه لكبر في الإسلام على غير هذه الصورة... هو سيد أهل الوبر كما سماه النبي مَعْلُوم الأخفاف الحالم مَحَر مَحَر على نفسه، وإلى أكثر من ذلك تعرضه التمثيلية في صورة ذنب للشيخ علام!!

الرسول الذي يعتهم رسول الله يحملون رسله معروفة أسماهم لا أعرف أن فيهم الشيخ علام... هل في ديار قيس بن عاصم هذه الطبيعة
هضبة... مغامرات... تضاريس!... ليس فيها ذلك، وهذا يعني لا تاريخ...
وخطأ في جغرافية الأرض... مسبح لصور الأبطال... تاريخنا ينبغي أن نكتباه
نحن... لماذا هذه الحلقات، وهي لا تمثل إلا المسح لتاريخنا؟!
لم يكن في هذه الحلقات واقعة واحدة تلمس ما يعرفه الناس - أعني
ناسنا - وإنما هي حركات مفتعلة... إذا لم يستطع الحصان أن يسير فإن
الجمل يستطيع...
فهل هان المسلمون على أنفسهم بهذه الغفلة التي تصورها التمثيلية...
مثل من ثعلبة - ولا أدي من ثعلبة - يصيد الرجال كما يصيد الأرانب؟!
كل التمثيلية تدور في كهف... كـ كم مرة وجدنا الأسبرين يرفسان
بالرجل من شيخ يمثل الحب المعنوي، أو العهدة الخبيث...
لا إحدى عشرة حلقه؟!... لا أشترى بها بفاس... لا تهمني قيمتها النقدية،
وإنما تهمي قيمة الزمن المدهر في مشاهدتها... ثم... كلمة رفاق التي تردد
في هذه التمثيليات... ما كان أبو عبيد الثقفي شهيدنا يوم الجسر ولا قيس
بن عاصم المتقري يعرفهما... سواء في الجاهلية أو في الإسلام... يعرفان
ابن العم والأخ والخال... ثم... مرة أخرى - كل هذه التمثيليات لأشخاص
يتكررون كنما هي فرقة واحدة تبتعن وتشتري، ويضع يماننا في مشاهدتها,
فحضرة الضابط هو أبو بكر الرازي وقس على ذلك وأكثر!!

* ومن صورة أخرى في حلقة من المسلسل التلفازي، "كلية إيفي" أو
الدكتور هول...

أستاذ مشغول بالكلية والأعمال الإدارية، اختلس من وقته فالف كتاب
عن علم أمريكي، في حساباته أنه مغمور، ولم يدر أنه مشهور وأرسل
الكتاب إلى ناشر كبير.
في حسابه أنه مغمور، ولم يدر أنه مشهور.

وأخذه التنفيذي إجابة الناشر. أسر في نفسه حرارة الانتظار.

وقالت زوجته: «تلفون من نيويورك لم يعرف الطالب. لم يكلمه أحد.
فقد ألغيت المكالمة من طالبها كما ألغى هو المكالمة، شيء من المهفة، شيء من الخوف. يخشى ألا يقبل الكتاب. ودخل صديق. سمع أن الكتاب عن «جوثنان» قد تقرر طبعه واستأهله الجائزة الكبرى «عشرين ألف دولار».

وبعد حوار ملغز، أخبر الصديق القادم صديق الدكتر هول عن نجاحه.
وزاده حينما قال له: (إن الناشر مستر «كارتر» سبأني إليك يقدم الجائزة.
وفرح الدكتور، وقسم المبلغ على عدة مطالب مثالية، وذاتية، وفرحت الزوجة، فقد ارتغفت حرارة البهجة في تأكيدها أنها من الأسباب التي صنع بها زوجها هذا الكتاب الشميم.

وجاء صحفي يعرف الحقيقة. وإنما يريد أن يعرف رأي الدكتور هول.

في نجاح تلميذه المؤلف الذي حاز كتاب الجائزة.

وكتبمنه، وطرد لفهم الواقع، وموازنة في التصريح عن المؤلف الذي يعرفه الصحفي. وعن المؤلف الدكتور الذي ينتظر الخبر على أوضوح صورة.
وكان النماذج أن يعرف الدكتور من صديقه، أعترف الأول بأنه غالفتبس عليه الخبر. فهو يعرف عناية صديقه بوضوح الكتاب، فأعطاه الجائزة بالأمنية التي تمناه لصديقه. ثم يعرف الخبرة فيما ظن. فأخذ يعتذر.

ويبقى. فإذا المؤلف غير الدكتور هول.

وكانت نكسة للمستر، وغموضة من الترحة، تدارك الدكتور بعدها نفسه.

فصر، وصبرته الزوجة الأمينة. وجاء المؤلف، يقدم الشكر لاستاذه المعلم.
العمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسن زيدان -

له والملقن لفكرة الكتاب، فأهاذه نسخة عليها عبارة منجحية في الإهداء إلى أستاذنا. يعلن فيها: لولاه لما استطاع.

عرف الدكتور هول. أنه كأستاذ معلم هو الذي حرم نفسه الجائزة فلو لم يعلم الطالب لما كتب عن "جواثان".

هكذا يصنع المعلم في نفسه، لكنه العزاء في الشكران، في صناعة الرجال.

كان عزة مبسمأً أشعى الدكتور هول أكثر من شبع العشرين ألف دولار. فعجز المعلم الحروف والكلمة إذا ما وجد الناجحين والشاكرين. أما المأساة فإنها تظهر حينما لم ير ما صنعته في إبراز تعلمه واحد.

- قارئ ألقى الجريدة من يده، وأمسك لسانه يجيب عن سؤال لم أطرحه بعد.

فقد كنت أنكر: هل يستاهل قارئ يلقي بالجريدة ساحطاً من شيء لا يعجبه، أو لا يهضمه، أو لا يفهمه، أن تخوض حواراً معه عن تصرفه؟

ولو سكت قليلاً لما تحركت إليه سؤال. لقد اعتبرت الجريدة قطعة من ورق مسودة يبحر غير مقووء. كما هي في انتفاخات صاحبنا الغاضب عجبنا بفهمه، أو تيها بذكائه، أو قنوطاً من انتفاعه مثلاً ما يوجد في أي ورقة مكتوبة!

ولكنه تحرك بالإجابة الظاهرة في سلمها، المبرقية بالإجابات اللذيذ في مشاعر صاحبنا.

- قال: "هذا الكتاب لا أفهمه. إنه يضع في تخطيط الصفحة موضوعاً بارزاً لأرغم على النظر إليه"!
انظر. أقرأ سطوراً. ثم أرمي الجريدة كما رأيت.

- قلت له: (هذا كل ما عندي وس؟ أم هناك لدينات أخرى؟).
- قال: «هذا كل ما عندي. الرمز يهزق.. ما عندي وقت أحل الرموز والألغاز!!».

- قلت: ليس هو الوقت كل المشكلة، وإنما هو الإحساس أساس المشكلة!!

لو كنت تحس ما أحس.. لفهمت. ولكنك تريد شيئاً آخر. كأنما أنت تفصل مقاسات لما تقرأ على نمط ما، تهوى.

إذا اتفاقي مع قارئ كتب ما تهوى.. يجعلك أنت الكاتب لما كتب، ثم القارئ لما كتبت أنت.

وأخذت أقرأ له بجرس أهله فيه هزة فيها بعض العنف.. وفيها كل اللطف لأن أحب أن أكسب قارئاً لهذا السبب.

وقرأت وقرأته. وركبه بعض عناده «بس.. بس لا يريدني أن أتم!»

ثم قال: «لك رأيك.. وسأفكر».

أحسبه قد فكر، وسياقأ كاتبنا بفهم جديد، ومن الغرابة بمكان أن الحديث والحوار كانا في حالين مع اثنين، أحدهما لم يطل الحوار لأن قادماً يتكلم أكثر من عجلة سريعة في دوامة نهر كبير قد وصل.. أما الثاني فلم يدخل بنا أحد. فسمع وسمعت.

شيء مرحب.. أن نصب الفكر في قوالب على مزاجك.. الفكر والحرف.. وضع زمني. حافز نفسي ودافع موضعي..
وانتظروا مع التفاعل مع من حولك لمن هم حولك. وابتعدوا بأحد الاحتمالين.

فأما الرفض. وهو استجابة قد يكون منها إيجاد البديل، وهكذا كسب.

أما استجابة تقبلها لتأتي بما هو أحسن، وهذا كل الكسب.

• الأدوار تختلف، والأساليب لا تتألف ولكن الدوق يرتفع أحياناً ليجد لذة في شيء لا ينخفض لذائق لا يعرف قدراً للجهد الذي يبذل في سبيل ما يذاق!

والأساليب كثيراً ما تختلف في المجتمع الواحد لترى بعضها مؤلفاً مع أساليب دنا أخرى وناس آخرين، فمثلًا: الاسم اللومج جواز مرور في أي شيء، أو لأي شيء، سواء كان مقالاً أم رجاء أم تصرفاً، والاسم الناشئ لا يجتنا طريقه إلا بصعوبة أو أحياناً يسقط في منتصف الطريق لأسباب شتى!

من هنا أعجبني التصوير لهذا الموضوع في حلقة الأسبوع الماضي التي عرضت في تلفازتنا من مسلسل الدكتور هو. دق على الآلة الكتابية يكتب مقالاً، ثم انتهى بهذه الكلمة، لم يكتبها وإنما قالها: الآلة الكتابية لا تصنع الكاتب، أنا لست أرست هيمنجوي!...

وجر الحديث ذكر رواية حديثة أحدثت ضجة، واسمها (العاطفة). لم يضع المؤلف اسمه الصريح بل استعار اسمها آخر، فقرأها وشاهدها على السينما كثيرون. القدامى استهجنا لأن كاتبها فيما ظنوا من جبل جديد. أستاذ صغير في الكلية، والمحدثون صفقوا لها لأنهم ظنوا أن كاتبها واحد منهم. وهنا دخل أستاذ كبير من أساتذة الكلية بصورة مزعجة يتناثر منه
الغضب ... يطلب الدكتور هول بمعرفة اسم الكاتب لأنه فسق في المجتمع بهذه الرواية الإباحية كما وصفها وأنه أشاد بها ... الدكتور هول لم يكن من رأيه ... قال: «لم أقرأ هذه الرواية» وسأل الأساتذة الحائط: «هل أنت قرأتها؟!» ... قال الأساتذة: «أنا لم أقرأها، وإنما قرأتها زوجتي، أنا أحترم رأيها» وهنا كانت السخرية في ظلالها الصامتة، وتجاهت سيدة كهالة تقول للدكتور هول: «إن البروفيسور وارن - مخومها - قد أصبح ثريًا!».

إن رواية العاصفة هو مؤلفها، فقد جمعتها من سلة المهمات في سبع سنوات، وعرضتها على الناسرين فدفعوا خمسة عشر ألف جنيه، وضعتها باسمه في البنك. المشكلة عندي أنني لا أستطيع أن أصارحه. أخيراً جاء الدكتور هول بالرواية فأداها إلى مؤلفها الأصيل، وفقط في الحوار صرح الكاتب باسمه، بينما هو عند الدكتور هول يشكر يرجيس الخادمة على ما صنعته، دخل الأساتذ الكبير يسأل الدكتور هول: هل وجد هذا الكاتب الذي خرج على المجتمع؟! ... وكم كانت المفاجأة مذهلة حينما عرفوا أن الأساتذ الكبير الحائط ما جاء يفتح عن الكاتب ليستذله وإنما جاء ليعرفه وينفي عليه لأن مجلة كبرى طلبت اسمه وتستشر هذه الرواية ... وكم كانت المفاجأة مذهلة أكثر حينما قال له الدكتور هول: «مؤلف الرواية هو هذا الدكتور وارن» ... كان ينبغي أن تعرف هذا من قبل ... لأن البروفيسور هو الذي يستطيع أن يكتب التاريخ على هذه الصورة» ... وخرج الأساتذ الحائط مذهولاً يعتمد: «بروفيسور وارن ... بروفسور وارن!» ...

رواية قرأناها من قبل، وسمعناها تشبيهية من زمن بعيد في إذاعة القاهرة ... كاتبها روسي ... ظلها طعم الإنسان في الأرض ... مغزها كيف يقتل الطعم صاحبه!
لقد أخذ يجري بطل الرواية ليأخذ المنحة من معطييها له أرضًا ينسع
بقدر خطواته يذهب بها ويعود قبل مغرب الشمس، فأخذ يجري وجري،
ويحسب أن الشمس باقية. يريد أن يكسب خطوات أكثر تسع بها
المساحنة التي سيملكونها، وقبل مغرب الشمس رفع ينهر الخطوات
سريعاً. يلهث فلم يكد يصل إلى نهاية الشوط حتى سقط ميتًا.. لم
يكسب من الأرض إلا قيره!

ومن الغريب أن تكون هذه الصورة هي التي رأيناه في فيلم أمريكي
شاهدناه على تلفازنا. قائد الفرقة الأمريكية يذهب يحتل أرضًا يحكمها
الإسبان المكسيكيون. تساقو الجند حول الحصن تحت العلم الأمريكي،
ولكنهم انتصروا على القائد الإسباني وأسروه، ولن يرغمه القائد
الأمريكي. أبقاها حياً. وبعد نهاية التصفية تخلى القائد عن جنديته، وأصبح
طامعاً في هذه الأرض التي ينبغي أن تكون ملك الأمة، فأجبر القائد
الإسباني أن يبيعه الأرض. هذه الأرض لم يعد يملكونها الإسبانين، لكن
الاحتيال على الصفة ينبغي أن يكون عن طريق المبادعة. كان صك
المبايعة بقيمة 850 دولاراً بينما قيمة الامتلاك للأرض كانت الدماء التي
سفكت في سبيلها.. لا من أجل أن يشتريها هو على هذه الصورة الريفية،
وإنما من أجل أن يملكها شعب!

عملية طاعة أتكرارها ضابط معهم، لكنه تحت التهديد بالمسدس قد
شهد على صفحة البيع الفضيحة، وتبه الرجال من الشعب الأمريكي باسم
العدالة، فأخذوا يجمعون الأدلة لإبطال الصفة، فلم يستطع الضابط المفكر
لهذه الصفة الذي شهد بالتهديد أن يدلي بشهادته الصادقة، لكن إنسانة
الشعب - المرأة - همته على أن يشهد فكان جزاءه رصاصة من أعوان القائد الذي أشترى الصفقة.

لقد وقع الأساسي الصك مقابل حياته، ولكنهم أطلقوه ليقنعلوه، وأصابوه فعلاً ولكنه نجا بأعجوبة، وحينما اشتد القضاء العادل في مطالبه وعرف العبء في أن يحضر إلى المحكمة فدرب خطة العصف بالأبقار. سرحها أمام أعواه ليهاجم بها - أي بهذه الأبقار - المنفرة النافرة، تطاً كل ما فيها وجهها ومن في وجهها. أراد أن يدمري بها الرجال، والعدل، والأخلاق، خرج ليشهد الدمار بأطلاف الأبقار، فذهب قليلاً، وطأته أبقاره، وتحقت العدالة لا حكم عليه، ولكن حكمه هو على نفسه. هو قتل نفسه بابقره!

أليس هذه الصورة في الفيلم الأمريكي هي الصورة نفسها في الرواية الروسية؟!!

لكن هناك فرقاً دقيقاً في الرواية الروسية. معلنة امتحان الرجال للرجال. في الفيلم الأمريكي محتة الرجال بالرجال!!

- في مسلسل «حمام الهنا» شيء توجب!!.. مسألة حكايته الأز وجري الناس لشراه كانوا يجرون على البقالات كل يشترى «زره» من إشاعة بسيطة أطلقها «غوار» ليبيع عشرين كيلو أرز كمقلب في «أبو صيّاح»!
- انطلقت الإشاعة فصدقها الناس، وهكذا حين ينعدم الوعي تخيم المخافة على طريقة (اللي قرصه الحنش يخف من الحبل).

الإشعاع الكاذبة، والخائفون يصدقونها. لكن هناك آناؤاً يعملون على تأكيدها. يجدون فيها الفرصة لكسب و لعبث أو هو ما شاء من ذلك.
فمثلاً في أيام زمان يأتي الخير: الباهرة «علوي» أو «جهنيق» ستتصل
إلى ينع ستصل بالآرز والحنطة وما إلى ذلك.

الخبر صحيح يتشر بفعل الخزانة. بالتجار يعرفون في السوق ما
لديهم بأسعار أقل من سعر الأمس، حين لم يكن خير عن الباهرة. والآلاف لا يتشرون المعروض، لكن هناك دفاية كهنة لديهم دهباً يتشرون
المعروض.

فالخلي أو غير الواعي يقول: «هؤلاء مجانين» وهو لا يدرى أن واحداً
من هؤلاء ما دخل السوق مشتراً إلا وأرسل نجباً معه شيء من المال إلى
الذين يمكنهم منع«(القدو)» من الوصول إلى المدينة!

وتصل الجمال إلى المسيح يمر وترجع إلى ينع خوفاً من (العقد).

ويشيع الخبر!! من هنا تأتي الفرصة لهذا الخزان المحترك يتحكم
في السوق، يرعى هو ويخسر الآخرون.

إن الخال قد تغير بالأمن داخل البلد ولكن قد تقرأ هناك أحوال تجعل
من تأخر البواخر معنى من معاني الحجز (بالقدو) على طريقة:
كلما أثبتت الزمان قناعة ركب المجر في القناة سنانا

• وسأني بعضهم منكراً، يستغرب استعمالي لكلمة «تلفّوز» أنطق بها،
واشتقت منها «تلفّوز» و«متلفّزة» و«المتلفّزة» إلى آخر ما يجري به الكلام
والخطاب والخال ومقتضا..

وأجبته على الوجه التالي:

١- إن الاشتاق من الجامع عربي ومباح ومتبوع، نذّب السيف من
الذهب، وطيّن الجدار، وحضّ، حاجر، حضّب، وفّضّب ونخس
وتحديداً إلى كثير من أمثال ذلك، العرب فعلته، وجاءت المجامع تقره.
2- إن التعريج ملكنا نحن العرب كما يقول الدكتور الشيخ العميد طه حسين. والعرب قبنا عربياً.
والقرآن الكريم ويلسان عربي مبين آيات تتنهى علينا صدق ما عربت العرب.
فالميزان والاشتاق منه، والصراط، والزنجبيل، والدمقس، والقرطاس وما إليها كلها عربت فأصبحت عربية بلحن اللهجة العربية لا عوج فيها.
3- وإن لي لترتي لمنسي ما ارتداء صاحب المقتطف يعقوم صروف في تجويزه الإبقاء على كلمة «بنك» لسهولة لفظها أصبت عربية. ويسوغ ذلك بأن فيها حرفين ذلفين من حرف الشفة، وهي أعني الحروف الذلفية من علامات العروية في الكلمة. ثم لفظة «بنك» ساكنة الوسط لا تمنع من الصرف رغم عجمتها.
وترتي لمنسي ما ارتداء أمير البيان شكيب أرسلان أبو غالب من استقائه «تلفن» من التلفون.
إن الحياة للغة هي في إحياء العامي منها نفصحه كما فصح الحايرى كلمة «يستاهل» وغيرها.
وأن تعرب فتحضم ونصقل وتوسع أذهان القارئين. أما التوقف والطرد وإحجام الناطقين لشيء لم يجر على لسانهم فأمر يحب ولا يحب.
العامة لا المجمع هم الذين عربوا «اليسكليت» دراجة. والأئميين سيارة. بل إن العلامات الأستاذ عبد الحق فاضل، يفضل استعمال العامة
لكلمة "طيار" عن استعمال الخاصة "طائرة".
أريد أن نجاري ولا نرفض. نعدل ولا نحول. نحول العامة إلى
اتجاه صائب وسلس وبيّن.
وقع محدثي، وعليه غيره لا يقتع لأنه لا يملك ملكة في سلبه وذتهه
تطوع له أن يشقك الكلام ويشتاق، ويتصرف.
• في ليلة أمس الأول. شاهدت التلفز - أغني الفيلم الطويل!
هو فيلم أمريكي في القصة هدف وتاريخ. تاريخ الشبل. أحد أشباه
الصحافة المتصلين بالنظريات الأخلاقية والوجدة. وما قبلهم في مؤسسة
صحيفة. إلا بعد أن قاسوه طولاً وعرضها واختبروها. مر بكل المعانة حتى
الطرد، والفصل والصحة!
لقد وجد الأساتذة العناية، وقد درس نظرياتهم أنهم في الواقع المثال
الحقيقي لتطبيق هذه النظريات. ولكن ما وجد على العكس (أمسك لي
واقطع لك. شلسي وشلك).
وجد الحقائق تختفي والأكاذيب عليها زخرف الحقائق، والجرائم تلبس
لغير من اجترارها. أمضه الحزن لكنه شبل. هم هكذا عبروا عن
الفيلم. الترجمة كانت باسم الشبل. هذا الشبل صاعد، وناضل حتى طوع
أحد الأساتذة الكبار. فطور الأساتذة الكبار!
ذهب إلى المحكمة ليشهد محاكمة مجرم. فوجد فقرة مكسيكياً ما
ظهنة جبول السلاح يوماً ما. كان يتم الحكم لولا أن الشبل تدخل قائلاً;
ليس هذا هو المجرم. لا يمكن أن يكون هذا مجرماً. المجرم مستر
"كيمي" النائب العام. أي حامي العدالة. هو محرَّف الجريمة ولكن
بأسلوب العصابات.. كل من يقف في طريقه. يعارضه في أن ينتخب...
يزيله بالأسلوب الخفي لتعلن الجريمة. بلبسها مسكين. أي مسكين
يلتقط من أي شارع!
وتجاه الأستاذ الكبير الذي استيقظ ضميره يخوض الحركته مع الشبل...
فظهر النائب العام ليقضي على الأستاذ والنبل، وبعد معركة ذهبا به إلى
الزندانة بعد أن كان على منصة القضاء. يحاكم بقانون. كان يتحكم به
في رقب الناس!

يظهر أن كاتب القصة كالأكشارة من غيره يعالج هذه الأوضاع الخفية
فقد شاهدته الحلقة الأخيرة من فيلم الهارب. كيف أطلقت القوة الخفية-
تمشي على عكازين – القاتل. الأكث بعد أن أمسك به الهارب. أطلقته
من يديه سلطان القوة على البوليس وعلى القانون. قوة رهيبة مخفية تعمل
في الخفاء!

إن هذا الفيلم يحاول فيه كاتبه ومخرجه. وحتى الممثلين فيه خلاج
داء. ولكنها في خارج الولايات المتحدة يعلمنا تاريخ حضارة القرن
العشرين (!!).

ونقل أعمام مضت شهدت فيلمها اسمه «ذناب الديناء» وشهدت معي
صحاب نائمون!

ناموا ساعة عرضه فلم يفهموه، فلم يعجبهم قالوا: فيلم «بطال» ما فيه
شيء مفيد. خسارة قيمة التذكره.

لقد دفع كل واحد منهم قيمة تذكرته. فعلى أساس النصفه في
الإنفاق. كل ينصف نفسه. يدفع عنها. تقليد غير المخوة في جيوب
الذين يزعمون «بالجبايا» والحساب خالص. اتبعنا سنن غيرنا، فتغير كل
شيء علينا. ولم يغير بنا.
شيء تعلمناه من حياة كل ما فيها مادي حتى لا أكل الواحد على مائدة
لا يدعو صاحبه إليها فإذا ما حضر دفع حساب نفسه. وخرجت شعباً من
الفيلم، عرفت مغزاه. وبعد شهر أعطوا البطل "مارلون براندو" جائزة
الأوسكار. الفيلم يخلص كيف يطغي رئيس العصابه حتى إذا ابنى له حر
يكشفه يضيق به ذرعا.

لقد اكتشف الإنسان الحر يкерه الضيم من هذا "البطنجي" واحتك به.
وأخرجه عن وقائه. غضب رأس العصابه فوقع بيد يضرب الفتى كفًا، فإذا
الفتى لا يرتد فضرب رأس العصابه بكف حار. فإذا بالمنومين
يصحون. قسم مع الرئيس، وقسم مع الفتى، فانشق عليه أنصاره فقط!
سقطت هيئة، واتكشف قناع فازالت اللمعة عن رأس العصابه.

هذا مغزى الفيلم، فبعض الذين يكسوهم القارب يذهب عنهم بثورة
غضب، بجاوة في متهور.. القارب كساء يمزق الغضب، والجراحة.
 fila أن يمنحه التوفيق، وأبدعت نظرها
ردن إلى السماء يدعو الله أن يمنحه التوفيق، وأبدعت نظرة
عن التحديق فيه، وقالت في نفسها لقد رجع إلى ربه حينما رجع إلى
نفسه: فالله يقوم من الذين تضع منهم أنفسهم هم لغيرهم أضع، فالله احترام بالذكر
على. فالمغزى وعدهم من الذين يعرفون لأخوانهم حقهم عليه. تعطيه يا
رب الإيمان.

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخاه ما يحب لنفسه ورأى دعوة العين
فاسترجع يقول بديها. إنها أم. رجع إليها ولدها فحمد الله أن هداه
وسمعت أخبار نجاحه. فقالت: "أنت يا ربي ولي النعمة واهب التوفيق
مبرر النجاح".
ذكريات

- حينما يتحدث اثنان بما يشبه البوح.. أي بما يطرد النوح يستطرد الحاكيّ شاكيّ وتسمع منه!.. هو يستطرد فلا يفوتته شيء، أما أنت فيفوتك أكثر شيء!

هو لا يسأل عن الفوات. يكفي البوح، أما أنت حينما تصطفي نفسك في لحظة سارحة تجتر ما سمعته منه تشعر بهذا الفوات فتفتش عليه..

تعتزم في نفسك أن تسأله غداً ليسرد عليك ما سرد.

هذا هو الفوات الذي لا يرتجل، فنثأر منه على التذكر لحظة بعد أخرى بعض ما بح به. أما هو فالبوح قد أراحه فانسغ صور الملامح التي سكبتها في بحره..

قد يسرد عليك الحكاية كما كانت لكنه لن يكون مثلاً كان معاك أمس.. هناك وضع، وحالة، ومشاعر فرضت سلطانها على ما قاله، فهي حلية ذلك، وهي المؤثرة فيك أن تنسى.. أنت تذكر، أما هو فالحكاية هي عنده ولكن أين الديكور؟!

وخرجت أن ألبس هذه الحكاية التي سردها، فأخير الأسماء، والأمكّنة، واتكلف الوضع، وأخزف الحالة لآكلون أنّا الباوح!!

وجلس يسمع.. لقد ألمح! حسبها حكاية صحية كنت أنا بطلها..
لِمْ يَكِن هَناَك صَدَق فِيما حَكِيَتَهُ. كَانَ خَيْلًا، لَكِنْهُ كانَ الصَّدَقٌ
حينما سَمَعْ.

هي حَكايتِهِ هَوً. سَمِعْهَا صَدَقٌ لَأْنَا لاَمِست مشاعرِهِ.
كَثِير مَا نَكِذَب فِيهِ فَقَدْ يَكُون هُوَ الصَّدَقُ فِي الَّذِين يَنْتَجِعَون وَضَعُواً
وَحَالَا لَهُمْ!

وضَحَكْنَا مِن هَذِه الْكَذِبة الْبَيضاء. مِن هَذَا الصَّدَق العَميق. . مِنْي وَفِيهِ!
وَإِذَا بِي أَنْقَحَر كَانَّا نَبَشَت الْدَفِين الَّذِي ذَهَبَ . ذَكَرْنِي بِهِ وَضَع
جَدِدَ. غَنَّهُ مِن صوَت جَدِدَ، فَأَخْذَت الْبَوْحَ، وَأَخْذُهُ السَّمَاعَ!
لا أَدِرِي. .. هِلْ يَعْيَد التَّمَيْمِيَة مَعْيَ، أَمْ أَن كَلِّنا فِي «الْهَوَا سَوا؟!!
مَعْ فَارِقٍ وَاوْدْ هو مِثْلِهِ أَن يَكُون حَيَاة لَحَيَاة. . مُثْلِي أَنْ أَكْنَح حَيَاة
ذَاهِبة الشَّخوْصِ. .. بَايِقَة المَعَانِي!

الْتَجْسَيد، والشَّخوْصِ مِن لِوْازم الحَيَاة لِلْحَيَاة. .. أَمَا المَعَانِي فِيهِ
فَوَاصِل بَيْنِ الذُّكْرِيَات يُستَرِيح الْبَوْح فِي وَاحِدَة. .. يَجْعَل النَّوح عَلَى وَاحِدَةً!
لا تَسْتَدْقَقُوْهَا. .. إِنُّهُ نَدْرِشْة مَزْكُوم. .. حَوْارِهِ ۳۹۰۵ يَشْرَب المَاء
مَرْ المَنْذِقَ، وَيَأْكُل الْخَيْز أَبُو دَقْيَق مَعْطَن. .. مِشْوِي عَلَى طِرْقَة التَّجْنِيَف
تَحْت السَّحْمَ!!

• وأَرْسَلْهُ جَدَتِهِ الْعِجْوَز الكِبْسِيَة. .. يَشْتَري لَهَا زَهْرَة «نْيَلَة» تَصْنِع مِنْهَا
صَبْغَة خَفِيفَة تَسْتَرِعَب البَقِع عَلَى ثَيَابِهِ.
لِمْ يَكِن يَعْرِف غَيْر جَدَتِهِ وَالْحَوْشَ. .. لَمْ يَذهَب إِلَى كِتَاب بَعْد يَشْهَد
مِنْهَا جَدَدِي فِي الْمَدَنِيَة، وَلا يَعْرِف كِيف ذَهَبَتْهُ أَمْهُ بَعْد مَوْت عَاجِل، وَلَمْ تَكُن
الْمَدَرَسَة مَرْغَوْية فِي عَقْلٍ الكِبَارِ، يَخَافُون عَلَى الصَّغَارِ مِنْهَا.
وإذا زارهم أبوه خطف قبيلة منه فلم يذق لها طعمًا فهي خاطفة تسرع، ومخطوفة لا تشبع، فلا زال في جوع إلى القبلات، فهي آنذ ما يطعمه الآن، لا يستطعها من أحد، وإنما هو يعطيها للغوالي عنده، يأخذ الخدوء والأكف يقبلها حباً في حب، واحتراماً لحبيب غالي.

واخذ القطعة "استنوني" أي القرش، عشرة بارات أربع هلالات.

وبالوصف وسؤال الرجال الكبار عرف "زراق جعفر" أن فيه دكاناً للقاتلي بيع اليلة!!

ودخل الزراق، فشعر بنسيم بارد، بعد لفح السموم لأن الظلم والمسارب لثلجت النفح، وبردت السموم، فورد لو كان بيتهما في زراق جعفر، في مكان بارد، وفيه دكان "القاتلي" لا يضطره إلى بعيد يمشي حتى يشترى الزهرة.

ونظر إلى الدكان، دكان طوله متران، وعرضه متر، فتح قسراً في جدار البيت، كانما أحدث بعجة في السدة المدخلة إلى الفناعة.

ونظر إلى هذا المعلب في الفوارير، أصف، أحضر، أحمر، ما هي؟ .. ما هو؟ ..

وأنتราย اليلة ولم يرفع عينه عن الألوان، فأعطاه القاتلي واحدة صفراء، خلاوة موزية.

فألآن عرف الخلاوة الموزية، وجدها شيئاً جديداً مروعًا فيه أكثر من الحلية .. النعرة التي كان يأكلها من يد الجدة.

ورجع فإذا هو يسمع دويًا يرجع صداه كل ما في الزراق من مسارب ومداخل، وتهتز الجدران.
وذهب يجري خائفاً كالناس حوله، كلهم جروا.
فالدفاع من جبل "سلب" تضرب أهل العواي.. مساكين لا.
يستاهلوا. لا. إيش ذئبهم؟
لا تسأل. هؤلاء خانوا الدولة.
وسمع الكثير، وارتمى في حضن جدته، فوجدها نبكي!
- لماذا نبكي؟!
قالت: خالد ركب ذلله، وذهب مع سيف العراقان يقتل قومه.
أنا خائنة أن أقتل!! قتلنا في القصيم، وقتلنا معهم هنا!!

-... ويلعو الرمز في بيئة تحول دون الوضوح والدنيا اليوم على حال من الغموض البليد، والوضوح الفاجر لا يتصور عليها إنسان إلا بالرمز القاهرة ينفيس به إنسان يحس، وتنفجر به بلاده في ما حوله ليقضي على الوضوح الفاجر، يريد أن يحوله من إنسان روح إلى جسد شرا!! فالبلدة عند الذين يطردون من أنفسهم التعلق بالمثل، ويفرون عن الحقيقة الواقعة، والوضوح الفاجر عند الذين يطردون بالركض والقذف واللامبالاة كل ما هو مثل.. كل ما هو تاريخ.. كل ما هو قيمة. كأنما إنسان اليوم يريد أن يفرض حياة الفنجر على الدنيا البشر!!

بلادة ألا تناضل دون حبك.. دون تاريخك، وفجور أن تهدم القيم بالبلادة المستكتملة فيك، وبالذكاء الطاغي في هؤلاء. اسميهم: قطلة الفضيلة، كأنما يريد هؤلاء الراكضون بالبونج، والصاروخ أن يكون الإنسان راكضاً في البنك.. راكضاً في البيت.. يطلبون منه أن تنتحر الدائق الهادئة المريحة لتحيا ثوانى قلقة ضائعة في الرحم.. لا ترحم صاحبها، كيف يرحم هو غيره؟!
اليوم شرطت هذا الرمز في معرض ابنتنا الغالية "صفية بن زقر" لقد وقفت أمام بلاده أضاعت التراث بعامل البلادة وعامل الركض، فأخذت تصنع تاريخًا بالريشة يصور لنا التراث الذي ضاع في أدوات كنا نحيا معها وحيوانات ننا نعيش به. وأزياء كان سترها ضافياً علينا. إنها في كل معرضها هذا... في كل الصور صارت التراث.

- قال لي أحمد أيبر: انظر إلى "دزقة الشاهي" لقد ضاعت من كل بيت.

- قلت: نعم، لكن هذه الفنانة حفظتها على الصورة، وهناك نظرة أخرى: ليس في كل هذه الصور الإبراز لحاسة فرد، وإنما هو كل البروز للعصابات التي ألغينا بها التراث بالجري وراء ما هو ضخم، والطرد لما هو فخم "الفخامة غير الضخامة"!!

- مسكين هذا الإنسان يصنع لنفسه أرقاء وأعراضًا وفراداد ومخابئ ومفيدة وأملاً ويسا وفرحة وترحة، ونصراً وهزيمة، و... إلى آخره... كل هذه من قوة الضعف في تستقبل في أي حال منها إلى ضعف القوة له، أو تسلط القوة عليه... يستحق عليه أن يعيش بغير هذه المعدرات. في تناقضها تناقضها... ومن قصارتها تصارعها... من فهمها بلادة ذكية، أو ذكاء بليد، وهو لو لم يكن كذلك لتحجر الذهن، وعمت إحساسه، وتفهت
حياته، وأعاد بمثابته القهقرى إلى (وراء الوراء)! فكل التقدم والتفوق له.. هو من عراة هذه المناقضات. من صراع الجزء المحس للجزء المنائم.. لكل المنفعل إحساساً وألمًا!

- عشت أياماً في أشهر لما تبلغ العام بعد أخير ذكرى مؤلمة.. أظلمها بلزمة خانتها من خبر جاءت به واهنة تروي أنها رأت صورتها - أعي صورة التي جاء ذكرها - مصادفة.

- قالت: رأيت صورتها على نعش حينها أخرجت من مقبرة في طريق تهشمت فيه سيارة كانت تركبها مع...

- وابتلع العبر. أغص به. أضحك من بكاء دفين. أيكي من ضحكة معلنة. أرسمها «الاكليشية» أقابله بها من يعرض لى من هؤلاء السائرين بناء معهم. أوهم الذين تسير بهم عنا، سائرين في سؤال: ما هو الخبر. كيف حال الجو!؟. وهم لا يدرون أن الجو هو هذا الخانق المبعد حامل تعبات الهوى على كتفه.. وجاءت مصادفة أخرى فقالت واحدة: لا. لا.. لم يكمن معه!.. قلت: وهل تنحدرين حينما تعودين بالسؤال عنها، والأنباء بالجريدة التي نشرت الخبر والصوره؟!

- قالت: لأنصرو في هذا التحدي سأتي بالخبر البقين عن حياتها!

وهنا جاء فعل المناقضات. أضاع الألم الذئبي ليحل محله الألم النافث. الألم الذئبي هو أن تكون حياتها في وجداني ثبتًا لا يتغير عظيمًا حق الامتلاك لها. سوف لا تكون لغيري.. أنيثية. لكنها لدنا لياض بها أحد. أتمتع بها حياً في الحب. تسمى ذلك من الآلآ لكونها هي. أما الألم النافث فهو أن أجدها ولا أجدها. تستحيل اللزمة إلى حسرة من فقدانها، حقاً لا أشعر بامتلاكها فقد يمتلكها وجدان آخر.
اللذة في الألم كما هي في نسفة أسططبوس.. كما هي كلمة جبران:
ابتغوا اللذة في الألم وابتغوا الألم في اللذة.

أما الحسرة فألم تافه بجدوره أمل أحياناً ما.. الخيبة فيه تتضخم بتلك الحسرة.. لقد أحسنت تلك التي أخبرت أولاً.. وما قصدت الإساءة التي أخبرت ثانياً. لكن هذه المتناقضات هي التي احسن وتسيء!!.

- الصيف ربيع حياتنا.. في صحراطنا وواحاتنا. وهو جنى الربيع في الحياة.. حياة الحمر، وقطع الشجر، ورعي الكلا من الحياة.. فيه ملاعب الفرح والفرح للاعبين.. أترباً.. أترباً.. كروباً وفنياً.. ليس أكرم منه في الفصول.. في جوده ونداء.. هذه الواحات.. خيرها في الصيف.

كنا نعيشه.. لا نسأل عن الرمضاء.. نمشيها، لا نحمل الشماسي ويكفينا ظل نخلة وإذا بنا اليوم نستجري من الصيف لا نطيقه.. نعيش في كهوف أرغمتنا عليها المكيفات.. نترك الطبيعة ونعيش الصناعة، وكنت أتحمل حرارة الشمس كأننا أنا عاشقها، أرضيها وترضيني لأن وراء المشي فيها ما يرضيني وأرضيه.

وذكرني به الحمار.. فقد صررت اليوم أركب سيارة فإذا بي أعود إلى الكهف.. أما الحمار فقد كنت أركبه أو أقوده فأتقاد به إلى فلوا ولساء.. أشوق به الوادي لأصل إلى النخلة أغلقاً طلالها لأجد ما يرضيني!!.. والحمار.. حمار لد أطرفه بالعلف المنفى.. إن هذا العلبق سواء من اللحية أو شعير من البصرة أو قضب بذره من القصيم أو من أختها من المدينة.. ولو غروه بالسمن الشفوي.. أو حتى حنكوه بالملح من مجزء أو مجزان على ساحل «الرايس» أو ألبسوه الكشحة والجلجل، أو جلولوا
الولاية، بالمحمل، ولو كانت هذه "الولاية أو البرازع" من شغل أبو ديري بالله في المائدة، أو شغل الرض في سوق الليل. فما زلت عاشيًا على هذا الحمار رغم إحيائه الذكور في نفسي - هو حمار الحاج ميلاد المغربي. كان عند ميلاد الحاج الجزار المتخصص في الديب، في الجزيرة أيام زمان حمار أسود "غطيس" أي فاحم. مقطع العين - يعني ابتر! أفركه كل الطرف. يشبع ركاب الحمير أن يركبوه. و كنت أحد هؤلاء العشاق، وترقيت يومًا أن أكبه من السكارى أملز به إلى العيون. خصًا أن تقول: تطلع العيون كخثًا أن تقول نطلع المسفلة. فالصواب هو الطبو إلى العوالي، أو السعاد، أو هو السعدية إلى نجد أو النزول إلى تهامة!

وجئت أحمل صينية "تبسيكشفعة". من شغل الشيخ صالح شرف النابلسي، وليس هناك أحس من صناع للكشفة يعني من بحرة! وأكرت الحمار الأسود، فإذا أنا على ظهره، "التبسي" في حجري، وإذا هو كالهوب! حتى إذا خرجت من الباب الشامتي حرن، و"الحشر" والغف بنكر ليذهب إلى المجزرة. لا يريد أن يسير إلى أمام. ونزلت عنه في الرمضاء أحميل الكشفة على رأسى، وأقوده من قدمائه، وإنما أسقى الهوينا من ورائه. ورأى حمارًا فأخذ يجري، ولم أركبه إلا بعصوبة كادت تضيع الكشفة مني. ودخل الحمار إلى "ضيف السيد" فإذا بي أنزل عنه أداري، أمشي الهوينا معه. يريد أن يرجع وقتله له: إنك لحمر. أمكن من حمير "الحرة" وأبوك من خلاف الحمر اليهودية في خبر! ورأى حمارًا بعد أن قطعت وادي قناة وأخذ يجري كأنما هو اليهودي لا يمشي إلا بعون رقيق حتى إذا غاب الحمار "الحشر" ولم أصل به إلى "المدافعة" في هجير الرمضاء إلا بعد لأي، فقدخلت إلى النخل أحميل "التبسي" على رأسى. يلقائي بها الأحبا، فسلمته لواحد وضربت الحمار سوطين.
الطريق إلى مزوده، يجد العلف المنقى فيه، فرفع رجله وأخذ يجري
لعود! ولا أدرى كيف كنا نتحمل حرارة الصيف. لكنها نوازع الكفاح! ولا
أدرى كيف يشق علينا الصيف. ولكنها نوازع الكيف والتكيف. فوازع
الkehولة!

يا للشباب المرح المتصابي روانج الجنة في الشباب، الشباب جنة.
رغم الهجري والkehولة 'نجُن'، .. بضم الجيم - تسوّق إلى الزمهرير .. إن
لم يتداركنا رينا برحمنه، ولا أدرى فعله هذا الحمار قد أتجب من هو أشد
حميرة منه، فالعرق دساس!!

كانت أذهب كأحد أفراد البعثة الأولى التي ضمت السيدين أحمد
العربى ومحمد شطا والسيد ولي الدين أسعد. أمد الله في حياتهم فكم لهم
من يد بذلوا في تعليم أجيال بعدهم!

قرأت الإعلان في أم القرى (الجريدة) وبحثت الأمر مع أبي لأنقدم
طلب بضمني إليها، فلم يعان صراحة .. أي لم يواجهني بالمنع بل قال:
شاعر الشيخ محمد صقر وكان في المدينة، ومحمد العلي التركي وكان
في مكة .. أسأله الله لحما الرحمة .. فقد كانا إنسانين يبذلان الخير تعليماً
وتفعياً وتأديباً.

السيد محمد صقر قال: لا تذهب .. أبوك يريدك مسجدياً تتعلم فيه
وتدرس، ولا مكان للعلم يتحصر فيه .. المكان هو الرغبة والأستاذ
والكتاب، وهم هناك مثلكنا ونحن مثلهم .. لا فرق إلا في الحصيرة
والرتبة ..

كتبت إلّي الشيخ محمد العلي التركي: لا تذهب. أريدك هنا فهو خير
لك، أعرف أن أباك سيمزجك فنزوّج وأعفا الله ثم عليّ الباقى.
وسألني أبي... لماذا أشار عليك الأساتذة؟ قلت: نصحوا ألا أذهب...
فقال: هذه رجيبي لقد ختبتك لك فلانة، وبعد أسبوع نعهد لك عليها...
فتزوجت، وأنجز محمد العلي التركي وعده لقد كانت يده هي اليد التي
جعلت معي أستاذًا أعلم زمالاني وإخواني، ومن المصادر يسيدة أنتي
وأستاذ محمد صفر قد عين كل معي أستاذًا في يوم واحد، هو قد عاد إلى
مكانه، وأنا شملت بتقدير!!

زملاء وأصدقائي لم تتغير نظرتهم إلي لأني لم أغير عملي لهم ومعهم
وبهمن. يعرفون قلة حصيلتي من العلم، ولكنهم يشعرون بأنني أجد لهم
الجواب بالموافقة لقد تعلمت منهم وتعلموا كيف نقرأ؟ كيف نراجع!
والحصيلة الحاكمة التي لم أشعر ببداية أن لم أذهب، بل أتيت بشعور
المتعة بهذا البناء في سبيل المعرفة تعلمنا على ضوء فانوس وفي غربة
من الكتاب والمجلة. حتى إذا أقرب الكتاب وما إليه تخطافته الأعين
القارة ليكون مشوقًا كورق، وليكون غذاء عقل كفه ومعرفة...

أكتب هذا ديبلاً للذين حالت ظروفهم دون سفرهم، فلديهم البناء
والجامعة والكتاب.. لديهم من النور والليسر أكثر مما كان عندنا. العلم
رغبة وكفاح.. ونحن في حاجة إلى كفاح أقوى في سبيل المعرفة.

• شرحت بالدعاء حتى كاد الدمع يشرك بي...
كان البكاء نزيفًا من الداخل.. ذلك آقى الحزن أن تكون في نفسك
على غير ما تكون في حاضرك مع إنسان!...

كنت الحاضر الغائب.. سألني: ما بك؟.. أقول: لا شيء...
لكن التشاؤم في الحالات بعضي صاحب السائل الإجابة التي يريد
منك، إجابة من نفسك كأنما أنت هو، أو هو أنت.. غير أن الفارق بعيد..
هو يحن إلى الذكري.. أما أنا فقد أحتفظي الذاكرة!!
ذاكرته حية.. عائدة، أما ذاكرتي ففاقدة الوجود.. تعبر فقدان
المجاد إلى إيجاد معانيها.. مائلة في النفس!!
كنت أقرأ في مجلة تكتب خبراً عن انتصار فريق في لعبة.. ينسبو
هذا الانتصار إلى بطل قد ذهب.. ذكرى البطل قد تكون جاءت بهذا
الانتصار.. لهم مجدهم.. أما أنا فمن ذاكرتي قد جاءت تحطم ما وجدت
لابني لها الوجود في نفسي!!
هم تذكروه، فذكرونها!!
كان البطل قد ذهب بها معه.. فأصبحوا يذكرونها، ولا يتذكرونها..
أما أنا فحينما قرأت اسمه كانت هي التي ذكرتني به..
لقد مات، ولم يكن قاتلاً، ولكنه حينما ذهب بها أصبح شارعاً في
تقتيل نفسياً تتمزق.. ففي كل يوم يشزق بدهابه وذهبها هذه النفس!!
كنت أناها، لكن الأبطال إن لم يذكروك بأنفسهم لأنك لا تعيش
على مجدهم.. ذكروك بما صنعوا في حياة أو موت.. بهذه التي تحيا في
نفسك!!
لقد ذهبت في الحريق، فخمدت النار التي أحرقت، لكنها أوقفت النار
التي ما زالت تحترق.. هذا مجدها.. مجد الحب ببث في الانتصار حينما
أصبحت الحفظ على الذاكرة لأكون الحفظ على الذكري!!
من هنا.. صنعت الإجابة له، وما زال السؤال قائماً عليه، وهذا فارق
آخر.
أنا قد تحددت إجابتي، أو استجابتي بها، بقيت في نفسي فـ "الأنا" فيً
أجدها بهيئة لأنها بذهابها أصبحت لي لا لخيري.. أما هو فبقاء الحياة يتعب لأنه يريد أن تكون له، ولكن الغفلة تعبره.. لا لأنه يخاف نفسه ألا يكون لها، وإنما يخاف أن تكون هي له، ليست له!!
شيء مكروب أن نعيش على الذاكرة.. وأشهد كريناً أن تيكتنا الذكري!!
حفظها الله.. تلك التي أشعلت في المعرفة عنها لتكون هي المعروفة دائماً لدي!!
رسائل خطية وتليفونية

- كتبتي خاطرة عن الهدا، عن رؤية عابر في طريق، تغولت في رانحة الثرى والضخ الرطيب من قطرات المطر...

وكان أقد أعترفت قارناً يعيش في الهدا، فعرف ما أساء من الإنسان من عبث وإهمال...

أف من هذا الإنسان، فكثيرًا ما يفسد في الأرض إن قهره التعليم عن القتل وسفك الدماء، قهر نفسه من حيث لا يدري بهذه الفماازرات إذا ما ألقاه بعيدًا عن قنائه، فإنه يظن أنه قد باعد بينه وبين إفناء الحياة بالجرائم...

وكان قارناً لم يعجبه ما كتبتي فأرسل إلي يعقب عابتاً...

ولعلّي أنشر كتابه بنصه لعل الناس يعرفون أولاً، وكما يعرف المسؤولون ما ذكر ليزيلوه!!

وإليك نص كتابه بأسلوبه دون أي تعديل أو تبدل:

حضرية الفاضل الأستاذ محمد حسين زيدان الموت...

تحية وتقدير، وبعد:

أستاذي العزيز، في المقال المنشور في العدد رقم 1740، وتاريخ 26
العمال الكاملة للأدب الأستاذ محمد حسين زيدان ـ

جمادي الأولي لعام 90 وتحت عنوان «كلمة ونص» كتب تقول إن جو الهدى قد أعجبك.. الغيوم، الهواء الاليل، الرذاذ.. كل ذلك يعجب كل إنسان ولا شك ولكن؟

هناك أشياء تدعو الإنسان إلى ترك المصيف الجميل، ليس الأهل والولد، وإنما الروائح الكريهة أعزكم الله.

1 - الحمامات التابعة للخيل.

2 - القصابون الذين يقذفون بالأوساخ بعد تنظيف النبائح.

3 - فضلات الأكل المتبقية من المصطفانين.

4 - الأوراق المتناثرة سوف تجعل من الهدى بعد عدة أعوام كدوة أعزكم الله.

5 - التسبيحة بزيادتها غير المعقوله.

6 - مراغة المأكولات.

أستاذ العزيز، سعاده.. من المسؤول؟ سعادة أمين العاصمة أم سعادة رئيس بلدية الطائف؟ إن في اعتقادي أن منطقة الهدى سوف تصبح مصينا للجرائيم لا قدر الله.. إن أملى كبير أن يلقى خطابي عنابة منك، وفقك الله لخدمة البلد الطيب وشكرآً.

المخلص: توفيق عريف

إني هذا القارئ يسأل شارحاً ما أساء ليهدي بما يسر.. أشكره شكرآً على وعه.

أخي محمد علي البكري:
لا أريد أن يتبدل هذا الاسم لك لأنه العلم الذي قتلت عليه، ولأنها منحة القدر لك. تجمع في اسمك هذه الأسماء الحبيبة التي تحول بها تاريخ قومك. قومك الذين كانوا يقتلون غيلة، فيمهدك النبي الرسول. تحولت الغيلة إلى شهادة. كان القتل في قومك من أجل شيء لا تكون به الحياة، ولكن محمد النبي صنع من القتل: هذا التاريخ الطويل العريض. لأنه - حزم الغيلة، وجعل القتل في سبيل الله. في الدفاع عن الدين. عن الأرض التي تحوط الدين. عن الأهل، والعرض، والأرض. جعله أساسي ما يبذل إنسان (قتلون وتقتلون) (ومن أناس من يشي نفسه ابتغاء مرضأة الله) يشي نفسه من القتل الحرام. الغيلة والأغتيال. بالقتال الحلال كل الحلال: الجهاد.

أنت حولت التاريخ لأنك ذهبت تتجاهر عن أرض قدس، ودين أقدس، وأمة صنعت التاريخ. اذهب لتقاتل حتى نحيا نحن الذين وراءك. إن التحول في التاريخ لا يستكتر أن يصنعه شاب متوافق رقي مثلك، فأنت بهذه الرقة حملت القلب العظيم، أنت ما تملك يهودي برصاصة. أنت قتيل الأمم التي تداعت عليك.. أنت قتيل الصهيونية، والاستعمار، وبلفور، وترومان ومن إله، والذين فرطوا من قومك العرب فيما مضى. الذين لم يصنعوا الفداء أول الأمر. لم يبرزوا الكيان الفلسطيني في اللحظة الأولى. كان ممكناً أن يبرز في أول يوم من أيام الانتداب. كان تتفاذاً لوعد بلفور، لكن الكثرة حينذاك كانت كثافة السيل.

أنت برهان على أن الشعوب العربية أصبحت كلها تقاتل، وأنت نوراً جعلت النور بالدم يتدفق في وجدان الذين قبلا صورتك.. لم يقبلوا الورق. وإنما قبلاً معاك!!
أيها المحمدي: لا بد أنه كان في نوازعك أن محمد النبي حينما شرع الجهاد لم يحجب ابن عمه عبيدة بن الحارث عن الشهادة في بدر، ولم يمنع عمه حمزة عن الشهادة في أحد، ولم يخلف حبيبه وابن عمه جعفر، وحبيبه زيداً، وصاحبه ابن رواحة عن الشهادة في مؤتا . ما قدم الأبعدين . بل خاض الشهادة الأقربون والأبعدون، وكلهم كان الأقرب إليه لأنهم المؤمنون، ليتهم دفنوك في مؤتا . هنالك بجوار جعفر وزيد وابن رواحة . تلك دماء أهلك وقومك من هذا التراب . ليتهم دفنوك في اليرموك بجانب عكرمة وسهيل بن عمرو أولئك كانوا آباءك من هذا التراب . ما صنعت بدعاً فقد سبقك إليه أبطال فاتحون، وإنما صنعت البديع في زمن قل فيه صناعه .
أرحم عليك . دعوة مسلمة، وإلا فلله قد وعد لك بالرحمة، تعيش روحك في حوصلة طبر أنك الذي تأتيك من هؤلاء الشهداء، إن لم يدفنوك معهم فتأت اليوم تحيا معهم !!
لا أحب أن يبدلوا اسمك، جمع الأسماء الحبيبة، محمدًا، عليًا، أبا بكر.

• حكايته وقعت أخبارها وحوادثها في ليلة أمس، أقصها للعلم بها وليمكن إصلاح النقص في الناحية التي ترى أنها تحتاج إلى تحسين علاقتها بعملها والمحتجزين إليها .
ففي الساعة الخامسة وعشر دقائق قبل الفجر . يعني الساعة الحادية عشرة والنصف تقريباً كنت في دثاري أقرأاً، فنزل ولداي . قالت: إن رجلاً يلبس «بنطلونًا» دق الباب، وقال: «كلموا بوليس النجدة، لأن في بيتك جارنا عبد العزيز بن محمد البليهد تمساً كهرباتيًّا».
ومعمر الكهرباء الذي أمام بيتهم يقضح بالشرير، وينفرغ مطرقعاً بصوت
الاختراق أو التسام الكهربائي...

وأخذت الهاتف. ضربت رقم 9 فارم ستة. عن غلط ثم ذكرني طفلة أن الرقم هو 99. وأجاب الضابط المناوب حينما ذكرت اسمي
كطالب...

أجاب بكل احترام ويفظه ودته!!

- قلت له: «السيران طلبي مني الإتصال بكم لكيت وكبت» فأجاب:

حاضر.. سأكلم شركة الكهرباء، وكلم الإطفاء، فرقمه - 92 - وسأرد لك
الخبر عن مكالمة الشركة!!»

وكلمت الإطفاء، فأجابني يسأل: «ما اسمك؟!» قلت: «ذكرته لك»
قال: «أيش اسمك؟» ذكرت اسمي. فقال: «فين المكان؟» وصافته له، فقال
فين.. فين؟ وراء فرن بدر؟ أين فرن بدر؟» قلت: «في شارع المطار بين
الكندرة والمطار». قال: «إيه اسمك؟ كم رقم التلفون؟!!»

- قلت له: «من أنت؟ أين الضابط المناوب؟» قال: «هو فيه ما
اسمك؟ كم رقم تلفونك؟ أين المكان؟»

وتركتك الكلام معه لأنني عرفت أنه مأمور السنترال وأحسبه لا يعرف
الكتابة فلو كتب الاسم والرقم لما تكرر المسأله منه!!

وكلمني الضابط المناوب في بميسي النجدة: «يا أستاذ الشركة قطعت
الليان عن العمود، المهندس في طريقه إليكم». كلمت المطافي فألفتني
مأمور السنترال السماعة، وقطع المكالمة!!

- قلت له: «لا بد وأن لديك تقررًا عن وقائع الليلة. ويمكن شرح
ذلك كله إلى من ترفع إليه التقرير.

- قال: «أنت كلام رئيس المطافئ في النهار!!»

وخرجت ووجدت جماعة من الحيران، وبينهم مهندس الكهرباء وكان خارجاً من بيت الأخ عبد العزيز البليهيدي. ومن بين الواقفين الأخ عبد الوهاب الراهم.

- قال: «أنا لاحظت التماس والشرر.. تكلمت في تلفوني ووجدته عاطلاً. وذهبنا كلام من تلفون السيد هاشم الزواوي، ووجدته معطلًا، فطرقت باب للكلام البوليس والمطافئ.. شكرًا يا آخ».

- قلت له: «أنت المشكور».

- قرأت اليوم «أمس» في الندوة مقالًا كبحث كتبه فضيلة الأستاذ هارون أحمد العطاس يشرح حوارًا أقامه مع فضيلة الأستاذ/ علي الطنتاوي حول مقتل الحسين ابن فاطمة وابن علي رضي الله عنهم أجمعين، كأنما نحن قد فرغنا من كل مدعاة للخلاف.. نريد بدعوة التضامن الإسلامي القضاء عليه.

إنه خلافًا كهذا إذا ما أثرناه فإنا ننصب مكانة من كريبله.. وانتصارًا في الفيحاء وحزنًا في المدينة وحسرة في مكة وغضبنا في كل مكان. من صنعاء إلى قم إلى الدار البيضاء.. ما أخلاقًا أن نطق على ما يثير ضغناً.

والكلمة في هذه أوجهها لصديقي الأستاذ علي الطنتاوي.. لا رداً عليه ولا نقاشاً مع رأي.. وإنما تنبيهاً له على طريقة هي أخذ الأكبر عن الأصغر.. فالتذبج بينهما من مافخرهما.. أريد شيئًا آخر هو ما ينبغي أن يثار بين عامة الناس من هذه المواضيع التي تطرق لبعضها.. خصوصًا في
بلدنا هذا... القائم أمره على مذهب سويني... حب لا يغضاء فيه... وعقيدة لا مراء حولها.

هذه المواضيع جدير بها أن تعقد لها ندوات خاصة بين طلبة العلم لدعم الحق ودحض الباطل... إن نشر هذه وأمثالها على صفحة ورطاس... في جريدة يومية... أو الحوار في التلفاز عن موضوع مضى وانتهى فهذا شيء أرجو لأستاذى ألا يفعله...

حدثني من أثق برأيه وخبره ومن أفرح بتوجهه... قال: "لا أدرى لماذا سمح الأستاذ علي الطنطاوي وهو من هو رفيقًا في قدره أن ينال في التلفاز سؤالاً وجه إليه عن حلق القرآن؟!"

- قلت: ما سمعته... ما رأيته... ولكنني كنت أتمنى أن يكون في التلفاز... قبل المجيب "كونترول"، رقابة على الأسئلة لا تعطى للمجيب إلا بعد تنفيذها لها... ونقد، ثم يعرض المتقدم على المسؤول لينتقي ما يحسن الإجابة عنه وليركز ما تكره الإجابة عنه للكراهة للمشاعر نفسه... أحسب أن صديقي الأستاذ علي الطنطاوي واثق من قدرته على الإجابة عن كل سؤال، فلم يحرص على أن يتفقد الأسئلة ليحذف الشائكة إن لم يكن عنصراً عليه.

القدرة على الإجابة ليس مجالها التلفاز... يراه... يسمعه كل الناس... إن القدرة على النفس هي أقوى من القدرة بالنفس، القادر على نفسه يمنح عن إظهار القدرة بالنفس فلا يجب عن سؤال كهذا... فما أحرامنا وقد مات هذا السؤال بعزمته أحمد بن جبل رحمه الله وشيع إلى قبره بال بصورة من صاحب الحيدة... وأهال عليه التراب إيمان "الواثق" بالتوبة النصوح، يرحمهم الله.
وهذه مسألة اليوم... أعني قتل الحسين... لذا تائر على جريدة توجيه نار فتنة... تتغسل جراحنا... تثير بغيضه أحسم أنا في غنى عن ذلك لأننا في فجر إلى وحدة صبر وعمل... إلى اتحاد في رفض الخلاف لتكون العزيمة واحدة في الدفاع عن كلمة واحدة... هي كلمة التوحيد... إلا أنه... الله محمد رسول الله... نحن في فجر لتفاقم... لتخليص أرض واحدة... هي سياج الحرم... فيها أبواه... من عقبة إلى جولان... من الحماه إلى قناعة الغور إلى قناة السويس، قبل أكثر من ثلاثين عاماً جاهزًا أخونا المسلم محمد أسد وكننا في المدينة المنورة... وكان أيهما يسوى أسد الله... فقال: «لا ترى كيف أن الشيخ رشيد رضا ومحمد كامل قصاب وأمين الحسيني يصلون وراء كاشف الغطاء محمد حسين؟! كيف رضي هؤلاء السلفيون أن يصلوا وراء شيعي؟!».

قلت له: لقد صلّى الباروني وأطيقش يومها وهما من تعرف مثلما صلّى هؤلاء... فلقد كانوا في مؤتمر إسلامي... ولقد صلّى هؤلاء وعندما صلّى ابن أم عبد، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وراء الولد ابن عقية وهو على حاله الذي تعرف... وكما صلّى أنس بن مالك، خويدم رسول الله وصاحب وراء الحجاج وهو من تعرف.

إن صلاة هؤلاء لا يعنيها خلاف على حب الرجال وبغض الرجال... وإنما دعاهما لها الحب الأعمق في الدفاع عن «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ناسوا خلافاتهم ليتفقوا على كلمة التوحيد... لتتوحيد الكلمة... وكانها استيقظ محمد أسد ليكون معنى لا علبي، وزدت أقول له: «لا محمد الله حينما نرى الشامي يصلي وراء العراقي... والعثماني يصلي كذلك؟!» وقبل أكثر من عشرة أعوام وفي حوار مع السيد رضا الشبيلي، عالم العراق وهو
من تعرف، قلت له: "أليس الضيافة أن تفوقا طوال هذه السنين حيأ في رجل وشامأ في رجال. ونفقت نحن طوال هذه السنين نداعف عن رجال ولا نبخس الإمام حقه (؟!). إنها لضيافة. خسارتنا منها كبرى. وكسب لعدد كبير.

قال يرحمه الله: "لعلنا نجد الفرصة للتقارب وتنظيم الفكر من هذه الشؤون.

وشكرت السيد الشبيب. أذكرو بهذا البيت من شعره:

فتنة الناس. وقينا الفتنة. باطل الحمد ومكذوب الشنا
dعوا أقوال المؤرخين. واستجبيوا إلى مواقف أئمة المحدثين.

فسعد بن المسبب والثوري ومالك، وابن حنبل ما يكفي.

لقد حدثني أستاذي وصديقي الشيخ صالح بن عثمان. ساكن الحرم
عن حوار جرى بين إمام السنة. قاهر البدعة وقائم الفتنة أحمد بن حنبل
وبين ابنه صالح.

 سأل صالح أباه: "هل تعلمين يا أبتي؟ ..".

قال: "هل رأيت أباك يعلمني أحدا؟".

قال صالح: "هل تخبب يزيد يا أبتي؟".

قال: "هل ترى أن مؤمنًا بالله ورسوله واليوم الآخر يحب يزيد؟ ..".

هذا أدب الأئمة. فدعونا عن غيرهم.

أنتموا الطنطاوي والعطاس ابن أخت وخال فاجتمعوا وصفوا المسألة في حوار العلماء. في مجلس خاص. فالطنطاوي أمه حسبية فهو سبت السيد
عبد القادر الجيلاني إمام الحنبالية في وقتنا.. والسيد العطاس عمرو حسني.. فأعجب لخال وابن أخت أن يختصصي في جدهما الحسن بن علي رضي الله عنهما!!

• أيها القارئ: أنت صديقي وإن خاصتمي، وإن كنت ضدي فإنك لي ما دمت تقرأني.. على العكس من الكاتب - أي كاتب - هو مناضقي ولو كان صديقي (!) لأن القراءة استعباد.. تقبل، ولو بأسلوب الرفض.. أما الكتابة فتنافس.. فكر.. وتحدد، ولو كنا كتاباً لتصادق.. تكتب في جريدة واحدة!

الصداقة مع القارئ هي الوضع المرتضى المرغوب فيه، والتنافس مع الكاتب هو الوضع المرتضى، والمحدود منه!

القارئ إذا ما غضب فكتبت إليك عن غضبه فأنما هو الرضي.. يريد الاستزادة بما يرضيه.. وخير لك أن تسعنه.. تطور فكره بالإكتبار مما يغضب له لأن الغضب لا يليق بالقارئ فهو أكبر منه.. فالغضب يفوت الكثير!!

بعض الغاضبين من أسباب الغضب فيهم هذه العجلة في القراءة والاستعجال في الإثارة!

الغاضب قرأ وهو واقف.. فجلس ليكتب.. ولو قرأ وهو جالس لوقف احتراماً لما فهم!!

الريحاني أعطانا الفكرة عن القارئ حينما جعله القارئين الاثنين.. قارئ يقرأ له وهو واقف فيضيق.. لأنه ضيق الظرف على نفسه، ويجل القراءة في مكان لا يسع إلا رجله.. بينما ما يحمله في يده يحتاج إلى مكان يسع رأسه (!) وعينيه، وأذنيه، وقبلبه! لجرب قارئ أن يقرأ بصوت مرتفع
فإنهم يفهمون الجرس في أنهم أكثر من الفهم بأنفسهم. فالقارئ واقف قارئ على الريحة! يهم، ولا يرى ولا يسمع!

وقارئ ثانٍ لا حاجة للفحص عنه لأن ما وصفنا به القارئ الأول يعطينا الصورة عن القارئ الثاني، وهو الذي يقرأ جالساً. يقرأ بكل الحواس!!

وأزيد على الريحاني ثانياً وأسميه: قارئاً بالجماله. أعني تسميتي له، وإلا فهو ليس بقارئ.. هو ذلك المصطلح.. المقحل... الفقران.. قد أنثى الله به من حيث وضعه المادي.. في الزمان، أو المكان أو المكان!! يمسك بما يقرأ، فلا يكاد يقرأ حرفاً حتى ينحرف مواجه من التفوق عليه.. وللفقدان التفوق عنه.. فيرمي بما يقرأ، ويسنده رأسه على الأريكة، وينخذ، نسناً من الجراها! ويلغت إلى تابعه فقوله:

- دا ايه.. !!! شيل.. شيل!!

هذا الثالث ليس عدداً للكتاب، ولكنه عدد نفسه. كتب عليه الحرامان، فازداد قروه، وإن كثر غناه!!

والمكتب الخصيم الصديق.. إن خاصم بالسلب لا يأتي بالنقيض جهزة، فإنه بحورنا من أفعاله وفضائله. وبهذا تصبح الخصومة فاسحة، والصداقة مشملة.. ما ذلك الذي يتلاقك.. فإن الخصومة تنقلب إلى تنافس شريف يقوى بها عقل الصداقة، وإنسان الصديق!

من الخيانة للفكر ألا تجهز به.. ومن الأمانة للصداقة أن تجاجر صديقك بما تنافسه فيه!!

عبينا أننا كثيراً ما نخضع للمجلد، كما نخضع للخوف، وكثيراً ما تكون المجملة خوفاً من الخوف، وفي هذا ضياع للفكر.. كأنما الكاتب يحجر
على نفسه بما لا حجر عليها فيها!
لا تجع من قارئ غضب منك، فالمجاهدة منه فضيلة تكشف عن
جواب الصداقة لك، واغضب من الكاتب الذي يتواري لك بك عنك!!
لا تجع من الغضب فقد استهدفت لأن يقال لك: إنها ضريبة النفوذ
تدفعها لزاماً.. فالغاضب منك أخذ الضريبة لكنه دفع القيمة!!

• أستاذ الزيدان!!

أنت في الطائف.. تتلطف بجو الصيف.. تطرد ركام الإرهاق..
هروباً من «قرصنة» الحرس و «الفئة» المبيه المثلجة على ظمأ مرفوض..
وشيع جائع.. ونحن «هنا» نقوت إلى تطلعتات أفكارك.. إلى نضج تجاربك
الواعبة.. تفرغها في الأذهان الشابة فإذا هي حالة تسعى في الوجدانات
الصاحبة.

إنني خجول من إحساسي ظائر بعناد صمتك.. وأنا أقحم قلمي
المتوارض.. يسد ثغرة لا يملؤها إلا فيض أسلوبك الرواق من رصانته..
وقوة محتجته.. ولكن ما رأي أستاذني في أن جميع حواسي انقلبته إلى
«أفواه» تحتج وتلجه بالمطالبة: أن عد إلى منبرك «كلمة ونص» بدلاً من
فرارك الصغير (1).

• أستاذ الزيدان!!

ما هكذا يفعل البشر .. الذين يشكون حين يشمنون من أنفسهم ومن
حياتهم .. يفرون في الانفلات من روتين الالتزام كجزء من نظرة الاعتناء
بأنفسهم؟! إن التزامك الفكري .. بما فيه من عملية الخلق والإبداع .. قد
عزز انتصار الرغبة .. في استمرارية الكتابة عند تلامذتك .. وأنا منهم .. ولا
فخرا! لكن مسألة «التوقيف» غير العادي قد يعكس انطباعاً مغايراً لهذا المفهوم. يكسبه عنصر الراضي.

أستاذى!

في الوقت الذي تعودت فيه أن تسمع ما كتبته أنت.. في صدر ليل عبر أسلاك التلفون.. بدأت أنا في صياغة هذه الرسالة أحوكتها إليك ترتكب الطييلة علينا إذا تحملت تبعاتك.. الخفيفة علينا إن تحمليها من وحي مشاعرك (1).

ومعذرة إن جاءت غير متناضقة العبارة ذلك لأن العبارة نفسها حبيبة لا تود الاقتحام أو الطول.. الأمر الذي جعلها أشبه بفتاة ليست «الخمار» لأول مرة وكلما حاولت الاعتدال فيها مصيتها.. أربكتها كثرة التسوية في «الخمار» النافر!

وعلى كل فهيم ولدودة «الزجمة».. والغريب في «الزجمو» كـ كما تعلم - أنه لا يستطيع أن يفند الأشياء على حققتها.. ولكنه يتصرف بذهن عائر.. حسبما اتفق.. وهذا الفرح هو رأس الزجمة في رأسي.

ومع ذلك نحن في انتظار ما يدفع عنعنات هذه الزجمة.. ولكن أنت أستاذى!

علي مدهش

• كلمات اليوم مستعارة.. لن أجد أحسن منها.

كانتها لامنا على القصور والتقصير حينما لم نواكب ما كتب عن صندوق الطالبات تجمع فيه التبرعات والاشتراكات في كل مدرسة للطالبات تعين من يستاهل العون.. تأخذ بيد العجز، وتكسو العاري، وحتى لتشتري الدواء إلى مريضة!
صدوق سيكون صغيراً أول الأمر لكنه سيكون كبير الأثر، والتأثير في التوعية لقيم التعاون. لمعنى الإحسان، وقد يكون منه مشروع لتكبير المدرسة، أو لأي شيء آخر.

لقد استجبت العلامة فعلًا أقل تقدير أشعر بالمرض قد وجدت قارناً، أحس بالآخرين، أو بعضنا الآخر، فأنا علي الا تتأمل مثلهم، أو لا تكون لدينا النخوة مثل نخوتهم. أتقدم ملامته، ولا أريد أن أرشده إلى أي كتب عن هذا الموضوع في يوميات أواكب بها الداعية لذلك الذي أحب أن يجرب نخوتنا.

هو الكاتب الذي أثار الموضوع صاحب «الطلال»، استعينت هذه الرسالة مستنداً الصديق عبد الله جفري في أخذه منه لأنشرا كدعاء بهذا المشروع، وكشكت كلامه الذي لم يرسل كلمة فقط وإنما قرر بثع منه شهريًا، فهو بذلك خير منا نحن الكاتبين. هو كتب الكلمة، ويدفع المال، أما نحن فليست بسعدنا النطق على رأي المنتبئ، وكمما نتحمل العلامة لأنه ظن أنا لم أكتب، فليتحمل مجتمعنا ملامته لأنه لم يتحرك!

وهذا نص الرسالة:

أخي العزيز عبد الله جفري المحترم

تحية صادقة:

من أسبوع وأنا أتابع بلطف وقلق ردد الفعل المختلفة لمشروع إنشاء صندوق الطالبات، من خلال متابعتي لبرامج أسو الخمس وأدرك القيم الإنسانية الذي يعيشه مجتمعنا، مجتمع القادرين والموسرين حتى الأقلام المؤثرة في يوميات عكاظ، لله، المنبع، أصابها العجز من ملاحظة فكرة المشروع وتناوله بأي شكل إيجابي، فالاستجابة للتجديد لا يأتي بسهولة!
من أعمامي أهتمكم وأهنى أصحاب القلوب الطيبة الذين صفقوا للفكرة والمستجيبين لها، وأرجو أن تثبت الأيام القادمة أن الخبر ما زال يورق بين أضفنا، يعيش في قلوبنا. وأنا على استعداد للتبرع بـ25 ريالاً شهرياً لعام كامل لأول مدرسة تبدأ في إنشاء صندوق. وسؤال سبيط: ماذا يضير مدرسات كل مدرسة لو تبرع بعض ريالات شهرياً بالإضافة إلى تبرع بعض الطلاب؟. إن مثل هذا الشعور من المدرسات يوجد الصدى الإيجابي التنفيذي لهذه الدعوة والسلام.

المخلص.. سليمان سالم يا جعياً

رسالة جاءت إلى صديق كاتب.. دفعها إلي فقرأتها.. وقلت: هذا أب قد كرب من ابن أو أبناء، فأخذ يشدد الشعر، وتبنيت الأصدقاء أن يكونوا معه، وسمعت الصديق ما قلته له تعليقاً على الأسطر المغفلة من التوقع والمشغوب بها هذه الآيات من الشعر.

- فقال: أنا في ظرف كما تعرف لا أمارس فيه هذه الشكوى، وفي حال أكبر من أب أن يشكر ولده! أفلا تقبل مسؤوليتي أمام كاتبه فكتب أنت، ولو ليشعر بأن مشاعراً معه؟

- قلت: سأكتب وأنشر القطعة (الشعر) على شرط واحد: هو ألا يعتبر نشري لها تأكيداً لموقفي كله، فقد يكون عليه بعض الأسباب التي حملت الابن ومن إليه على الخطا معه.

فالمسماع من لسان واحد بذينين أنين فيه إجحاف بالاذان، فعندى كأي إنسان أذن فلا بد أن أسمع من لسانين، ليسمح الأب بذراع ولده، ويطلبنا نتكلم كما يتكلمان ونسمع ما يقولان ثم نصلح ذات البنين، أو نحكم لواحد من الاثنين، على واحد من الاثنين.
 وسلم الرسالة ومشغوفها لأنوبي نشرها دون أن أعلم اسم صاحبها،
لعله يسر أو لعله يراجع نفسه، أو أن ولده يقر فيرجع موقفه، لبعدل
وعتدر.
وال عليك القطعة الشعرية، فالحشكل قديماً مع قلة المعوقات
والعاقب هو الحشكل نفسه مع كثرة العقد والمناقضات وتضخم
الدنهمات أو قلة الشيكات أو ندرة الصلة القلبية بين واحد في بيته وآخر
يجاوره في غربة:
تعل بما أخنو عليه وتنهل
لسمك إلا ساهراً أتحمل
طرقت به فعيني تهمل
لأعلم أن الحوات شيء مؤجل
إليها مدى ما كنت فيه أمل
كأنك أنت المنتظم المتفضل
فعلت كما يجار المجاور يفعل

وبحام الله المتنبي.. تجده في لسانك حينما عليك شيء في
وجدانك.. حتى الوجدان ينح!؟
نعم.. إنه ينح صراعاً من فحيح الآخرين.. المستقدمين مما هو
هن.. والمستأخرين عما هو غال ويبين..
المتنبي يقول:
وكم من عانى قولاً صحيحاً.. وآتته من الفهم السليم

الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان -
ويقول:

إن من التمرين هذا، ليس شيئاً وبعضه أحكام
ومنه ما يجلب الصرامة والفضل
أي إن الصرامة والفضل يجلبان الحكمة في المنطق والزن في الكلمة
والحصافة في الفهم، والنظافة في السلك.
أما الصرامة سواء أكان انفصاماً أم ازدواجاً، أم وراء فهم جالب الغث
المغث، والكثير المكبت والسلك الأعرج.

التذكرت المشيئي وقوله وشعره. حينما أسمع الفاعدين غير المتققدين
ينفتحون على الماشين في طريق لم يصل إلى ما جمعته بتيمة الدهر، ولم
ينحدر إلى كلمة عهود. فالناصب نفسه قدسناً وهو سروق هادئاً وهو
ضال. نغل ينجح بالغل على الذين نشأوا في حجر أب صان، وخانن أعز
وبينة لا تعطي الفضلات في قدح. لا يخلع منزره إلا إذا شرّى له منزراً
آخر.

أيها السروق، حاسب نفسك قبل أن تحسب على الناس عيبهم.
واستغفر لذينك قبل أن تعداد على الناس ذويهم.
أعرفك. لو أمكنك ألا ترى قلماً يكتب ولا عيناً تحراً. ولا أستاذ
يعلم، كأنما الدنيا ستعمر بك لا بغرينك.

لقد أرجعتني إلى ما أكره، وأنا على يقين من أنك لن ترجع إلى ما
نحب، فأنتم قد حرمت من نعمت المحبة. تورمت في أوداجك وتضخمت
فيه. أنت لا تجوز أن تقاح، أو أن تصارح. ولكنك وسواص خناس.

لَو قلتم لكم: يا قرائي حاذروا من القراءة. لكنت مناقضاً.
لنفسي... فكثرًا ما قلت لكم أقرأوا، ولكنني اليوم - وقد تمرست بالقراءة
سنين طويلة - قد فجعت في نفسي... بكلمة قرايتها في الرواية «الشك
لكلون ويلسون» قاري مثلي يزعم أن الأساس لديه متي، فلا يبالي أن يقرأ
أي شيء... تأتي كلمة تخلخل وجدانه... تبعه الانشطار في فكرة... الندم
على ما فات منه؟!
كم هو الحرف خطير... كم هي الكلمة مؤثرة! في هذه الرواية كلام
كثير عن لسان اليهود الذين تفليسوا لا لرسخوا شيئاً في الحياة وإنما
يرسخوا شتات الفكر... ملكوا قدرة الكلمة... لا يرسلونها هكذا، وإنما
هم يعبرونها ليعبروا عليها بقانون العلم... بقوانين الطبيعة... لقد استخدموا
البيان في أروع صورة... واستخدموا العلم في أقوى تصويره ليكون التأثير
عاطفيًا بالبيان... عقليًا بقانون العلم!
الكلمة هذه عن الأنانية... حب الذات، أنا ومن بعدي الطوفان... «إذا
مت ظمانًا فلا نزل القطر!»
تقول هذه الكلمة: في الأنانية تفوقد الإنسان... نجاحه، لا يمكن
للإنسان أن ينجح دون أن يكون أنياً!
من هذه الكلمة تخلخل وجداني... ندمت على أن لم أكن آنياً...
لأعيش الراحة "التحتانية" خير من هذا العمل المزد للنذة "الفوقانية" الأنيا
جماع... كسبب... واطئ... يذهب من في طريقه لا يبالي... من هنا
تنجم لديه الحصيلة المريحة... "التحتانية" والمؤثر على نفسه... المشغول
بالناس لديه المتعة "الفوقانية" ولكنه مرهق بالأمل المادي... "التحتاني"!
لقد أنجزتني كلمة الثنا على الأنانية لأفكر ساعه في الأمنة ليكن
الأنيا وقد ملكت تحقيق أغراضي... ليكن لي ما أكن "الغيري" حينما رفضت
أغراضًا تتحقق بالأنانية! إنني أصحبت أخاف القراءة فخافوها معي!
لا. لم أقرأ لما وعفت ما أنا فيه من لذة «وقاتية» لأرفض الراحة
النحتانية»!
صاحب الفضيلة نائب الرئيس الأعلى لمدارس البنات. متعه الله
بتوفيقه.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أما بعد، فمعزوفتي لما لفضيلتيكم من مكان كريم، ومكانة في نفوسنا
صونًا وعفة وكرامة ورعاية مسؤولية أنتم جديرون بها. وأنتم القادرون على
الحفاظ عليها، تجعلني أكتب هذا الخطاب مفتوحاً وافحاً، نص كتاب
وصلني بهمك أمره.
وإني لأعلم أنكم تدركون عقابي الروتين الصارف نفسه لإجراء
المعاملات والمتصرون بكثيرها عن إنجاز ما يهم الشاكبات إنجازه.
روتين لا تتبع وراءه ما يأتي به على واحد، وإنما هو على كثير من
العاملين، فأكثر ما يساءل الرئيس عنه. هو أقل شيء يقع في مسؤوليته
المباشرة، لأنه من عمل الموظفين، من عمل الروتينين، لا من عمل
الرؤساء.
وإليكم نص هذا الخطاب، أنه راجياً إيجابية الطلب إن كان حقاً، أو
إيجابية السؤال إن كان باطلًا، وأحسب أن الكريمة، لا يطلبون إلا ما هو
حق لنهن.
أرجو إذا ما قرأت النص، أن تشمل الطلبات بعين راحة، فانت أب
وراح.
والدنا العزيز محمد حسين زيدان الموتى،

تحية وتقديراً،

وبعد فتح طالبات المعهد الثانوي بجدة تقدم إليكم برفع طلبنا أمامكم للقيام بمساعدتنا في الموضوع المخصص وإعلانه في موضوعاتكم القيمة إما في كلمة ونصف أو عن الأمام حسب رغبتكما الكريم، وهو أنتما كنا مدرسين بمدارس جدة، وعندما فتح المعهد المذكور تقدمنا للالتحاق به. وقد قبول طلبنا بالترحيب وكان دخولنا في أول يوم من رمضان 89، فدخلنا طالبات بعد أن كنا مدرسين، وحيث إننا راتب شعبان لم يصرف لنا ليوم تاريخ جوابنا هذا، ومنا من له رجب وشعبان، وقد كتبنا للرئاسة بجدة فأخبرتنا أن المعاملة بالرياض فانظرنا مدة ليست بقصيرة وكفلنا ولاه أمورنا بمراعاتهم فكان جوابهم كالجواب السابق، وحيث يوجد منا الفاجر وميسور الحلال بادرنا بالكتابة إليكم راجين منكم مساعدتنا في الموضوع، هذه لا تعد شكوى من الرئاسة أو عدم تقدير لها، حاشف الله بل ذكرنا لها شاكرين ومقدرين مساعدتكنا ومساعديكم لنا أمام الله توبنا بككم. هذا ما لزم كما نرجوكم عدم الخطأ في ذلك، والمواضيع تحت نظركم اختصروا فيه ما ترغبونه ودعتم.

طالبات المعهد الثانوي

وجائتني هذه الرسالة من صاحب التوقيع. و قد سبقت منه رسالة نسيت أين ذهبها، لقد كنت حفياً بها، غير أن ضياعها أضاع عليّ التعليق عليها.

ولقد طريت لهذه الرسالة التي أنثرها رغم ما فيها من حرازة. حرازة أعزىها لصدى الرغبة منه في أن يعرف الحق، ويزيل الشبهة عن نفسه. والأمر ليس كما ذكر، فلا سر ولا نية سيئة مبهمة ضد سأله، أو من
حبه نحو مواضيع تاريخية هي عندي من الرفعة والإكبار والحرص في المكان المصول.

أشر الرسالة، ليطبع عليها، ثم ليكتب إلي بياناً مفصلاً بما يريد تصحيحه، فإن عرفت الخطأ أوضحته بصواب، وإن كان صواباً أرجعه عن خطأ، فأنفاحف نفسي شيء من الوضوح، فلا أسعد عندي من لحظة أعرف فيها الخطأ، وإن أقوى مرة بواحد ينبي الخطا. إن الصواب نجري وراءه، فلا خير فينا إذا لم نرجع عن الخطأ.

إكتب إلي تفصيلاً. أخبِّ تفصيلاً.

وهذا نص رسالتك:

حضرة الأستاذ محمد حسين زيدان الموقر،

تحياتي إليك، وكل عام وأنت بصحة وسعادة، وبعد: يسوفني أنك لا تجيب على الرسائل التي فيها الحقيقة، أو التي عن الحقيقة؟ إنني لم أسأل ما سألت إلا لأصحح به المعلومات التاريخية التي قرأتها في كتابك، وفي أمهات الكتب التاريخية، ولا أدري هل الشوهر فيما قرأته في كتابك أم في الكتاب الأم؟ أكاد أجزم بعدم ورود رده، أن هناك سراً ينطوي في طياته ما قرأته من تشويهات.

فهل تكرم بإجابتي على الرسالة السابقة لهذه، سواء في رسالة أم كلمة ونص؟ ومهما كان الجواب فإني أقبله، وإنني شاكر لك سلفاً ذلك ومقدر والسلام.

مكة – الجودية – زقاق غراب

عبد الله إبراهيم رجب
ال.large
• ابنتي الحزينه عزيزة أحمد سنبل!

وتكلمت في الهاتف، تساءلين عن أختك في الصداقة.. والدرس

عائشة.

حسبت تساءلينها عن شيء خاص في الدراسة والامتحان والنتائج.. أو
تزفني إليها خيراً مفرحاً عن أختك سميره.. كنجاحها في دراستها العالية،
فوجدتها بكل الجهل لحلاك وشأنك، وبكل التسر في تلقف السؤال.. لا
لأنه منك. ولكن لأنه من الغالية.. فوجدتها بكل ذلك أحبتها في
مكهة.. صعدت إليها تؤدي نذرهما. طواب عمرة بالبيت العتيق وإحياء
لعائلتها بتراث أرضها التي ولدت عليه ونشأت فيه.. وحمد الله وشكره
على ما أعتم عليها من نعمة الرب ما هو لها بما هي فيه.

ووجدتك ترتجمين تخفتين بالإعراب عن حالك، فليس هو السؤال
منك.. وإنما هو الخبر عنك وارتجلت السماعة في أذني من ارتجاف
الناطقة في تلك: تقولين: قل لها: أبوها مات.. من؟! من؟! أنا أبوها
ولم أمت بعد.. فالخير.. فالموت حياة فيه النجاة من الحياة الدنيا إلى
حياة علياً. إلى رحمة نرجوها من الله.. في اليوم الآخر.
فلولا تكافيه العلا ومغرم ثقال.. ولولا نبيت كزغب القطا، لاستراح
الإنسان إلى خير الموت.. فلا طعم للحياة لا حياة فيها.

وسرعت الصمت المتحدرج بالجهشة كأنما تسيل الدموع.. في تلافيف
سلك.. في سلة كلمه منك.. فلما أنت: أبو عزيزة مات.. أبويا أنا.
وأجهشت تبكين.. فهل تجدني فيُ راحماً كأبكي.. لتبكي.. لعلك
لا تدرى أنني لم أبك معك.. وإنما هو الشيء أشد من البكاء.. هو
التفكير لا بحزنك اليوم ولا بحزن سبيرة.. ولا بموت أبيك.. وإنما هو
الحالة الذي تسيرين عليه مع أختكم لرعاية أخيك.. لمعون.. كل منكم يصبح بد الآخر وچلبه ووعاظه ولسانه وماله.

وأمضني هذا الفكر.. ألقبت الكتاب الذي أقرأ فيه.. والملحاء وكل ما يشغل لانشغال بك.. شيء واحد طمأنني.. هو أن أبك يرحمه الله كان رجلاً من الجيل القديم «دقة قديمة» له شيمه.. يعرف المسؤولية.. يتحمل أعباءها.. يعرف الشرف.. شرف شعرة الوجه، فغرس الحب فيكم لأنه كان يحبكم جميعاً، يتحدث عنكم بفخر وفرحة.

هذا الحب غرسه أبوك.. فيه الإنقاذ والوقاية.. لأنه يجعلك أنت وأختك وأختك ومن إليكم تحورون على ألا يكون بينكم خلاف على شيء.. «مغراف» أو «خصفة» أو «جلالة» أو عقار أو درهم أو دينار كليكم لبعض.. وكل البعض لكم.

أخوك سيكر ويكر بعطلك عليه وحنانك.. وبالسماحة معه المسامحة له.. فلقد مات أبوك وهو يحيا في حبه لنبيه.. فما من إنسان أحب بينه فصانهم وعلمهم إلا ورشهم الخير والثقة.. يرحم الله أبك.. فقد كان في شبابه شروساً يبتعد عنه الناس حتى إذا شاب واكتهل أكتمل بالحياء بالصلاة.. للخير.

وأنا على يقين أن الله سيحفظكم جميعاً.. وأسأل أن يكون فضلك رحمة في قوله تعالى في «وَلْيَخْفَىٰ أَنْ تَأْتَهُمْ وَلْيُؤْتُوهُمْ ذُرْقٌ بِمَالِهِمْ وَلْيَقْفُواٰ اللّهَ وَلْيَقْفُواٰ قُوَّةً سَكِينًا» (النساء: 9).

لكم العزاء.. وسميرة تحبة أشد على يدها لنلا ترضخها المحزنة فتعدل عن دراستها.. فقد كانت أمل أبها.. تكلف في سبيلها ما طاق وما لا يطيق، يرحمه الله.
ومكن كام سروري كيأ، وشكري كبيراً لهذه الرسالة التي أجاب بها صاحب الفضيلة أستاذنا وشيخنا ناصر حمد الراشد الرئيس العام لتعليم البنات. أنشرها بنصفها واريخها مبكرًا هذا الخلق تتعلمه منه، وتعلم الآخرون احترام الكلمة الصادقة في سبيل الصالح العام.

لم يجزع، ولم يغضب، بل تكريم بهذه الإجابة تحفزني أن أطيق الشكران، وألا أعصي طاعة لأمثال هؤلاء الطالبات المعلومات المتعلمات.

ولم أكتب هذه المقدمة حتى دفع إلى مدير التحرير الأستاذ عبد الله الداري هذه الرسالة من مدير تعليم البنات بجدة. أنشرها بعد رسالة الرئيس العام ليلعبه فضيلته أسماءه من الأشخاء عابد عجيمي. وللعلم تأكيده بأن الصرف تأخر حتى إنه لم يصرف إلا قبل كتابة كلمتي بيام. ملاحظاً أني لم أتأثر عن نشر الرسالة ليقال إن فوات الوقت كان من تأخر النشر.

وإليك الرسالة الأولى، وبعد الثانية شاكراً وداعياً للمجمع بالتوافر.

حضرت الأستاذ الفاضل الأخ محمد حسين زيدان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أطلعنا على ما كتبتموه في جريدة عكاظ عدد 1657 في 25 ـ 2 ـ 90 تحت عنوان "كلمة ونص" حول طلبة طالبات المعهد الثانوي بجدة صرف ما تبقى من رواتبه قبل التحاقهم بالمعهد.

شكركم على اهتمامكم لخدمة الصالح العام، وتأمل موافاتنا بمساميتكم لتمكن من معرفة من بقي لها استحقاق لتعبيد الجهة المخصصة بصرفه وبالتالي مناقشتها عن أسباب التأخر عندما يتأكد لنا هذا. ولكم تحييتي.

الرئيس العام لتعليم البنات

ناصر بن حمد الراشد
الجذر الثالث – نص كلمة

المحترم..

بعد التحية

أطلعنا على ما نشر بجريدةكم بالعدد رقم 1657 الصادر بتاريخ 25-2-90 هـ في "كلمة ونص" في رسالة موجهة للأستاذ محمد حسن زيدان
من طالبات المعهد الثانوي بجدة اللاتي كن يعملن في السابق مدراس
وقدمن استقالاتهم للالتحاق بالمعهد الثانوي وشكاوى من تأخر صرف
استحقاقاتهم عن شهر شعبان 89 هـ وقبل نهاية الشهر المหาร إليه أربعة أيام
قدمن استقالاتهم ورفعت لسماع الديوان العام لتعليم البنات لإصدار قرار
في قيدهم، وطبيعيًّا ترتيب على ذلك تنويل استحقاقاتهم لعدم استحقاق
غالبيتهم لشهر شعبان كاملاً.

وبعد صدور قرار طي قيدهن اتخذت الإجراءات لتحقيق أيام الغياب
التي تغيبها كل واحدة منهم دون عذر من تاريخ بداية العام الدراسي الحالي
إلى تاريخ طي قيد كل منهن تمهدناً لإصدار قرار بخصم مدة الغياب.

وبعد تحقيق ذلك أصدر قرار الحسم وبلغت الجهات المخصصة به، وجرى
إعداد استحقاق كل منهن ضمن أقساط شهر محرم 90 هـ واستلمت كل
واحدة ما تستحقه كاملاً قبل أسبوع من تاريخ صدور هذه الجريدة، ولذا
جري تبيان ذلك أملين التكرم بنشره في نفس المكان الذي نشرت فيه
الشكوى، ولقد كان بوعدنا لو تكرمت أو تكرم أستاذانا الكبير محمد حسين
زيدان فأخفيلت إلينا الرسالة قبل نشرها لأنفناكم بما يهمه عن الموضوع والله من وراء القصد به التوفيق..

المخلاص

مدير تعليم البنات بمنطقة جدة

عبيد عجبيمي
حكايات وأساطير

- حكاية إذا ما قرأتها عرفت المراد منها، نسردها بتعليم!

قالوا: إن حِلَبة المصارعة بين نارس وبين ثور، هي نفسها حِلَبة
المصارعة بين إنسان وإنسان. بين دول قوية وشعوب ضعيفة، لا يشمل
النظارة أنفسهم إلا بالتصفيق لبطل المتصرع، سواء كان مصارعاً أسفل ثوراً،
أو إنسانًا طرح إنسانًا أرضاً وأوجعه ضرباً، أو دولة قوية تقتل شعباً، وتحرقه
بقتايل النابال، أو حتى بقتايل تحمل الميكروبلا.

فالهتاف هو الهتاف، والنظارة تحجب عيونهم وتطمس أفندتهم بيارج
الزينة وأكاليل الغار على هامة المتصرع.

كأنما التصفيق من أفراد أعدوا لذلك، هو جالب التصفيق من الجمع.
لأن النظارة رعاع كجماعة، تخفي ميزة الفرد إذا ما استقل بنفسه وسط
هذا الطغام من الناس. فالواحد الممتاز في جماعة غوغائية، هو واحد
منهم. بطغيان التلقائية والمشاكل، وإحباء التداعي فكرياً مع أفكار
الهاتفين من

وضربوا لذلك مثلاً في هذه الحكاية. قالوا: تجمع النظارة في حِلَبة المصارعة لشاهدوا بطلاً المزخرف وهو
يقود ثوراً. يتحرش به ليصضعه، ونزل الفارس ووقف يهارش الثور يخلق
أحمر، ولم يفطن واحد من الآلاف المؤلفة إلى عرج في رجل الثور.
كلهم هائه للفارس.
غير أن شاهداً جلس لتوه فشاهد عرجة الثور، فصرخ: إن المصارعة
غير متكافئة، أوقفوها.. الثور أعراض...
لم يسمعه أحد، كلهم غارق في الهتاف.
وصرخ، وصرخ، لم يسمعه أحد.
لكن صراخه لفت رجلاً ثاب إلى رشده فناداه يقوله: لماذا تصرخ؟...
- قال: المعركة غير متكافئة، فالثور أعراض.
وكان السائل رجلاً يملك المنع للمصارعة، وإيقافها، فأوقف الفارس،
وأنقذ الثور.
ثم النفت إلى هذا الصارخ يسأله: كيف رأيت وحكدين أن الثور أعراض؟
- قال: جئت قبل أن أغرق في زحمة المشاهدين، فرأيت العرجة في
الثور.
- قال الوزير الأسباني: إن غيرك لم يتبه وهم آلاف...
- قال: كانوا منسقين بفكر أعراض، وعين عوراء، لم يفكروا إلا في
القوة والقوى، لم يروا إلا المصارع وحده.
فتشنَ القوة.. عرج النظرة الأولى دون تمعن، دون النفت إلى ما
وراءها.
وهكذا كل النظرة اليوم يعرجون بعواطفهم، يفكرون الفرد منهم بالرفض
لطفيان القوة وحده، ويهتف لها مع الجميع!!
قراءت في عكاظ اليوم الخبر عن قيمة إنسان يسعث ثمانية عشر شلنًا، دولارًا، ريالًا، فرنكًا، درهماً. عدد ثمانية عشر واسم العملة يسمى به الرقم تبعًا للبلد الذي سعر قيمة هذا الإنسان.

وقد يكون الخبر غريبًا اليوم... ونشر لغزته ونشرته في هذا الزمن... ولكنه في التاريخ له نظائر وأشباه... تروى كالأساطير لا يكاد القارئون يصدقونها...

وكم هم العظماء الذين جرى عليهم الرق بالثمن البخس دراهم معدودات!... لكن الحقائق تدمج الأسطورة...

فهذا رسول الله وتسمه يوسف الصديق... وبعده بلأل بن أبي رباح... وبعدها الملك المظفر قطرو... كلهم بيع في سوق الوقق... فالحقيقة أن يوسف الصديق عليه السلام قد بيع بثمان بخس.. دراهم معدودات!

الزواج قسمة ونصيب!

كلنا نقول هذا الكلام، ورغم كل المحاولات في دقة الاختبار، وحتى استساغة الرؤية، فما زال الأمر فيه قسمة، وحظ...

تذكر لتوفيق الحكيم أسطورة قدم بها قصة قصيرة... يقول: إن الزواج كقدر وغطاء... يعني لازم «وافق شن طبقه!»... فليس كل غطاء يصنع لقدر غير قدره، ثم قال: كان هناك شاب أراد الزواج، وتعب في أن يجد الزوجة، ثم وجد من نصحه... يقول له: سافر تجد في طريقك زوجتك، وشد الرجال من بلد إلى بلد، وكاد غرق في سفينة... غرق ركابها، ولم ينج منها إلا هو، وبضعة أشخاص... وجدوا غابة شاسعة على ساحل البحر
فلجأوا إليها. لا طعام معهم. كان الوقت خريفاً. الأشجار تساقطت أوراقها. جاعوا فاجتمعوا في مؤتمر واقتحم أحدهم أن ينذروا لله طاعة يودونها إذا رزقهم الطعام. وأخذوا يفتحون عن اللحم لعلهم يجدون أرنبًا، أو غزلاً، أو حتى حماراً. ولكنهم وجدوا فرح فيل - أي فيلًا صغيرًا - حملوه فذبحوه. أكلوا منه إلا صاحبنا لأن نذره نطق به وهو لا يدرى. نذر على نفسه ألا يأكل لحم الفيل. أكل رفاقه وبيقي جائعًا وفاء لنذره، وفي الليل ناموا، واجتاز أم الفيل تفتش عن ولدها تقص الأثر بأنفها حتى وصلت إلى هؤلاء تشمهم فإذا ما وجدت رائحة ابنها رفعت الواحد تخيلت به الأرض. فقتلته الجماعة كلها إلا هذا الشاب. لم تشم رائحة الفيل لديه. وحملته على ظهرها، وسارته، واستسلم لمكتوبه ودخلت به إلى مدينة فيها قصر كبير، وأمام القصر وجد عروسه. قالت له: أين أنت؟. إنني أقف أنتظر راكب الفيل.. أنت زوجي!!

هذه الأسطورة ليست كاذبة، فكلنا معاشر الأزراو ركين الفيل الذي أوصلينا إلى القسما والنصيب.

• وأريد أن أفيض الإلهام والملاحظة، والشاكين وشكهم فأكتب على فعل الإيمان في بعض النفوس تعود إليهم نصيح خيرة رغم أنفها. رجل بلغ من العلم والعقل مبلغًا صور في نفسه من جهالة الوعدان أو من فرصة الوجود أن ينكر خلقه، معلمه، رازقه، أن ينكر الله قاصح يجادل وبهرطق فلا يجد بدأ تأخذ شهو في حاجة إلى وازع من سلطان لا سلطان عليه من البشر، فجاء سلطان الله يعلمه كيف يقول: يا رب. يا رب. ركب سبائه، وليس عدة الصيد يسير إلى دغل يصيد فيه الطير والأرنب والغزال، وربما الثعالب والغزلان!!
وأعطت السيارة فلم بنتف إلى قوة تمده من الله. الطريق قريب
سأصل إلى المستراح في الكيلو الثلاثين.
وأخذ يمشي. يدرك المأمون، فأخذته البغتة من شيء أعمى بصيرته
فتناه، ضاع، وحثت الشمس وأدركه العطش، وأعطس عليه ليل من ظلام
عين في ظلما وجدان!

ولكنها الهلكة أيقظت النائم الكامن في جوانب الإنسان الخفي فيه,
فحينما سقطت في حفرة قالتها وهو لا يدرى.
قال الإنسان المنسي حين صحوة الخدر بالعقلانية.. المنسي علمه
وَفَلَسَتْهُ وَجَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَيَّاً. صحوة العذاب بالهلكة المعطشة:
- قال: يا ربي، يا ربي.. مسي الضر، فقالها:
وغشيه ما غم عقله وعينه، لا يحس بالكرب. فإذا هو في سرير عليه
ملحفة بيضاء وحوله من يعرف - فهمس في ذعر وحذر: اين أنا؟ هل
أصابني الأسد؟ النمر؟ هل نهضتي الأفعى؟
- قالوا له: لا.. لا.. إنها رحمة الله. لقد وجدناك تجدون بنفسك إلا
نفسا واحدا حيا في لسانك يقول: يا ربي.. يا ربي!!
وتكلم حسفا عرف الردة في النائم البال، ثم عرف في كاسف البال
الارتباك عن الردة إلى الإيمان.
- قال: اسمع ليست القصة أن وجدناك، وإنها في أن وجدتنا.
فلقد ذكرتك، وشيء لا أدره سمعته في داخل نفسي من يقول لي: أدرك
الأستاذ فهو في كرب كارب.
وشيء لا أدره أخذت أسأل عنك؟ نعرفت خروجك إلى الصيد
وجدت السيارة، وسرت وراء الأثر في جماعتي هذه فإذا أنت في الهلكة.

حين أشرفت على الهلاك ذكرت الرحمن فأنجالك.

قال الفيلسوف: نعم تذكروني. تذكروني. أشهد أني آمنت بالله.

قصة لم أخترعها، أذرحها، إنما أنا أفترعها في نفس الفارين، هي من قصص الفرنة «وقد يحلو لبعض النائمين على عقدة الخواجة.» أن تقول لهم هذه قصة أصلها عن خواجة. لا عن البسطامي والجيلانة.

فالله إيماناً راسخاً، إيماناً كإيمان العاجز.

والوالدان.. وأم عز عليهما إنجاب الولد حتى لقد خشي كل

منهما العقم!

الزوج الأب يتهم نفسه فسهغ ليستنفق الطب، ليستدريبه، ليطلب
الشفاء، والأم تلخص العقم بها، فلا تلقي زوجها إلا باسمة تسري عنه،
تأخذ العلاج إن هو جاء به وتأخذه إن هي جاءت به ضناً أن يعكر صفو
العلاقة بينهما.

وأدركهما رحمة الله فأنجالها ولداً سبلاً عطاء، وكطيبة أبرين في مثل
حالهما.. توشقا للولد نشأ في بحبوحة ماتحة فانغمس في التدلي والدلم،
كل طلب له مجاب ولو عز ولو أضضى ولم يقرر.. تعلموا من قسوة الشوق
لا يقسم أحدهما عليه وقد كانا في ساعة سائرة.. يملكان من يغني، ولا
يملكان ما لا يغني.

وكبر عطاء، وتعلم من الحياة ترفها وحوارها وسرحها فعاش في شباب
وفراغ وحدة حتى نال المفسدة أي مفسدة.. أخذ ينقف على صحاب سوء،
وأثرب فاسدين مفسدين فأضاع المال وكشف الحال. باع وبا وأتلف وأباب... والأم تعطيه وتسهر فإذا ما ناقشها الأب أو نصحها أحد، قالت: اللهم يهدية... هو أطاوه، وهو هادي.

أخذ السرف إلى أن باع أمه في سوق الرقيق ليشري ما ينفق، وكان من بين ما شاره من ثمن أمه حذاء لماع... وحين جرى الناس قالوا: اللهم يهديه، ولم تبح بأنه ولده!!

و باع أمه ليشري بزة غالية و كأنما عمى على أبيه فقدا له كأنه الأم. الله يهدية. وسار في طريق يتبه بلباس فخم.. ورأه فتاة اختارها. تشتت على خاطبه أن يجيب عن سؤال تسأله فإنه عرف تزوجته، وإن عزف رفضه، وسلم عطاء عليها، ولم تكد تسأله حتى عاجلها بسؤاله.

- وقال لها: أنت لا تقدر أن على جواب لسؤال، وأعماها حظه المكتب أن تكون صاحبة السؤال، وكان موقف التحدي هو الذي جرحها لأن تقول: أسأل؟ أسأل؟

- وقال عطاء: هل تعرفين رجلاً يمشي وهو يدعس أمه وهو لا يسي أباه، فضاقت ذرعاً، لم تعرف ولم تدرك.. وهنا ضحك عطاء.. أنا الرجل.. هذا الحذاء هو ثمن أبي بعثتها أنا أدعسها. وهذا الثوب ثمن أبي فانها لابسه، وكان شيئاً فاما بها إليه. فقالت: أي هو، أنت هو، وتزوجها، فإذا هو يهدي.. يعتني.. يشري أمه وأباه ليصبحا سيدين لينعما بولد اسمه عطاء.. وبحفظ.

قصة لا نغري بها عاقاً، وإنما هي حكاءة أم تبعث العزاء في نفس زوج رأى القسوة من ولده.

قصة قرأها قديماً.. بطلها، أو أبطالها، أربعة: سري كبير، وثري
«كون»، وصلوكِ فنان بعد مروره سيصبح أكبر من كونت. عطاء الفن!...
وزوجة شابة وقلب. طراوة الكونت، وتره الفروسة، وأخلاقها، وحب
الزئين جعلته يشمل الفنان بعطفه. يدخل بيه، ويتطمه، ويعطيه، وكان
الكونت في حفل مدرسي قد رأى فتاة، فاجبه، وتزوجها وعاشا زوجين
سعيدين أنجبتا طفلة، والشاب الفنان أصبح يدخل كأحد أهلها، وكأنما علق
بالزوجة، ولعده حسب ما تضفيه عليه من عطف وتقدير عاطفة، فأسى في
نفسه العْنْية أن تكون له!... ولكن... كيف! هذا ما لم يفكر فيه... كل ما
صنعه هذا الحال أن زاد حواسه. جعله فنانا أكثر. صناعة الحب ترفع
وتنعم!

وجاء طاعون في نابولي، واحترس أهل البيت من الاختلاط لكن
الكونت خرج لأمر عاجل ولم يكد يرجع إلى بيه حتى شعر بالإصابة؟!...
حملوه في تابوت مسمر. أودعوه في المقبرة، لكن الحياة ذات
أغاجيب... لم يمت الكونت. أفاق من أصوات يسمعها في الكنيسة،
فاحتال حتى خرج من التابوت، وتسمع إلى الأصوات، فإذا هم سراق
يخفون المال في حرة جنب الكنيسة...؟

رصد مكانهم... لا يشغله المال فعنده الكثير وذهب يجري إلى البيت
في شوق إلى الزوجة، والطفلة، والحديثة، وضحكات الفنان، وجد الباب
مغلقا، فدخل الحديقة من الخلف، ويا لهول ما رأى! رأى الحبيبته الزوجة
في أحضان الفنان في غزل، فرجع القهقهرى لأنه مات في نظرهم. ذهب
إلى الكنيسة، وأخذ المال، وتنكر في ثوب كونت جديد، ف亚马 أخاته
القبرة الجديدة، واحتال على صداقة الفنان، ليدخله بيه الذي أضحى بيت
الفنان، ودخل مرات، وكاد يفضحه شعور الطفلة، وكاد يفضحه وفاء
الكلب، لكنه قال إنني أكرم هذا الكلب فأحبني، وكانت الطفلة تجلس في حجره، فقتلت له مرة: ارفع هذه النظارة عن عينيك لأراكما. خشي المكاشفة الفاضحة، فالعينان هما سما التسمية.. الدالة على الإنسان.. لا وجه دون عينين؟.. احتك بالشاب. قال: إنك لست مصمم لهذه.. سأخذها منك - يعني زوجته - أراد أن يثير غضب الفنان حتى كرهه بالتحدي، فبارزه. كان فارسا.. أما الفنان فلا.. وحين أقطع السيف من يد الفنان وأسقطه على الأرض رفع النظرة، فمات الفنان من المفاجئة.. تركه وذهب إليها يخطبها، ورضيت به زوجًا ثانياً مع أنه زوجها الأول، وفي حفلة العروس في الكنيسة وحليتها التابوت رفع النظرة فصرخت تسقط هلكي.. مات.. قتل بذاك ما شاءه.. يشي اسمه الحب!!

- رأته يأكل فضلات السفرة - يق해야 في كشكول معي، يأتي كل وجهة طعام إلى فناء دار كبيرة يفعل ذلك، تعود عليه، وعرف أهل البيت هذا المسكن فأصبحوا يلقون بها إليه. أو لعل أهل البيت لا يدرون عنه، إنما هو الخادم يفعل ذلك!! بقية من الخيز، أو هي بقايا الفاكهة مليئة على قشورها.. بعض اللباب زادت عليه عضة السكن فقلب بقشره.

ونظرت إليه تحدثاً شيء شدتها إليه.. بعيد أن يكون هو!! ماذا جرى له حتى تبدأ فضيحي بهذا الطعام؟ أين ماله وترفه ودالته وزوجه ووفره؟ ودنت تقرب منه تفحمه. لقد كانت تعفره شاباً نشأ في رغيد العيش لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب!! وهذا عجوز تهدل، قد ركبه أعوان، أعوان أكثر من أعوان تعرفها له لو كان هو!!

وسألته: نجم؟ نجم؟ وعلّ غيّروا ساخن أن نجم أن نجم ولكن صوتها أخرجه.. أذله.. فأخرجه من نكران إلى اعتراف، فلم ينكر أنه نجم.. قال
نعم أنا نجم، وأنت كوكب!
أنت في هذه الديار؟
قالت: نعم، وسيدة بيت، نعيش في عز القناعة ونعمة الرضا،
وشكران النعمة أقيم مع زوجي يسترني بالحب أنا وعيبالي،
لا يرهقه بطر بزوال النعمة، ولا يشبهه صبر يخجله من أحد.. البطر.
ولو أفرح وأزهى نغمة، والصبر ولو أتعب نعمة.
أتعرف ما أوصلك إلى هذه الحال؟
إن البطر.. كنت تركل كل شيء برجلك، لا يعجبك طعام أهلك،
فتركض إلى الأماكن تأكل بطرف وسرف، لقد رأيتك تطا رغفاً على السفرة،
لأنه "ملدووع" تسمي محرق.. شيلوه، شيلوه، إنك اليوم تشتهي هذا الرغيف!! يومها تساءمت فيكون، فلم أخر علبك، وإنما خفت النغمة..
وذهبت أنت بالبطر تفتتش عن ملذات حتى نهبت مال أبيك، تركته دون شيء، وبيقت أنا أخليك أرعي أهنا وأبا حتى مانا في حجري ودعانيها لي...
الله أسبع عليها نعمة الرضي وكساء من السطر.
ولقد كسبت السطر بهذا الزوج:
أتعرفه؟ إنه خادمنا "نادر" هو الذي أكل العيش المحروق الذي رفضته،
ضمه إليه وقبله ثم آكله..
أوصاه أبي بنا، وأوصائي أبي أن أتزوجه قال: تزوجي يا كوكب هذا الإنسان الشكور، فالشكور مستور.. وأريد لك السطر.
وجاء طفل يركض "أبويا جاء" فأخذ نجم كخال يقبل الطفل، فأخذه الطفل إلى نعمة الرضا وكساء من السطر.
وفي ليلة مات على حجر أخته، وهو يقول: ربي أسألك الرحمة. 
الرحمة. فقد كنت جانب النهضة لأسرة سرها الله دون أن آكن معها. بل كنت عليها، اللهم الرحمة. 
الأسطورا قد تعني أنها الحقيقة في زمانها الغابر، فكثير من الحقائق التي نشاهد، اليوم كانت خيالاً مفعولاً في البعد عن تصورنا، فلو صيغنا عنها كلاماً قبل أن تكون واقعاً لكافت أنفسنا وحكاية، تعجب بها، ونستغربها.

قالوا: إن شمر برمح أحد ملوك الضبعة من حمر قد ذهب بعيداً في الغزو والفتح كان الموجة العربية سباقاً.. موجة أثر موجه حتى وصل إلى حدود الصين كما هو قبضة بين مسلم.

وزعموا: أنه لما وصل إلى سربنده هدمها ثم أمر ببنائها ثم توجه إلى الصين فخافه ملك الصين خوفاً عظيماً، وعلم أنه لا طاقة له به، فجمع ملك الصين وثراءه واستيارهم - قال: لقد أقبل هذا الأعرابي ولا طاقة لنا به لماذا ترون؟

فأتي كل واحد منهم برأي وبيق واحد منهم لا يتكلم فقال: ما تقول؟

فقال: أرى أن تظهر الغضب علي وتجدع أنا وتأخذ دوري وضياعي وأملاءا ودوابي وعبيد حتى يعلم الناس بذلك، فكرب ملك الصين لعظم حال ذلك الوزير عندنا، فيعده ذلك الوزير حتى ساعده وفعل به ما أمر عليه به. فخرج الوزير من الصين حتى أنهى إلى شمر برمح فأراه جدع أنفسه وشكا إليه ما فعل به ملك الصين، أظهر له شمر برمح النصيحة فجعله شمر برمح من خاصته ثم احتاج إلى دليل يدله إلى الصين.
المفازة العظيمة التي دوّنه، فقال وزير ملك الصين لشعر برخش: أنا الدليل.
أنه الملك هل تجد من يعرف هذه المفازة مثلي؟ فنقض شعر برخش بجنبده.
يتبعون ذلك الوزير فسار به على غير الطريق حتى بعدوا بعداً عظيماً عن
الماء وأخرفوا على الهلاك وأيقنوا به ونفذ ما معهم من الماء.

 فقال شعر: أيما الماء؟ فقال الوزير: لا ماء هنا إلا الموت!!
أردت أن تقتلنا وملكننا وتنسي ذريتنا فوهبت نفسياً لأهل
بلدي ووفقتهم من الهلاك بنفسنا فأتنا ومن معك أحق بالهلاك، وقال
لجنده - توجهوا أيهما شئت، وفرش له دفعاً من حديد وظلله بدرقة من
حديد، فتذكر عن ذلك قول قوم من المنجمين حكموا في ميلاده أنه يموت
في سفقة من حديد وفرشاً من حديد، وذهب كل منهم على وجهه فهلكوا
في تلك المغارة، وتناثر من جنده ثلاثين ألفاً فوقعوا في أرض فيها الشجر
وال بالماء والنبيلة وهي بلاد النبت التي يجلب منها المسك فتملكوها
وتوطنها، ويكاد منهم أرض اليمن فسكنوا بها إلى اليوم، فزيهم زي
العرب وأخلاقهم أخلاق العرب، ولهم ملك قائم بنفسه منهم، وهم
معروفون أنهم من العرب، ثم من اليمن وهم يحبون العرب حباً شديداً!!
حالات نفسية

- لو تركت لنفسي سامها لوجدتني استهلك المسرة في احتراق... استنزف كل طاقة، إرهاغًا للإرهاق، وكسبًا لوقت سيضيع بسقوط السام.

وقت، السام عاملان في صناعة النفس الفاذبة كل ما تملك من مثل. لتقني اللذة وامتصاص المشتهى حتى لا يغفو.

وقت، التأمل، عاملان في صناعة النفس العازفة عن الاحترق في أتون المشتهى.

من هنا تجيء كل الكوارث في المعجلين الذين يريدون أن يغмяوا تغطية السام بطرده كوبهم ركبهم الإرهاق. كأنما هم يعملون إرهاق الإرهاق، بقتل الرميق الأخير من التأمل والندوة ورحا النفس ورفض الإرهاق.

كل الشباب في هذا العصر جاءت بلاية، ورضاية من الفلق والسام، يحاول طردهما بطرده نفسه إلى حريق.

إنك لو شئت أن تستريح قليلًا بسحكة لوجدت من يحرقها في نفسك بكشف أسبابها.

إنه لا يدري أنها من عمل الطرد للسام، أو أنها من عمل الفقدان لشيء ثريده الأقوى في طرد هذا، المستم لك سؤاله سواء بسلانه. أو بعين
رامسة. أو بغمزة هازئة يرسلها في غفلة الضحكة.

هو نفسه يفعل ذلك بالدوافع نفسها التي فعلت بها الضحكة، حتى
بكاوته بدموع الضعكات. ما هو إلا نوع من السؤال الطارد لا السؤال
المستعين.

لم يمض على الإنسان زمان. وجد الشيطان سبيله الناصر له. إلا في
هذه الحقيقة.

كأنما السأم شيطان جديد أبرع من الشيطان نفسه. يستمرّت اللذات
والشهوات باسم الطرد لها. بينما هو الاحتران بها.

قالتوا السأم بالتأمل والإباء والصبر، وإلا قتلهم!!

- أخي وصديقى ضياء الدين رجب.

أيها الأب المصنوع من الحنان. الصائع للحنان. الداعم في كرب
غيرك. الصابر على كربك. أسألك هل هناك كلمة تفي بحق العزاء لك
في فغيدك الوحيد "حمزة" يذهب في ربعان الشاب بوجه ناضر. إلى ربه
ناظر؟ أم هناك صمت حجر الدموع أن تفيض لتتحرس السأفة من أن تفض
حزنها. تريد ألا تستريح بالبكاء لأنها غارقة في أحزاز الأحزان. أحزانها
واحزاز الأحباب. أحزانها كثيرة تكبر ولا تسخّر، وأحزان أحبابها تأتي
مفاجئة لتكبر حتى ليصغر عندها الأكبر. تدهك النفس مرتين، وتنهك
الوجدان في الحالين، وتهتك أسرار الحب باستمرار الحزن المنتهى على
نفسه. بينون دون أن يظهر. الظاهر لا يكاد بين!...

ولكنها - والحمد لله - لنتهلك إيمانكها. ذلك بصبر المؤمنين
المتواضنين به حقاً. يتصرّ إيمانك بالصبر، ويتضح جلاله بأنه الحق "إلى

الجزاء الثالث... النفر... كلمة... ونصف
لا أسألك فيما سباق، ولكنني أسألك الآن لأذكرك بالعزاء العبوي المحمدي. جاء في الخير الصحيح: وصفنا به موقف سيدنا محمد الرسول النبوي عليه الصلاة وسلم حين وارى فلذة الكيد إبراهيم في حذائه في البيع الطيب وأغرورقت عيناه بالدموع وقال: (إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشم، وإن فلاعفك يا إبراهيم لمحزونون). ألمست معلمنا حب النبي ليكون لك في رسول الله أسوة حسنة؟، حبك للنبي محمد. إيمانك برسالته الحقة. اعاظك بكمار أخلاقه. كل ذلك يجعلني أطيع بأن نقولها كلمة علمتنا رسول الله أن نقولها حين علمها لهند بنت زاد الركب، أم سلمة، أم المؤمنين. يوم مات أبو سلمة صاحب النبي، وأخبره من الرضاع. قال لها: (استرجعي إنا لله وإنا إليه راجعون). تلك لعمرى قوة الصبر بقوة الإيمان أحاسني على ثقة، وبيقين بأنك من الصابرين المؤمنين.

لا أريد أن أسألك مذكرة بدموع ابن الرومي على ابنه محمد، ولا بدموع الزيات على ابنه رجزه، ولا بدموع السراحان على ابنه محمد. هكذا يا أخي يذهب شبانا فجأة في عمر الزهور لتفني نحن في شيخوختنا بأحزان الأحزان عليهم. هم ماتوا كلاً واحدًا في حظة، وأنا وأنت نموت أجزاء تقطع أكبادنا في لحظات. فعلها كانت بسمة على شغفي حينما أدركه الموت. فهو التقي الرضي يخفف لك جناح الذل من الرحمة، وعله حرسة في قلوبنا تقطع أوصالاً.
أمنيات

• وأخذ يكتب تذكرة الركوب في طائرة لراكب إلى ألمانيا للعلاج.
فتناول الموسوسة القاموس المجدول بأسماء الخطوط والمدن
وبالساعات وعن المواعيد.. كأن الدنيا كلها قد قرطست في قرطاس...
أسماء لها حلاوة في السمع، تسمعها فترى العيان لها، والمريح منها.
أخذت أسماء القلم، وهو يكتب أسماء المدن التي ينزل فيها المسافر،
أو يسافر منها.. فوجدتني أشناق أن أعرفها معرفة العيان زيادة على معرفة
الحرف والقرطاس والخريطة والتاريخ.
وسقطني نفسي من نفسي في الأممية التي دفعت جوانحي.. ثم
أيقظتني كلمة.. تفضل.. تفضل.. يتناولني التذكرة فصحت على سراب
الأماني، وارتفاء البقظة بكلمة.. الحمد لله. الحمد لله.
وعبرت نفسي وهي تصرخ في أعصاب الجلد الذي يحملها، أو هو
الذي حملها وتحملها.
صرحت بصرامة: ما أحلى الدنيا.. كلها حياة وجمال ووصلات
واصلة..
إن الدنيا كلها أستطيع أن أحملها في قرطاس.. تذكرة، ويهمللي إليها
ال أعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان 

مركب سريع، أشاهد الناس والزروع والحضارة والجمال والجميل والزخرف والضجيج والسكون والحب والدلال.

كم هي حلاوة الدنيا، وكم هي الراحة والمشرفة المبسوطة أمام الإنسان، كل شيء مسر ومفرح، ولكن الإنسان!!

لكن الإنسان قاتل نفسه، يقيح كل شيء حسن، حقيقة كانت كلمة الملائكة. يفسد فيها ويسفك الدماء. الدنيا جميلة وجمالها بالإنسان، ولكن الإنسان صنع القبح فيها.

وافقت لأقول:

لو سكنها غير الإنسان لكان الأرض غابة كبيرة، حياتها في مورتها، تسكنها الأفعى والغبار والشياطين!! لكن الإنسان هو حياتها وزيتها، وإن قتل وإن شاء.

ألا يدرك الإنسان، إدراك الياباني صارف الثروة في سبيل السلام.

مسكين، أضاع السلام هذا الإنسان في أهله وبيته من ضياع السلام بين الإنسان والإنسان. 

الدنيا حلوة، لكن المرارة في خلاقي العرضي من صناع الحروب وقائة الشعوب.
صور

صور هادفة بلا سهم يرش، ولا قوس يعجم، وإنما هي قبة الفم للغم، وغمزة الرمش للرمش.

***

أصدقاؤنا "العزيز" وزعوا بطاقة الدعوة لحضور العارفين والأصدقاء حفل الزفاف.. أقاموه لزواجه ولدي الحبيبين عدنان وعادل عبد الله عريف ..

لقد زرعوا في نفسي المسرة والشوق .. مسيرة أن رأيت طفلي صديقي رجلين في عرس .. والشوق إلى تحييتهم .. فقد نشأ كل منهما بين يدي .. وكنت أنبهما بالزيارة في مصر كلاهما ذهبت إلى مدرسة الروضة في كنف ابن الكابر وقبة الأكابر السيد ولي الدين أحمد أم الله في عمره .. وكانا لا يغيبان عن بني في مكة .. ففي كل عصر يحضوان .. يلعبان مع ولدي .. ويسبحان في بركة ..

أكن لهما الحب وفاء .. وأرسل الثنية لهما ولأسرتهما وأبيهما حظهما الله وأسعدهما بأخوة يعرونون في حياة أبيهم ورخاء ذويهم .. فالذين يحبون أبناءهم يحبون أولاد الآخرين.
قال لي: أراك أطريت البريطانيين فيما كننت عن فوز "ادوارد هيث"؟

- قلت: وهذه إطراء أخرى، فلا تعجب، فإن بلينيا بسياستهم فلا ينغي أن نغطع الشعوب حقها.

تحدثوا: أن الملك الإمبراطور إدوارد الثامن الذي ينافذ عن العرش من أجل المرأة التي أحبها "مسر سيمسون" كان يعيش خارج بريطانيا.

وأعدوا كل شيء لحفلة التتويج. يتوجون أخاه الملك الإمبراطور "جورج السادس".

فذهب أخوه "دوق أوف يورك" مكلفاً من الأسرة المالكة ومن الوالدة الملكة. يدعون من كان "إدوارد الثامن" وأصبح "دوق وندرسور" لحضور حفلة التتويج، أبلغ الدعوة فرفض الحضور.

صور تذكّر نفسها في أذن قارئة بصوت جهير. وفي عين سامحة، وفي قلب واعٍ من لسان يذوق ويتوق.

***

شاب حمل تذكرة التابعية، وأعطاه لموظف براها. قرأ فوجد:

فلان جهني.

- قال: إيش جهني؟

- قال: يعني من جهينة. قبة عربية سعودية تنساح بين وادي القرى ووادي الحمض والبحر. وتندرُ شمالي رضوى، وتتهيم في شعابه، قال: أهوم. أهوم. ماني عارف!

***
هذه صناعةه.. يقف في الشارع بتوسم ليشمس..

هناك رجل يمشى.. إنه زبون جديد!!

فيذهب إليه سلام.. كيف الحال.. هيا: «أنيش»!!

فيؤخذ الرجل.. وعليكم السلام.. أنيش إيه؟!

- هات خمسة مجيدي، قوم.. «أنيش».

- هل لك دين عندي؟

- لا دين ولا شيء.. «بس أنيش».. فإن أعطاه ذهب سالما.. وإن لم يعطه.. يصرح النصاب: «يا ناس.. يا ناس.. شوفوا، شوفوا.. هذا يسب السلطان.. شاهدين عليه».

وبعد أيام يؤخذ المسكنين إلى القبو.. فقد كتب عنه ما يسمى.. مخبر صادق.

وفعلها مرة مع رجل لا يعرفه.. كان أخاً لضحية من ضحاياه.. تقدم.. ونزل في مواطن نصبه.. فرأه.. أوهمه أنه لا يعرفه.. فجاء المخبر الصادق.. يقول «أنيش.. فنيش» وأعطاه عشرة مجيدي، بدلاً من خمسة..

وعمل على صحبته.. حتى إذا اطمأن إليه، جره إلى خارج السور.. يشربان القهوة.. أربعة أسود مضبوط.. وتعمد أن يهبط الليل!!

وهناك.. طعمنه.. قلته.. ولم يدر به أحد، وقرأ أهله اسم الشخص من جريدة الأسماء لضحاياه.. فما عرفوا..
فقد كان متكراً باسم لا يعرف... لقد استراح الناس منه... فلم تعد
تسمع... كلمة «أبشع» ولا كلمة «مخبر صادق».

***

• كان يركب حماراً، ورأى أرنبًا، خاف، فاختفى يكمين في حفرة...

يسمع أصواتاً، ودل الحمار عليه... جاءته النهقة فعرف الرجل أنهم يصلون
إليه... فأطلق رصاصة، والثاني... فهرب السراق...

وفي الصباح وجدوا الحمار نافقاً... قنله صاحبه... أرهبهم بالطلقات...

ورفض أن يكون ضحية لنهقة حمار...

هكذا الحمار... فقد تعرض سيدة في ساعة بطر!! وهكذا الرجل يفعه
الحذر... ويسعه بعد النظر!!

• صور تعبر عن نفسها من نفسها... بعضها في ظاهر الأمر لا يرتبط
ببعضها، ولكنها في وسامتها... وإن حجبت وسامتها... تتواءم في ارتباط
مشوق ومموجج... مشوق عند الذين (ربما صحت الأجسام بالعمل)... ومموجج عند الذين يذوقون الماء النلال علماً بالقلم المريض!!

• قال لي: لماذا تجفوني؟!

• قلت: لا تعذبني... إن جفوني لك ليست هفوفتي، وإنما هي جفوة
نفسي لنفسي، لمنى ما أصنع؟... وأنت... شجاع في رفض الفضائل...
حذر في اعتناق الفضلاء... مقدام في الربط على الرذائل... محجام عن
رفض المردولين!!

هذا شيء لا أطبه، فواجب الأخلاق يأمرنا أن نسير على عكس ذلك!
وسكتك. ثم قال: أنت حالم غير واعٍ، أنت أريد أن أعيش حياتنا،
وأنت تريد أن تعيش حياة الكتب!
قلت: لقد سبقتك بذلك، فيوماً ما قلت لك إن واقع الحياة أفسد
فينا أخلاق الكتب!!
قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الناس ثلاثة: عالم
روحي، وتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق!!
كلام صحيح سبق به الإمام غوستاف لوبيون في كلامه عن الجماعة
كجمهور غوغائي!!
أصبح هذا الكلام درساً يلقى في الجامعات كشيء أساسي في علم
الاجتماع.

***

- الطالمون بالجهل قد يجدون من يلتمس لهم الأذى، حتى يكون
المعتذر لهم من الذين وقع عليهم ظلمهم، أو هم أنفسهم يجدون الوقت
الكافي ليعتذروا، أو يعتذر!??

أما الطالمون عن عهر في عقولهم، وتبجيغ فهؤلاء لا يبالون بشيء،
لا يعتذرون، ولا يرغبون في أن يعتذر لهم أحد، بل إنهم وبالعهر يجزون
إن وجدوا عاروا.

***

- من عجائب الظلم والطالمون والظلومين هذا الوضع. تظلمني
فانسي، أو أناشي، أتفرق إليك لأنسبي أنك طالمي، فتأتي إلا أن تذكرني
بأنك سالب الحق، ظالم التصرف يعني كم تقول العامة: يرضي العظوم
ولا يرضي الظلم!!
وكلما هي الأوضاع والصور!!

***

 قال هتلر: الرحمة خور في الطبيعة، ولعلّي قد وجدت من سبق
هتلر بهذا القول. لكن الترجمة كانت أمينة حتى طبق البلاغة عازم هتلر
على هذا القول: كأنما هم ترجموا نبئه وروزنيرك، وحين هضمنا فهمها. 
قلنا: الجور والطغيان من طبيعة الخور، فالجناء والخائفون هم العاطلون
العاصفون!!

وهكذا يفعل اليهود!!

***

 قلرودنا.. لأنها ظلمت.. وسلبت كرامتها.. كان ظالمها «روزنيرك»
السيد المطلق في الأندلس.. قد استطاعت أن تغفر قتل جدها، ولكنها لم
تستطيع أن تغفر قتل شرفها. فكانت سبباً في أن يزول سلطان
«روزنيرك»، ويتصرف طارق بن زياد!

وثلرنا.. فتاة مسلمة من أب مسلم نصرتها أمها المسيحية، وحين
مسها الضيم استطاعت أن تكون السبب في إجلالنا عن الأندلس.. فقد
صدق ناهليين حينما قال: إن المرأة التي تهزم بيدها اليسرى أرجوحة
طفلها.. تهز الدنيا براحة كدها!!

- صور خرسان.. كلامها من باطنها، فلا هي ترسله بالعبارة لأنها لا
تقدم، ولا تريد الإشارة لأنها تحضر. فمعناها من مبناها لمن يتحلاها لا
ممن أملها!!

- قال: لا تحاول.. فإن فلاناً لا يحب!!
- قلت له: هذه ليست بشرى.. البشرى تكمل بأن تقول: إنه
يكرهك.. اسمع.. إن من يكره يعطيك شيئاً من وجدانه.. هذا الشيء
يتفوق على عطاء الحب لأنه أكثر استمراراً، ولأنه يشد حبلك فلا تسترخي
عوافتلك.. هو عطاء بلا أخذ، والاستمرار في الكرامة يعطيك الاحترام
وهذا ما يربط الرجال (إنما يبكي على الحب النساء)!! ولعل الكرامة
لسبب أو لآخر تنقلب إلى محبة فتكون بهذا أثبت لأنها ممارسة الاحترام،
وعطاء أكيد من الوجدان، وبهذا تصدق حكمة العوام «سمسمية يا حلوة»...
ما محبة إلا بعد عداوة!!

***

- وقال آخر: لا تبعد.. إن فلاناً يحبك!!
- قلت: هذا فضل أشكره، لكنه لن يكون سبيلاً في إزالة الرأس.
الكرامة أفضل حينما تكسب منها الاحترام، والحب لا ترفضه إذا رافقه
الاحتفاظ بالكرامة!!

***

- قال: «شاهيف عبد الله خيال كيف حصل على مواطن؟» هكذا
نحن يأكل بعضنا بعضاً!!
- قلت: أصرف النظر عن الخبائط وموضوعه، وأسألك: لماذا تلوم
الوطن أن يحمل على وطني، ولا تلوم المواطن أن يحمل - بشق كلاه -
وطنه ما لا يتوقف. البعوضة فضيلة، والعصبية مع الفرد ذهلة.
أفهمت؟!! قال: فهمت. فهمت. ولكن في النفس منها شيء!!

***

بين الحين والحين زورنا عجوز حربية. سألناها عن خروف
عندها، وسألنا عن خروفنا الذي نفق، فقالت: لماذا لم تسألوني
تلفونياً؟! الخروف مات «ممشوم» في خروف آخر، إذا حصل له ذلك
اسقوه كوكولا لأن جبراني البدو عالجوا بسحرة العنز بها.
- قلت: هذا صحيح، أنا أيضاً نسب كروب ولا الصوود. ليس هذا
إعلاناً عن هذه الأشرة المحلة بالسكر الصناعي لآتي أخشى أن خرفاني
تموت بدلاً من ذلك الصناعي.

***

صور تسرق نفسها لأنها أمينة أن تعطي غيرها. لا تتعامل
بالمقايرة، ولا تعرف سمك الورق، والفضة، والذهب، تمارس العكيدة
أحياناً، تلغا إلى السداد وفاء على طريقة الحنظلا تضحك وإن أعجظت.
تتكيي وإن أرحت!
- قال لي: لماذا تتندن اليوم من الشعر؟

- قلت: لهذه الأبيات للمنبتي:

يا من يعز علينا أن نغرقهم
ونغدا علنا كل شيء بعدهم عدم
إذا كان سركمو ما قال حاسبنا
فما للجرح إذا أرضاشاكم ألم.
إذا ترحلت عن قوم وقد قدرنا أن لا تفارقهم فالراحلون هم
- قال: لماذا لم تقلها من زمن?
- قلت: أخشى الملابسة والعلماء. أريد أن أليس نفسها، وما
عليَّ إذا ما اغتنى أبو فراس!!

***

- قال: من تحب؟
- قلت: الأحياء!
- قال: والأموات؟
- قلت: إن لهم فوق الحب والإجلال. لأنهم أحياء بما صنعوا. بما ينالون!
- قال: من تكره؟
- قلت: لا أكره... وإنما أشفق على الغافلين عن أورار أنفسهم...
المثقفين بتعقب الآخرين يعدون أورارهم. ولو كشفوا الإجازة فأرضيوا
التابئون هم الذين يسترون أخاً لهم، ولو بشق ثوب!!

***

- قال: أي حيوان تحب؟
- قلت: البقرة، والجمل. البقرة مرضعتي كأم، حارثة الأرض يظلمها
المقدوس لها لأنهم يخرجونها من وظيفتها، ويظلموها شخص قال: إن
البعلة أحب إليه من البقرة!
- قلت: فكر، عقيم ليس غريباً أن يحب العقيم. لا ثدي، ولا نسل!!

***

- صور.. كتبته اليوم "أنا تول فرانس" نأتي بها نقلاً عن الإفريقية بترجمة أمير البيان.. شكب أرسلان، ولها دلالتها.. وعليها تدليلها، حتى الكلمة تفرض دلالها كما هي دلالها من ظلالها.. أو حتى من ضلالتها!

- إن الصين هي في دور انتقال، وما دام الصينيون يحكون أنواعهم عند السلام ويليستون الأبيض للحدود، ويؤدون إلى الطبيب الأجرة عن السنين التي لا يكون فيها مرضي.. ويتكلون أعماش الطيور من دون الطيور.. ويعملون كل الأمور بالعكس، فنحن في أمان، ولكن متي ارتفع استعمال الحصير من الصين فقد دنا أجل أوروبا!!

***

- إن "رينان" كان سيعيش ذكره بحسن إنشائه، وسحر بيانه، وطور معيشته الفلسفية أما مثابة بنائه التاريخي فلا يعتقد بها فالتاريخ هو كما وصفه "رينان" مجموع افتراضات، والافتراضات تتجدد دائماً، فكتاب "حياة يسوع" يشكي من يوم إلى يوم، ويغني من جهة موضوعه ولكني واثق بأن الناس سيقرأون أبداً حياة يسوع كما يقرأون خطة "بوسويه" في التاريخ العام، وكلاهما مقصود من أجل البلاغة لا من أجل التاريخ.

***

- يتصير الإنسان كاتباً بارعاً، يتصير نجاراً حاذقاً وذلك بالصفل، هذا يتصير الخشب وذلك يتصير العبارة. فالبلاغة اليوم سوقها كاسدة مع أنها
تعلم الذوق وتنور الذهن، وتهز القلب. والخواطر تذهب والبلاغة خالدة.
كانوا في القرن الوسطى يقولون: (سيدتي البلاغة) نعم. والإنشاء أنواع:
الإنشاء السهل، الإنشاء العالي، والإنشاء المعتدل، وقد يضحك هذا القول
ناشئة الإغرار مع أنه من البديهيات. إذ لا يعقل أن تكتب إلى محبوبك كما
تكتب إلى رئيس أساقفة باريس!!

***

- صور ناطقة بواقع من الحقيقة، أو هي الحقيقة واقعة تشير إلى
- مدليل واقعي!!

- الحكمة ضالة المؤمن. حينما وجدنا النقطها.
- فمن حكم الصين قديماً، قالوا: إن أحد المشاهدين اللائقين لمشهد
  يتخذه منه حكمة أو درساً، أو حتى موضوعاً لكتاب جديد. أساسه لمحة
  خاطئة ملتفطة!!

هذا المشاهد رأى اثنين من الصين يختصمان يتلاحيان في جدل عنيف
طال أمده، وهو يشاهد النهاية بين اثنين يختصمان!!
وطال انتظاره. فسأل: ما رأيت واحداً منهما قد مد يده يضرب
خصمه؟

- فقالوا له: إذا أفلس أحد الخصمين من حجة أو دليل، أو حتى من
  الصبر على خصم لهخرج عن وقاره، وكال ضرية، فإنه يعد الغلوب في
  نهاية الحجاج والخصومة. فالضرب آخر الجهد لخصم يحارب خصمه.
من هنا قالوا: إن النصر ليس لمن يكيل الضربات، وإنما هو لمن
يحملها.
حينما تتحمل الضربات، فإنك قادر على أن تردها. ومن يضحك
أخيراً يضحك كثيراً!!
- الظلم يصنع الأبطال.
كلام له خطورته. لكن ماذا لهذه الأمثلة فهم رجال ما كانوا أبطالاً إلا
لأنهم لم يصرروا على الظلم.
ولا يعنينا من هو على الحق الذي نراه، أو على الباطل الذي نكره.
دعونا من تاريخ الأحقاب الماضي. ولنأت بالقرب منا. واشتطنو:
جيفرسون، هاملتون، توماس بين، فرانكلين بن يامين. ما كانوا أبطالاً
حينما مسهم ظلم مرهق.
صن يان صن، غاندي، نهرو، المحارب في الجزائر، الفدائي في
فلسطين. ما كانوا أبطالاً، ولن يكونوا إلا لأن الظلم أرهق وأجاج واستعبد
محاربهم. كل بوسائله المتاحة، والمعقلة لديهم سواء منهم من طوع
الواقع الخيال، أو تطوع بالخيال لحياة الواقع.
ولنين وتوتسيكي وجيفراري، وماوسي تونج، وشان كاي شيك. لم
يفصحوا أبطالاً في وجدان شعوبهم إلا لأنهم حاربين ظلما تخيلوا واقعه
فيهم، وغيرهم. وغيرهم...
وهكذا السادرون بالطر يصنعون المحاربين لهم حينما يظلمونهم.

***

- صور من السيرة العطرة: نرتاح بها، نتنفس من كرب، أغصس فيه
أنفاس الهروب من هذا العطر الشذى. لأرشف الشذى والرود "بفتح
القراء المشددة وسكنون الحميم فتأثري بأحلام الوجدان إلى مرتبة الذكري
لهؤلاء... أحبهم... أرجو من الله المسيرة على طريقهم!!

***

• وتحدثوا، وفي ترجمة شمس بن عثمان المخزومي قالوا:

لما مات عثمان بن شماس... قالت بنت حريث المخزومية:

يا عين جودي بدمع خير الناس
صاحب البديعة ميمنون نقيبه
يبرى السيهام ويبرى قمعة الرأس
أودي الجواد فأؤدي المطمع الكأس

• وكان رضي الله عنه قتل شهيداً يوم أحد... فأجابها أخوها أبو سنان

ابن حريث:

أتاني حياتك في ستر وفي خغر
فإنما كان عثمان من الناس
لا تقتني النفس إن حانت منبتها
قد ذات حمزة ليث الله فاصطبري

• كبت الشهيد فأطمعلها أخوها بالصبر، وبالعيلة لتنال أجلاً يرضي

الشهيد عنها... لا ترقبه بفوح... وتفني نفسها بالحسرة...
ارات لها أن تعش حياة الخفجات، لحياة أمة سخرها الله أن يكون منها
الشهداء، أعزوا الإسلام، وصانوا الحق، ونشروا الفتح... فلفعم الجزاء من
الله...

أما جزاء العباد فمطلب عسير... إنهم ينسون الذين قتلوا في سبيل
الله. سبيل الله كانت سبيل الخير لهؤلاء الناسين، إن لم نقل الباكرین!

**

صورة. هي واحدة لا تتعدى تنفرد بي هذه اللحظة، وأنفرد لها كل
لحظة، لا أحسنت قوى على حل العقد النفسية، وإن كنت لا أبصها حقها
في الكفاءة والإرادة والقدرة على حل العقد من أي وثاق شد في يدي من
ўغيث.

هي عمل لا إيحاء. إرادة لا سؤال. هي مواكبة غير غافلة، وليست
متخطة حدود وجدانها، وحدة مشاعرها، وروتين أسلوبها، وهي المسلك
في إدراك مطلوبها.

من خطوطها أنها تكذب فتصدق - بفتح الدال وتشديدها - لا من
ساعها وإنما من صدق ما كذبت فيه، ومن متعة العلمي بهذا التأكد في
وقته من زمانه، وفي مكانه. لا أتأخير لحظة عن حاجتك لسماعه مفرجاً
من كرب بجرح استجد لديك. بينما هو عنك متوافر تعرف الوقت لنزفه،
فتأتيك بما يفتح أصابعك بصاحبة مترفة يضحك منها هذا المص moder بين
الأضلاع كالكمثرى. مضخة ترسل حياة الدم بحياة النشوة بما تصنع. 
تشعر بخفة من زوال الخفقان المخيف، كان يتعرّد به قبل أن تبلسمه هي
بالخير المستكمل كاذباً في خيالها. صادقًا في واقعها، تصدقه أنت لا
تماري فيه!

خوالي - أن نجد الصورة نفسها مجسدة في واقع إنسان من خيال
الروائيين في واحد الفرسان الثلاثة (دارليان - والفارس المقنع الآخر (الزهرة
المربعة))؛ مشاهدة الروائي فرضت أن تجد دارليان، والزهرة المربعة في
الملاحظة الحاسمة بجانب المكروب... هذا يفيت، وذلك يختلف ليقيث.

هذه الصورة هي الزهرة القرمزية في واقع من حياة تميّز على الأرض.

لم تذق المجاعة في وجاها، دِافقت الرواه والارتواء في أعطافها!

أريد قارنا واحداً يفهم ما قلته. لعل قارناً يفهم هو الصورة الواحدة.

نفسها.

لقد وضعتها حرفياً ستنضم هي المعاني، ولا غيرها كما قال طاغور,

أو هي لمفهومة لمن عنه، فقارني الذي أريد هو كما يقول المعني:

وكم من عاب قولاً صحيحاً وآفيه من الفهم السقيم.

صور رائعة.. تروق فاهماها، ولا تعكر الصفو لمن ينسرف عنها....

لأنها تلبس نفسها ولا تلامس غيرها.

- طفل بلغ السادسة من عمرها، أسهر أمه في ليلة حارة، ورحمه أبوه

بحمله على كيفه، يذهب به إلى الطبيب، كتبت المسافة أكثر من كيلو،

ونصف أي ألف وخمساً متراً، كان وزنه مهماً لذراع أبيه.

وأخذ الدواء قطرات في الأذن، من الطبيب المناوبة، شيء من

الجلسرين، يعرف أنه يقطر في الأذن، ولا أدى هل سكن الألم

بالجلسرين، أم هو إما العناية من الأبد والأبد المفتوح في مستشفى

أجيا، المهم أنه سكن إلى الصباح، فذهب أبوه إلى الطبيب شبه المختص

فقد كان أيامها لا اختصاص.

وكبر الطفل.. ورأى أبوه يحمل طفلته لما تبلغ العامين يذهب بها إلى

الطبيب، وهي تحك أذنها.

فضحك الأب، الجد، فرحين، فرح أن الزمن أخذ بححق من ولده.
وفرح أن رأى طفله الصغير قد صار أباً.

- وذكر أبوه كيف أوجعته أذهله في ليلة، لما ينصف ليلها، وكان يعرف أن الأطباء يجتمعون، يسرون على سطح المستشفى.

وطعل إليهم، وهو يعرف، وفيهم أصحاب له، فما سلموا إلا بكل صعوبة قصد صعد إلى السطح! كيف أطلعت الخادم؟ ماذا يريد؟ وسلم يجلس. فأحس أنه غير مرغوب فيه. غريب فوق أرضه وتراهم، هكذا.

وتصب. ثم قال: لا تضيقوا. أنا لست زائراً، ولكن ما حيلتي والطبيب المناوب معكم على السطح؟!

- من هو؟

وأشاروا إليه، فقام إليه لبره صماح أذهله فأسك بالنبيض، والأذن، ثم قال لخادم: قل لبخش بطبعه حنين اسبرو.


ونزلت. فإذا الصيدلي لا يعطيني الأسبرو، وإنما يقطر قطرات من الأوكسيجين - عملية غسل - ثم قطرات من جلسرين.

وجرت. وما زلت أذكر هذا الطبيب بخير رغم مقابله المتعرجة، كان هذا رأونا موظف كبير. فكيف كان مع الآخرين؟ هل تغيرت الصورة؟ أحسب أنها تغيرت في كثير من الأشكال، وقليل من المواضع.

- ولنعد إلى صور...
قال: كم هي أقسام الاستعمار؟ أسمعكم تقولون: القديم، والجديد...

وقلته: لا قديم ولا جديد فيه أو منه، كلها الأساليب تنخر بحسب مقتضيات الأحوال، ومسلة الأجيال وفقه الرجال. قدص كان يتسول بالغزو وحق الفتح... فاستنفد أعراضه لا لزواله، ولكن لإزالة المنافسة، كألمانيا تألي اب لحرب العالم الأولى.

وجدد في صورة تطورت لحجب دول تريد أن تستعمر كألمانيا تألي فابتدعوا عسفية الأمم تعطي صكوك الإمداد. يعني أنه الاستعمار ليس بحق الفتح والغزو وإنما الشرعى كما يدعون بصكوك ومستندات عن عصفية الأمم التي لم تكن تثمل الأمم.

وجاء الجدد المستجد بصور تشتى، معونات، مساعدات، تحل محل المعاهدات غير المكافئة.

غير الفاجر الجديد في الفجوة هو الاستعمار بصكوك من هيئة الأمم. صك بقرار واحد... هو ما تكونت به دولة إسرائيل. بعهد خائن (سايكس بيكو) نفذ وعد اليهود، مهد له صك الانتداب.

وبصف من هيئة الأمم جاز لإسرائيل أن تكون دولة، بل وعن هيئة الأمم ومجلس الأمم أصبح استعمار إسرائيل كجزء من استعمار جديد للأخرين أمرًا مشروعاً بصف من هيئة الأمم حتى رفضها بدون جوازه أو تجاوزها بهذا الصك قرار من مجلس الأمن.

* * *

إن هيئة الأمم هدية المنتصرين للإنسان في أيام السلام فرحت به.
وللقيتها في الولايات المتحدة كدولة تجارب الاستعمار والعروض جعلت من نيويورك مقراً لصنع السلام في هيئة الأمم.

لأن الإنسان كان يطبع أن تكون الحرية في الكونجرس لكل رأي وكلمة حرة على الواسع في هيئة الأمم. ولكنه فجع الآن فإن الحرية في الكونجرس بلغت ذروة التفوق بينما هي في هيئة الأمم لا شيء... لا شيء... لا شيء...

كأنما دول العالم أصبحت الولايات المتحدة عاصمتها نيويورك لا واشنطن... رئيسها أثر جولد برج... لا يؤمن! السبب خوف الرجال...

- صور راية في حلبة طويلة أشارها. لما تدرك نهاتهما تتحرك في بدايتها، لكنها تعترض نفسها بأنها حسنة. ففي الحركة بركة ولو في حلبة طويلة أشارها.

- العاجزون، والفارغون هم أكثر الناس مذمة للاخرين من عجزهم ومن فراغهم لا يعجبهم الحجب ولا الصيام في رجب. إذا ما رأوا إنساناً ذائق الكلمة، أو احترم الجهود، أو أعجبه المساعي، فأخذ يشي على حرف كتب وكاتبته جهد بذل وبذله. مساعي تفوق وكابيه. إذا ما رأوا ذلك وأعجزهم فراغهم أن يفعلوا مثله عابوا. تنقصوا.. غضبوا. عرقووا...

إلى آخر ما يسوغه العجز من الكفاءة بهذه القوة الخفية!

من الملاحظ أن للعاجزين قوة مدمرة إذا ما كادوا بهذه الخفافيا!!

***

- صور.. فيها ومضات بارقة، وسكونة صارخة.. فيها من قتام
الساحب قنام في النفس، وفيها من بسمة الغيث إشراقية في الوجدان. لولا هذا النزوال لأصبحت كثير من النفوس عواناً!

- صديقي الأمين ذهب يوصل أطفاله إلى المدرسة، وقف ينتظر إفطار الخف من قطار طويل. ولا بد أن يحتزم القطار الطويل السائقون لأن الطريق القاهر أقوى جندي مرور، ووقفت بجانبه سيارة جيب فيها خواجات، وصديقي هذا يعرف اللغة الإنجليزية وعلمه يعرف لغة أخرى!...

سمع الخواجات يقلعون - أعني امرأة منه. تقول لرجل منهم:

- دعنا نترك السيارة هنا، ونسحب في هذه البجريات!.. وسألها ابنه:

لماذا كثرت يا بابا؟!..

- قال: هؤلاء الخواجات فرحوا بالسحر أكثر منا. ما أحب أن يقول الكلمة الجارية لابنها، أما هو، وإن كتم عن ابنه، فقد افترضه البح ليقولها لي وأخشى أن يفترسني قنام النفس فارسلها في هذا البح!!

***

- من كلم ابن بسام في الذكرية.. قال:

«أخيرني الخبير الحافظ أبو بكر ابن القفيق أبي محمد بن العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحمدي: كان نشجعنا الفقيه أبي محمد بن حزم في الشعر والأدب نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت أسرع بديهة منه، وشعره كثير قد جمعته على حروف المعجم، ومنهم ما كتب عنه».

هل الدهر إلا ما رأينا وأدركنا فجائعه تبقى ولذاته تغنى. إذا أمكنت في مسيرة ساعة، توفت كمر الطرف واستخففت حزنا. نود لديه أن ننامل نكن كنا إلى تبعات في المعادي، ومواقيف.
حصلنا على هم دائم وحسرة
نحنين لما ولى وشغله لباً أني
كون الذي كنا نسر بكونه
إذا حققته النفس لفظ بلا معنى!

- صور فيها تسليماً لكاتبها، وقد تكون فيها سلوقة لقارتها، وقد لا تكون من هذه ولا تلك، وإنما هي شيء قد يقرأه الشجعي والخلي!!
- قال أبو الشعيبي:
وقال: وقادة وقد ننظرت لدموعك، كنت في البكاء، كنت خلق قميصك والدموع تجول فيه، نظرت قميص يوسف حين جاءوا، فقلت لها فدلك أبي وأمي، أما والله لو فتتشت قلبي، دموع العاشقين إذا تلاقت.

- يظهر ووالحق يقول - أن بلدية جدة حريصة على مراقبة الرغيف في الوزن على الأقل، فما يخبزه الفقراء للغداء، أو للعشاء العيسان فيه كامل.
أما ما يخبزه للفطور فالعيسان ناقص أكثر من ثلاثين في المائة يعني الرغيف وزن ثلاثمائة جرام وزنتنا، ووجدناها مائياً جرام.

فالواضح من ذلك أن الفقراء يترقب عدم الرقابة في الصباح فيسرق الرغيف، شكرًا للبلدية على الوفاء في وجبتين وترجوها أن تحرص على الوجبة الثالثة.
صور كامنة عارية... يغطيها الجليد، ويفكحها غور إذا ما استمرت بثورها الكاذب فضحها تفاعل الجليد مع نفسه... من كثرة ما تلنج احتر... قد لا يذوب مادة فالحرارة لا تكفي لذوبه، لكن المعاني تتعري على طريقة... تخفي على الناس تعلم!!

حتى الحديد جبان... يجاب الهيبة... يخفى!!

حينما افتح طريق الهدى تخوننا السيارة في طوله من هبته، من خروفها. حتى أصحتنا تعد أنواع السيارات قاهرة الجبل، وحينما ألقت السيارات الجبل هان عليها... أصحت لا تخفها... سقطت هبته... كل السيارات حتى تعطلت المقاهي...

عجب؟... الحديد هو الجبان... أم نحن الساقون والراكبون؟... لبس الحديد وليس هم الساقون، وإنما كراكب كنت أفرض الخوف على السائق وعلى الحديد.

***

سأثنى أحدهم: من هو أذى سياسى بعد حرب 5 يونيو؟...

قلت: هو المستر براون وزير خارجية بريطانيا السابق... كان في وزارة الظل... يرسم الخطة ليعمل في وزارة الفعل... فاكتسب بعض الصداقات، وأعاد لبريطانيا تحسين العلاقات مع العرب... كنا نهم نسا كل ما مضى... حتى إذا ما استند أغرضه وخف أن يلتزم باسم الصداقات ما يتعارض مع مصالح دولته استقال لسبب آخر في أزمة الاسترالية!!

لا أحسب السبب هو ما أعلنه في الاستقالة، وإنما هي الصراع في دهائين السياسة... يحسنن أوقات التخلي لأنهم أدوا مهمتهم، ولا يحبون
أن يورطوا أمتهم... أفلو كان مستر براون لا يزال وزير الخارجية فإنه سيلزم
مندوبه في مجلس الأمن أن يكون له موقف غير موقفه فيما قبل
التصويت!! هو في نظري أذكى الساسة، كسب لأمته دون أن يبذل
شيئاً!

***

- أعجبني مبني الجوائز والجنسية. انتقلت إلى مكان أنيق.

ومريحة.

غير أنني ألغفت النظر... كرجاء... لعمل أكشاك مظلمة لكتاب
"العرضحالات" أو باعة الطوابع، ومظلمة للمراجعين، وشيء من الماء
البارد... فإنه بهذا يكم أجمل الجميل... ارتاح له بعض الناس، والرجاء
أن يرتاح كل الناس!!

- صور نائمة تصحو بعينين... ولا يغفو لها فؤاد... الصحوة لها رعاية
الأمل... الأمل هو... السنة الوصول، سنة الزمن، ولا يغفو الفؤاد لأنه ليس
واحد بل هو الاثنين في الواحد... يشغلهما ما صحو لهما... ما يصبح
بهما... ما يضح عنهما... ما يختفي فيهما!!

- هذه واقعة مضي عليها زمان... كانت حياتها حريقاً في مشاعري
حتى إذا احترقت ما زالت مشاعري تحترق، لكنها كطائر السمندر يدخل
النار ولا يحترق... طائر السمندر تشعفه النار تريد أن تثبت قوتها عليه،
لكن الهيئة فيه أنه أقوى منها فلا يحترق بها، وإنما هي تشعش من الغيظ
كأنما هو بالمناعة فيه يدخلها... السمندر ليس كالفراشة... الفراشة عكسيت...
تشعف النار والنار وتتحرق... في السمندر قوة الحياة... في الفراشة عظمة
الحب!
قالت: كيف تحبني؟!

- قلت: حينما يكسو وحنينك شيء من صفرة الحزن. تصبحين فيه
بلون الباسمين، أحباب الألوان إليّ. هذا البجامعة المطمئن بالصفرة الرقيقة،
الحزن يكسو الجمال جمالاً!

واستسفت… طغنت وحنينك بلون الورد… هنا قلت لها: حينما كنت
فلجة كنت أروع من الوردية!!

ومضي زمن، وإذا بـي أقرأ: لنزار كأنا أنا عبرت عنه قبل عشرة أعوام
ليذهب ما قلت… ليجيّن نزار في تعبير أكثر يبقى ما يقوله في ديوان
الشعر في هذه اللغة الشاعرة!! زرته أسمعها ما قال نزار… وأسمع أنا
عنها ما قال نزار:

إني أحبك عندما تبيكينا
أحب وجهك غائماً وحزينا
الحزن يصهرنا معاً وذبيحنا
من حيث لا أدرى ولا تدرينا
أحب خلف حقوقها تشرينا
تلك الدموع الهاميات أحبها
بعض النساء وجوههن جميلة
وتصير أجمل عندما يبكينا!

- تائه… ذلك الذي اكتمل غتاه من كمال فقراءه… قد ألبسته المادة
وأجاعته المعاني، فهو يسقط زلزال الرجال كما يتصور حتى تكشف
تفاهتهم فإذا هذه الزلزال كما في الرجال لأنهم يستحقون من الزلة، أما هو
فبالتفاحة يتوقع ولو تجسدت أخطاؤه… المريض في أختلاقه لا يسأل عن
الصحة لأخلائه!!

قالت: وإلى متى أنت تحبني؟

- قال: أو عن الزمن تسألين؟.. سوف أحبك إلى حين البداية التي
العمليات الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

تفكرين فيها بكراهية نفسك، فترسلين سؤالاً كهذا عن الزمن تجعلني تحديداً مادياً لمعنى الحب عند هذا التحديد. وبهذا السؤال ينتهي الحب!

- قالت: وهل هذا جواب؟!

- قال: هو على مقاس السؤال. إن السؤال عن الزمن في الحب يعني التفكير في النهاية والطرد للبداية، والقتل لهذه اللحظة التي كانت إذا وانت فانسلخت من ذاتين في ذات واحدة حين انطهرت إلى ذاتين ثانين. كل منهما تماس بكيان جديد لحظة التفكير في النهاية. وقديماً كانت لحظة المفاجأة في البداية في هذه اللحظة اندم الحاضر. فقد حلت النهاية على البداية. امتد الماضي ببدايته إلى هذه النهاية فتلاشي الحاضر إلى هذا المستقبل. لا أعد حاضراً لأنني لا أريد أن أعيش المنزلة بين المنزلتين!

- قالت: ما قصدت؟!

- قال: وما أردت أنت؟ ولكنك قدرت أن تقوليها، توزعت بين القصد والإرادة والقدرة.

أما أنا فلا أريد أن أتوزع، قد جعلت القصد والإرادة والقدرة لحظة أن آكون أنا وحدي، وأنت وحدك!

- قال: هل ضاعت الثقة إلى هذا الحد؟

- قال: الشك أو الخطوات في ترسيخ الحب، والثقة دليل استمرارته

ثم هي بوادر نهايته!!

***

- قال: ليس هناك برد! - قلت: أرجو أن أذهب يوماً ما بولدك. ولما
يبلغ الأربعين يومًا فأضعه في حرارة الشمس!

قال بغضب وحنان عنفوي: لا لا.. أخف يسيح دماغه!

هكذا الأبوة حتى في الأطفال!!

***

صور مرحة تحتضن رقة البداوة، ولا ترفض نظرية الحضارة.

البداية فيها لها أنها لا تبدو عارية.. تنزع سترها قطعة بعد قطعة.. كل جمالها أنها تعرف جمالها.. كل كمالها أنها لا تكون جميلة إلا مبرقعة بستر من حياة لا يكشف إلا لصاحبه، نظرية الحضارة تأخذها خضاباً، وحليمة تزين بها حتى إذا كشفت الستر فاح شذاه.. تشبه العين والأذن قبل حاسة الشم.. ذلك من كبرى العش في رجلها الأشم حبس أنهما وما درى أن الأذن والعين طليقان ذاتا العطر فوحاً له غنة.. له تلون في عين تبصر!!

***

الذكر يشرب جمال أثناء بالعين، ثم يذوقه بالشفتين لأنها لا تريد إلا أن تعفر ما ستعطي، فهي لا تستطيع أن تنعى عينًا ناظرة، ولكنها لا تمنع الشفتين إلا لمن تحب!!

والأنثى تذوق رجلها بالعين، وتشربه بالشفتين لأنها تود أن تعفر ثبات خطوها من ثقتها بنفسها.. من توثقها بمن تريده رجلاً لها!!

***

رأيته في جمع من الناس.. شغله بنفسه بينما غيره قد شغله عن نفسه!!
كان هو غاية في تلك الميزة ما يشبه.. أما الآخر فحاصر في صحن عما يتبع الناس.
والنتيجة تظل إلى هذا الأخر.. لا أحسب إلا قد رأى عيني أنفعوان
تتناول جزء بما هي عين خزري تهود، أو عين مغولية نفتاح من البلدة التي
ستظل عليها دم الكتاب في بغداد، هو كغيره من الذين خلقوا أفاسا يسمرون
في حياتهم ليسروا لحياتهم أخير الحياة فك أو الحياة منك!
وتأمرت إلى بعيد فرأيت ذلك الإنسان المشغول عن الناس لا بنفسه/
وإنما هو يفكر في نهاية الذين وصلوا إلى قبر.. تلقت بعيدته فإذا هي عين
إنسان راحل كان جمالها في لؤلؤة تلمع دمعاً ذكرت الموت وسبحت
تسترجل.. حتى العيون بعضها عين أخرى، وبعضها عين مها، وبعضها عين
إنسان!!

***

صورا ما زالت باقية في زجاجات المصري.. من الرهة أن تخرجها/
ومن لا رغبة أن تبقىها.. لا تزيد المصري أن يراها مرة ثانية، ولا تزيد ألا
نراها في كل لحظة!!
ما زالت سوداء يختلف بيضاها لا يتضح إلا بالغسيل.. غسيل أن يكون
بأي مادة منظف فصامها نظيف شكلًا وموضوعاً ولكن الزجاجات تنظفها
الأحماض المنظف.. حتى السموم قد تكون ترباً!!
حين قال الرفاعي ذلك كانت الصور في زجاج.. أما اليوم فهي على
شريط اسمه (فيلم).. أليست الحياة فيلمًا؟!

***
رأيناهم يمشي الهوينا فتشتفته أنظارنا بحتجة تسرع.. تعتنيه خطواته.. جعلت كل الصور التي تأخذ من العين بعض بصيرتها لتترؤي العين بكل بصرتها!!

- وسأل واحد: أيمشي الهوينا بهذه السرعة؟!

- قلت: هي سرعة نفوسنا التي تلاحقة.. أما هو فثبات الخطوة.. واثق الخطوة!! إن واثق الخطوة يمشي ملكاً لا نراه ينطفئ من وراءه، ولا إلى أي جهة أخرى لأنه يعرف أن الناظرين إليه إما حب، أو محترم، أو معجب أو مغضض.. كل مكانته لهؤلاء ابتسامة.. تحية للمحبين، ومن إليهم، ومكافأة للمغضضين، وما إليهم!!

الرجل واثق الخطوة هو كذلك لا ينطفئ إلى وراء، ولا إلى أي جانب، وإنما إلى أمام.. لنرى في عيون الناظرين إليها من أمام كل الحاجات للنااظرين إليها من جميع الجهات..

أما الفزع في الخطوة - إن كان رجلاً - فينطفئ لينزع نفسه أكثر مما يرى، وإن كان أنثى، فإنها لا تلتقط لنها تفزع بما ترى!!

***

- في (فيلم) عرض أمس فكرة دعمة.. هم خمسة هربوا من الحرب. فهلكوا في طريقهم.. بعضهم عضوه الحمي، وبعضهم مات بالسكتة لأنه فقد الذهب، والآخر هلك بالجروح، وأشجعهم هلك حياً وهو تبتلعه الرمال المتحركة.. يذوب فيها متجمداً.. كانت نفسه تذوب وجسمه يتصلب..

أما الخامس فمات بالحرمان والجنون!!
هكذا الذين يفرون من الحرب الواجبة يهلكون بما هو أسوأ من الحرب!!

***

والله زمان عن الصور.. نحن في حاجة إلى جرعة منها، فالشفاء في لعقة من عسل، أو كعبة بنار.. آخر الدواء الكي!

***

قال لي: إذا رفضت تحتانيتك، فقدتها.. لا يفعك ظلال «فوقاني» حينما لا يكون لك «تحت».. الـ «تحت» قوة صلاة تحت القدمين والـ «فوق» ظلة.. وقابة!

قال لي: لن أفقد «تحتانيتي».. إذا ما كانت هي الأرض.. إلا إذا فقدت نفسي، فعند ذلك تكون الأرض هي «تحتانيتي» و«فوقاني».. بضعة أشجار تحفر فيها حفرة.. تقبلني فيها، فإما طاقة من جبين وإما طاقة من يد.. عند ذلك في القبر.. كثيراً ما تضع «الفوقاني» وكثيراً ما تضر «التحتانية»!

قال لي: هل كل العرب عندك أبناء عم؟!

- قلت له: كيف تسأل وأنت عربي بلسان «عظمتاني»؟ كأنما أنت النبطي من أهل السود.. يعلم أنساب أهل الفلا (1) .. العرب أبناء عم .. صل على من علمتنا: سيدنا محمد بن عبد الله .. ألم تسمع قوله وهو يقلب صدقات الله.. أرسلها إليه «هوزة بن علي».. قلبها في يديه الكريمين عليه الصلاة والسلام. وقال هذه صدقات ابن عمي!! .. لم يمنع بعد عن

أعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان -
النسبة... يعلو بها إلى مصر أن يقولها سيد العرب والعجم. أو لم تسمع
قول جرير يهدد الأخطاء:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو كنت سافكتما إليّ نظينا
فيسمعها عبد الملك، فلا ينكروها دعوة، ويعتن بها نخوة.. كل
اعتراضه على الأسلوب!

وفي حنين ألم تسمع قول الشافعین في الأسرى يخاطبون رسول الله:
إن في الأسرى عماتك وخالاتك.. أي عمات وخالات هن؟.. ذلك لأنه
المراع بالبنين الظهر خليفة فأصب كل أمانتنا في هوازن عمات وخالات..
فشعهم رسول الله وأطلق أسرىهم تركيماً للعمات والخالات.. من هذا
قلنا: إن العرب أبناء عم.. أبناء عم.. فكن عربي الفؤاد.. لتفهم وإلا
فلادعك لهذه "الطمطمانية".. نبطياً من أهل السواد.. يعلم أنساب أهل
الفلا!!

***

- صور.. هي.. الحكمة ضالة المؤمن حيماً وجدها القطعا!!
- يقولون: النصيح بين الملا تأذيب، والنصيح في الخلوة تأذيب.. ولكن
ماذا تصنع حينما تقوم الخلوة؟
إذن ترسلها رماً.. كلمات ظاهرة على الملا.. باتنة في الخلوة.

***

- إنه تملك الأصدقاء المخلصين، والعون القوي، والوفرة في العدة,
والكفاءة المقدمة، فإذا لم تبرز لكل هذه الحياة فيك والأحياء معك فإنك
صاحب المتنبي الذي يقول فيه:
ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرین على التمام

***

الأعمال مرحون يذغدون نازعك، ولكنهم يعطلون ويعثورون
وإذا أزمة أزمن وحكم الفعل أن يكون معك، وجدتهم يولون الأدبار.
وإذا لم يظهروا، فإنهم ومن عجزهم لايكونوا في قوة الأنصار.

***

حينما تصبح الثقة حظوة كان الأمر يساوي لا مسؤولية، لا خوف،
بمعنى في النتيجة: لا ضمان لنجاح، ولا بقاء لناجح.
الثقة أمـل في ناجح، والحظوة إفساد لنجاحه. فما رأيت عاملًا تبتطر
بالحظوة إلا واجلب الشقوة بعمله على الآخرين.

***

سمعت الشاعر العراقي حافظ جميل يقول:
إنه شديد الإعجاب بالأحمردين الاثنين. أحمد بن الحسين المتنبي
وأحمد أبي علي شوقي.
وكانه يمشي مع زمخشري هذا الزمان إسعاف الشاشبي يرحمه الله في
ركاب واحد.
قال: أنا لا أفضل شوقي على المتنبي، ولا أفضل المتنبي على شوقي. فهما فرسا رهان، يسيرون في حلبة واحدة!

***

- إسعاف قالها أمام الفحولة في مهرجان شوقي!
- قال: الشعراء الثلاثة الأحمدون.

أحمد المتنبي. أحمد المعري. أحمد شوقي.
تلك عروبة السههمي من ولد عمر بن العاص. لا شعوبية.
لا شعوبية من عربي.
لقد بلغ العراقي مبلغه في هذا الإطراء. حكماً لا مبالغة فيه. كل الفجأة في صيغة الموازنة. جاء بالأخير قبل الأول.

***

- صور ترتاح ولا تريح. تبوج ولا تزيخ. فهي كالحب راحته في التعب منه، وتعبه المضني لن يأتي إلا من الراحة فيه.
 فالراحة منه. كتمة نفس بالقهر، وحمة وجدان بالحبر!! والراحة به نومة حسنة من الدهر.
أما الراحة له فهي الألم المعلم. باللذة تحلو وتعلو. كأنما الدوق سرمدي الحضور. لأنه الذوق صانع الحضارة في السلوك والنفس فهو نعمة الحب.
فأي عمل جميل لن يتم له كمال، ولن يبه بجلال إلا إذا أحبه صاحبه.
حياة في فكره وأمله قبل عمله.

وهكذا كل الفنون والزخارف والمبهرات، فما هي إلا من صناعة حبنا له، ليكونبقاؤها من حبي لها أيضاً.
فالحب صانعها، والحب زينتها، والحب صونها وبقاؤها، ليكون هي بعد من ذوقها لها صانعة التحضير لنا. فهي المصنوعة الصائعة.

*حب احتكار متفق عليه بين الاثنين. بين إنسان وإنسانة بين شيء مفتون وبين إنسان فتان. بين لوحة فاتنة، وفنانة مفتون، فكل من الاثنين. زوجين، قد رضي احتكار الآخر له!*

أما أن يكون الاحتكار مفروضاً من جانب واحد. من ذكر على أنثاه. من تحفة على فنانها، من فاتنة على مفتون بها، أو بالعكس. فإن هذه العبودية ترفضها سبادة الحب. تجهوها عبقرية التضحية. إن الحبيب يرفض مذلة أي سلطان يطغي عليه. ويخص لسلطان قاهر، وهو يفرضه على نفسه باسم حبي لها. حبي لها. ولقد عرفها المأمون برحمه الله.

حينما قال:

فيما بذل وهو أليم باللهوى، وإما بوعز وهو أليم بالملك.

***

ما قتلها في نفسه؟ أي حاجز يمنعها، أو أي بعد هرمها منه، أو حرمه منهما؟ فبدت حبي في وجدانه وآلامه وأحلامه! لكن الكلمة المفروضة جانبياً. قتلت موت الحواجز، وأسقطت بالقرب تلك الحياة التي كانت على اليمين. فإذا الحواجز تنصب قائمة توقف في كل طريق سلك لنقول له: من أنت. إلى أين؟ فقال: إلى حيث الرضا بك منك.
اأرسلت كلمة جانبية، فلم أسمع صوتاً لرد الفعل يأتي من وراء الحواجز.

وأقلف فمه على السماعة.. وقال: إنى أرفض طغيان البشر على وجدان

الإنسان.

- صور من الأعماق. كدموع طافية على السطح. كيف تعرف فيه

إنسانها.. لا يعجزه أن يقفذ بالحيرة إلى بعيد، ويعجزه أن يرى حائراً من

قرب أو بعيداً.

تلك هي مشكلته لا تأكل الكآبة من نفسه غذاءها لأنه قاتل للكآبة

يحبها رادها، ثم يطلقها إلى أبعد، فنتيجة من ذخارها، ومدخره ما يسع

الحمل القليل. يتخلف منه أن كان من أعمال نفسه، ولا ينوه تحته إذا

كان حما لاً على كاهل غيره.. يأخذه ليحمله هو.. هو إنسان ما أضعنه

 أمام الدموع، وما أشد قسوته على الدموع. تلك دموع الآخرين، أما هذه

قدمعته هو!

لمعرف صاحبنا السخيف أنه بادعاء الثقة بإضافه ثقيل الدم فيه

لسكت لا يتكلم! لكنها الدنيا جعلته في مكانة لن يتمكن منها.. قد يملك

الإمكان لكن السكان يستقبلونه. لو عرف أنه جاهل، أو أنه ثقيل لما

تحرك، حينئذ يتحرك الناس نحوه باعطفه، ولكنه في كل لحظة، وبادعاء

المعرفة يتجاهل الناس. كأنما يسمعون صوته مطارق من جديد تدق على

أعصابهم.. يلهمون عن سماعته بينما هو المسكين.. يتكلم كالمدحلة،

ويناثر كالرذاذ، فلا يجد من يجمع الدشيش، ولن يجد تربة تثبت برذاه

نبتة خضراء!

عيب الناس أن يتحملوا سماعه.. أما عيبه فهو جهالتته بما ينبغي أن

يسمعه الناس!
لم تسرق جيبي، أو تسرق جيوب الناس، فإني وهم قد يعفون عنك. على طريقه (الليل في الرُحش بِقَبْشٍ). لكن تمليك في ممارسة السرقة هواية قبل، واحترافاً بعد، قد أبعدك عن امتلاك اليد، فتأتي تسرق الدار. الناس، وقيمهم. لقد وصلتك المسألة إلى العظم، ومست الخصوم، فهم الآن لا يدافعون عن أقدارهم فقد صانوها، وإنما هم يدنعون لسرقة أقدارك، وإنما لإهدارها. لا يغزون لأنفسهم وإنما يرفضونها لك لتلا يتجد البغي منك عليهم. و. ''بس!!'' وعلّ في غير مقدورك أن تسرق الدار. الناس لأن سرقة الوضاية وحرقها في الوجافات هي سرقة مادية ولست معنوية!!

- صور لا تعني العجز عن التعبير، وإنما هي تعني القدرة على العبارة!!

***

قالوا إن منظمة فتح - الفدائية أم الفدائيين - لها ميثاق ينص على أن يخلو المتطوعون فيها كل رداء لبسوه في مناطقهم لليسوا رداء الفدائية، ولا غيره، فلا يسار، ولا يمين، ولا. ولا. إنما هي الفدائية والوفاء. الموت أو الحياة.. هي عملية إنقاذ لفلسطين وحدها، وإنما لأمة العرب، وشرف العرب، وكرامة العرب، هي كأي صاحب نجدة.. حملته النخوة أن يشترك في إطفاء حريق.

إن هذا الميثاق أخذته بـ 'فتح' المنظمين فيه. شيء لازم وجميل.. فيه كل السلامة، وفيه النصر. أفلس الأجل منه أن يكون هذا.
ميثاق الأمة العربية، وقد حشت إسرائيل العسكر المجرم على الأردن...
میدان المعركة الفاصلة لنا إن انتصرا، وعليها إن انهزما!
ميثاق نطرح به جانباً هذه المذاهب، والمتمذهب لتكن كنا صفاً إنقاذ
في حرب مقدسة اسمها: الجهاد!.. المعركة فيها بإنهاء الأرض والعرض
والمحصر. فلا يعقل أن نواجه أي حرب مع إسرائيل، ونحن على خلاف
بين يسار يفتح بابه لواغل جديد، وبين يمين تشغله المشاغل في كل يوم
جديد.

***
الفجيعة في اليسار أنه ضعيف التعلق بالوطنية، وقد يفرض عليه إلغاء
القومية، والقوة في اليمين أنه تعصب للوطنية والتقاليد، ومن هنا فهو
يتحمل المسؤولية على صورة أكبر!!
صور لها رائحة العالمية - ازهار العيناء هذه الأيام ترسل شهاها.
فإذا ما دخلت جنتك ولو حوضاً فيه شجيراً لها لفاحت في معطفك نسمة
تسكب العبير، فهي بنت الليل، ونوارة الوضيض الناعم اليرق.

***
.. وتكلموا عن الجميلة كيف تطلب حياتها لحياتها.. تتر من
الوحدة، تريد شريكها ذكرها هي سكنه، وهو ماسكه بالصو он يذوب
جمالها في حسرة، أو أن تذوب نفسها عارضة بدانها وإبداعها.
- قلت: هبتك قد خرجت من بيتك دون أن تنظف هندامك، أما كنت
تحصر نفسك في طريق لا يرايك فيه عارف؟
- وهبك ركيزة سيارتك القديمة "المهلكة"، أما كنت تبعد بها عن نظرات رفاقك وأندادك؟

هذا صنع القبح أو النقص أو المزري!

إذا ما لست الفاخر النظيف، وركبت السيارة الغارقة "الأبهة" فإنك تعرض نفسك لناظر، وباهي الرفاق والأنداد.

هذا صنع الجمال!

إن الجمال حياة، يريد الحياة، يستعرض كل محاسنه وإبداعه وبداعته
فخيرًا وتيهًا ومطلباً.

الجمال كم كبير "كبر" وكيف أكبر .. من عجب ألا يطغى كمه على كيفه أبداً، فإن الكيف فيه ليطغى ويطغى حتى ليصبع هو كما بذاته لا يكال ولا يوزن .. وإنما هو يذاق ويحس ويبهج ويرج ويبرح ويقبل وحي يصنع في وجدان عاشق كيفًا جديداً لما يحمله العاشق لهذا الجمال، سواء في إنسانة، في سنديانة، في زهرة، في كل ما هو حي يتحرك بذاته، أو هو الحي يتحرك بذاته لذاته، حينما تتعدد المطالب، وتصبح اقتراحات تقول لهم كفي تلزم بذف اقتراحك كمطلب لله أو للجماعة، ينبغي أن تهيه

المصالح الصبغ والمتحيب أن نطلب منه حتى يصنع لك ما تريد.

أما أن تقترح وتطلب وتأنت غير ناظر إلى المعوقات فإنك تضيع ما عرفت، فإما أنك تنخص منه، أو تنخلص به، أو تتملص منه.

فقد قالوا: أطيبXi يا جارية، قالت: كلف يا سيدي!

وأفضل منه قولهم:

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في السماء جذوة نار!
والصور لها حالات كالقبرات، مثلها مثل canlı. لا حياة لها حرفاً في قردان، وإنما حياتها كلمات يستوعبها الرأس. فحينما تغضب قارئها، فالمليء من موجة إلى، وهي قد لا تفصح، ولا تقصده، وإنما هو ليس لها فقد مضارع كصورة من يقظة ضمير، أو كفوف من غاشية البطر.

وهي قد ترضي قارئها الشجي، هاضمه الحفي، يرسلها بعد لسامه، أو قارئ بعدة كأنها هي تعبير صادر عن أطمها بها في نفسه قبل أن يقرأ حتى إذا قرأها قال: هذا ما أردت!

وهي قد تضحك قارئها الخيلي، لا يحركها ضمير بغضب، ولا وجدان بالزن، فهو في المنزل بين المنزلتين. إن شاهده بها من تضحك، تنبثق شفياً منه، فاصبح مقتنيها كأداة يلعب بها على الغاضبين وكثيراً ما يلعب الغضب على الرجال، أو إن قرأها له الشجي ضحك منه لاهياً بشعورها مغظناً لنجواه، ساخراً يطلقون «ويل للشجي من الخلي»! فهي بها المقتني لأنه المغني!

أما كاتبها فهو الغاضب بها لا منها، ولا الشجي لها، والضاحك من الحاقدين بها، أو الغافلين عنها، ولكنه لن يكون لاهاً بنفسه فهو من جده لا يعطي الصورة من هزله الساخر، وإنما هو قد أعطى التمرة والجرارة لمن يستاهل.

وهذا البلد.. جزيرتنا.. أرض أم ديت من تحت بقعة فيها الأرضون وبعثرت من غار على قمة هدياً الخلق، وانبعثت منها لغة شاعرة، وانتشر فيها ومنها علم فلور.. فيها أمومة الأعراض، ولبان العقيدة.. فيها المأزز والمعقل، ولكل أم أبناؤها، وكلكن أم طبعتها من
نحن ورفق، وامتداد ومددر، وتحمل وعطاء، وتشجيع وإيثار، وحزن وحسرة وفرح ونداء وتلبية ورضي. كل هذا فعلته أرضنا بالآباء البررة. أعطته، ما ظل بهشي من المعاني، ولا ضمت بالشيء من المادة. حتى الحمد بالزحف بعد الفتح أعطته ليشرح الأساس للكثر السواد لتنشر اللغة. أعطته، وهي في ضيق وضنك وإهمال. طبيعة الأم. ضرير الأمومة!

ولالأبناء طبعتهم كذلك. فيهم الرضي، وفيهم من يقول: أف، أف! وفيهم من قال الأكبر والأكبر، ومنهم من فعل الأشقر والأشقر، وفي الحيوان طبقئ تختلف. حيوان، أم تأكل بنيها، فيكما هرة أكلت بنيها. فهل كانت أرضنا الأم أكلة الأبناء؟ لا، لا. وألف لا، لا. يدفع التاريخ من يقول: نعم! وفي الحيوان أم يأكلها بنوها. فهل أرضنا؟ أنت أكلها بنوها؟. أقول نعم، والتاريخ يدفع من قال لا. لا أسميه بغيلا ولا غوغا ولا تناسقا ولا حسدا، وإنما هو تفوق هذه الأم ولو كانت في ضيق وضنك. لقد تفوق فيها بيت الشعر حينما احتمل ما لا يحتمل، فأنتي من حيث نما إذا بالبقية الباقية تحرض على الأمومة، وإن بقي الأبناء أكلت الأمهات!

هي أم لا تأكل بنيها، وأرجو أن يفطن بنوها ألا يأكلوا أنفسهم.

فإنهم بأكلهم لأنفسهم يأكلونها!!

- صور تحمل نفسها على برهان وتطوي نفسها لا على أضغان. وإنما هي تذكر إنسان إنسان.

- تذكره وهو يحدثني عن رواق الأزهر أيام زمان، كان الشيخ فيه.

هم الشيوخ في الأدب والسياسة والفكر واللغة والفنون والعلم.

وجلس الشيخ الرواق يحدث، فأعجب حديثه طالباً من التكرور.
يسعونهم "التكارنة" وأصبحت لهم أسماء عدة الآن.

وأراد الأعراب عن الإعجاب، فقال: يا ألم، يا ألم! يعني يا علم، يا علم...

وسمع أحد المتصدرين كلام الشيخ يتحدث عن الرواق، لا عن الرواقين من الفلسفة فقال: ما هم قالوا: يا قارئ الألم بين الجاهلين كثر كمود الشمع في تبعان عمان.

وغضب الشيخ، فقال: كثر وكثر أيه.. الطالب متعلم، بس لسانه هكذا فالمثل الذي أوردت لا ينطبق عليه...

***

حسن، وحسن، وأكثر من جميل!

تريد أن تضحك من الناس بنكتة، تلبسها واحداً من عباد الله؟ هم على أي حال!! قد أضحكوا. وضحكونا. أما أنت فضحكت كثيراً تعبت بهم. ولو علموا بواطنك - بدأت تطبو على السطح من عملية النضج - ليكروا وأبكروا لمتصوروا المخلوعين بشيء فيك.. ظاهره فيه الرحمة...

لكن حذبك يدوم. أما عذابهم فمضى وذهب.. بل إنهم يستعذبون تمام المعرفة التي كانوا يجهلون!!

- سمعتها "الجرداقية"!! رب من أين للزمان صباه؟ .. وتذكترت صورة الجلوة على منصة عروسين. وتذكرت الحلول وهي تمتاز جمالها وجماله. وتناغي صباها وشباها.. كما تذكرت الحلو وهو يندى حيا من
صيام وشبايه.. غالية.. وغال..

وأرسلت الـ "آه" وأشرقت لمعة من دمعة، سألت فيها نفسى.. ونفسك تلك التي هي.. هي.. هل يصبح هذا الصبي عجوزًا بعد سنوات؟ رياه لا أطيق.. أغفلت أذني أمنع عيني آلا ترى حين تسمع "أنت كبيرة"!

نعم سيكون الصبي عجزا بعد سنوات.. قلت.. لو كثرت.. ما باليد

حيلة!!

- أخرج.. ويرقص في النخل!!

صورة كاريكاتيرية بالطف المترف والمر.. والمر أيضا!! أحسني أرده إلى أنه مثل قائه أحد أهل المدينة.. فهم وحدهم الذين يسمعون الحائط، أو البستان أو الحش بالنخل: هيا نطلع النخل.. هيا نقبل في النخل!!

وهو على كل حال مثل عامي.. ولو فحصنا بالنطق المبين لوجدناه عربياً بصحاً، ولو نظفنا باللهجة العامية كما هو اللبان المصيب في استعماله الآن لكان عامي.. النطق بالنصح يعطيه الفصاحة لفظًا، والنطق بالعامية يعطيه الفصاحة بياتاً.. عن صدقت الصورة، وهذا يثبت فساد الطريقة التي أرادها قاسم أمين.. يرحمه الله.. فقد كان ينصح الناطقين.. تجنباً للحن أن يسكنوا أواخر الكلمات.. فالفرق بين فصيح هذا المثل، وعامي هو التسكيك!!

عجب هذه اللغة الشاعرة.. فهي كما بيانها في النطق.. فإن تبينها في السمع.. حتى الأذن كما اللسان تفصح الكلمات!!

وبعثة تضره للذين لا كفاءة فيهم.. فيتصدون لعمل لا يحسنونه.. ثم هم لا يحسنون إلى الذين حظوه فيه.. والغامة تقول: حظه.. يعني
وضعه. وفي النكتة البيانية هذا المثل: حظوه فانحفظ (!!!)... تورية فيها ملاحة، وفيها فصاحة.. رغم أنف الذين لا يستسيغون تسميته هذه!

«أعرج... ويرقص في النخل»...
فمثلاً عابوا على الأعرج أن يرقص لأنه لا يملك الكفاءة الأولى في الرقص... وهي ثبات القدم، ولم يعيبوا عليه أن يكون غير ذلك... فكثير من الأعرجين تحارب الدنيا من ضرباتهم... »بس«... ما كانوا يرقصون...
حتى الشعل - وهو جرح مضاعف - رقصته البداية أمام الرجل المشلمول، روزفت، ولكنه لم يكن راغداً... أي لا يحترف حركة لا يجيدها!!

الأعرج الذي يرقص ينطبق عليه الوصف المعطي للصفيق... بليبس أثواب الشتاء في الصيف، وأثواب الصيف في الشتاء!

لا يستطيع الأعرج أن يدخل في مباراة التجري، ولكنه يستطيع أن يكون ذا فكر، تجري أمامه كل الأحوال ليكون له حال معها... تزداد به وضوحًا إذا ما كان فكرًا خطيق قوطيص... أما أعرجنا هذا الراقص في النخل لا يريد أن يكون صاحب أكثر من صناعة... ينطبق عليه المثل: «صاحب صنعين كذاب، والثالثة مفسد»...

لكي لا تعرج بك الحياة ينغي لك أن تقتصر على ما أنت مؤهل له... تخصص فيما تجيد... فكثير من العرج، وأصحاب العادات قد نبغوا لأنهم أجادوا في ناحية، ولم يبتغوا في النواحي الشتى!!

- صور لا خير فيها، وإنما هي الخبرة منها... والتجربة أكبر برهاان، فمن لم يصدق فليصدق مع التجربة حينًا ليري:

- قال لي: كيف الحال؟.. وهو ينطق «كيف» بلهجة كثيراً ما سمعتها...
«كمديل» أو كثيراً ما سمعت منها كلاً من الذين أذاعوها! ثم أردت:
ماذا بك.. زعلان؟!
- قلت: زعلان، وليست بالزعلان!
- قال: كيف؟! وهنا نطقها على سجيته لأنها استفهام مجرد، ليس في السؤال عن الحال!
- قلت: لم جزع إنسان لحسابه لقلج زعجة.. لأنه هو القليل في مشاكله مهما كثرت، ولكن المراهنين إحساساً، والمشاعرين اجتماعياً يحسون بمشاكل غيرهم فأولم أن يablerهم لأنفسهم؟! ذلك طيفان الوجدان
- كاذبيق.. بل رحمة الوجدان كفعل، المشكلة أن تجد الحل لمشاكلك،
وأن تجد العجز حتى عن الحزن لمشاكل الناس!

• قال لي وهو يذكر إنساناً في هذه الدنيا، وبالصدق من غير بلدي:

- كيف أصبح غنياً!؟
- قلت: ... أنظر!.. لم تمر السماء اليوم إلا رذاذاً ولكن الشعاب التي اكتشفت هذا المنخفض الأرضي أمام عاكين قد ملأته وسالت من كل الجوانب، سالت عليه فاستل يغوص الناس فيه.. أصبح هذا المستنقع وقد يكون هذا الامتلاء لفلاحة جعله مستنقعاً أخلاقياً.. يعني تكونت فيه قدرات، فأصبح بلا خلق، ولا خلاق!!

***

• اليوم مات خروف عندي.. لم أعد أدخل البيت ظهراً حتى وجدته قد ذهب إلى كومة القمامة تنهشه الكلاب.. كنت أريد أن أبحثه..
تأكل لحمًا طريةً بدل السواكن، ولكن «الكنتورل» في البيت أبي أن يذبح، فذبحه الأيام.

لقد تعلمت أن الحرص في كثير من الأحيان فيه كثير من الضياع، فلو أكلناها لما فقدناها!

ليست هذه نذامة، ولكنها مرثية لخروفي!.. فقد كان أنفساً حضارياً.. كما إنسان لا يطغى فكره على سلوكه، ولا سلوكه على فكره.

لقد أكلت هذا الخروف بفكري حينما أعطاني كلمة أنتقد فيها «الكنتورل». لقد نصريني على الحرص:

لحاك الله يا سلم ابن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال!!

ورأيت على غلاف مجلة هندية صورة لأنتي.. فقلت:

- ما شاء الله.. تبارك الله أحسن الخالقين!! أنستني هذه الصورة.

أحزاني على الشاكيين من الناس وحزني على الخروف!!

صور في خبر.. أو خبر في صورة:

- توقفت أن أكتب، ولكن قصيدة قرأتها.. فتحت المغلق من نفسي..

هكذا المغليق كثيراً ما تفتح بالكلمة، وقليلًا ما تغلق بالكلمة!

الكلمات لا تغلق الأفواه إنما يغلقها ألاً تجد شيئًا تتكلم عنه!!.. ينعدم هذا الشيء في الصورة التي قالها الفيتوري.. هي: جفاف الدماء على الشفاه!!

***
توفيقنا.

يقول الخبر: إن عالمين أمريكيين قد استطاعوا في باريس - أي في معمل أبحاث هناك - الفصل لفيروس السرطان. يعني عرفوا الفيروس، وهم يجهدون الآن ليمسكوا بسماكته. ليبرحوا الإنسان من هذا العدو الفائق.

هذا الخبر مفرح ولا شك، لكن هناك خبراً قديماً يقول: إن السكر الصناعي قد حرم استعماله في أكثر من بلد عرف مضاره. حروموا استعماله لأنه يسبب السرطان، لم أجد أي رده فعل عندما يسأل هذه الأشربة الكثيرة التي حلاوثها من هذا السكر الصناعي. حتى إن شرباً عندما قد أعلن لتحدي هذه الأشربة أن حلاوثه بالسكر الطبيعي، أريد أن أسأل: لماذا لا يكون هناك عمل لمقاومة هذه الأشربة إذا كان سكرها هو هذا الغيار، أو يطمئن الناس عن كذب هذا الخبر، أو هذه الأشربة بأن حلاوثها من السكر الطبيعي؟!

السؤال موجه لوزارة الصحة!

***

من زمن كتبت أن كلمة (المواطن) كانت في الأصل من استعمالات الثورة الفرنسية. من ألفاظ ميرابو، ودانتون، وماورا، وقلت: خبر منها أن تستخدم كلمة (الأخ)!. وأعيد الآن هذه الملاحظة. فقد أسرف المتلفزون والمتميزون في استعمال هذه الكلمة: المواطن.

إذا شعارنا المسلم هو: الأخ (إنما المؤمنون أخوة)، (المسلم أخو المسلم).
والذي أثارني الآن سؤال واحد من المتفقيين في برنامج لشب جلس
على المكتب.. قال له: من أين?!.. كانت الإجابة قاسية، فقد قال: أنا
من ألمانيا!!.. يسخر بالسائر...
كأنما يقول: أنا من هذا البلد، وعبري.. ألا تسمع لهجتي؟.. فأعاد
السؤال عليه، فقال: أنا فلسطيني!...

لم استعملنا كلمة الأخ لما حرجنا إلى تقليل، ولمما فتحنا الباب لكلمات
أخرى كالرفق وما إليها، ثم أحمر من ذلك ألا نجرح أمثال هذا الفلسطيني
بكلمة المواطن.. فإن كلمة الأخ تعطيه قراءة الدم، والعرق، والتاريخ،
والدين!...

صور بلوس قوس قزح، تخبر عن ذرات المطر، وتحتر ذرات الرمال
بشرى مغيبة، ويتخطر، الإنسان في ضوء الإشعاع.. فرح بالمطر لحظات،
وبصفر للقيقةพวกเรา كأنه يطرد الغمامة أن نعم، أو أن تقيم، إنسان
ملول.. ما أشد حبه للوئية من حال إلى حال.

- تكلمت في يوم مضى مع الصديق عبد المجيد شبكشي فإذا هو
غاضب بن بالشكوى من التطبيق "الأخطاء المطبعية" فعذرته.. إنها تكثر
وتكثر من غفلة المصححين، ومن إهمال الطباعين والموضوعين.

عصب الكاتب يحرق، ودم المسؤول كرئيس التحرير ومن إليه يحرق،
المصحح والطابع، يعتذران ثم لا يذمان، ويشكان!...
والتقارير يصب اللوم والتقدير على الجريدة كلها ورئي التحرير بالذات.

- قال: نحن أصدقاء.
- فقال: تشرفنا! ثم أردف: هلا تعني أنك تعريفي، أو أنك تخبرني.

بذلك?

إن كنت تعني أن أعرف فهذا شيء غير جديد، وإن كنت تعني أنك تفهمي فهذا لم يعد واضحًا بعد.

أنت تفترض الصداقة لتغنم من تكلفها على فرض أي مطوع لك في كل ما يأتي منك. هذا خطأ، إنما هو شأن الانتباه والأمعات.

إن الصداقة تعني الندادة والوفاق خطوة منك مع خطوة مني. أما أن ترهقني بالاستباد برأيك وقولك وفعلك، ثم تطلب باسم الصداقة أن أكون معك، فهذا شيء لا أطيقه.

وسعني فقال:

- يا أخي الصداقة ما هي هز الكتف، إنها الزمالة ولو بجدع الأنف!

فأجابه: يعني أمر كنتي بنعم ليقطع أنفي، أما أنت فتهز كنتك يسلم أنفك حينما تهرب وتقول: لا...

- إذا لم تعط المثل فكيف أضرب بك الأمثال. حينما تحركني بك، فإني أتحرك "بنفسي"، المثل منك محور أديب الكلمة الطيبة حوله.

أحبب رحمة وتفيقاً، وأحب نفسي وأجد الصورة التي تشعرني بأتي قادر على إقناة المغرمين والجافين. بما يدحض الغرض ويعد الجفوة.

وسكت قليلاً ثم قال: سأفعل. سأفعل...

وعلى آخر من الجموع انظر الوفاء بما يعد.

• صور دون تعريه ولا تعريف فهي تكشف عن ذاتها.
الجمع الثالث - الصرف - كلمة ... ونصف

الكلمة تعني بقعة. يغشى الحبر... يتضخ الورق... يطمس
الحرف، كل ذلك يصنع العقلة لتشتت وترمي، وترك الموضوع!
والورق الوسخ "الخوشق" فيه تمش ببطش الحبر لتغير، وتغير أكثر من
قبرطاس... كلها تصبح بقعاً مسودة بغير حرف حتى لا ترى فيها جمال
الحبر، الحروف هي التي تصنع جمال الحبر... كما أن الحبر هو المزهر
لزينة الحرف... يبرزها لك جمالاً للجمال، فهي تصنع له قيمة إن أتضح
سواده ببياض كلمة، وهو أعني الحرف... يصنع للحبر زينة تنتصب بها
معاني الجمال فيه. ومزقت القبرطاس كما رميت القلم، وبقي الحبر لكنه
اندلع على الأرض فقد حيث طفاته تلعب بالدوار فجعله قطعة "الزل" بقعة
سوداء كانها كلف في وجه قمر... خال على خذ، العقرب هو الطフラة حينما
مسحت خدها صنعت زينة السواد في الخد الأبيض المشبوث بلون العصفر
على خفيف كانها صنعت بريشة أسطوري على رأس ريشة بلون الورس
والزعفران!

***

وجأت أمها تريد أن تزيل الحبر فقالت الجدة: لا... لا... دعيها
رفعها تحفة تبقى ذكرى... لا لتمزيق الورق وإنما لتمزيق السام... مزقته
هذه الطフラة.

وضمت سنوات حتى إذا زفت الطフラة عروساً أخذت القطعة من "الزل
القاشاني" معها... تزيناً بالمغامرة كأنها وفصة بارزة في ليلة مظلمة... تعلن
عبئتها الحلو الحبيب لنتقي عينيها لترضى عيناً من طفلاها!!

***
الحياة تستقيم بالأعراس كما هي قائمة على الفناء، والأعراس حرف
على قرطاس أبيض نظيف، والفناء سواء مدلوق على ورقة صفراء فيها
نمش!!

***

القلم والقشة والورق والنمش، والبحر المدلوق أهون على كاتب من
جلس يصرخ وهو يتحدث لا يرحم أعصاب هذا الكتاب وهو يكتب عموده
اليومي!

***

صور فاصلة، تعنيها يقيمها. وإن كان غير المقيم. وثوابها من
صوابها، تذاق بأنف، وتشم بعين. فهل رأيت العين تشمد. نعم إن رأت
ما تغرق فيه. تعمق النظر كما هي مسمرة. فعينها الأنف، يوضح لها
بعض ما تعمقته فيه. يشم بعينها، كأنما العين أداة الوصول هي التي
استروحت رائحة العمق نظره، نظرة!!

***

قلت له: هل صنعت ذلك الجيد بذوق مترف؟!
- قال: نعم كنت صافي المزاج، مشغول البال بها لا منها!!
- قلت: لقد أعطيت قانون الجودة تصنع نفسها بما أنت عليه ساعة أن
بدأت تضعها!!
- قال: كيف؟ .. لم أفهم!!
- قال: إذا كنت في صفاء بال غير متشغّل فإنك معطل مما يحرك المعنى. يصنع الحرف، يجيد البيان.

أما إن كنت في شغل في أكتافه وخصوص ألم فإنك تشجوك فتجد.
فالسيرة كصفاء بال بعثة النفس بما يمشتق بها فيشغّلها.
أما الألم والانشغال بك، وأي شيء. فإنه لا يعطيك بل يحرك كل شيء فيه، ليبرز عمالاً منك. ومناعة الكلام عمل لا يأتي إلا بانشغال البال ألم، ليس في الكآبة والكدرة القاتمة.

- قال: نعم كنت فيها. ومنها. فصنعت ما أعجبك!

***

- قال: ما هو البيت من الشعر ترده يومك هذا؟

- قلت: هو بيت ابن زيدون في قصيدته الدمية، والحزن، البايكة
نفسها، ليس من حسرة الهجر وإنما هو سخرية العقوب وشماتة الحاقدين!
أولى وفاء وإن لم تبذللي صلة للذكر، يقنعنالطيف يغنينا!!

- صور رابطة ناهضة، وامضة غامضة، غاضبة، راكضة، فيها ما يريح المليح، وما يفيق القيح!!

***

- سألتي: ما إسرائيل؟

- قلت: إسرائيل فرقة أجنبية في جيش الأطلسي، فقد أصبحت قاعدة تغني عن قرص ومالطة وما حولهما.
من هنا يحاربها حلف وارسو!!
في أوائل هذا القرن، تكلنر رجال بالجنينة الذهب قضاعوا وتأملن
رجال بفترة القوة فقاعوا، ثم «قضعوا» وتبلشيف رجال للرغيف قضاعوا
ووقعوا حتى جاعوا وتأمك بالدولار رجال فجنوا وجنوا فنانوا وحاتوا، أما
الذين أسلموا وجههم فسيغبنيهم الله من فضله.

فلاح مسكيزين زرع أحواصاً في حش صغير يملكه برسيماً وكراتاً
وبقجلا.

وتمقع زرعه، فوجد رأس فجل فجع كأكبر ما يكون الفنجل. فحمله
يجري فحراً به يهديه إلى الإمبراطور في المدينة الكبيرة فقبله الإمبراطور
هدية من إنسان لا يملك غيرها، وأعطاه حتى أغناه.

وسمع جاره صاحب البستان «الجنة» الورف الظلال البغي. فقطع
النب والورد والفل، وذهب بها إلى الإمبراطور.

- فقال الإمبراطور: هذا مكر حسن جاره فأراد محاربته وسلمها فأعطوه
رأس الفنجل!

***

قلت لبعض من صحابي: لقد رأيت اليوم حبة من البطاطس زنتها
خمسة كيلوغرامات من ترية «أكرانيا السعودية» القصيم!
- قال أحدهم: أرض طيبة بك.
- قلت: ما أجد الأرض، ما أطيبها! ما أشد كسل المنتَزين تأخروا
عن زرعها. فأحسنت أن تربين فعلها ووجودها وثروتها.
- قال: عساه يجبون معها وإليها لتغطيهم أجود ما فيها.
قلت: يظهر أنها البداية يبرز فيها جود الأرض والمستارض!

- مواقف لصور. أو صور لمواقف:
- في غزوة تبوك. في الموقف العسر زمناً، ومادة، ونفسيات. سأل رسول الله ﷺ عن كعب بن مالك وماذا صنع؟. فقال أحد الصحابة كأنما يعب على مالك تخلقه عن رسول الله:
- لقد غرّ مالكًا نظره إلى عطفته!!

صوره تعطيتنا الترف في الجسد والنفس، وجمال الرجال، وغناه الرجال
في كعب بن مالك، وتكلم معاذ بن جبل. يرد على صاحبه. يسمع
النبي كلمة الخير فقال:
- والله ما رأينا عليه إلا خيراً.!
ثناء الأكابر على الأكابر. أطعمه في عمق الرضا في ساعة الغضب.

في فؤاد النبي ﷺ.
ورجع النبي فإذا كعب بن مالك في الثلاثة الذين خلفوا، وإذا الحرمان
يكتب عليه، والمقاطعة، والبعد. كلها تنصب عليه، ولكنه لم يقطع عن
المسجد.. يصل بصلاة النبي. يرجع الرحمة من الله!

وينها هو في عذاب النفس جاءه كتاب من النصصي الملك العربي. 
غسانياً في دمشق، من أبناء جفنة. يقول له في الكتاب: بلغنا أن صاحبك
فما كفنا إلينا تجده عندنا السعة والوفاء!! كأنما هي الأزدية قد
شمعت في رأس الملك. يغري بها ابن عمه!! وقرأ كتب الكتاب فقالها
كلمة ليس فيها حظ النفس من الأنانية، وإنما فيها حظوة النفس من
الإيمان، قال كعب وقد ألقى بالكتاب:

- وهذا أيضاً من البلاء!!

أي بلاء؟! ليس هناك أشد من بلاء الإغواء بالفرج في وقت الضيق. على نفس ضاق بها حب الأحباء!!

وتنفس كعب، لقد جاء الفرج من عظة النفس المؤمنة. آمنت بحبها الله، أيقت بحبها لرسول الله. ارتفعت بحبها لله، تعدد به النفس المؤمنة ولو كانت آجلة. لا تفرح بالآمال، يشفى بها الرجال لأنها العاجلة!!

- وقال كعب، لا يحزني، ولا يشقيني إلا أحد أمرين: فإما أن أموت وأنا في هذا الحرم، فإنه فخري على قومي مصيري. وإما أن يتوفى الله رسوله وأنا في هذا الحرم، فإنه أكبر فخري علي مصيري!

وتعلجت رحمة الله على المؤمن، فتفضل الله عليه، وإذا هو في الأكرمين أحد الثلاثة الذين خلقوا فتبار الله عليهم.

أي موقف هذا!! لو وقف الرجال مثله لما استقام أمر لخانه ولقتل العقوب، وأين الحب ينت عظمة الرجال!!

***

- والمتنبي، أحمد بن الحسين، شاعر الدنيا، شاعر العربة الأكبر تحدث عنه سيف الدولة الملك العالم، تحدث إلى ابن خاله، وأبي علي الفارسي، الإمام، في زمانهما، إمامهما في الفقه، فقه اللغة الشاعرة، قال سيف الدولة.
لا يغرينكم من الموتني أنه شجاع.. لقد اكتشفنا فإذا بنا نحن ستة في
مواجهة الروم، فالتبعت أرى الموتني يضرب غصن شجرة سيفه وقد علقت
عمامته به.. فيقول للغصن وهو يضرب بالسيف: اترك عمامتني يا علجل
أترك عمامتني يا علجل!!.. فقلت له: أي علجل.. إنها الشجرة علقت بها
عمامتلك!!

• صور.. هي مشاعراً، أو هي مشاعر الذين تحس مشاعرهم.. يعني
أنها منك لنا، أو لك منا:

• أحلام اليقظة: الواقعون يقولون عنها إنها نوع من الجنون، وقد
يبالغون أحياناً فيقولون إنها الجنون المطلق.. إذا ما شغل إنسان ما فراغه
بها.. يملاً دنياً بـخوارف أحلامه.. يسده التخيل، وإن جفاء الواقع،
وهؤلاء الذين يصفون الحال في اليقظة بالجنون يصفهم الحالون بأنهم
عقلاء لكنهم أشقاء، فالواقع تجسيد لوضعهم.. قد يكون فيه الكثير من
القوة، أو من الامتلاك.. لكنهم ماذا يصنعون بهذا كله!!

إنهم يصنعون لأنفسهم حساب الربح والخسارة.. رجحان الهزيمة على
النصر.

من ذلك يعيشون في كرب الواقعية.. لأن التجسيد فيها ليس هو
الجدور بها، وإنما هو النجاح عليها.. لا خيال.. لا إحساس حتى إنهم
إذا اعتلوا أكثر أو كسبوا أكثر لا يشعرون بشيء من خوارف ذنابهم.. إن
شعورهم ينحصر في توقي الخسارة الأكبر، والهزيمة الأكبر، حسابهم دائماً
سلبي مع معاً يمتلكون.. أما حساب المزخرف حياته بالأخلاق، فإيجابي مع
نفسه يمتلك بالخيال كل آماله كأنما هو قد أعطىها ببدءه، ثم ينصرف
عنها.. يعثرها كأنما هو أملكها عامداً قد سعد بالربح كل لحظاته، ولم
يأس على خسارة.. كانت أحلامه وجوداً أما ضياعها فلن يكون عدماً لأنها
بأحلام أخرى تجدد!!

- وسأطلني أحسين: هل رأيت أم كشوف؟
- قلت: كان من الممكن أن أراها، ومن حقها علينا أن نزرؤها، لكي
تعمدت ألا أكون في حضرتها لأنني أراها، وإن لم أراها. هي في
وجداني، وما أعطت للنفس العربية، فأغنت بما غنت. قد أصبحت
المثل، الحب لها والتكريم لا ينقص بعدم الزيارة، وإنما هو يزداد.
فبعض الحرومان من الرؤية رؤية أقوى لمن تحب إذا ما شغل وجدانك بما
أعطاك.. لو رأيتها لما زادت عن إنسانة تتصرف في الصورة التي أراها بها،
ولكني حين أراها كأنها المثل.. لأنها قوام كبير في اللغة العربية.. لأنها
ثروة ضخمة من فن الفن عربياً و إنسانياً.. لأنها بهذا كله أحوال دون، أي
شانية تبكس هذا الكائن في وجداني شيئاً مما قد كان له، وتكون به،
و كنت أنا فيه.. تعمدت ألا أراها لأنها أكبر من رؤيني، فلا أحبها تصغر
 أمام الرؤية إنسانة مائة أمام عيني.. أريد أن أحافظ على هذا الإكبار لها
في أذني وسمعي وعواطفي.. أما العين فيكفن أنها ترى الصورة لا تسعر
بشيء يشوب التصور لهذا الإنسان الصديق.

إذا أمكن كشوف شيء كبير في آذن الغناء، وعواطف الحرف، وزخرف
الكلمة..

- صور رائقة كأنها غير واقعة.. فالشفق بشيء دائماً يتحفز لا يستقر
على هدأة، بل هو منتشر في النفس انتشار التصور للشيء المحدود براه غير
محدود.

فالتصور يعني الأشياء أكثر من معانيها وأكبر من حجمها تلك هي التي
- الجزء الثالث - التثر - كلمة... ونصف

يحسبها الخيلى خدعة. ولا يراها الشجي إلا متعة.

***

قال: ما أنت اليوم؟
- قلت: سؤال عن ماذ، لتعرف، لم تسأل من أنت? وإنك السؤال
نافها.. لكن ما أنت؟ قد جاء في مكانه. قال: تجهلني كل لحظة ولم
عشت كل اللحظات معاً!
- قلت: فما أكثر ما يغير الإنسان على نفسه من نفسه!
والإجابة عن سؤالك هي اليأس انقلب إلى تشاؤم، فلقد كنت أرفض
التشاؤم، ولم وقع نادراً كنت أحيله إلى يأس مؤقت.
أما اليوم فقد انقلب اليأس الموقت إلى تشاؤم أخشى أن يدوم.
إني أمتع نفسي بهذا اليأس والتشاؤم لأربح الأمل من الكذب عليه، أو
الكذب به.
أحوال تحمله على ذلك. هذا مخيف. لكنه يحوّل الكذب المنتظر
يطلع إلى سراب. إلى جد وصدق حينما عرفت الحقيقة كواقع.
لو كان هذا لحساب نفسي لنبذت هذا التصور أو هذه الرغبة ولكنه
لحساب الجوائز الأخرى التي أحس لها بها، وأفكار فيها لها.
دعني أستريح بمتعة الشقوة باليأس والتشاؤم.
وخاصوا في حدث عن الحب!
- قلت: الحب أبقى القيود، لكنه لن يكون دون حريه.
حرية الاختيار والاستكشاف، التعبير والعبارات والوفرات والنوال والطرد،
والقبل، والمنع والشقوء والسعادة.
كل عمل الحب بمسوة قيذه هو حريته، في نيل المتعة به.
صور: تشرح نفسها...
● خادمك.. يخطئ.. موظفك يخطئ.. في المرة الأولى تحسب عليه خطاها، وفي المرة الثانية تحمل عليه كذلك.
فإن عاد مرة ثالثة فإنه لن يكون خطأ الواحد منهما وإنما هي أخطاءك.. لأنك ما قدمته أول الأمر. لم ترده في الثانية!
وهكذا تتم الحظوة.. يستمرى غفرانك له. ويستهين بك.. وتجري المشاكل.. وتستحيل الأخطاء بإhältام الجرائم إلى جريمة.. بل جرائم..
● أستاذ رأى تلميذًا يصفع أخيه مازحاً معه، فلم يضرب الصاعف، وإنما ضرب المصفوع.. سألت لماذا?
قالوا: إن المصفوع كان ضعيفًا، والصاعف يركب سيارة قيمتها مستقبل شباب!
● فتاة من أهلي قالت:
قرأت حبرًا عن "دكتور" الكاتب الإنجليزي صاحب الرواية .. "المدينتين".
يقول الخبر: إن دكتور كتب هذه العبارة المجنحة .. بعيدة في أبعاد الأحلام فيها.. الواضحة في مخللونها وضحايا لا خفاء فيهم تحت الظلال.
وقف إنسان أمام سيد المقاطعة .. يقول له: سيدى .. سيدى .. إن الخيل وطأت بسناكها أطفال القرية ..
- فقال السيد: ماذا؟ هل أصاب سنابك الخيل ضرر؟
أب سلب روح ابنه.. كيف؟
ما قلته، بل جرحه العقد بالفسوق والإهمال ففضع رشده.
الأب الشامخ الذي يغضب من ذبابة تطاً منخره، أصبح يرى ابنه
مسلوب الروح، يعتن ويلهم ويرسم عليه والجنون.
نادي ابنه: تعال.. تعال!
 فقال ابنه: لن أعود!..
 أنا لن أعود، فالجنون نعم، لقد سلبت رحي، ولن تستطيع أخذها أو
ردتها!!

• الغزالة الجيدة تغزل بجريدة

سببها.. سببها دا ما يقدر يطلع عن شعيرة!
تمشية الأمور على الخطأ.. خير من الوقوف بها عند الصواب!
مثال من أمثلة العامة، مثل، أو حكمة قصيدة قاله أو قالها "أحمد
ابن الفرات":
المثالان، والحكمة كلها تدور في ذلك واحد.. كأنها هي أنواع
تقسيم النغم فيها، ولكن المحور واحد!
كاتب النوتة.. ملحنها.. موسيقاهما: معلم، أستاذ، هي الحياة المعلم
الأول.. الذين يوزعون نغماتها، وأهالتها هم الذين مارسوا التجربة.. فالتجربة
وحدها لا تكفي أن تعبيها.. أن تمارسها.. الكفاية والفائدة أن تدرسها.. أن
تحياها في غيتوك من الناس.. مع غيروك من الناس..

الغزالة الجيدة تغزل بجريدة جداتنا يضربه مثلاً للبنت الفاحصة.. تقيم
أودها. تعمر حياتها بالقليل الموجود لديها. إن كسر مغزلاً صنعت مغزلاً بنفسها، لا تجري وراء الكثير فيعجزها أن تعمل بما لديها من القليل، و كثير منهم من تجد بيتها عاماراً بأقل من القليل، وبعضهم من تنصص حياتها بعدم الالتفات إلى ما تمكّن.. تطلع إلى ما يمتلكه غيرها.. فتشقى بالعدم ولديها الوجود!

العثر الثاني هو عكس العثر الأول. يضربه آباؤنا للخاملين. أفهمه على أوجهين: إما أنه كلف بحراسة معلق الشعر فجاهت عنز تلتهمه ومن عجزه يتكاسل عن رده. أي إن العنز تأكل الشعر، وهو ليس لها لأنه أهمل حراستها من الخور والعجز فيه، وإما أنه لا يعرف كيف يرعى عنزه. يملك الشعر فلا يعطيها لتسمن، أو أنه يملك الشعر فتتركه أمامها للمخت magna. تأكل منه الكثير فيبيع كرشه فلا تخرج العنز الصالحة للضرع لأنه أهمل الزرع...

والحكمة القصيرة قالها "أحمد بن الفرات" يحدد سياسة الرجال يقول لهم: لا تقفوا أمام نشان الصواب. إنك لا تدري الصواب إلا بعد أن تعرف الخطا. من لا يعرف الشر حري أن يقف فيه. قالها الفاروق رضي الله عنه. 

أحمد بن الفرات ينصح الرجال أن يسيروا بأعمالهم. يعملونها، وقد يقعون في الخطأ ولكن الخطأ لا يأتي إلا من صواب الذين يعملون.. الذين لا يعملون هم الذين لا يخطون .. تجربة أحمد بن الفرات. تجربة مريرة ذاتها أعصابه .. يسبحها لنا. نترشدها حلوة ترتّب لها أعصابنا «تمشية الأمور على الخطأ خير من الوقوع بها عند الصواب».. حكمة نفس.. نفسها، ولا حاجة لمزيد!!
صر ليست كزجاجة المصور تجعل البياض سواداً، والسواد بياضاً. كما هي مجنحة أساتذتنا الراقي يرحمه الله. لقد أخذت هذه الصورة بريقة من ريش القلب، فإن تعبير العامة بقولهم ما بقي قلبه إلا على ريشة. هذا التعبير حلو فيه عزة للذين تخفق كل ريشة في قلوبهم. أما مثلهم: الحرامي على رأسه ريشة فالتصوير بها يعرفه الذين يخفون رؤوسهم. يخافون أن تظهر الريشة!

***

تعود البابا أن يصدر قرارات لحل الأزمات، أو لإثارة المشاكل، لكن أتباعه يسمعون له لأن مطالعة الزمن كما هي صانعة الأزمات تحل المشاكل...

لكن المشكلة التي أثارها البابا الآن، ولا أدرى ما هي أسبابها، هي إصدار هذا القرار بتزويج بابا نويل «سانتكرون». إنه بهذا القرار لم يصطدم بالرجال، ولا بالآباظرة، ولا بالسياسة فإن هذا سهل، وكثيرًا ما تخطاه البابا، ولكنه الآن قد اصطدم بالعواطف، بالأم والطفل، ومن هنا تأتي الصدمة، أو التصادم قوة سوف تنتصر على قرار البابا، والهذيمة بها ستعقبها هزائم لكثير من القرارات، لأن الأطفال، والأمهات لنطيعوا التخلي عن ذوي الفرحة في يومها المعين، إنهم سيتهم البابا بأنه قد أحل حياتهم إلى مأساة في كل العام. هم يعيشون أيام العام في كرب بين مشاكل الحياة وكل فرحهم في يوم واحد، إن المشكلة ستكبر. ست mensagem

كثيرًا من الأمهات والأطفال يفكرون بأن قرار المجتمع الكهنوتي بتبنيه اليهود هو قرار مرتفع ومغرض مثل هذا القرار. بابا نويل. تقليد غير أنه ليس من السهل تحويله إلى لا
شيء، وقد أصبح وهو لا شيء كل شيء في عاطفة الأم وبسمة الطفل! وهكذا الكهنوت يرتجل القرارات. ما أحسن الإسلام حينما قضى على الكهنوت، فليس فيه أحد من البشر يستطيع أن يتخذ قراراً تكون له قيمة الوجه. إن الإسلام قد دمر الكهنوت ليكون الإنسان سيداً لا عبداً!

***

• سألتني: هل سمعت الأغنية الجديدة لصداقة الأب الكاذبة «أم كلون؟!

- قلت له: إن تعامل 미 مع أم كلون ليس مثل الناس. أنا لم أذهب إلى حفل لها حتى وأنا في القاهرة، ولا أسمعها في أوقات أغنيتها، فإني أريد أن أتصدى للحرب منها حينما تمت الأغنية. أهرب من الجمع لخلا تختش أذهني بصوت آخر. أهرب من السماح الأول لتأفل أذهني هذا المعنى من نغمتها وصوتها، فأغنية «أقبل الليل» لم أسمعها إلا بعد أيام.

• من يهد الله فهو المهتدي.

قرأت أمس للدكتور مصطفى محمود في مقاله عن إعجاز القرآن كلاماً مؤمناً، بعضه تعرفه، وبعضه عرفت هو به. لم أكن قرأته حين كنت البوميات.

ومن فضل الله علي أنني إذا ما أعجبني شيء مادي ومعنوي أحببت أن أشارك إخوانى معى فيه.

والخير كل الخير أن نشركهم في قراءة كلمة مؤمنة، نؤمن بها ساعة «هيا بنا نؤمن ساعة».

لقد كان بحثه عن كثير، تخبرت منه ما كتبه عن العنكبوت.
قال: ومثل آخر، هذه الآية من سورة العنكبوت. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ فَلَا تَبْعَثْنَ بِهِمْ أَبْتَرَاءً وَلَا أَخْطَأَءً وَأَقَّدُمُوهُ لُيُحْكَمَ الْكَرَامُ ۛ وَلَا تَذْهَبُواْ بِعَجْلٍ (العنكبوت: 41).»

فهنا نرى القرآن يختار صفة التأثيث حينما يتحدث عن العنكبوت.

فقول: «كَمْ نَزَّلَ السَّمَاعُ بَيْنَنَا» (العنكبوت: 41).

وقد كشف العلم مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن.

والحقيقة الثانية هي وصف بيت العنكبوت بأنه أهون البيت. ولم يقل القرآن: خيط العنكبوت أو نسيج العنكبوت، وإنما قال: بيت العنكبوت، وهي مسألة لها دلالة، ولها سبب.

والعلم كشف بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثله من الصلب ثلاث مرات وأقوى من خيط الحرير، وأكثر مرونة، فتكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافيًا بالغرض وزيادة. ويتكون بالنسبة له قلعة آمنة حصينة.

فلماذا يقول القرآن: «وَيُغْفِرُ النِّعَمَ لِيُؤْتِ كُلُّ بُيُوتٍ ۛ بَيْنَ الْمَّخْطَأَةِ» (العنكبوت: 41).

فلماذا يختم بكلمة "لا كانوا يعلمون"؟

لا بد أن هناك سرًا!!

والواقع أن هناك سرًا بيولوجيًا، كشف العلم عنه فيما كشف لنا مؤخراً، فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأينة.
فالعنكبوت الأثني تقتل ذكرها بعد أن يلقحها... وتأكله... والأبناء يأكل
بعضهم بعضًا بعد الخروج من البيض... ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده
بعد أن يلفق أثناء ولا يحاول أن يضع قدمه في بيتها!
وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخأًا وكميناً ومقاتلاً لكل حشرة صغيرة
تفكر في أن تقترب منه.
وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يقتل ويلتهم.

إنه ليس بيتك إذن بل هو مذبحة يخيم عليها الخوف والترسق وإنه
لأوهنب البيت لمن يحاول أن يتخذه منه ملجأ.
والوهن هنا كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمثاقة والمعاناة، وهذا
شأن من يلحاً لغير الله ليتخذه منه معيناً ونصيراً.

كلام رائع ومؤمن نفرح به الراجعين إلى الحظيرة المسلمة، نقلته نصاً.
ولقد قالت الدكتور الطبيب الشيء الذي ينبغي أن يعرفه كطبيب ذو قرأ
التذكرية مثلاً أو كتاباً في الطب العربي القديم لوجد هناك ما يسمونه برؤ
الساعة.

فهم يقولون: إن الجريح نازف الدم لو وضع بيت العنكبوت على
الجروح النازف لشفى بسرعة.

وهذا صدق جرينهاء فوجدنا نجاحه، حبذا لو أن الأطباء يغولون بيت
العنكبوت بحشاً ففعلن فيه شيء من قوة «البستين» أو «مركبات
المليسين» أو الأقوى منها؟

 سبحان الله فهو أحسن الخالقين.

دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان، فقال له عبد العزيز وقد
قال الحبيب ببنهما: هل عشقت قط؟ قال: نعم، أمة لبني مدنج، قال:
فكننت تصنع ماذا؟ قال: كانوا يحرسونها متي، فكننت أقنع أن أراها في
الطريق وأشير إليها بعيني أو حاجي، وفيها أقول:
وقفت لها كيف تمر لعلني
أخلائها التسليم إن لم تسلم
ولما رأنتني والوشاء تحدرت
مدامعها خوفاً، ولم تتكلم
مساكين أهل العشاق ما كنت أشترى
جميع حياة العاشقين بدرهم

- فقال عبد العزيز: ويحك! فما فعلت؟ قال: بيعت فأولدها مديها.
- قال: فهل في نفسك منها شيء؟ قال: نعم، عقابي أحزان.

صورة من مجالس الأكابر.

عبد العزيز بن مروان أخر عبد الملك، فكان ملك الإسلام قسمة
بينهما، الخليفة في دمشق، وأخوه في مصر.

وحدث الشاعر الأسود السود بالولاء لسيده ومعتقد أهله جميعاً.
فقد كان عبد العزيز بن مروان حفياً بموالاته.

***

وهذه صورة أعجبيتي للحظتية في مدحه لألف شمس الذين هجا من
أجلهم الزبرقان بن بدر، سيد من سادات تيم، فالحظتية الهجاء قد واتاه
المدح فأحسن كل الإحسان يقول:
أتت ألف شمس بين لأي وإنما
أتهم بها الأحلام والحسب العيد
فإن الشقى من تعادي صدورهم
وذو الجد من لانوا إليه ومن ودوا
فإن غضبوا جاء الحفيظة والجد

- الجزء الثالث - القراءة كلمة.. ونصف
أملوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
ولكن قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

- صور ناضجة تؤكل ساخنة على مائدة تقدم الأطعمة دفأً. ذلفاً,
- يعني "كرض" صحن وراء صحن، بس "الحلا في الآخر".
- يحيى أن الأسد قد أصبح بوعكة. فзорاه السباع والروحوش، كل
- يمشي إلى عريته، ومن بينها أبو النجم الذنب.

وتحسس السرحان هل زار الثعلب؟ فعرف أنه لم يأت للسوا في
الأسد! فعد علي الكيد له. وكان غاضباً على أبي الحصين لأنه حرم من
عندههم يخطفها حينما صاح فات. فات لأنه خطف البنيك وجرى
يرفع به لبؤلك خارج الحدود.

وقال الذنب للأسد: مالي لا أرى الثعلب قد زارك؟ أكل السباع تزور

وهذا الخبر لا يزورك؟ يغر صدر الأسد على الثعلب.
وعلم أبو الحصين بمكيدة الذنب. فاغتصب خلوة وذهب إلى العرين
يقول: لقد تأخرت عما. ذهبت في الأفاق أيث عن دوا. فأظهرني
العطرون والجراخون يصفون لك الدم الحار والمخ الساخن من ساق
ذنب. تكسرها فتمص الدم والمخ.

وجاء الذنب يسأل عن الثعلب ويدكره بسوء. حتى إذا قام ضرب
الأسد ساقته فكسرها فامتص الدم ولحص النخاع.

وبينما هو يتلوي ويوعي، مر به الثعلب، يقول له: إن مجالس الكبار ينبغي
أن يلزم فيها الأدب، فلا خير في إنسان تفسده الحظوة، وتبطره بالتقريب.

***
الرجال أربعة:

رجل يملك الرأي يصدع به، ويطبق الرأي البديل يديه في حوار، أو يقنع به في هذا الحوار، كما يطبق هضم الرأي جاء من غيره ولم يجد له بديلًا من عنده، فهذا ممتاز.

ورجل لا يملك رأياً، ولكنه يطبق الرأي البديل منه أو من غيره، أو يهضم رأي الآخرين، فهذا جيد.

كلاهما يفعل ذلك أو يقبله بسماحة نفس ورجاحة عقل! فهذا مقبول.

ورجل لا يملك رأياً، ولا بديل عنده، لكنه يطبق تحمل الرأي من غيره، فهذا في حاجة إلى ملحق.

ورجل لا شيء عنده من رأي، لا يملك، لا يطبق، لا بديل. فإذا جاء الرأي من غيره تورم وعراض ورفض. فهذا راسب، وإن طفى في بعض الأحبابين، لأنه يرفض الذين يطبق الرفض لهم، ويصبح الأمة لمن هو في قوة إملاء الرأي.

- صور راعفة، راعشة، تسير إلى هدف. ولكنها لن تصل إلى غاية. فلقد قتل السامعون. وكثر الفعالون. وهز مماليعون. وفاز المفتعلون!

قلت له: إن لبنان يوم أمس كان "كمبوديا" العرب، مع فارق واحد.

في لبنان لا "سهانوك". وإنما يافر عرفات. في "كمبوديا" وجدت الحرب ضدها معارضة شديدة في كل مكان. حتى في الولايات المتحدة نفسها. من "فلبرات" وأعضاء الشيوخ إلى طلاب الجامعات، حتى وصل
الاعتراف إلى اللغة النانعة من فم «مايكل ستيوارت» وزير الخارجية في المملكة المتحدة "بريطانيا العظمى" سابقاً.

أما في لبنان فقد وجدت في مجلس الأمن عضوين يلعبان بسلطان القوة.. كأن الغزو الإسرائيلي قد خلط ليكون ذريعة. يصدر بها قرار في إيقاف القتال في كل المنطقة.. يعني إعلان الهدنة المفتوحة لتعيش المدافعين عن أرضهم وشرفهم.

كمبوديا أثارت العالم كله..

ولبنان أثار العرب بس!!

- صحف إسرائيل غاضبة تكيل الطعن على قرار مجلس الأمن الصادر بطلب انسحابها من لبنان.. حتى إنهم يصفون الدول الأممية على الميثاق بالهيئة والغفلة!!

دلال، وتفوق الأجراءء، إذا ما استمرأوا الحظوة عند من يخدمون من الأقوياء..

أما «أنا» فعلي كثير من اليأس من أي قرار صدر ويصدر من هذا المجلس.. لا لأن إسرائيل لا تنفذه.. ولكن لأنه المجلس لا يحرص على أن تتحتم قراراته.. ثم إن هذا القرار أمكنته له فرصة أن يتسع ليشمل الوضع كله.. كأنهم اليوم في شيء جديد طرأ ولا علاقة له بما طلبه قرار مجلس الأمن الأول القاضي بإسحاب إسرائيل من الأرض المحتلة..

قرار مريض.. لأنه ليس بالقوي ولا بالعريض الحازم..

هكذا.. كأنها السخرية من دول توقعه وهي التي تعطله..

- فرعون نادي هامان، أن بني له صرحاً للعَّلّه يطلع إلى إله موسى
وهارون... عصر الطغيان... وفسوق من عملية الوجدان.

لقد تمثل بكل قوة... فماذا جرى؟

أمله الله... ثم أخذ معايز معترد، فأغرقه في أشجار من الماء... لم يطلع إلى السماء، وإنما غرق في الماء... إنها عظمة... إنها عبرة... ولكن قل السامعون!!

الاحلام العضوية... هم المنبهات للنائم عن شيء حدث أو مشى، أو طرأ بجانبه، فإن هناك رسالة كهربية من هذا الشيء إلى النائم يخبره بنفسه... حراسة الإنسان، ووعي الإنسان!!

بجانبك فانوس أرخت فليلته فالتهب دخان من فساد أو خراب، فإنك تشعر وكأن حريقي شب بجانبك فتصح من نومك لتندافع الفانوس المدخن.

واليوم رأيت التلفون بجانبي قد تباعد، فلا جر بتم التهبة دخانًا... فصحت له، وجدته ضائعًا من الرقم أو الجهاز المستجيب لندائه الموصل لطلبه... فكلمت 3777 يعني الصيحة فوجدته خربيًا وأصلحوه...

هذا نوع من الأحلام... إحساسًا بواقع!!

***

وسيلة المخزومي عمر بن أبي ربيعة عن أيهما أجمل؟... عائشة بنت طلحة، أم سكينة بنت الحسين؟

وقد جمعهما الله زوجين تحت مصعب بن الزبير بن العوام أيام إمارته على العراق عاملًا لأخيه عبد الله...

- فقال عمر: عائشة أجمل، وسكينة أملح.
الجمال في البيضاء، والملاحة في الباسمينات والسمراوات.

العرب أهل الملاحظ، وإن لم يتب العقل عنهم الجمال.

- قال له: كيف تجب ولدك؟
- قال: أبذل جهدي في إسعادهم وتربيةهم وتقويمهم، ثم أحفظهم بكف الأذى عن الناس. أخاف عليهم أن يصابوا بما تجني يدي، أو يعمل لسانى.

ومصدق ذلك قوله تعالى:
الله وليقولوا قولًا سبيلاً (النساء: 9).

القول هنا يشمل العمل، وإنما "والله أعلم" قد خص ما يستصغره الإنسان، يوقفه، يمنعه من فعله. فالقول حينما يخرج منك ما هو إلا فعل. ولن تجد أباً يحب ولده إلا أحسن إلى الناس بدائع قوي. حتى إذا اشتد في موضوع تراجع عنه ما دام فيه إحسان!

- قلت له: لا تعجب من باطل قوم! إن الباطل لم يحكم فيهم إلا باسم الحق، فالحق عند المبطلين وفي دعواهم هو سبيلهم إلى الباطل يخدعون بأنه الحق. وما يدركون أنهم في الباطل!

- صور فيها من الحد بعض ما فيها من النظافة كما يعرفها الذين يحرصون على ما هو صواب إلى ما هو نظيف، وفيها أيضاً النزل العابث وكما يعرفه السافرون بكل الجد. بكل ما يؤدي إلى نظافة لأن هواهم أن يلبسوا الفسق والخذلان والانحلال حتى لتجدهم يفزعون منك إليك!
منك لأن تقرر فسواهم بالاحتفار، ويلك لأن إرهاقاً بفخورهما يرزؤهم فلا يجدون النفس إلا عندك بشيء من التعزية والتسليحة يتولهم أنها التغطية بينما هي غرزة قارصة لوجدان مهتم!

***

- وسمعت تحاورهما. قد لا يكون بآذني، ولكن يعني ناظرة تستكنه
ملاحم وجهين عاشا الكيد لك فإذا هما يتحاوران كيف نجوت منهما؟

- قال «ألف» لـ «ميم» كيف خرج من أيدينا «فلان» فكيل ما دبرت له بإذلالاً وأقصاء وطرداً ونكداً وإسقاطاً ابتعذ ذلك كله ولو تحمل بعض الإصابات ليقابلي بعدها باضماً لا يعاتب لا يحارب حتى رأيت اليوم استدجيه نظرة حانية لا ليسي فيها ما مضى مبنى إنما عله ينسني ذلك لا لأنني نادم، ولكن لائنا أشعر بأنني منهزم؟

- وقال «ميم»: أتعرف السبب؟ ذلك أنا كنا نحاربه بسلاح مادي، وكان يتحمل بعمق المعاني فيه وأصبحنا اليوم. نقتل أنفسنا بهذا السلاح الحادي، ونتقاتل به وأنا رأيت.. أما هو فأصبح يبعث الحبيبة فيما بسلاح جديد. من معانيه صفاً ورحمة. ولو غلبهما بابتسامة ليس فيها شماعة ولا إشفاق، وإنما فيها كلمة في وجدانه: الحمد لله الذي عانتنا مما أبتلي به كثيراً من خلقه!!

- صور عارية تكشف مضمونها رغم أنها سائرة مكنونها! تسأل ولا تستسلم رافضة أن تظل. ظالمة أن تهان، الظلم قد يكون الوسيلة الوحيدة لرد الإهانة. لأن الإهانة ظلم غريب لك دون أن يفترض النداء، أو يرحم الصداق، وإنما هو بما ملك من وسيلة لا يتورع عن الغيلة!
قال لي: هل للمرشوة عقاب؟!

قيلت: أنعني أن الرشيق واهل السحت، وأن المرتشي آخر السحت؟! هذا معناه قديماً، لكن العقاب الجديدة هي طغيان الرشيق على المرتشي يسلبه سلطانه. حين دخل عليه قبل أن يطيعه كان راحف الرأس، وحين بدأ يستعذب انخفض رأسه في حضرة راشية، إن الهيبة لأي محرك لأمر تسقط منه ولو أمام مطهية. كأنما العدالة يضعون ميزانها في هذا الحيزان الذي أخذها الرشيق سلطانًا فرضه على المرتشي. إن السراق الحتشل في أي طريق، والمفسدون في الأرض بالنهب والسلب قد ترعىهم قوة، لكن السراق بالرشوة يسبعون هذه القوة فعليتها!

* * *

الطفلة التي رفضت أن تخلط اللبن بالملاء فعصت أمها هي التي أنتجت الرجل الذي لم يخلط الباطل بالحق. الذي صنع العمل صناعة جيدة في جو أكثر عليه هذا العدل، كل الذين كانوا يشدون عمله بحضونته على الفقير لكنه أبي لأنه لم يعبا بهؤلاء المشاهدين من كل أمية لأن العباءة الفقير عليه هو أن يشهد الله يخلط الباطل بالحق. كان في تلك الصورة التي كانت عليها أمها. قالت لأمها: لن أخلط اللبن بالملاء إذا لم يشهدننا أحد من الناس، أو لم يميز ذلك أحد من الناس فإن الله شاهد علينا. كانت هذه الطفلة أم عمر بن عبد العزيز، وكان الرجل في كل ما صنع من عمل ابن جده عمر بن الخطاب. ابن جده عاصم بن أبي الألقح، كأنما لم يكن جده الحكم بن أبي العاص، ولا عمه عقبة بن أبي معيط. إنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.
ولنعمت فعل من خلال الأبطال، هي في صورة زاخرة، لعل فيها
ومنها ما يهوردها الرجال الصوابين للمرض والمرض.

تحدثوا: إن عبد الله بن الزبير بن العواء رضي الله عنهما، جلس إلى
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، في زورته إلى المدينة المنورة إبان
ملكه العريض.

- فقال معاوية لابن الزبير: إنني لأشكر إليك الحسن بن علي. ما
زارني إلا مرة واحدة.

- فأجابه ابن أسماء ذات النطاقين: إن الحسن يرضيك بظاهره، أما
باطئه فحرب عليك، لو شاء أن يطلق في العراق عليك مائة ألف سيف
لفعل.

- قال ابن هذة: أردت أن تغيظني وتغرني به. والله لأواسيه ولأصلن
رحمه. وفصلها أبو الأماك.

خليت في كسرى العرب، هي كما قال فيه عمر بن الخطاب رضوان الله
عليه، لا يؤخذ الأمر من فوق رأسه إلا إذا كان تحت قدميه، ذلك الذي
يضحك عند الغضب.

هذه الخلافة. الحلم، والحساب الدقيق، والنظر البعيد والصير على
ابن العم، والحرم حتى الصمامة، والعزم لئلا تكون النذرة. ساد معاوية
الأبطحية الدموشي الأموي الفرشي العربي. فساد ملكاً عريضاً، وساق
النهاية فتحاً واسع المدى، فأكمل الأمورين بالآليف شهر التسعين عاماً.
مائة وعشرين عاماً لم يذق المسلم ذلة من عدو. ولم يشب شعبي من دم
العربي.
وبعدها من عام 132 هـ، انحمر الفتح، وانكسرت أذن عربية، واستغولت مذاهب مارية، وقنطر حارقة. وقت السيف الطلائع العريقة، قواداً كباراً، وفرساناً مغاويراً.

لكن الوعود قد جاء حينما انحاز الإمام العالم يصوم السنة، واكب الفيلسوف على صناعة البيان والترجمة، وسن الفوالق في المعرفة والطب والرياض.

فتح في العلم، وابتعاد عن الفتح للهدية، أو الفتح للوحدة.

شيء جرى في سيرة الزمن، وصبرة الأحوال، ممن يومها.

العرب قد جلسوا يفتشون عن العودة إلى عهد جديد.

ولا جديد.

والجديد أن يرجعوا إلى ما أصلح أولهم، ليصلح آخراً.
مخلاة الكاتب

كشكول القارئ
المقدمة

والله تعالى أن عين الله عليه بـ. فدعامة الخير هو أن كان قارئًا وكان كاتبًا ومحدثًا.

وإذا هو ينعم بما نثر من هذه المخالا، وما أحب إلا أن تجد هذه المقالات

أكثر من قارئ يملأ كشكوله سواء ادخر أو ترك.

والخالة والكشكول، استعرضهما من الإمام العاملية فله كتابان باسمهما

وبداف التقليل لمثل من هو في درجة هذا الإمام من أمة التراث. والمخلاء

اسم يطلق على ما يخزن فيها صاحبها ما يعده للإنسان، وما أكثر أسماء

هذه المخلاء فقد اسعت اللغة الشاعرة بهذه الأسماء. المحفظة، الملف،

الجراب، المخية، الحمص، المزودة، الصفاء، الخرخ، الصندوق،

السحارة، الخزنة، الدولاب، الكيس، الشول، العباءة، المستودع، السعن،

العكة، الجفنية، الحق، الشنطة، الجفتية، إلى آخر ما هو أكثر، وهذه

اللغة يسمى بها ما تحلمه الجمال من البضاعة التي يجفونها. وقد استغوا

منها آل فلان عبئة لآل فلان أي النصير، فقد قالوا المطلوب بن عبد مناف
كان عبيبة لأخاه هاشم يجدون تصرفه ليتهم من ذلك أن أخاه التواب عبد
شمس وأخاه نوفر كل منهما كان عبيبة للآخر، أي تصرفًا حتى جرت الأمور
حين أصبح عبد شمس ونوفر عبيبة، أي معابة بما جرى من خلاف بينهما،
وعن العبيبة حفظنا هذا البيت من شواهد اللغة الشاعرة.
يمرون بالدهننا خفافًا عيابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائب
يذهبون إلى دارين يتضبون وجمالهم محملة.
وهذه المخلة لا أتخلى عنها وإنما أتخلى بها، فلا بد أن أجد لها
تصرفًا، ولا بد أن يذيعها من تنكر لها، فكثير من مواقي السلب تأتي برده
الفعل إيجابيًا.
والأمر من وراء القصد.

محمد حسن زيدان
الخير من خلال الشر منبثق

وكتبت هذا العنوان الخير من خلال الشر منبثق من شتر بيت تمثل به العرب ينتزعون من الشر باعث الخير، لأن الشر تمتد به يد عدو تباعث من الصحوة البقظة فلا يركزون إلى المجامع وانما هم يستقطبون لقوة الردع، فالمجامع وقتها قصير قد تنفع من الشاكرين ولكنها لن تنفع من الجاجدين أما قوة الردع فتنتصب بها قامة الشعب وقوام الدولة وقيم الوطنية، فالردع كيف يقطع رقاب الذين يعثون بأمن الحرم وأمن الحجيج وأمانة الدولة بلغ من الصعوبة أشدها. فإنه أيضاً صعب في أي مكان في أي شبر من هذه الأرض المملكة العربية السعودية فقد أرادت الفئة الضالة المضطهدة أن ترعى الحكومة قبل أن ترعى الحجيج. هكذا صور لهم الكهنوت، فإذا الأمر لن يكون على ما أراد. إنما مكان الصلوب للأمن بسيف الحق أزقه الباطل (إن الشيطان كان رهفاً) (الأسراء: 81) فئة من الشباب لم يأخذهم المذهب ليتركبوا الجريمة وإنما أخذهم الذهاب إلى وسوسة الكهنوت فأيما شعب يسلط عليه باسم المذهب الكهنوت يصبح وكأنهم علطوا الادراك فخدر العقل، فالكهنوت الذي أحال المذهب إلى ارتكاب الشر هو العذاب للمتهمهدين الذين يبسط الكهنوت سلطاته عليهم. إن هذا الكهنوت صرف أرواحهم وعقولهم عن أعداء الإسلام وفي فلسطين بالذات إلى أن يتصرفوا مع الذين هم على الذروة عرب وعلى القمة
مسلمون سواء الحكومة السعودية أو الحجيج الذي دخل الحرم آمناً فإذا
الضلالة ظن أن تجعل من أمر الحرم مكاناً للخوف والقزح.

إن هذا الشر أيظ كيان هذه الوحدة في المملكة العربية السعودية
حكومة وشعباً بل أيظ كل المسلمين فأعدم لم أن يكونوا المسلمكين بقوة
الردع لا تأخذهم في الحق لومة لائم قبل أن يكون هذا الكهنوت مذ كان
مذهبًا مكان التعامل بين كل المتمذيتين مستقماً يتعاملون بالتسامح لا
يعترضون على من اقترد إلى ما يتهم، وحين نبغ الكهنوت نبغ الإرهاب
لا خارج شعوههم فحسب إنما داخل شعوههم نفسه وأريد أن أطرح سؤالاً لو
نجرت قنابل في قم في جانب ضريح علي الرضا أو نجرت في كربلاء أو
حول ضريح الخميني نفسه لا يكون السيف قاتلاً للذين اعتدوا على قم,
وما إليها مما ذكرنا؟

إن هذا الشر أعطي خادم الحرميين الشريفين، الملك فهد، أن يكون
كأحد الملوك السابقين لعله عبد الملك بن مروان أو المعز الفاطمي،
فأحدهما قال وقد سبت يديه: «الذهب هنا والسيف هنا» يشير بكل يد فمن
مده بالسمع والطاعة واحترام القيم منحته ومن قال برأسه هكذا (معنى أنه
يتلوي) مكننا بسيفنا هكذا! فالسيف أصدق أنباء من الكتب وننقل أصدق أنباء
من الذهب، ولنسأل بعد هذه الجريمة التكرار في الحرم عن الصديق ليس
لحكمة فحسب وإنما لأمن الحرم نسأل هؤلاء مع أي فريق تتفقون فقد
وضع الحق فنهانك مثلان ضريهما القوي كل وما يصلح له، فإنبرطورية
قالت «من ليس علينا فهو معنا» وإمبراطورية قالت «من ليس معنا فهو علينا»
ونحن بعد هذه الجريمة نقول «من ليس معنا فهو علينا» وما يوم حليمة
بسر. وسؤال آخر إذ ترأ الذين في يدهم السلطان سلطان الكهنوت من هذه
الجريمة فهل أجريوا التحقيق وعرفوا الوضع وأحكموا الجزاء على من يمثلهم التهم بهذا الإجراء، وإذا صح أنهم صادقو في هذا الإنكار لهذه الجريمة فما هو موقفهم؟ ومن المهم من الذين هم منهم يهددون بالانتقام؟ إن البراءة من هذه الجريمة ليست كلمة تذاع وإنما هو العمل بمنع تكرار هذا الحادث وبرد الإرهابيين.

إن المملكة العربية السعودية حروماً وسياجاً ليس لديها الآن إلا القوة الرايعة سيفاً يقطع الرقاب ومقاطعة تهدي الخاطئين إلى الصواب. إن الحرم أمانة في يدي خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد، فما كان منه إلا أن صان الأمانة بقطع رقاب من أهدر كرامة الحرم. هذا الشر يجب أن يكون وسيلة لصنع الخير وما الخير إلا يقطن الدولة وصحوة الشعب وعمل السيف.
عن الفتنة...

 موقف الأئمة الثلاثة

وهذا العنوان لم أصل به أو إليه إلا من الاتصال بالواقع، فما أكثر الفتنة تبدو صغيرة ثم تكبر. فمعظم الناس من مستمغر الشرر، ويقود هذه الفتنة الذين لم يعابوا بما فرضه الإسلام، "دم المسلم على المسلم حر"، بل وتخريب الأرض المسلمة حين يتزعم الفتنة من يحارب إخوانه بينما يحبه على إخوانه في حرية عي أهل بهحسب أن يهلك شعبة، وليس فتانت اليوم جديرة فقد سبقتها فتنت لا تكاد تحصر ولكني وقد ذكرت موقف الأئمة الثلاثة الذين صبروا وصبروا فلم يخوضوا فتنت ولم يقودوا الفتنتين، فهذا الإمام دار الهجرة مالك بن أنس وهذا الإمام في مكة المكرمة الفضيل بن عباس وذلك الإمام في العراق أحمد بن حنبل كل هؤلاء الثلاثة برز لكل منهم موقف ضد الفتنة.

الإمام مالك الإمام المدينة المنورة إمام فقه الحجاز لم يكن هواه وقد أدرك آخر بني أمية إنما كان هواه بعض شيء علويًا ليس عن تشيع مذهبي وإنما هو عن تأثير المودة لشيخه عبده الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب والثاني جعفر بن محمد الباقر الملقب بالصادق، كلاهما كان شيخًا له ثم وهو من أهل المدينة المنورة يعرف
 موقف الإمام سعيد بن الصابي لم يساوي قلبه، وهو يعرف أيضا هيئة المدينة في وقعة الحرة بل وقد أصابه ضيما من المستور وعامله يركبونه حمارا منكساً من أجل ما ذهب إليه عن طلاق المكروه لا يقع، طالوا به طريق المدينة منكساً على حمار وهو يقول صادما على مذهبة «من عرفني فقد عرفني ومن لا يعرفني فأنا ملك بن أمر طلاق المكروه لا يقع» وما كان هم المستور أبو جعفر عن طلاق المكروه ولكن كل هم عن بيعة المكروه، كل هذا وقع على ملك، كل هذا شغل وجدانه، وبينما هو يرى رؤية العين قتن صديقه محمد ذي النفس إذا حث تأثر على المستور، كل هذا وما زال ملك يحارب الفتنة فقد قال «فترة ساعة شر من استبداد سنوات» فوقعت الحرب ورعي الكعبة بالمنحني والقتل الذي استمر بين المعارضين تلقى منه ملك درساً علما الشر من الفتنة، فباع المستور واتمر بأمره وصديق هارون الرشيد ونصبه له، مع أن هناك من الأسباب التي ذكرنا والتي يشهدها وهو السبب والناصر كانت تقدوته إلى الفتنة ولكن أنه لم يكن زعماً لكونه يرى نفسه يحمل صمًا إلى دخول الجنة. أما الذين يحاربهم وهم من أهل القبائل صور له الكهنوت أنهم خلال البد لم تشع لهم صلات ونسي صالح الإسلام، فالكنكنت قائد الفتنة فيما سي حق فيما لحق، وهو إن لم يقتل أعني الكهنوت فإنه يتعين من المسلمين لأنه يعدهم عنه. ألق مالك الموطأ استجابة للمستور ونصح هارون أن لا يبني الكعبة على قواعد إبراهيم، والإمام ومن كان مثله إلا صاحب سفيان الوردي وшибان بن عبيدة، كان يخاف الفتنة ويرى في هارون الرشيد أنه حز من بينه فسمعه تلامذته يدعو إلـو كانت لي دعوة مستجابة لطلب من الله أن يأخذ من عمره عشر سنوات يضيفها إلى عمر هارون الرشيد فقد نصح للرشيد حتى أبكا الله قوله «لا حسن الوجه في وجهك من النار» ما انصاع إلى الفتنة، فلو كان رجل كهنوت لاحتال على الأسباب ولو كان التائفة يحيدها إلى عقائد في
الشعب فيقود الفتنة، وما كان الفضيل كذلك، وعجب تلامذته من دعاهه
حتى إذا مات الرشيد واشتعلت الفتنة شعوبية، يقتل الأخ أخًا، ويقتل ولي
عهدته الذي فرضته الشعوبية عليه عرف تلامذة الفضيل ما كان يتوقع
الفضيل. أراد أن يطول عمر الرشيد لتأخر الفتنة لعله وقد قضى على
البرامكة أن يظل له نصر على الشعوبية.

والأمام أحمد ناصر السنة، قاهر البدعة، يجلد، يسجن، فإذا هو
الصابر لم يخرج إلى الشارع داعيًا إلى فتنة بل أخرج عن نفسه الحقد على
السلطان وأدخل على نفسه الحفاظ على وحدة الأمة فإذا هو يسأل الله قائلاً
لَو أن لي دعوة مستفادة محددة لصرفها إلى السلطان! عجب، يا أحمد،
هكذا أنت يجلدك السلطان وهو ينصر البدعة. ونجلد أنت وآنت تنصر
الساعة، فلا يكون منك إلا أن تدعو دعوة تصرفها إلى السلطان. هؤلاء...
ال ثلاثة ما كنت أحضر الهدى فيه وإنما حصرت نفسك لهم. إنهم ألقوا الله
خافوه فاضنعوا أن يقودوا فتنة، فما كان واحد منهم كاهنًا يقود الكهنوت
وإنما كان كل واحد منهم صادق الإمام، حاف على أمه أن تقاد إلى فتنة
فقد سمع ما وقع فخاف أن يكون من أحد الذين خاضوا الفتنة، رضي الله
عنهم.

واليوم نجد بعض الذين لم يسلكون السبيل الذي سلكه مالك الفضيل
واحمد. نذكرونهم لندكر بهم، لعل هناك من يثور إلى رشده، فقدم الألواف
من أهل القبلة لا تسفك في سبيل ما زعمه الكهنوت. وأن الإسلام الدين
الحق، لم تأخذ الفتنة منه شيئاً، فهو يقول بالحرب عليه، ينصرف الذين لا
ينقادون إلى فتنة ولكن المسلمين تأكلهم الفتنة كما أكلتهم آراء الاعتزال
والبدع ولكنهم المسلمون. تتفاوت بأنهم إلى خبر حين تكون الفتنة عن
قبل ضعف.
الدواء

وليس هذه غريلة تتساقط من غربالها ما لا ينفع. وإنما يبقى ما يصفو فوق الغربال نقتنيه نعني به قد يكون طعاماً لنا إن كان من الحنطة أو البقل. فالصوفة على غربال اليوم هي الوقعة أمام أنعم الله جل جلاله، فما أكثر نعمة على هذا الإنسان وإن تعدوا نعمة الله لا تحسوها. فالداء الخطر أحد أمراض العصر السرطان، تعالج بدواء قليل الشأن لا يعبدو به، ومرض المرارة يعالج بالفجل. هذه البقلة التي لا يأكلها إلا قليل من الناس الذين يكرهون الراحتة، يحترون الجلبيس فلا تتفو رائحة الفجل وما إليه إلى من يتحدثون معه. فلقد قرأت من قبل في إحدى الصحف أن هذا الفجل دواء ناجح لعلاج المرارة. داء خطير يعالج بنبات ما كنا نعتني به وما أسسه أصبح في الصيدلة حتى الآن. سبحان الله خلق الدواء وخلق الدواء. وتأتي إلى التحدث عن السرطان. فلقد قرأت خبراً في إحدى الجرائد أنهم قد وجدوا فعاليات علاج السرطان. ما هو، فهل حضرمو في الصيدليات؟ هل اكتشفوا كاليسيرين وموركبات الحيوانات التي قضت على داء خطرة؟ لا ليس هو في الصيدلة وإنما هو اكتشاف جديد ليس مادة عضوية من الأرض، ولا من المعادن، وإنما هو الحيوان الصغير الذي نسميه أبو جلبي، تأكل كأنه أحد الأخوة لل금بري (الربيان) فان الله العظيم الرحمن الرحيم خلق أبو جلبي فإذا هو دواء للسرطان. أنفس الأشياء تصبح في لحظة
أعظم الأشياء. فالنجل اليوم عظيم ما دام يعالج العرارة، وأبو جليمبو كذلك ما دام يعالج السروتان، ولعل شيئاً أو مادة لا نعرف بها تكشف بإلهام الله رب العزة والجلالة علاجًا لداء خطير. من كل داء أصبح الآن يسمى داء العصر. وهكذا ملاحظة، فهل كثرت الأمراض أم أن الاكتشافات عينت كل مرض وأصبح الأطباء والمكتشفون والصيادلة يعثرون على الدواء اكتشافًا أو تصنيعاً، وعن النجل أيضًا قالوا: إن الكلدان والفراعين أيضًا كانوا يعالجون به لكن الكهان في الشرق يكتملون الأسرار حتى خفي علينا كثير من الأسرار، فإذا المصادفة تفضح تكتم الشرقيين على ما لديهم من المعرفة.
تَلَفَّزُوا الأَيَامُ وَالْمَلَاحَمُ "١"

وَهذَا العَنْوَانُ عَنِ أَيَامِ العَربِ الَّتِي صَنَفَهَا الرُّواةُ عَلَى صُوْرَةِ المَلَاحِمِ،
فَنَلَّتُ كَانَتِ الْيَوْمَانِيَةُ لِدِيْهَا الإِلْيَاضَةُ مُلَامَحَةُ الأُوْلَيَةِ كَذَلِكَ إِنَّ المَلَاحِمَ كُلٌ
وَاحِدَةً مِنْهَا إِلِيَاءَ العَربِ، فَمِنَ الْمَلَاحِمِ عَلَيْنَا الَّتِي نَخْتَرُوهَا وَلَا نَعْرُفْهَا أَن
نَنَسِي مَا لَنَا مِنْ أَيَامِ بِيضٍ وَعَمَلٍ أَيْبِسٍ كَأَنَا نَحْنُ لِسَانٌ جَدِيدٌ وَفِكرٌ جَدِيدٌ
وَشُعَبٌ جَدِيدٌ لَيْسَ لَهُ عَرَاقَةٌ امْتَدَتْ مِنِ السَّاعَةِ الأُوْلِيَّةِ الَّتِي أَنْجَبَ فِيهَا سَام
بِنْ نَوْحٍ بَنِيهِ، فَالْعَرَبُ السَّامِيُّونَ قُحَطْانِيَّةً وَعَدْنَانِيَّ صَنَعُوا الْحُضَارَةَ عَلَى
الأَرْضِ سَوَاءٌ مِنْهُمُ الَّذِينَ تَعْلُقُوا بِوُثْقِيَةٍ الْكَوَاكِبِ "صَابِئَةٌ" أَوْ الَّذِينَ عَلَقُوا
وُثْقِيَةٌ مَا عَلَى الأَرْضِ حَتَّى الْثُّورِ "أِبِسٍ" وَحَتَّى الْجِلَالِ "الْخَنَافِسُ" وَحَتَّى
"الْهَرُّ" كَلِّ هُؤُلاءِ أَحَاطُوهُمْ جَهَلُ الْوُجْدَانِ.

وَلَكِنَّهُمْ أَحَاطُوا تَارِخُهُمْ بِكِلِّ الْوُجْدَانِ الفِكْرِيَ وَالْعَاطِفِيَ، كَلُّ هَذَا
نَنَسَى وَإِنَّ دُوْنَ فِي دِيْوَانِ العَربِ قَدْ نُقْرَاهَا، غَيْرُ أَنْ شَاعِرُ الْرَّياْبَةِ كَانَ تَلَفَّازِنَا
الأَوْلِ فَلَمْ يَلْخَلَّ تَلَفَّازِنَا الْثَّانِيَ عَنِ أَيَامِ العَربِ عَن مَلَاحِمِهِ مِثْلَ كَأَنَّا
كتَبْ قَصَةً وَلَمْ نَحْرُفْ عَرَضًّا أَيِّ مَلَاحِمَةً أَوْ أَيِّ يَوْمٍ أَهْدِيْهُ أُوْلَٰٰٓيْ أَبْعَعُهُ لِتَلَفَّازِنَا
وَلَكِنْا الْيَوْمُ وَلَهَرُ الْحَمَد قَدْ كَثُرَ فِيْنَا مِنْ أُوْلِي الْعَلَمِ وَالأَدِبِ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُوْنُ
أَنْ يَطُوْروْنَ أَيَامَ العَربِ وَمَلَاحِمِهِمْ لِيْحْضُوْنَ تَارِكِيْنَ مَا تَرَاكُمْ عَلَيْنَا مِنَ الَّذِينَ
فَتَنُوا بِبَقْصَاتِ الْعُرَبِ وَالْيَوْمَانِ بِالْذَّاتِ فَأَنْفَكُوا عَلَى الْعَرْوَايةِ أَنْ لَيْدِهَا قَصْصَاءٍ
وأيام العرب كانت مصدر معابة عند من لم يعرفهم أو مصدر دعابة عند
بنيهم من الذين فتناهم وقتلوا بقصة الغرب وبالإلياذة والأوبيسة، فالكارهون وصفوا
الحروب حين تقاتل قبائلهم بالهجمية، وأحسنت قلته إن تلك الحروب
القبلية كانت إرهابًا، مدرسة أكاديمية وعسكرية تعلم القبائل العربية من تلك
الأيام كيف يمسك بالسيف ويعمالي مع الرماح والسهام ويقتني ويتعتني
بالحصان حتى إذا سطع نور الإسلام وتحرك للفتح المبين وانتصر في
الغزوات وسار إلى الفتح العظمي وجد القادة والجندي والشجاع كنانيا تلك
الحروب قبلية قد أعطت الإسلام فارسًا جنديًا، فإذا إمبراطورية الفرس
وإمبراطورية الروم قد ذهبتا فخلاصت أرض العرب من المستعمرة، وتخلص
الإنسان من ساحل الخليج إلى أقصى الشرق ومن قناة السويس إلى أقصى
الغرب إلى الفردوس المفقود «الأندلس» كل هؤلاء تخلصوا من الوثبة
وأخلصوا إلى دينهم فأذا هم صناع الحضارة الوسطى التي أخذت حضارة
الماضي يونانية، هندية، صينية، فارسية، رومية، فإذا هي في بوتقة واحده
حضارة الإسلام بلغة العرب، إن حرب البوسوس لم يقتصر تأثيرها على أن
تغلبها ويكرأ القبائل الأخون قد شنت بينهما الحرب سنين طويلة بل امتد
تأثيرها فإذا ديوان العرب يمتلىء بمعلقات من الشعر ونثاثة ما كانت معلقة
إن هي أحسن من تلك المعلقات معلقة عمرو بن كلاوئغتيبة ومعلقة
الحارث بن حليزة بكريمة وقصيدة الحوار بن عبيد بكريمة، كل الثلاث
القصائد وأذينة من ربيعة الفرس ما تنقر لها المعطيون في عكاظ، فديوان
العرب عدناني في أكثره فلا أحد من هؤلاء أو هؤلاء أنكر ما جاء به
الأخرون، فهم عرب قبل كل شيء في هذا العرض أثرته مقدمة لأستعرض
بعض الأيام التي صنعت ملاحمة البوسوس - داحس والغبراء - أغوات -
ويثاب والفجرا وداحس والغبراء.. مواقف تغلب ومنازرة الحيرة حين دانوا
بالنصرانية حمامة بالروم من عدوان الغرس وكيف أن النصرانية أعجزت أتباعها من أن لم يكونوا مع قومهم العرب في ظل عقيدة التوحيد وتوحيد الكلمة ليكون منهم قائد فتح جندي فتح وإلى كلمة أخرى ثانية تستعرض فيها الأثر والتأثير لعلّما أثره من صواب أو ما يثار علّي من خطأ يثير شبابنا وتفارتنا لصياغة الأيام والملاحم يتلفظونها وليعرفوا أن شاعر الربابة كان كاتب قصة على صورة القاري وتصور المثقف لم يجد من يكتب ما كان ينادى على الربابة فل иностран تلفازنا شاعر رباية هذه الأيام.
تلفِّروا لنا الأيام والملاحَم . "2"

وما أريد من التلفزة لأيام العرب وملاحمها هو القصة والمعلقات والأسباب والرجال أريد ذكرهم وما نسب إليهم، ولا أدعو أن يكون ذلك على صورة التمثيل وصور الأبطال بتقصصها ممثلاً، فمن بعض المحاذيرين أن نترك ذلك أعلي إظهار الأبطال على صور فكل ما أدعو إليه هو أن تكون التلفزة بقراءة القصة ملخصة وذكر اسم البطل يتلفزة لنا صوت رخير يمسك بالربابة فإن لم يجدها أو يجدها فالكمان يغني متلفز واحد أو من يعينه على الكمان يقرأ ما كتب في القصة كيف نبغت حرب البيسو في وائل التي جمعت ربيعة الفرس فإذا هي في شمال الجزيرة وشرقها ولا أحد معها حالت دون أن يمتد نفوذ اللحميين المذؤورة وأن لا يستطيع الفرس أي خطوة في أرض العرب، ووائل بقضتها وتضيضها حمت جزيرة العرب بأسلوبين، أسلوب المقاومة للفرس ومن إليهم وأسلوب السداقية مع الروم حين اعتنقته نغلب ومن إليها ويكوك النصرانية، فالحرب بين الفرس والروم امتدت زمناً طويلاً، وبرحنا نقوله تعالى: "اللهُ عَزِّ الْأَرْحَمْ. ۚ غَيِّبُ أَرْمَىٰ. ۚ فِيهِ ۖ الْأَرْضُۗ وَهُمْ يَبْتَغُونَ عَلَىٰهُمْ سَفَّانًا. ۖ فِي رَحْمَتِ رَبِّكَ ۖ (الروم: 1 - 3)

أدنى الأرض العراق تدانت عن أرض الروم وأراد الروم أن لا يدين العراقي للفرس وبلغت وائل شأواً كبيراً وتغلبت تغلب على الشهرة فإذا كليبة
يُظم في وائل فاغتر بالعظمة حتى قتل البسوس قتل الناقة رأها ترعي في حماء فإذا خال ولده ابن عمه البكري جسوس يحمي جارته شنخة العربي فيقتل كلبها ولا يسأل أن ترمل زوج كلب أخت جسوس واسمها ليلى فثارت العرب يقول تغلب المهليل فإنا بكر تعصب لكن سيدا عاقلا ذا حكمة اعتزل الحرب إذ سمع من قال له: لقد قتل أت تغلب ابنا بجيرا فقال:
وكان سبق قيس بن عاصم المنقري حين تخلقه بالحلم، قال الحارث بن عباد: يصير: تعم القتيل أصلح بين الفريقيين، يعني أن ابنه بجيرا كفؤ لأن يكون هو التأبر مقابل كلب، سيد مقابل سيد، لكن صناع الفتنة قالوا له فقد وطاء المهليل وطأة المنغطرس يقول بجيرا وهو قتيل (بؤب شمس نعل كلب) يعني ليست كفؤا إلا لشراك تغلب كليب وسمعها الحارث بن عباد.
فأنشد قصيدته العصماء التي لا أدري كيف لم تكن من المعلقات:
كل شيء مصيره للرزوان غير رب وصالح الأعمال لنفتح حرب واثل عن حيال قربا مرتبط النعامة مني وإنى بحربها اليوم صالى.
لم أكن من جناتها علم الله إن قتل الكريمم بشمس غالي تملل البيد من رؤوس الرجال وقربوا فرسه النعامة وركبت الخيل فانصفت بكر من تغلب ولكن الزمن جعل بكرأ تشمل حتى أصير العراق إلى أرمينيا وجعل تغلب تتحصر في النصرانية لا تدين في الإسلام ولكن واثل لم تعصب فإنا شبان أهذتنا خمسة كل له مقام هاني بن مسعود صاحب ذي قاري انصرف على الفرس فأخبر عنها الرسول ﷺ: (اليوم انتصف العرب من العجم وله نصرنا) ثم المثنى بن حارثة الذي استغول في تخوم الفرس في جزيرة العرب فإنا هو يعلن
الجزاء يحمدها أبو بكر الصديق وإذا الحيرة تفتح ومع المحذى أخوه المعنى
ومع المحذى زوجه سلمى التي أصبحت بعد الحليلة لقائد القادسية سعد بن
أبي رقاص، والمشجع التي أطلقت سراح أبي محجن الثقفي، أما الخامس
فليس هو من الفرسان، فرسان الحرب وإنما هو ناصر السنة قامع البدعة
المحارب عن العقيدة الإمام أبو صالح أحمد بن حنبل. أليس كل هذا
يصلح للتلفزة ليكتب أديب، يقرأ شاعر رتبة على التلفاز؟ إن شاعر الريادة
في المقهى له تأثير كبير على قومية العرب، فما أكثر الأسماء التي تسمى
أيها العرب من أسماء أبطال الملاحم وملحمة عنترة وأبي زيد الهلال.
وسيف بن ذي يزن وذات الهمة كلها تشريف للعرب فتلفزوها لنا.
- إلى مصر - نصر العاشر من رمضان

حظين الرابعة

وفي هذا النهار وقبل أن نغيب شمس اليوم السادس من أكتوبر أخذت
أكتب عن نصر العبور فلم يكن لجيش مصر هذا النصر لمصر وحدها وإن
زهت به وذلك أن نصر. نصر الإسلام بسلاح عربي أمسكت به بد مصرية
وتمسكت مع مصر كل يد عربية عرفت ماضيها الأبض لجيش حاضرها
الأسود، فأغلب العرب شرق السويس كانوا رداً لجيش العبور.

فدمشق خاضت المعركة رداً ناصراً، أما المملكة العربية السعودية فقد
كان فيصلها الملك في مركز قيادة يشد الأزر للذين حاربا ويدعو إلى شد
الأزر من الذين ينبغي أن يحاربا وما يوم حليمة بسر. إن العاشر من
رمضان وكأنه الرابع من هذا الشهر، يوم بدر، الفتح المبين، أيام حظين
كلها ماضيات. ولن قلت إن هذا النصر هو حظين الرابعة فما تزلقت لمصر
وجيشها، فحظين صلاح الدين مصري مسلمية عربية، وعين جلالت
«إسلام» مصري عربية، وانتصار شجرة الدر وفي المنصورة أسرت لويس
التاسع كان نصرة مسلماً عربيًا لهذا كله أرق الملك فهد يهنى مصر إلى
رئيسها أحمد القادة في جيش العبور اسمه محمد حسن مبارك وكأنما الملك
فهد قد هنا نفسه لأنه كان يشذ أزر أخيه الملك فيصل يوم كان مع العبور
وللمعبور وعرفت الدنيا كلها ما صنعه سلاح مصر بيد أبنائها يخوضون البحر المشتعل بحجم نابل من التراب بناء اليهود حارجاً لجيش العبور فإذا كلمة الله أكبر استقطبت كل ما حولها بكل الحول الذي لها تدمر خط بارليف ليس بلبشبة ذرية وإنما هذه القنبلة عزيمة الإيمان بالله بيكلمة الله أكبر. لم ينفرد الجندي المسلم بها وإنما كان مع المصري القياسي فكانما الخبر قد صادق المعجزة «إذا فتحتم أرض القيط فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فإنهم من خبر أجناد الأرض»، خط بارليف قوة ماتعة لكنها لم تمنع عن كلمة الله أكبر، فإذا جيش مصر يعبر وإذا ضعفه اليهود يقولون للحبيل من الناس أنغونى إن الزلزال وأي زلزال أكبر من تحطم خط بارليف الذي جعل الدنيا كلها تعجب من ذلك حتى قالوا إن العرب أصبحوا القوة الثالثة، ولقد أمسك الملك فصل بسلاح البنور لا يطلب رصاصة على اليهود وإنما انطلق به قوة البنور على الدنيا كلها، فمصر قبل العبور وأيام العبور كانت عينها على المملكة العربية السعودية، وما دمانا تحدث عن الملك فيصل وقد كنت رسمياً لتحرير جريدة البلاد أصدر أمره إليها عن طريق السيد عمر السفاف لا تسخيم بأي معاية على النصر في بورسعيد تنشرها في الجريدة لأننا شركاء فيها، ولم يكن هذا تبرعاً من الملك فيصل وإنما هو حتم الوراثة، فنحن في هذا البلد كان قائد الفتح منه وجيل الفتح منه فهو لا ينسى أيامه البارق، لأن ليس كذابين يتناسون الأيام البارق، وإنما إنهم لا ينكرون من النهار الأسود فرضحكات الفرس لا تزال ساكنة تتناسى اليوم الأبيض فالعبور يوم أبيض كحاطين، كعين جالوت، كالمصرة، ولكن العبور نسيه حتى أحله بعد أيام ينضرون بعض الباخر ويقاتلون الأتراك والعرب اليوم ما زال الأمل فيهم كبيراً أن يثوبوا إلى رشدهم، فالحرب اليوم ضد اليهود لم تعد حرب كفاية قامت بها مصر وسانتها المملكة.
العربية السعودية، وإنما هي حرب عين على كل عربي، فالبيضة ما زالت تغزى، فاليوس القدس هي البيضة وأليست فلسطين كلها البيضة وجنوب لبنان والجولان بيضة وأحسب أن البيضة بدأت تأكل الذين تناوبوا، فالملك فهد في تهنته إنما يقول دعوني أرسل تهنتي لقومي العرب حين ينذرون أنفسهم من هذه الأيام السود.
كتب للبيع

والغزينة اليوم عن التفاوت بين الكاتب والناشر وعن النهافت من القارئ؛
على المكتبة، كما هو بين الأسعار المنافسة، في مكتبة سعر مرتفع وفي
أخرى يكاد يكون نصف السعر، وما تعودت أن أنشر الغسيل، ولكن الأمر
حين تتعلق بالكتاب والناشر والكاتب والمكتبة فلا محيض من أن ألمس
بطرف الشرح لهذا النهافت التفاوت. ولقد سألني أحد الصحفيين الباحثين
عن معايشتي مع بعض الناشرين سواء كان طالب الكتاب أو باع الكتاب،
فأجيبته باختصار دعتي على طريقتي أفتتح بالأصدقاء وإن لم أعانق
الأصحاب، فلست في حاجة إلى أن يكون علي من يغضب، فانا في حاجة
إلى الرضا أبتعد بذلك عن إغضاب أحد، بينما الوضع هو أن ناشراً قد
تكلفت الطبع فلا بد له من رد ما صرف والكسب من وراء ما طبع أو نشر.
ولكن المفارقة بين سعر الكتاب في إحدى المكتبات وسعره في مكتبة
أخرى، تقدمت أشتري أكثر من نسخة أنتي وأيدي، تقدمت أشتري الكتاب
مناقب عمر بن الخطاب للإمام ابن الجوزي، إذا هو في مكتبة اشتريت منها
ما لا أكتفي به، ولكن أكمل ما أريد ذهب إلى مكتبة، إذا سعر الكتاب
فيها يكاد يكون نصف سعره في المكتبة الأولى، الطبعة واحدة، والتجليد
واحد، ولكن السعر اختلف، فسعر النصف لم تبخص المكتبة بريحها. وسعر
الضعف اكتسبت المكتبة أضعاف الربح. وتقدمت أشتري كتاباً طبع في
خمسة مجلدات. فإذا هو لا يرتفع سعره، يصل إلى المئة، بل كان سعر
المجلد أقل من عشرين ريالًا، وسألت مكتبة أخرى فإذا سعر المجلد قد بلغ
الثلاثين ريالًا، وبصرامة فكانت الزيادة في سعر المجلد ثلاثة عشر ريالًا فلو
زدت عشرين ريالًا على ثم ن هذا الكتاب في المكتبة المعتدلة لاشترتها
نسختين. إن هذا الوضع يحرم القارئ من شراء الكتاب إذا اقتصر على
المكتبة التي ارتفع تسعيها للكتاب، ولقد تصرفت حيناً دونما تطرف على
صورتين: الأولى أن أتسعر الكتاب بأكثر من مكتبة لأحد الأقل ثمًا لو كنت
غير مولع بإهداء الكتب لما عنيت بذلك، والصورة الثانية على طريقة المزاح
مع الناشر والمكتبة، أن أجلس في الشارع أمام بيتني أبيع الكتاب الذي ألفت
أو الذي جمعت منهًا «كتب للبيع» لأنفخ من الخلاف مع الناشر الذي
يبيع الكتاب. ونحن يعاب علينا أن نستهلكيم، وهذا التصرف الذي
شرحت يحرم منقرأ ليصدق قول العائبين فمعذرة للناشر والمكتبة.
الأستاذ عزيز

أقاربه . ل أضايقه!

واستقرأت ما كتبه عنني الأستاذ أبو ضياء عزيز فوجدتهني أزهو بما كتب، فالعجبز الطفل فرح بهذه الحلوى أهداها إليه الأب عزيز، فالطفولة تفرح بالتدليل فإذا أنا بين بينين، بين تدليه ودليته، فكان من الواجب علي ومن حقه علي أن أتابضه واحدة بواحدة أتابضه بها ولا أضايقه بأي شيء منه فمن هو الأستاذ عزيز بل الصواب أن أقول ما هو ولكنهما السؤالان

(من، وما) يدعوان إلى المقاومة وبدعان المضىтика.

فأبو الضياء عشير طفولة ونديد رجولة وامتداد صداقة، كنا تلامذة في مدرسة واحدة لكنه كان الأصغر سنًا مني فأنا الفتى أتلامع وهو الطفل يلعب، كان ينفرد عنا ليتفرد بما يأمل، فلا تحسبوا الطفل خالياً من الأمل، فما سعت رجاء إلا لينال دعائم المعرفة ابتداء من ألف باء إلى ما لا نهاية مما يتألف من حروف العربية بأول أمره وما سيأتي من حروف اللغة الإنجليزية فإذا هو وبلغة العامة (الحرف) حين انفرد نفسه كان يتباعد ولا يبتعد وما كان ذلك عنا وإنما كان من المجتمع كله، فما رأيت بيننا تفلاً يشعراً بالعظموية التي يلبسها وله بحلو له أن أقول الأستقراثية، فلقد استمد العظامية من مثل العقد في نفسه، عقد البضيم من الأب لأن الأمومة
كانت في نظافة تربيته وطراء الحنان، كانت الأبوة والأمومة، فهو خريج
مدرسة الأمومة الحالية يرعاها كافعل الأب لأخوهه الذي كان عظامًا
بحق انتسابًا واكتسابًا. فلولا لم يكن الصيدلاني ضياء بك بارعاً في علمه لما
وجد مكانه رئيسًا للصيدلاني بين كثير من الأطباء السوريين، فلولا تمناعنا عنه
بالقومية لما كان بينهم رأسًا له شأن. هذه المدرسة الأولى أطلقت الأستاذ عزيز
لا يرسب بقيد العقد وإنما يقيد بكل الاعتقاد في نزعة اهتمامه فكان
جل همه أن يعطي مدرسته الأولى هذه أنها خرجته أستاذًا متفحاً للطليعة التي
زهد قاماتها وقيمها في مكة السكنية ليس أولهم الأسيرة عبد الوهاب
والسراحن حسين وليس آخرهم العواد وحمزة شحاتة. وما كنت في الأيام
الأولى فيهم ومنهم وإن صرت في تالي الأيام بهم كواحد منهم كما الأستاذ
عازر مدنيان. أعطيناها مكة ما كتبه الأستاذ عزيزعني وما أكتب عنه، ولكن
كان الواحد منهم الأستاذ عزيز فما ذلك إلا وهو خريج المدرسة الثانية ألا
وهي أنه كان معلم نفسه أتقن اللغة العربية بكد وجد فإذا هو كتبها
وفصيحها وأتقن اللغة الإنجليزية بعلم نفسه إتقاناً يتصدى لمدرستها في
الجامعات بل وتحيده الذين يمارسونها حين يتكلمونها فهو بينا أستاذ نفسه
لم يكن رهين محبب وإنما انطلق بالرهاك يبرز في الميدان عالمًا مثقفاً ثقافته
عالمية.

والآستاذ عزيز يدفع عنى أنني خطر الحرير من شنقة الرافعي حماسة
النذادة، غير أنى قلت عن هذه الصفة التي ألبسونا إياها قلت أتمثل بقول
سعد زغلول (هذا تهمة لا أدفعها وشرف لا أدفع) والآستاذ عبد الله عبد
الجبار لم يكن إلا معظماً لا باخساً ولقد سبه أمير البيان أبو غالب شكيك
أرسلان يصف الرافعي مصطفى صادق بأنه الجاحظ الثاني وهو يعني إشارة
البيان والنبيين لا موضوعية الجاحظ.
رحير ووصف للرافعي ليس أنه تأثر به فأنا لا شيء أمامه وإنما هو
وصف الدكتور عبد الوهاب عزام، في حين مات الرافعي رحية بكلمة (الرافعي)
نسج وحده لا يذكرك يا أحد ولا يذكرك به أحد) كلمة الدكتور عزام فيها
الرد على شكل أرسلان، وكلمة الأستاذ عبد الجبار فيهما الرد على الذين
وصفوني أذكر بالرافعي، وعجب الأستاذ عزيز حين ذكرت أدبي إسحاق
وخصوص بذلك الإمبراطور نابليون ومذبحة التي دك عن جوزيف فهو يعرف الليدي
هاملون كيف أجده قائد الأسطول الإنجليزي الذي سحب نابليون من غزو
الشرق الأوروبيد نيلسون وكيف هي عذبته، تهّب به تسخر منه في جمع
يعرفون قيمة البطل ويعجبون من باطل الليدي هاملون. وحين مات
الأمير عرفت هذه الأشي باطلها فتعتبرت، تموت مجنونة، وما له نسي
امرأة سقراط وما صنعت بالفيلسوف وأمراة تولستوي وكيف عذبته كاتب
روسيا الفجيرة. وعن الأستاذ أدب إسحاق أتى ترجمه فقد ترجمه له
صاحب الأعلام الزركلي خير الدين كما ترجعت له على الصورة نفسها
الموسوعة الميسرة. أتى الترجمة ليعرفها قارئه وأعلق عليها بكلمة في
الموسوعة الميسرة. ذكروا عنه أنه اتصل بجمال الدين الأفغاني في مصر
فأوعز إليه الأفغاني بأن يصدر جريدة مصر في القاهرة، فلو كان أدب
إسحاق المسيحي الدمشقي غير أرثوذكسي لما اتصل به جمال، فأغلب
نصائى العرب من الأرثوذوكس كانوا الوطنيين عربًا ما استقطبهم الاستعمار
الإنجليزي ولا الفرنسي ولا الإيطالي في مصر والشام والحبشة، كانوا
ال国民ين تعابروا مع العرب فما أحيا أن يعيشوا فيها وهم ليس لهم ولو
استعرضت أسماء بعض الزعماء من هؤلاء في الشام وفي فلسطين وفي
مصر لصدقهم ما قدّل، وإليكم ترجمة أدب إسحاق نقلًا عن الأعلام
ومقارنة بالموضوعة الميسرة، فالموسيوعة هي التي زادت ذكرت صلته بالأفغاني والشكر للاستاذ عزيز عضو طفلة، صديق رجولة، نديد كهولة عطرة على الطفل العجوز وإليكم الترجمة.

أدب إسحاق (1859 - 1885) م:
أدب إسحاق الدمشقى، أدب حسن الإنشاء له نظم، من مسيحي دمشق، ولد فيها، وتعلم في إحدى مدارسها، وانتقل إلى بيروت كاتباً في ديوان المكس (الجمارك)، ثم اعتزل العمل وتولى الأنشاء في جريدة (نشرات الفنون) ف журية (التقدم) البيروتية وسافر إلى الإسكندرية فساعد سليم النقاش في تحميل بعض الروايات العربية، وانتقل إلى القاهرة فأصدر جريدة يومية سماها (مصر) 1877م وعاد إلى الإسكندرية فأصدر مشتركاً مع سليم النقاش جريدة يومية سمها (التجارة) وأوقفت الجريدةان فرحل إلى باريس 1880م. فأصدر فيها جريدة عربية سماها (مصر القاهرة) وأصبح بعدها فعاد إلى بيروت، فعمد. وجعل ناظراً لديوان (الترجمة والإنشاء) بديوان المعارف في القاهرة، ثم كاتباً ثانياً لمجلس النواب ولم يلبث أن قال راجعاً إلى بيروت بعد نشوب الثورة العربية فتوفي في قرب الحدث (بلبنان). من أثاره (نزة الأحقاق في مصارع العشاق) رسالة (ترجم مصر في هذا العصر) وروايات ترجمها عن الفرنسية منها (رواية أندروماك) ورواية شارلمان (بالباريسية الحسناء) وجمعت مقالاته ومنظوماتته في كتاب صمي (الدرر).

مع المتنبي:
والمتنبي أحمد بن حسين شاعر الدهر العربي، شرق شعره وغرب وهو كأنه كما قال:
وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرنا أصبح الدهر مشدداً
ويحلو لي أن أغازل مع سيرته، عن شهرته عن تعاليه عن تنازله،
وأكرمه أن أقول استجداً فهو صاحب مفارقات، أفليس إنه إنسان تعتربه
المتناقضات، يعيش بها وفيها لتكون له أو عليه، وهذا العنوان «مع المتوني»
لست صاحبه ولن أكون صاحبه، فهو للدكتور العميد طه حسين ألف كتاباً
عن المتوني كأنما العميد أخذته الفضيحة اللغة الشاعرة لكتب عن شعره فلم
يجبأ بما ينبيه على المتوني بعض المتلسمين على شاعر الدهر، فبعض
الصريبيين يأخذون على المتوني ما قاله عن مصر، عن المصريين ولكنه لم
يذكر عن النيل شيئاً مع إنه ابن النيلات. والنيل والفرات عربان أخوان.
أستعود هذا العنوان، فأكتب، فالمتوني قد تعالي إلى درجة الغلو في قوله:
وأمّام سيف الدولة وسهام الدولة في مجلس حافظ:
سيعلم الجميع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

وبعد هذا البيت يتنازل قليلاً يقول:
يا من يعز علينا أن نفارةه
وجداننا كل شيء بعدكم عدم
وتأخذه الخفوانة يقول معترزاً:
إذا ترجلت عن قوم وقد قدروا
ألا تفارقه فالراحلون هموا

وحين يصعو يندش تنازله بل تغزله كان يسترحم سيف الدولة يقول:
أما لمسيف الدولة اليوم عاطباً
فذاك الورى أمضى السيف مضارباً
ومالي إذا ما اشقت أيصرت دونه
حنانيك مسؤول ولبيب داعياً
والصبي موهوباً وحبيب واهباً
أهذا جزاء الصدق إن كنت صادقاً
فقد كأن ذنبي كل ذنب فعلته
فقد مما الذين كل المجي من جاء تابعاً
فانظروا كيف تعالى أول الأمر وكيف تنازل.. وخاطرة أخرى أنقلها عن إعجاب الدكتور طه حسين بهذه الصورة الكاريكاتورية في هذه الآيات قالها العثبة وهو شاب قبل أن يرحل من الكوفة فقد مر إذا جمع من الناس وأهم متحملين حول شيء ينتظرون إليه فدخل بينهم ليبرى فإذا هم وقد تحلقوا ينتظرون إلى فأر ميت نفق من ضربة فخرج من الصف وأشهد:

لقد أصبح الجرذ مستغشياً
أسر المنشآء أسير العطب
وتأذ من جهة فعل العرب
فأيهمكما حز السلب
وأيهمكما كان من خلفه
فإن عضة في الذنبن

سخرية مرة على تكالب الناس من تواكلهم، وغرب شعر المتنبي، فإذا
أمر من أمراء الأندلس وفي مجلسه شعراء، أخذ يذكر المتنبي كيف أهل
الغرب لا ينسون الفخر بالمشرق فإذا شاعر يرتجل يوماً قائلاً: كانما هو
).. يعتاب الأمير أو يستجديه فقال:

لنن جاد الشعر بن الحسين
ربباً عجبباً بالغريب
ولن درى أنك تروي شعره لتألقها

استجدي ثم أثنى.

والمتنبي ما سرق شعر أحد لكن بعض المعجبين به يسرقون له فقد
أنشد هذين البيتين:

وما الناس إلا هايلك وابن هايلك
وذي نسب في الهالكيين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو في شباب صديق
قلت له ما هما للحتمي وإنما هما لأبي نواس وهكذا شغل أبو الحسين.

رايت الأخوان

سألتني طالب عن رايت الأخوان وتعودت ألا أبخل بالإجابة فطلب من ابني الدكتور سامي زيدان أن يترجم ذلك عن دائرة المعارف البريطانية أتشرها كفكر في صفحة الفكر.

رايت أورفيل (1871-1948) وويلبر (1867-1912) مكتشفان أمريكيان من رواد الطيران، أنجا في عام 1903م أول رحلة ناجحة بطائرة مدعومة بالقوة والتحكم، وكانت الرحلات نتاج الخبرة المكتسبة بواسطة الأخوان في مجال استخدام المعدات والطائرات في الفترة ما بين (1899-1902).

ولد ويلبر رايت بالقرب من مينفيلد إنديانا في 16 أبريل 1867م وأورفيل في دايتون أوهايو في 19 أغسطس 1871م. أبدى أبناء أستاذ كنيسة الأخوة المتحدين قدرتهم في مجال الميكانيكا ببناء آلية الطباعة الصحف وبناء دار نشر عملاقة - بعد عملهم في مجال الطباعة والنشر بعدة سنوات قاما بفتح محل لبيع وصيانة الدراجات في عام 1892م وقاما لاحقًا بصناعة الدراجات بنجاح.

بقراءة الخبرات الأولى أتو ليبينثال في ألمانيا والذي توفي في 1896م اختار الأخوان مجال الطيران. استخدم ليبينثال المثلوثات الشراعية. المعلقة، ثم التحكم بحركة الجسد في الاتجاه المطلوب لتحريك مركز الطفيف وقد رفض الأخوان هذا النظام وتبنيا الطائرة ذات الجناحين اللعينين - التي يمكن لقائها الانبطاح ووجهه إلى أسفل، وبعد عدة تحديثات تم
التحكيم بها بواسطة رافعة أمانية (لمتحكم الجانبي) بواسطة جمع الأجزاء المتحركة من الجناحين، وسيع فيما بعد بـ (المحول) وتتم استخدام المحول مع دقة عمودية لمعادلة انزلاق القاعدة. تم تسجيل براءة اختراع هذا النظام بواسطة الأخوين رايت في عام 1906م، واستندا في ذلك إلى كل مبادئ التحكم بالطيران فيما بعد، وبدعها حلت الأجزاء المتحركة من النجاح محل المحول.

بعد بناء ثلاث طائرات واستخدامها بالقرب من كيتي هوك بنيبورك فيما بين عامي 1900 و 1902، قام الأخوين بإنتاج تحكيم غزال للطيران، وفي عام 1903م قام بناء أول آلة تعمل بالمحرك، وكذلك قام بتصميم وبناء المحرك قوة 12 حصاناً بالإضافة إلى المروحه، وقاما بتجريثها بالقرب من كيتي هوك في 7 ديسمبر 1903م، وكانت الألة التي تحمل أورفيل برحلتها الأولى وكذلك أربع رحلات تعزيزية، أطولها استغرقت 59 ثانية. وفي 17 ديسمبر 1903م ومناسبة العيد الخامس والأربعين تم تركيب الطائرة رسمياً في معهد سميثسونيان في واشنطن دي سي. وقام الأخوين رايت بناء طائرة ثانية بالمحرك في عام 1904 وثالثة في عام 1905، وكانت الأخيرة بمثابة الطائرة العملية الأولى وكان بإمكانها الاتنف والدوران وكتابة الرقم 8 في الجو وإبقاء المروحه دائرة لأكثر من نصف ساعة في المرة الواحدة.

تم التوصل إلى اتفاقات تجارية وعسكرية معه في عام 1908م بشأن تصنيع الطائرات (المكتملة الجديدة) قام ويلير بعمل ثورة في صناعة الطيران بأوروبا عندما قاد طائرته قرابة الخمسة أشهر في أوفيورس (بالقرب من لاماس بفرنسا) وبدعها بالقرب من روما.

استقر أورفيل في عام 1908م بولايات المتحدة الأمريكية وجريب
Q9tyG d

( w Wv

>@9wyG I;M|

vvvvvvv

QvvvvvD"yG

vvvvvv

Ey9DyG ARGyG

vvvvv

)v yE hv y9v av yG A(v S >v =v Tv < KO9v I iOC Ev +v I ,Qv *9v | JQ(v p ,v p M9v Gv "v < &v @Qv F9v _
Bv Jv =v YCh M9v Gv "v < &v @Qv F9v _ HQv Fh ?v +v y9v Av yG ?v "v Tv yG ,v p Oh9v f &v "v wv yh Q9v =v Av L:G ?v *9v %v !
)v }v Jv < Qv =v zv *h ,v p(v @ .IOv Jv Av }v yG J9v *:(v yG ,v p )v yh}G ?v *Qv wv Tv gv yG IQv F9v av yG &v @Qv F9v _
&v @9v +v I ,v "v S ~v dv gv | {v +v pQhC )v ]v sh e1912 (v *9v | 30 ,v p f(v Av *GO ,v p Ov +v F(v qv +v Av yG
.e1948 Q*9"* 30 ,p f(A*GO ,p ,p(@h K9J<}G ,p


من فرغانة إلى غانة

وهذا العنوان ويليه آخر (من فرغانة إلى غانة) لم أخترع ولا أحاول السرقة له وإنما استعمره من صاحب مقامات الحربي، برحمه الله، فقد قرأنا هذا العنوان في واحدة من مقامات الحربي، حدد أرض الإسلام في وقته حيث قال: من فرغانة إلى غانة فتقت الصبر والجهاد من الشمال الشرقي، فرغانة في التركستان يوم كان التركستان قاعدة فتح، وقاعدة علم أهدتنا أرضه إنسانه المسلم على الذروة محمد بن إسماعيل البخاري، تعمده الله إبراهيم، وحدود الأرض المسليمة في الجنوب الغربي بهذا البلد الأفريقي غانة تعذبًة دقيقًا لا تترقب الجغراف، وقد يصعب لنا أن نقتله في هذا التحديد بأكثر من صورة، فهذا يمكن أن ينظر (من الفقهاء إلى الأوراد) من صميم الشرق إلى الذروة في الغرب أو تعدد من البنغال إلى البنغال شرقًا وغربًا أو (من كافتان إلى غمان) من الشمال إلى الجنوب وهكذا أرض الإسلام واسعة في آسيا وأفريقيا وحتى في شرق أوروبا، ففي روسيا البيضاء إسلام ومسلمون، فكم من أسرة لدينا من كاظمان يحملون لقب الكاظم وكيم من أسرة تحمل لقب القرملي الجزرية في البحر الأسود، كما في البلقان مسلمون في بلغاريا، وقد بلغت أزمة الترك هناك في هذه الأيام، وفي المجر وفلندا مسلمون، أما يوغسلافيا فكثير مسلمة في البوسنة والهرسك، فلدينا أسر تحمل هذا اللقب البسنو أو البصني والإيطالية، أسوق هذه المقدمة
لأنفي النهاية عن مجاهدي الأفغان، فليس المجاهد في الأفغان الذي يثير التركستان ولن أن أثار فهو المسلم يثير المسلم غير أن ما يجري في التركستان الآن هو الذي جرى في أرمينيا وأذربيجان وهو أيضًا كالذي يجري في لوناندا وإستونيا كما هو الذي جرى وانتصر في بولندا، فكل هذه الأقاليم من الاتحاد السوفياتي، لوناندا وإستونيا وبولندا وحتى في الشرق الأوروبي من تحرك صامت ما أثاره الأفغان وإنما هي ثورة التغيير في الاتحاد السوفياتي تزعمه جورباتشوف ولا أدرى كيف يتواءم التغيير مع الإغارة على الأفغان مع فرض الكتبت على التركستان لكنها ازدواجية السلوك الإمبراطوري. ماذا يضر موسكو لو أصبحت بخارى صديقة بدل أن تكون مستعمرة؟ إن حتم التاريخ سيضطر الاتحاد السوفياتي مهما حاول العصف وبخطوات الانفراج لا بد من أن يكون للتركستان شأن وليفرها كذلك، فقد يضعف المسلم ولكن الإسلام لن يضعف وإنما فماذا يشتد بالحرب عليه ولكن على المسلمين في أقاليمهم أن يعينوا كل مسلم دافع عن دينه وعن أرض مسجده.
إقبال الكريم.. واستقبال المكرمين

- يا خادم الحرمين ويا أبيها الملك فهد بن عبد العزيز:

أيتم إلا أن تكونوا حمامة الحرمين بخدمة الحرمين، فلقي الحمامة بعطني الذين لقبوا بهم الدفاع عن الحرمين الشريفين، فعلى من أخلص في ذلك الرحمة. أما أنتم - أيها الملك - فقد أفضحت عن الحمامة يلقب 

«خادم الحرمين الشريفين».

فالخادم لهذين المسجدين يعني الحماية والرعاية والبناء ونشر العلم

وافتتاح مطبعة المصحف الشريف في المدينة المنورة مدينة المصحف.

فمصحف ذي النورين هو مصحف المدينة. كأنما طبع المصحف في المدينة أوردت به أن كرم دار الهجرة، البلد الطيب، عاصمة الإسلام الأولى التي اعتصم بها العربي حين أسلم فإذا هو بقوة العروبة فيه وقوة الإيمان قد بني العواصم، شرقاً وغرباً فلقب «الخادم» إجابة كاملاً تعني أن السلطان والحكم والدولة قد وظفتهم للعمل النظيف والحماية الكريمة.

حين أقيمت على المدينة المنورة تشد رحال إلى مسجدها، ثم تُشرف
على ما اعتلى من البناء وما انتشر من العلم وما اتبعت من العمران، ثم تُشرف مُسلماً تتحمل في يده المصحف يطبع في المدينة. مدينة المصحف.
كنت بهذا الكريم، استقبلت المكرمون مرحبين وحامدين شاكرين.

- أيها الملك.

أخذتني هزة من المسرة، رغبت إليّ أن أكون الجذع أخب فيها وأضع. استقبلت خطيبة على منبر كنت أخطب عليه، مشاركاً أهلي يوم يحتفلون بك.

ولكن فاتني أن أرجى المنبر في يوم حفل. فلم أؤثر على نفسي أن أتخذ من القرطاس منبرًا، أكتب فيه خطابًا أنشر النخبة إكراراً وإجلاسًا لقدركم ولعملك.

فلكن كان للمدينة على هذا الذي فمن حق الولاء أن يكون لك ذين. الوفاء لليبيبة والصدق مع الولاية لا ينحرف عنها إلا من يتجاهل ما نحن فيه ليسمان عن شكر العطاء الذي أنت صاحبه. عطاء المسؤولية عن كل كيانك الكبير. بناء أبوك وصاحبه إخوتك وأنت الآن تصون وتزين.

- أيها الملك.

ظاهرة مشروعة أن تشد الرجال إلى مدينة النصر والإيمان فهي مأزر

الإيمان.

فالصحف كتاب الإيمان، كأنما أنت بإيمانك أحببت أن تعلن إيمانك حين تضع يدك تقبل المصحف قبلة تدعو بها قارئ القرآن أن يحافظ على القرآن.

- أيها الملك.

أجنبني أن أكتب في هذه الفرصة تاريخًا لأبتك لم يذكر، هو كيف استقبلته مكة استقبال ترحيب، لأنه لم يكن اللفكي الذي أهدرهها، ولم يكن
الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

الأمير الذي بني لأمه كنيسة فيها فأيمره فيهما مضى خالد القسري بني لأمه المسيحية كنيسة في البيت.

أما المدينة فقد كان أبوك عبد العزيز بن عبد الرحمن يكره أن تهدد المدينة. حاصرته جيوشه من الجنوب والشمال فكان لا تنقطع رسالته يدعو إلى احترام حرمة المدينة.

لم يرسل الكتاب فحسب، وإنما أرسل شيخ نجد عمر بن سليم، يرحمه الله، يتصل بالدويش يرحمه الله في الذروة والغبار، يشيئ ألا يمس المدينة بسوء، وزاد على ذلك. فلم يكتف بالرسالة والرسول، وإنما أحاط المدينة ببعضين، جيش في الجنوب يقوده إبنه عبد المحسن العزم، يطيع عبد العزيز فحال دون الكثير حين كان الغزم القريب من المسجد النبوي. وكان الدويش بعيداً عن المسجد. وجلس في الشمال بقيادة إبراهيم الشرمي. فأمره عبد العزيز رحمة بالمدينة وأهلها أن لا يضيق الحصار، يفسح المجال للرجال يبلغ عددهم أربعين أو أكثر يتمردون في الليل يحملون المสนใจ والأزرق إلى المدينة، ليتم صبرهم على الحصار. ولينقذ صبر الدويش.

لقد كان عبد العزيز وجوشه تحاصر المدينة هو الصوان لحرمتها.

إن عبد العزيز قد قتل التحدي وهو البعيد عن المدينة حين طلب من شاه إيران أحمد رضا بهلوي أن يسمح لمندوب يرى مآذن المسجد والقبة اصل حسابها للصحراء. فإذا عانقوا البطل وثقه البطل وعليه من رسول الرجال الذين كانوا له. بعددته أن مآذن المسجد والقبة لم تصب برصاصة فقتل التحدي وسمح لسفير إيران «شمس الملك» برافقه أحمد لاري، يصل إلى المدينة في سيارة محروسة برجال عبد العزيز يكتب للشمسي أن يكرمه.
وإن يسمح له بدخول المدينة، فدخل المدينة السفير، وشاهد المنارة والقبة، فوجد كل ما قبل كذباً، وانتصر عبد العزيز.

إن عبد المحسن العزم لو رمى حجرًا لوصول إلى المسجد، لأنه كان في العوالي، وكان بعض جنده يرددون إلى البقاء، يكتشفون - ويأمرون عبد العزيز - عرفين مرسلاً لأؤذي. كان ذلك تدبيرًا محكمًا من عبد العزيز، فالنشمي أطاع، فإذا المدينة ترقص والعزم حافظ.

وما كان ذلك إلا لتأتي شبانة عمل عبد العزيز وانفك الحصار.

وجاءت الدعوة إلى عبد العزيز تطلب منه أن يرسل أبناءه تستقبلوا المدينة لتكون تمام التكوين لهذا الكيان الكبير.

وفي التاسع عشر من شهر جمادي الأولى سنة 1344 هـ، وكان يوم سبت، استقبلت المدينة أخاك العظيم ابن العظيم محمد بن عبد العزيز، فلم ترَ قطرا دم، وإنما تسفر في الدم سلام واحتشال في الدم تمام الكيان الكبير.

ولعلني لا أعرف في المقارنة، فالفتح المبين لملكة تمت به وحدة العرب في ظل توحيد الكلمة وكلمة التوحيد، وتم للمدينة كواقع في مقارنة التاريخ لا في التفاصيل والتماثيل، تم لها أن تكون أخت مكة فائقة الوحدة للجزيرة العربية كيانًا كبيرًا.. المملكة العربية السعودية.

مقارنة يحتمها واقع التاريخ. وإذا فله العزة ولرسوله كما يمن الله بالعزة على المؤمنين إذا ما نصرنا واقتنا واعترنا.

- أهاب الملك.

هذا واقع التاريخ لا أفعله وإنما أفعل به.

أمد الله في عمرك ووقاتنا الله شر النافعين وشرور المعتدين.
ذكرت فأكبرت.  كبرت فشكرت!

- ونوقف صاحبٌ أمامي عليه لا يتحرك قلبه من غرابة العنان قلت له:

لماحا.. آلان العنان غريب؟! اسمع قليلاً لتنسيب معي صبرًا. إن اسم خالد هو حفيد معاوية بن أبي سفيان وسلطان هو حفيد عبد العزيز ابن عبد الرحمن، كلاهما عريق في العروبة. أضاف كل منهما إلى النسب الارتفاع بالحسب.

ذكرت أول رائد في علم الكيمياء. خالد بن يزيد، فإذا بي أجد

سلطان ابن سلمان رائداً ثانياً من رواد الفضاء كلاهما رائد من رواد العلم.

فيوم انطلق خالد لا يحبج لقب الأمير أمويًا عبشيًا عن العلم فجلب العلماء من اليونانيين والرومانيين ترجموا له فأخذ عنهم فكان أول كيميائي في العرب. وقال أشياخ من أمية ومن غسان وبهراء وكلب ما بال هذا الأمير يعشق القراطيس فإذا قولهم قد انتحى حين بدأ مجد العلم وتاريخ العلم يلقب خالد بن يزيد. «حكيم قريش».

فهذا العربي حين يجد المجال لا يتأخر عن النفوذ.

وسلطان بن سلمان في العروبة عريق لم يجح للبلدبا ولي ضرفه
اللقب عن أن يكون طياراً ثم ليكون رائد فضاء فقال بعض قومه.. هل يصعد سلطان إلى الفضاء، استأجر كرسيباً في السفينة.. يتنزه؟!.. ولكن قولة التاريخ أنها ما قالتا كما هو الشأن في خالد بن يزيد فإذا الإذاعات والتلفاز وكالات الأخبار والصحافة عربية أو أجنبية أوضحت لنا أنه طاب علم يريد أن يستزيد من العلم ذهب إلى هناك يتدرّب أقسى التدريب في صبر وعزيمة.

ذلك فعل الطموح.. ذلك عمل التفوق.

وإذا معه فريق من علمائنا اختارتهم جامعة في "هجر" كأنما انزعت عرق عمرو بن كئوم، اليمامة أو أن جامعة البترون والمعادن قد تشرخت لابن اليمامة.

بغ يخ.. أخرجت جامعاتنا العلماء، أمست جديراً بأن أكبر وأكبر لأشكر؟

إن العلماء الذين أحاطوا بسلطان شرفت بمعروفهم على كل منهم بصمة الكيان الكبير.. كلهم عربي سعودي وعلمي أهتم فرحاً بهم جميعاً لكني أعتز بواحد منهم أنا خالد وهو الدكتور حزمة خضر عمر.. ورجاء أتقدم به إلى رائد الفضاء سلطان بن سلمان أرجوه أن يصور جزيرة العرب أو جزيرة مدغشقر أو كل القارات وما عليها مما صورته الجغرافية الطبيعية.. فهل بعد ذلك نجد أن صور هذه الخرائط بالاكتشاف الفضائي قد يطرأ عليها تعديل أو تغيير لجزيرة أو خليج أو نهر.. أو بعض الضرائب؟ فإن الخرائط التي بين أيدينا من زمن قد رسمت بالتبني والمشاهدة فلم نسمع أن قمراً صناعياً أو سفينة فضاء قد نأتينا ببعض التغيير.

إن مجد القدماء في رسم هذه الخرائط لن يخدش إذا ما صورت سفينة الفضاء بعض التغيير.
نحية لكل عالم ليست مبنيًا، فأننا أقل من أن أعطى و وإنما من بلد المسجد جامعته علم حين انتشر علمه، كانت قواعد الفتح قواعد العلم، ونحية مبني خاصة أستطيع أن أعطيه لهذا الرائد الأمير سلطان بن سلمان أداء شكر لما نتال كما هو الشكر لوالده، خاصة، وأنه يعرف لما أشكره ذكرته فأكبرت، وكرت فشكرت؟ فنحن جبل النجد فرحتنا بالقليل، فكيف لا نفرح بالكثير؟ لقد كتب هذا بأسلوب البداوة ألقاهري حضري على هذا الأسลอง.

سلاح الفضاء

- وما دام الشيء بالشيء، يذكر فقد أصبح سلاح الفضاء المشكلة الأولى بين إمبراطورية البيت الأبيض وإمبراطورية الكرملين. فالاتحاد السوفيتي يعارض "حرب النجوم" والولايات المتحدة مصرة على ذلك.

شيء معلوم لكن بعض العجيب ما سمعناه من تصريحات وزير الدفاع الأمريكي فهو يقول: إن سلاح الفضاء ليس هجومي ولكنه دفاع يدفع القنابل النووية، فلا يوجد حجة للاتحاد السوفيتي في رفض ذلك.

ولكن كمفعل لا بد أن أطرح سؤالاً، إن هذا السلاح ستملكه الولايات المتحدة الأمريكية ليدمر أي هجوم عليها، أو أي عدوان يوجه إليها. فهي بهذا السلاح ملكت الأمن لها بأن سلاحها سيدمر أي صاروخ يوجه إليها، يعني ذلك أن الأسلحة المدمرة من هذه القنابل النووية بتقى مصونة في الولايات المتحدة بينما سلاح الاتحاد السوفيتي يصاب بالتعطيل أو التدمير.

من هنا أكاد أزعم أن الاتحاد السوفيتي يشتد في اعتراضه لأنه لا يملك المثل.
سلاح الولايات المتحدة لا يدمر، وسلاح الاتحاد السوفييتي يخضع
للتدمر فلنكن تصريح الوزير الأمريكي داعياً لإقتناع الولايات المتحدة بل
يدعوها إلى التشدد أكثر.

***

الرفض

- إسرائيل أعلنت رفضها لأي مفاوضة يشترك فيها الفلسطينيون سواء من
منظمة التحرير أو من المجلس الوطني. فهذا الرفض لم يعد مشكلة
المفاوض العربي بقدر ما هو مشكلة الولايات المتحدة الأمريكية، لأن
واشنطن رضيت بالمفاوض الفلسطيني وإسرائيل هي التي ترفض. فالعرب
بدأ انتصارهم، لأنهم تحولوا من السلبي إلى الإيجاب فتحولوا إسرائيل إلى
الرفض، لا ترفض العرب كمتفاوضين وإنما هي ترفض أسلوب الولايات
المتحدة.

إن اعتراف منظمة التحرير بمشروع فاس وبقرار مجلس الأمن 242 كل
ذلك يعني أن ما تدعاه إسرائيل من الميثاق الفلسطيني ما هو إلا التمحل
والعناد والرفض.

مرحبًا بهذا الأسلوب من اليهود، تفرض عليهم العزلة، وإن لم تغضب
الولايات المتحدة الآن فإن أوروبا بدأت تحمل الغضب وسيحمل ذلك
الولايات المتحدة على صون هيئتها. أوليس الصحيح بقريب؟

لكن المعجز للمفاوض العربي هو أن رفض بعض العرب لهذا
الأسلوب فيه قوة لموقف إسرائيل لكنها لن تكون أقوى من غضب أوروبا
والولايات المتحدة والأكثرية من العرب.
أما الاسم الذي اتسم بالمهمة الشاقة ردفاً لسلطان بن سلمان فلم ينى
أحسه قد أنشد قول الرصافي:
فخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسباً جديدا
وشر العالمين ذو خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

**

صنورة

- البخيل جبان والجبان بخيل. فهل البخيل جبن أم أن الجبن بخيل؟
كلاهما شيء واحد. البخيل عند الوجود لكنه يعيش العدومن شدة حرسه
على صن الموجود، والجبان يخف الموت بينما هو يعيش حياة ذليته،
فالوجود في حياته عدم يهدره به كرامته.

وقد قلنا من قبل .. البخيل شح بما تملك، والحسد شح بما لا
تملك.
من هم الفلسطينيون؟

سؤال مطروح يفترضه الطغيان ويفرضه العرب، فالمغرب - أعني اليهود - يحرضون على حرقان الفلسطيني من عرويته ومن كنعانه العربة.
أما العرب فقد اكتفوا بالواقع، فرض على الدنيا كله أن فلسطين أرض العرب. ولم أجد إجابة عن هذا السؤال إلا عند أستاذنا الدكتور مروف الدواليبي. تحدث إلي عن الفلسطيني جديدًا مقتضاً فدعاني أن أقرأ ما كتب وما حقق في كتابه "دراسات تاريخية عن مهد العرب وحضارتهم الإنسانية" فوجدتني أفهمن من صاحب التفهيم لأجد العلم في هذا الكاتب يكتب علامة من أعلام تاريخنا. هو معروف الدواليبي. ثم وجدتني مرة أخرى أشعر بحاجة الأستاذ في المدرسة أو في الجامعة أو الصحفي وحتى المنقف إلى أن يقرأ هذا النص، أنقره كاملاً. استمعه، فلا يتعيني أحد بذلك.

والبحث الذي نقلنه كاملاً جاء في صفحات من 125 - 133 تحت عنوان "كلمات من التاريخ العربي الضائع: من هم الفلسطينيون؟".

كتاب الأستاذ الدكتور الدواليبي:
خلال استماعي في العام الماضي إلى إذاعة لندن العربية استمعت مرتين، وفي مرتين إلى جواب واحد على سؤال كان قد وجهه بعض السكان من أجانب وعرب يسألون فيه: من هم الفلسطينيون؟ ولقد أجبت
الإذاعة اللندنية على ذلك السؤال حينذاك، وعلى لسان المختصين في المرتين. وفي برنامج «السياسة ما بين السائل والجيب» فيما ذكر وقالت ما خلاصته: «إنهم شعب هاجر من مناطق بحر إيجه ومن اليونان بعد أن طردتهم القبائل الإغريقية من تلك المناطق، وكانوا يعرفون بالفلسطينيين، فنزلوا سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي ثم اشتك من اسمهم اسم فلسطين المعروف حتى اليوم».

ولقد استنكرت في نفسى هذا الجواب المبتو، لأنه إنما عبر عن فترة ليست الأولى ولا الأخيرة من تاريخ فلسطين والفلسطينيين، مما قد جعل السامع يعتقد أن الفلسطينيين غرباء عن هذه المنطقة الكنعانية العربية، وأنهم لولا حداث الهجرة لما كانت هناك اليوم أخذ عن تاريخ هذا الشعب الفلسطيني العربي وصلته بهذه الأرض الكنعانية العربية قبل حادث الهجرة.

ولقد ذكرت ذلك في حديثي لأحد إخوتنا من الكتاب الفلسطينيين، ورجوت أن يكتب إلى الإذاعة البريطانية: «القسم العربي» بالجواب الصحيح الكامل، وذلك بعد أن أحسنت على المراجع والدراسات الحديثة التي أكملت النقاش الذي وقفت عليه الإذاعة البريطانية. ولا شك أن المجيب على الموضوع في الإذاعة البريطانية لم يطلع بعد على هذه البحوث العلمية الجديدة، كما أن من قد رجعته بالكتابة إلى الإذاعة البريطانية لم يستطع الحصول على المراجع التي حدتها له ولقت نظرة إليها.

ولذلك رجاني مراراً بعض من سمع مني الحقيقة في هذا الموضوع، أن أكتب كلمة وافية فيه، وخاصة في هذه الفترة من الزمن التي شغلت العالم بمشكلة فلسطين والفلسطينيين. وها أنا ذا نزولاً عند هذه الرغبة الكريمة أكتب هذه الكلمة الموجزة الوافية بالغرض، إن شاء الله، لأسمهم.
ببعض الواجب في هذا الموضوع الذي أصبحت معرفته ضرورة ومن المستلزمات التاريخية للتعريف بالقضية الفلسطينية والفلسطينيين، وذلك بدليل تكرار السؤال عنه إلى الإذاعة البريطانية.

وأرجو أن أتمكن من نشر سلسلة من الكلمات تحت عنوان "كلمات من التاريخ العربي الضائع"، وهي كلمات: الفلسطينيين، الإتروسكان Les Etrusques، المرود Les Buniques، البوصولوس Les Maurs، السوارزاني Les Tyrreniens، والبحر الرياني La Mer والشريان Les Tyrreniens وشريان 8/7 Sarasins وعلاقة هذه الكلمات الأخيرة بجزيرة تيران Tirana، ومن وضيق تيران وجب تيران في الحجاز وشواطئه من جزيرة العرب.

وها أنا ذا الآن أتابع الكلام حول الكلمة الأولى: "الفلسطينيين". ومن حيث ابتدأت الإذاعة ووقفت لأضيف عليها خلاصة ما جد من بحوث علمية عن الحقيقة التي لا شك فيها.

إن "الفلسطينيين" - كما ذكر في البحوث التي وقفت عندها الإذاعة البريطانية "القسم العربي" - هم فرع من هجرة الأقوام "الإيجيبية" أو "المينية" بعد أن قضت القبائل الأغريقة الأخية على دولة "ميتية"(1) في حدود 1200 - 1100 قبل الميلاد، فنزلوا في ساحل بلاد كنعان الجنوبية المعروفة اليوم باسم "فلسطين" اشتاقاً من اسمهم. وكان "هيرودوت" المؤرخ اليوناني المعروف بأبي التاريخ، هو أول من استعمل هذا الاسم لإطلاقه على تلك الأراضي الساحلية من بلاد كنعان. بعد أن نزل فيه "الإيجيبون الفلسطينيون".

(1) نسبة إلى أحد ملوك جزيرة "إفريقيا"، كريت اليوم المسمى (ميثيس). نظر كتابًا المدخل إلى التاريخ العام للقانون، الطبعة الثانية 1963، مطبع دار الفكر بمدینة الصحفات (108، 626، 627).
وأقاموا فيه خمس مدن هي عسقلان، أشدود، أكرون، جات، غزة، كما كنت تقلت في كتابي "المدخل إلى التاريخ العام للقانون" الطبعة الثانية (1).

ولم تذكر لنا هذه البحوث الأولى شيئاً عن هؤلاء الفلسطينيين، غير أن عودتهم إلى هذه المنطقة واستقرارهم فيها دون غيرها، يدل على أنهم إنما خرجوا من هذه المنطقة ضمن "الهجرات العربية" القديمة فيما قبل التاريخ الذي امتد على إفريقيا الشمالية والبلقان وإيطاليا وإسبانيا، وعرفت بأشكال موجات أقوام البحر الأبيض المتوسط كما صرحت به المراجع الأثرية الحديثة (2). فهم إذ قد عادوا إلى مواطنهم الأصلية من بلاد كنعان العربية، وأنهم كنعانيون لا شك فيهم، وهذا ما علقت به على تلك البحوث التي تلقتها أولاً كما هي، مؤمناً إضافة تلك التعليقات على الطبعة الثالثة مع جميع أدلةها التي تحمل على الجرم بدوره وآصالتهم في هذه البلاد.

غير أنني لم أكد أنني تلك التعليقات الخطية حتى وصل إلى يدي كتاب "الأيلامسيون في غربنا وفي أصولنا الفرنسية (3) لمؤلفه البحاثة الأثري الفرنسي "هيليردو بارانيون" وإذا بهذا البحاثة يؤكده في كتابه ما انتهت إليه ويفوق أولاً إن "الأيلامسيون" هم فرع من الفينيقين السوريين (الصفحة..."

(1) موسيوعة تاريخ العالم، وليام لنجر، الجزء الأول، ترجمة عربية، الصفحة 65، وكذلك كتابي السابق (المدخل إلى التاريخ العام للقانون) الصفحة 527.
(2) مجلة البحوثات الأثرية الشرقية. المجلد السابع سنة 1957م، الصفحة 4، وكذلك كتابا (المدخل إلى التاريخ العام للقانون) الصفحة 176 الطبعة الثانية.
وقد كنت انتميت إليه من أن عودة الفلسطينيين من جزر إيجي إلى هذا المكان.
وان هذا المكان هو موطنهم الأصلي المخصص جزء منه لتدريب الجنود
и إقامتهم فيه. ولذلك عادوا إليه، فهم إذن عرب لا شك فيهم. فهم
كنعانيون فنيقيون سوريون، وأنهم ممن اتخذوا الحرب مهمة لهم وأنهم
برموا فيها حتى سموا باسم "عمالقة" من الفينيقيين. وأنهم هم "الجبارون"
الذين عناهم القرآن الكريم.
وبناءً على كل ذلك نستطيع الآن أن نحدد معنى كلمة «الفلسطينيين» وهويتهم إذا أردنا الدقة التاريخية واللغوية، وأن نقول، إنها تعني «العمالقة» من أصحاب البأس في الحروب، وأن ما توصل إليه الباحث الفرنسي من معنى الكلمة وأنها تعني (الجنود والمحاربين)، فهي لا تعني بالضبط إلا العمالقة» بلغة التاريخ، وإلا «الجبالين» بلغة القرآن الكريم، وأنهم ليسوا هجرة طارئة على البلاد من قبل شعوب مجهولة الأصول. وإنما هم بلا شك من أبناء البلاد العربية الأصليين، ومن الكنعانيين الفينيقين السوريين الذين كانوا يقرون الهجرات كجنود ومحاربين يحمون الأراضي التي نزلوا فيها. ويدافعون عن خرج معهم لمهمات حيوية وحضارية، كما كان شأن الهجرة إلى شبه جزيرة اليونان والبلقان. وكما نص على ذلك مؤرخ اليونان الملقب بأبي التاريخ «هيرودوت» في الكتاب الخامس من تاريخه حيث قال فيها: «والآن نذكر أن الفينيقين الذين جاءوا مع قدموس قد أدخلوا معهم إلى اليونان صناعات كثيرة متنوعة، ومنها صناعة الكتب، ومازالوا يحسبونها بالفينيقية» إضافةً لمن تقلوا إليهمٌ(1)، وكان معظم اليونان يعتقدون أن عنصر كثيرة من حضاراتهم قد جاءهن من مصر وفينيقية(2)، وكما تعزو قصصهم نشأة الكثير من المدن اليونانية إلى رجال من أمثال (قدموس) العربي الكنعاني، ومنها مدينة طيبة «تيس» أولى المدن التي أنشأها لهم الكنعانيين الكنعانيون على مثل المدن العربية المعروفة باسم «طيبة» في كل من مصر وجزيرة العرب. وكما تقول هذه القصص إن هؤلاء الكنعانيين

(1) انظر كتاباً (المدخل إلى التاريخ العام للقانون) الطبعة الثانية الصفحة 110 – 111.
(2) قصة الحضارة، ول ديوانات، الجزء الأول من المجلد الثاني، الصفحة 129. انتظروا العربية طبع القاهرة سنة 1953 م.
جاءوا من مصر، ونقلوا الحضارة المصرية إلى بلاد اليونان عن طريق فينيقية وكريت(1)، ولا ننسى في هذا المقام أن "الإتروسك" وهم بحارة النيل هم أيضًا من الفينيقيين، وأنهم هم الذين اكتشفوا جزر البحر الأبيض المتوسط، وخاصة جزيرة (اقريطش) وهي كريت اليوم، وأنه لا تضارب عندنا بين الأقوال المذكورة في أن حضارة اليونان منقوطة من مصر والفينيقية، وأن العنصر الأساسي لحماية هذه الهجرات إلى اليونان إنما كان عنصر "الفلسطينيين" من "العمالقة المحاربين".

***

- العزيزان -

- "العزيزان" هما عزيز ضياء وعزيز الزفاحي، ولأبدأ باميبيضاء، أو عزيز ضياء عرفته طفلاً وشابًا وشجاعًا، فإذا هو على خلق لا يعيب ولا يعاب. أمين على القشر والفرش. كرامته على العرض والأرض، يتمتع بالتصبر على كل الأذى من صديق. فلم يعرف أحداً من لدائي عليه أذي الأصدقاء كعزيز، ولكن التزامه الخلقي علمه الصمت. لا ينطق بكلمة بعين بما أحداً من هؤلاء، بل إنه يتمعد الصمم لا يسمع كلمة تذكره بأذي هؤلاء.

لقد نشأ عصاميًا بعنوان التربية، وكتب عصاميًا بالثقافة. قد يكون أكثرنا تعلمه في مدرسة. أما عزيز فكان هو لنفسه المدرسة. وكان نفسه هو الأستاذ. كان وجد حتى ارتفع بالكلمة البينانية.

كنا نؤديه بأنه "طحسنى" فلا يجزع. وما كان يؤديه بشيء إلا بعض

(1) المصدر السابق.
الاستعلاء. فالخلق قد انتظم به سلوكه يتجابي عن كل ما تتندب به، ولا يجفونا عن كل ما يبدد منا مما يغيظه. ونشأت لا أتعاظم. فما زلت عصاميًا أتواعي ولا أتضع. أما عزيز فإن تواضع ارتفع.

إن عزيز ضياء أحبح أن يرفع قلبه، يفضل الانتهاء على الاستعراف، بينما أفضل الاستعراف على الانتهاء. فكل مستعرق منتم. وليس كل منتم مستعرقاً. فأباونا الذين هاجروا إلى هذا البلد منتمون. أما أنا وعزيز فالولادجة لنا على هذا التراب والنبيثة على هذه الأرض منحننا الاستعراف. أي أصبت لنا جذور مستعرقة لا يقصها الانتهاء. وإنما هي ترسخ الانتهاء.

إن ميتشداور وريجان يحكم النشأة والولادة قد استعرقا في الولايات المتحدة. فهما مستعرقان. أما كيستنجر - وهو أمريكي الآن بلا شك - فليس مستعرقاً وإنما هو المنتجي. لأنه - كما آباونا من حيث الهجرة - هاجر من ألمانيا تحت ضغط النازية فاحتوى الولايات المتحدة، فأصبح منتميًا لا مستعرقاً.

أما سيدينا بلأل فأباه رياح هو المنتجي، وبلاغ هو المستعرق. من مولدة السراة، يحن إلى ديار بني سعد، يرغب بساحة وطفل، ويتمن أن يشرب من مياه مجهة، وحوله أذعر وجليل.

هذا الحنين حين المستعرق، أما المنتجي فلن يبلغ هذا المبلغ، وليس الاستعراف افتعالاً وإنما هو الانتفع بفعل النشأة والولادة. يعني ذلك العقارة في الأرض. لا طلب الانتساب إلى عرق.

إنك تزرع شجرتين، شجرة لا تستعرق فتموت، شجرة تستعرق في التربة فتمو وتعيش.

حوار مع عزيز استملحه ولا أستقبله. استجابة مع ما كتبته فينشر
وطني في عدد سابق تعقيباً على ما كتبته في مجلة "اقرأ" بعنوان "الوطنية
استعراق".

أما "عزز الرفاعي" فما جمعني مجلس أو حديث معه إلا وأجده
عصبياً لم يفعل التعاظم. وإن كنا نحن أصدقاء نراه قد عظم فينا.
هو ليس من جيلنا. ولكنه اليوم أصبح في جيلنا وديعاً، على خلق، لا
إدراجه فيه، أخلاقه سلوك وسلوكه أخلاق، لا نجده إلا ويعطيك من
نفسه الشعور بأنك له صديق. كأنما ذهبنا قد استوعبت معارفه ليكونوا
أصدقاءه.
عرفته قبل سنوات، فإذا هو يزداد كمالاً لا أرى فيه تقية إلا إذا عد
بعض الناس العون للناس استجداً للصدقاء. استقرت ما كتبه في "الشرق
الأوسط" عن عجاج نوبيض. وكان قارئي صديقي وصديقه عبيد الكرم
يعقوب، فهو الذي جلب ما كتبه الأستاذ الرفاعي. أحب أن أشاركه
إجابه.
ولعلني أعرف عجاج نوبيض من قراءتي لكتاب "حاضر العالم
الإسلامي" ترجمه فعلم على أبي غالب ابن ماء السماء أمير البيان شيكب
أرسلان، كتاب له أنه كان الدليل، لا للمسلمين فحسب، وإنما كان
للمستعمرين، عرفوا الحقائق واعترفوا من الضعف.
غير أنني أدعو الرفاعي، إن كان يعرف شيوخ الترجمة الأولين. فنحنا
بشا زغلول. عادل زعتر، خيري حمام، لكتب ما يعرف من سيرهم وما
ترجموا من كتب كانت من دعائم الثقافة لنا وله. فنحن في حاجة إلى
ذلك. بل نحن أكثر حاجة أن يتولى الرفاعي طبع "سر تطور الأمم"
الـ"حاضر العالم الإسلامي". فالكِتابة العربية في حاجة إلى هذه النفيان
من الترجمات.
حفظ الله الرفاعي، وأبا ضياء.

* * *

- تعقيـب-
- وتأليداً لبحث الدكتور معروف الدواليبي أضحى رهانًا وهو أن أرض
الرعب سكنها وعمرها ودافع عنها أثناء سام بن نوح. فسما انتشر أبناءه في
هذه الأرض العربية. سواء كانوا العربين أو الأمريين أبناء قحطان بن
أرفسحد بن سام، أو كانوا أبناء عامر بن شالح بن أرفسحد بن سام.
فما اعتدى على أرض العرب أحد إلا وطروده: الإغريق. الرومان،
الأفرس، المغول، الصليبيون، المستعمرون الأوروبيون، وسيطردون اليهود
والنفير الذي وراءهم.

* * *

- لقد نسب الأستاذ عزيز ضياء الأمريكي من هاواي إلى عرق "بولو
نيزي" مع أن الصحيح أن جزر "البولونيزي" و"المكرونيزي" لا ينتمي العرق
إليها كأرض. إنما العرق هو المغولي. ففالهاوي وهذه الجزر كاليابان،
كأندونيسيا، كالصين، كالتركتان الشرقية والغربية كلهما إلى عرق مغولي.
- وكثر من الذين سمعوا قول بلحال بن رباح، رضي الله عنه، "وحولي
أذخر وجليل" قرأوها وفهموها بأن كلمة "أذخر" تعني نبات الإذخر، مع أن
الصواب أنه "أذخر" يفتح الهمزة جبل كما "جليل" جبل فهو أراد أن يكون
حول هذين الجبلين كما هو حول شامة وطفيل. والجبل اسمه إلى الآن
"أذخر" في ديار بني سعد. كما صوبه لنا بعض المثقفين من أهلها.
السيف

والغربية اليوم تأخذ على سطح الغربال علفاً للعقول وترك النقاب فعليّاً
علف حيوان وهي ذكرى حفظناها من شيخنا أستاذنا محمد عبد القادر
الكيلاني التونسي المصري التركي اليوناني المدني، قرأنا عليه مقدمة ابن
خلدون واستقرأت منه ثمرات فكره القومي. فرغم طواله في الأفاق لم يتغير
بأي غربة بل كان العربي القومي بكل ما تعنيه الكلمة. تعشّفته معلماً فألتوني
وأثر في وقد تحدث لي يوماً عن المملكة العربية السعودية فقال حين
وصلت إلى (اليثن) يعني ينبع البحر نظرت إلى العلم السعودي الأخضر
فرأت شعاره المنتشر كلمة الشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله)
والسيف وجريد النخل. فقلت ساستها إن هذه الدولة وإن هذا البلد لن يناله
أحد ما دام هذا الشعار المنتشر بارزاً على العلم، فما دام الإسلام دينها
وشريعتها فهي خير إذا ما تأبى إذا ما انحصر بسيف الحق بسقّيقه به
الميروج وبرع النقاء، وما دام جريد النخل يجلد به الفاسق يشهد الناس
عذابه ليكون راحعاً، فالسيف قوة رد ال العدو وجريد النخل قوة رد لمن
تعدى حده. فأعجبني كلامه؛ لأنه حدد قيمة الشعارات ونحوه بقيم الذين حافظوا
عليه. واليوم أتذكر هذا ساعة أن قطع السيف رقاب الذين أرادوا العبث
بالحرم وتخويف الحجيج. وما أسعد من يومي وجهه شطر المسجد
الحرام يستهين بالقبلة إلا إذا كان قد أفسدوا عقله وإيمانه حين نفروه العقد
في وجدانه فأحالوه آلة إرهاب. إن السيف أمسكته به يد الملك فهد. ف csakان
الأمن وما عليه من مهارة البغاء. وهذا الأستاذ حفظت عنه أبياتًا من قصيدة
أرسلها مؤيدًا لمن أمسك السيف يحارب المستعمرين في المغرب ألا وهو
عبد الكريم الخطابي الريفي هذه الأبيات هي:

دعتنا للمكافحة المواضي
أجنبناها وقد كانت نواضي
ندير رحاتناабدماء قوم
ليعلم أننا أبناء ماضي
ل عمر أبيك ما يجدي التوقي
إذا كان الدفاع عن الخياض

فكانما هذه الأبيات أصبحت اليوم موجهة إلى خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز؛ أظهر الحق ليتنصر بالحق.
- الخدمة -

ولا جدال حول الإجازة للموظف، فقد حددها النظام واستمر التعامل بها غير أن موظف الخدمات في أي مجال وفي أي مصلحة وإن كان له حق في الإجازة، فإن من حق المجتمع أن يكون سمة نوع من التنافر ويعني ذلك أن موضع الخدمة ينبغي ألا يخلو من الموظف الذي يؤديها من حيث إن المؤسسة التي يعمل بها فيها فرع لأداء الخدمة وتحمل مسؤوليتها على أن أكب في هذا الموضوع سابقة مضت عليها سنوات، ولاحقا في هذه الأيام. فالسابقة أن بعض من عينينا أمرهم، قد توفي إنسان من أهل هؤلاء وكان اليوم جمعة فأصرعت إلى المقبرة في مدينة جدة لإحضار المكلف بخدمة البيت: الخشبة، الغسل، فتح القبر، فلا تعجبوا أنني لم أجد أحداً من هؤلاء؛ لأن يوم الجمعة إحالة كأنهم ظنوا أنه لا يوجد أحد فيه، وأتهمي البحث حتى استمعت بعض الذين يعرفون هؤلاء فحضروا ودفنت البيت بعد لأي.

أما اللاحقة فإنني قد تعودت أن أذهب كل صباح أسلم البريد من الصندوق وكان في ذلك الوقت منعقاً في جدة مؤتمر وزراء الأوقاف، فما تصورت أن أذهب لهذا الحفل، وفي يوم الأربعاء إنها نهاية المؤتمر لم أجد رسالة في البريد ولكن في يوم الخميس وقد انتهى المؤتمر وجدت إشعاراً
فيه أن لدى البريد كتابًا مسجلًا باسمي يعتبرني أن أرسله يوم السبت ويعني ذلك أن موظف التسجيل وضع الإشعار في الصندوق يوم الأربعاء مساء.
وفي يوم الخميس هو في إجازة، وفي يوم السبت تسلمت الخطاب المسجل وإذا هو دعوة من وزير الحج والأوقاف يشرفي أن أحضر المؤتمر. فنصوروا كم تأخر وصوله إلى المسجل وكم تأخر تسليمي له؛ لأن المسجل في إجازة. أليس مكتب التسجيل من مكاتب الخدمات؟ فإليذا لا يكون هناك النتاوة فالكثير من المصالح فيها النتاوة بصورة كاملة إلا في الشرشورة كما بيع وإلا في التسجيل كما لحق. لهذا ألفت نظر مصلحة البريد لأن يتم النتاوة في التسجيل، فتسجل الخطاب معنا الحرص عليه والسريعة في تسليمه. ولا يفوتي أن أذكر بأن كثيرين ينطقون جمع خدمة هكذا خدمات يفتح الدال والخاء مع أن الصواب خدمات بكسر الخاء وسكون الدال.
ذو القرنين

وسعت شيخًا سالو هو ذي القرنين فأخذ يسرد ما ورد عن فلان وعن فلان من تلك الأقوال في بعض التفسير، فما رضي عن بعضها ورضي عن قولهم أن ذي القرنين هو الإسكندر المقدوني أي إنه أعجمي، غير عربي، اقتصر على ما قرأ ولم يتصول بالمقيري المؤرخ، ولم يفكر في أن القرآن الكريم لم يخبرنا عن الأولين، إلا وهم من العرب، فعاد نعيم وأصحاب الأبيكة وفرعون والملكان في بابل وسيا وسيل العرب، كل هؤلاء لم يكونوا إلا من أبناء هذه الأرض العربية جلهم من قحطان وأقلهم من كلدان، وما جاء ذكر رسول نبي لم يرسل إلا وهو من هذه الأرض، فما أحسب أن مكان الذكر لأعمجي، فلا بوذا ولا برهمة الهندي ولا كنفوشيوس، فذو القرنين بما ذكرت هو ما صح عن المقيري وغيره من المؤرخين أنه العربي القاهري الحميري اليمني وليس هو المقدوني، فالإسكندر لم يعش أكثر من ثلاثين عامًا، وبعد أن تجا لم تكن أيام رجولته أكثر من خمسة عشر عامًا وذلك وقت يبعد أن يصل فيه أو به إلى مغرب الشمس وإلى شرق الشمس، فال مصدر بن الحارث هو ذو القرنين، ونجدها رهانا في الصين من الذين لم يعودوا إلى بيوتهم، إلى جزيرتهم فكثروا في الصين وهم الطائيون كان لهؤلاء مع حمير فكثروا في الصين يفظون عليهم (الطائيين) فالطائي مازال في الصين كما هو في الأعواض يلقب بالطائي، وليس بعيدا أن تكون
قبائل البربر في المغرب العربي من بقايا حمر؛ ثُبتوا على الأرض فأثبّتوها عروبتها وحين أقبل الفتح العظيم واستقبل المغرب بني هلال لم يوفر المغاربة هؤلاء البربر أن يكونوا العرب، لأن أرضهم لم تستعجم. فارضنا من الخليج إلى المحيط العربي معركة هُضامًا تُصهر ولا تقهر. لهذا ينبغي أن نعنى بالتاريخ نفه ونثبت ونحن اليوم بحاجة إلى أن نكون رافضين لأي سلبية ضد تاريخ العرب. من ذلك قول شيخ يفسر قوله تعالى عن الشمس، "وَهَذَا نَصْبُ فِي عِيْنِ جَمَّةٍ" (الكهف: 86). أي إنها غابت في الأفق على المحيط فقال هذا الشيخ (إنها تنغمس في البحر يسمعها قالت طس)، أي إنها جمرة نار غطست في الماء فسمع صوت انطفأتها، أفلما يعرف هذا الشيخ أن الشمس لم تست البحر لكان الدمار! إنها ليست جمرة، ولعل أحد الذين وقفوا على ساحل المحيط في المغرب سمع خشخاشة الموج فظن أنها طاش رواها كأنها خبر علمي.
كلماتان في صورتين
رفضوا اتهام أحمد جبريل ..!

وهتان الكلماتان أكثراهما؛ فالأولى ألفت نظر لجنة العفو الدولية والآنسة الأخرى التي تنطق كلمات لا تعتقدها وإنما هي تريد التفاوض بها مع العرب.

أنصح لهؤلاء أن يتركوا شامير ومن إليه وأن يوجهوا حملتهم على الذين يشرون سواهم بحماية القوة، وقوة الحماقة، الذين ما زالوا مع اليهود.

فنجد أن أقوالهم تتناقض، فحتى القول لا يصدقون به، أما أعمالهم فكلها صدابة وصديق للمجاهد ولم يفعلون في فلسطين حتى شفيقة، يؤيد إجراء الانتخابات فماذا بقي؟ بقيت الكلمة الثانية تحت عنوانها!!

.. واليهود .. بدأ الاتهام يحيط بهم .. لأنهم بقوة السلاح الذي يمكرون فجرا الطائرة الأمريكية فوق جو أمستردام، وتمكن المحققون فلم يعلنوا اتهامهم لأحد .. وما كان هذا التكتم إلا لأنهم عرفوا من الذي فجر الطائرة وهو يشرب من القهوة بعيداً عن تحليل الطائرة بأكثر من عشرة كيلومترات، أو هو أكثر عن ذلك .. فالتحقيق لم يعرف رابياً في الطائرة يمكن أن يفهم بها، وحاولوا المعاداة؛ لأن المحققين الألمان ما زالوا يرحبون تحت عقدة الذنب، ولأن المحققين الإنجليز ما زالوا يرحبون تحت التخدير اليهودي.
لا تملك الهملاك من الأمريكيان. وهم من عقلية الرجل في الولايات المتحدة، لم يقنعوا الشعب الأمريكي بالنتائج الأولى للتحقيق. فالطائرة فجرت عن بعد، فمن يملك هذا السلاح؟!!

كان عدم اقتناع الأمريكي ببعضهم الأتهام أقنعه بأن من فجر الطائرة هو مالك قوة التفجير عن بعد. أسألوا الظل بالاتحاد السوفيتي، ولكن ابتعدوا عنه، ونفقت ناغبة سواء من اليهود أو من الذين اضلونهم اليهود، سواء بعقدة الذنب أو بعقدة المناصرة لليهود. فإذا هم لا يجدون غير الفلسطينيين، ظنوا أن هذا اليهود ينطلق على الشعب الأمريكي الذي لم تجف دموع الزوجات والأبناء والأصدقاء على من هلكوا في هذه الطائرة!

فأي يهود يمكّن تصديقه إذا ما صبه اليهود على الفلسطيني «أحمد جبريل»؟

فهم نحن العرب نملك قوة التفجير عن بعد. يمسكها أحمد جبريل، يحكم بها الطائرة وهو يشرب فنجان القهوة في أحد المقاهي؟!

لو أن «أحمد جبريل» أو من إليه يملك هذه القوة العدمرة، لرفع فتيان الحجارة أصواتهم يسألونه: أنت تملك هذه القوة، فجرت طائرة «بان أمريكنا» في أمستردام، فأي خيانة لكك أشد وأقوى، وأنت لا تفجر الطائرات اليهودية التي تحلق في سماء لبنان وتقتل الفلسطينين واللبنانيين؟

إن صرخة فتيان الحجارة تسأل أحمد جبريل، هي صرخة العرب كلهم، يكتبون اتهام الفلسطيني لتفجير هذه الطائرة. لو أن فلسطينيًا يملك ما ملكه شامير من هذه القوة، لكان هذا الفلسطيني أكبر حزن لعروبه!

إن «شامير» يملك بيد هذا الجهاز. يفجر أي طائرة عربية، فهي على بعد كبير، فإذا العرب ما زالوا يحسبون حساب هذه القوة في يد
شامير، وإذا الحرب ضد اليهود تتأرجح، وإن لم نقل إنها تأخرت، والسؤال: أليس بعض هؤلاء الهنالي من الأمريكيين هم الذين أعطوا اليهود هذه القوة؟ لا شك أن أزواج وآباء وأبناء هؤلاء الهنالي يسألون أنفسهم قائلين: نحن منحنؤم القوة فاتحننا أنفسنا بها.

ولعل الأمريكي قد بدأ يشعر بأن اليهود، وفي الولايات المتحدة، طبعة لقوة غير منظورة. هي قوة النفوذ من وراء اليهود للاتحاد السوفيتي. فأغلبية هؤلاء اليهود في أمريكا سلافيون، خزر، أشكناز، ليس في دم واحد منهم دم إسرائيل يعقوب عليه السلام. ومن مكاند اليهود أنهم أذاعوا أن فلسطينيًا أخبرهم بأن "أحمد جبريل" هو الذي نجر الطائرة.

فأي عبث بالإنسانية أكثر من هذا العبث؟ فلن وضعنا المسؤولية على اليهود مباشرة. فإن المسؤولية الصادقة هي على الذين مكنوا اليهود من أن يعيشوا بهم. حتى أن كل مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي عن إلغاء الصواريخ وما إليها. تتعطل من أجل حقوق الإنسان اليهودي.

إنه ليست غمامة. وإنما هي غواية. ولكن اليهود هم الذين سيزيحون هذه الغواية عن الذين تعاموا عليهم. حينئما من الدهر. فقد بدأ السفور يزال هذه الغواية!!
بقية الناس فالح الظاهري.

ولست المبترع أكتب سيرة الشيخ فالح الظاهري، فمن حق عالم المدينة المنورة الذي انتهى إليه السند العالي أن أكتب عنه ومن حقي على جريدة المدينة المنورة أن لا يضيق قروطاسها عن كلمة أكتبها عنه. هو الشيخ فالح الظاهري حمل هذا اللقب نسبة إلى قبيلة الظواهر من قبائل عالية نجد، ولعلها أقرب قبائلها إلى شرق المدينة المنورة، ولا تحسبوا أنه الظاهري نسبة إلى المذهب؛ مذهب الإمام ابن حزم؛ فشيخنا أبو تراب الظاهري المذهب وشيخ الشيوخ فالح الظاهري القبلة والنسب هو نجدي مكي مدني؛ فقد ولد في نجوع الظواهر شرق مدينة نجد أصليبا. فالظواهر من حرب من بني سالم من السراوة وإلى مزينة وإن دخلت في حلف حرب وهو مكي شرب في مكة المكرمة يطلب العلم شيخه السيد محمد السنوسي زميلاء السيد الإدريسي والسيد البيرغني وأمضى بقية حياته في المدينة المنورة.

رجع إلى المدينة حيث نيعت جمعهم في مكة من ضغط الأحداث فإذا شيخهم السنوسي يرحل إلى ليبيا في واحة الجغوب وزميله الإدريسي إلى جيزان وزميله البيرغني في السودان. فرأى الدولة في السودان. ومن إليه أخفاد هذا البيرغني زميل الشيخ فالح. ذكرت هذا تعالى أجد عن المراهنة ما لم يعرف من سيرة الشيخ فالح.
عاش في المدينة المنورة صاحب السنين العالي كأنه قد تبسم ذلك المقام بعد صاحب السنين العالي الشيخ إبراهيم الكردي الكراني الذي كان في عصر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، بل وقد عرفنا أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أخذ علمًا من الكراني. وشغلت أبحاث عن الشخ فالم أجد عند من عاصرت ذكراً له حتى إن صديقنا الشيخ محمود شوبل وقد عرفنا أنه تلهم عليه بعض الوقت وعلى طول معاشرتي للشيخ شوبل لم أسمع منه ذكراً للشيخ فالم. لم يقل إنه أسأله وإن قالها لي غيره، والغريبة كل الغريبة أن هذا الحدث الكبير ابن هذا البلد لم أسمع له ذكراً من أشخاصنا في المدينة المنورة، وليس ذلك هجراً له، فقد كان هذا شأنهم مع غيرهم من مسبقاً فإن أحمد البرزنجي ما عرفته إلا عن طريق جمال الدين القاسمي والبشر الإبراهيمي فيما كتب عنهم، فقد توفي الشيخ فالم والمسجد النبوي في أوج مجده بالأكابر من الأشخاص، توفي سنة 1328هـ كما هو في كتاب الأعلام للزركلي، كما ترجم له الزركلي وإنما هما سطوراً عن تاريخ وفاته وذكر اسمه في ذلك الوقت من سنة عشرين والشيخ حي إلى أوائل الثلاثين. كان المسجد النبوي فيه حي وعبد الرحمن بن الويس وعبد الرحمن بن عبد المحسن باباديس، العزيز ابن الوزير البشير الإبراهيمي، الألقا هاشم إبراهيم البري. أحمد البرزنجي. حسن أحمد خليل. أحمد شارح أبو داود (بندل المجهود) هم من الطبقة الأولى وبدعهم الطبقة الثانية الكسيجية أحمد، والكردي عمر، ومحمد صقر، والعاش، وحميدة، والأخمسي، ومحمد العلي التركي، وصالح الزيبي، والطبراني، كل هؤلاء لا بد عرفنا عن الشيخ فالم بل وبعضهم قد أخذ عنه، ففي الوثائق التي وجدتها كل من الذين أخذوا عنه صاحب الصيت في الرواة عبد الحفي الكناني أخذ عنه في المدينة المنورة وإذا هو صاحب
الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان...

الرواية في المغرب. كما علمت من شيخنا أبي تراب الظاهري، أن الشيخ فالح من أشياخ والده عبد الحكيم الهاشمي، ليست المشيخة المباشرة وإنما هو في ثبت السيد للشيخين، وظاهرة هي التي حملتني أن أسعى لمعرفة
الشيخ فالح، ذلك أن الشيخ الجامع الأزهر الأحمدي الظاهري وصل إلى
المدينة المنورة فأخذ يسأل عن ولد الشيخ فالح لم أجد الإجابة ساعتها،
و لكن أخذت أقصى فرعت أن ابنه واسمه عليّ سكن مكاناً وأخيراً عرفت
من أمدني بعض الوثائق التي ستسجل في رسالة عن سيرة هذا الشيخ.
كان الشيخ الأحمدي الظاهري قريب نسب بالشيخ فالح قريب سبب فأخذ
يسأل عنه. و نادرة لا بد أن تذكر أن الظاهري من عبئة بني هلال،
فبعض بني هلال من الأشراف وجد الشيخ فالح اسمه (مهنا) كان في
مصر صديقاً وعشيراً وابن عم الملك المعز الفاطمي، غير أن مهنا
الظاهري حسين من ولد جعفر بن محمد الملقب بالصادق والظاهري لهم
كل صلة مذهبية ونسبة بإسماعيل بن محمد أخ جعفر الصادق ولم يكن
مهنا الظاهري فاطمياً باتناً ولم يصل بالمعز من المغرب، فقبله كان
من موجه بني هلال النجدية الحجازية، خرج من مصر مغضباً للمعز
الفاطمي، فальнымز خطب ابنه فرفض صهر الملك؛ لأنه يرفض مصاهرة
المذهب البابلي. رجع إلى الحجاز يتفحى من بطش الفاطمي، وكان شيخ
الظاهرة الكبير في المراوحة الذي ما كان اسمه هكذا فلم تكن حرب قد
تحربت في ذلك الوقت. و خلف من بعده حفيده عباس صاحب البئر
الذي ما زال اسمها بقية كمحتر للحجاز والوديين عن طريق يبنع، وكانت
له حراسة الحجاج والحافرة ولم تنزع من المراوحة إلا بعد حين انتزعها
محمد علي باشا فأعطاه لمبهون.
هذه خلاصة موجزة لعلّي أجد من يعين بما كتّبه العصامي أو ما وجدت
عبد الكريم الخطيب، فقد وجد كتاباً من تأليف الشيخ فالح في أحد مكاتب
المنصورة أي في مصر، هذا وفاء وعلل من الأوفي أن تكون رسالة تحمل
الوثائق.

وأستدرك ما نسيت من أسماء العلماء فمن الأكابر الشيخ العمري،
والسيد مصطفى صقر، والد أستاذنا أحمد صقر، والشيخ محمد الطيب
الأنصاري يرحمهم الله.
طعنة النجار!!

ما قالها طه حسين، قالها رضي الله عنها، وسلوك الأدب خلقاً الزمر نفسي به بهذا الحوار مع الشيخ الأستاذ الأزهرة الطيب النجار، فوضعت السعال.

طمعنة مع أنه كان في مكتني أن أقول بهتنا ولكن العالم الجليل لا يأخذ خطأً على أنه المد في قذف الدكتور طه حسين بهذه الطمعنة أو هي البهتان، وتصدى أستاذنا شيخنا حماد الجاسر بالبرهان يسقط البهتان وتهض صديقنا الأستاذ عبد الله عمر خياط ينشر على أسماعنا ما تفضل به الجاسر من الدب والدفاعة عن الدكتور طه حسين.

ولتدخل في صلب الموضوع الذي فهمته منذ سمعت الذين أعجبهم مقال الخياط كما قال حماد الجاسر، فالاستاذ محمد الطببنجار وهو من علية الأزهرة ومن أعضاء مجمع اللغة قال في معرض ما تحدث به أن الدكتور طه حسين تأمل بأسلوب إبكار للمعجزة بما معناه أن الحجارة من سجح هي ميكروب الجدري وكأنما الطير الأبابيل البؤر التي تكاثر فيها الميكروب، وسمع ذلك عضو مجمع اللغة علامة الجزيرة حمد الجاسر الذي تعودنا منه أنه لا تأخذته في الحق لومة لائم، فإن لم يلهع عذاب البدين من أجل كلمة الحق فقد تناوله عذاب الألسنة التي تكثرة على واحد منا أن يكون المدافع عن الحق، فالاستاذ حماد وكما نقله الخياط تعقب
ال مصدر الذي استند إليه النجار ألا وهو كتاب الدكتور طه حسين على "هائم السيرة" أو هو كتابه الآخر "الوعد الحق" فلم يجد في الكتابين أي ذكر لجرثومة الجدري، فالدكتور طه بهذا الكتاب "على هائم السيرة" لم يذكر ما يصرف به التأويلات المهرطقة لهذه المعجزة، طبر أبابيل حجارة من سجيل معجزة من أمر الله "كن فيكون" سخر الله ذلك ليهلك أصحاب الفيل في مكانهم المحدد في وادي ممحور بين المزدلفة ومن حجزهم عن الحرم وأعجيزهم أن يتحركوا فإذا الهلاك هو المحرك، لتصبحون كالعصف المأكول، لم تنجب من قوم أبيه إلّا أبى بكر لا غيره. هو سيدنا أعتقه سيدنا الصديق أبو بكر وليس لأحد عند أبى بكر من نعمة تجذى إلا ابنغاء وجه ربه الأعلى، سيدنا ما أقولها أنا وإنما قالها أبو حفص الفاروق بن الخطاب الأعصر عيالي هذه الأمة، رضي الله عنه، وعن أبي بكر وعن بلال. فالدكتور طه حسين يرحمه الله ما قال ذلك في أي كتاب وإنما الذي قالها السيد محمد رشيد رضا المتعلق بأساطيذ مهدي عでしょう الأعمال والمعالم عنابة للسلفية العقيدلة التي تقي بعض الأدّى في سبيلها، فما أكثر خصومة من الأزهريين حتى قذفوه بما يصورون بأن تهمة الواحابية تحمل معنى القذف معناها وعند جمال الدين الأفغاني وعند محمد عهد عهد منقم يفخرون بها ولا يقتلون إلى الذين جندهم أبو الهيثم الصيادي، فالأسئلة رشيد رضا هالبي هذا القول منه، حيث خرج عن قاعدة السلبية لا تأويل، لا تبديل، لا تعيل، فقد قرأ وأحسب أن ذلك في مجلة المدار قوله بأن الحجارة من سجيل مكروب الجدري ونهضت يوماً أفاد قوله في حلقته متلفزة تحدثت بها في تلفازنا أيام كنت أتألفز، انتقدت الشيخ رضا معتها بعقدة السلف مصدقاً للمعجزة حتى قلت إننا أتحديد السيد رضي رضا أن يذكر لنا خبراً هل تجاوز مكروب الجدري قوم الفيل أصحاب الفيل إلى ما يملي بهم في
وادي محسّر من أرض المسجد الحرام، فهل أصيب قرشي مكي بهذا الجدري أو هل أصاب الجدري غير أصحاب الفيل من العرب حول هذا المكان؟ فالعذاب خاص بهم والهلاك بالحجارة من سجيل في مناقب الطير الأبابيل سلطة الله على أصحاب الفيل وحدهم، فلماذا التنكر للمعجزين، هل هو التقرب لغير المسلمين؟ زلة أسأل الله أن يغفرها للسيد رضا وغير السيد رضي رضا. قال عن نجاة بني إسرائيل يخوضون عمق البحر عنهم كالطود العظيم فإذا فيه أثنا عشر طريقًا ياسبه أبوذ الله البحر بأمره: (كَيْنَ فِيْكُونَ) (البقرة: 117) فقال هؤلاء الذين ينكرون المعجزات، لقد مر بنو إسرائيل وقت الجزر وبحكم كيف لم يفتحوا، إلا أن بني إسرائيل عاجلهم لحاق فروعون فلم يسروا من الجنوب إلى الشمال ليعبروا البرزخ على أمتار ياسبة من الجزر أنهم لم يعبروا من الجنوب إلى الشمال حتى يعبروا الجزر ستمائة ألف، هل يتسع لهم وقت الجزر بضعة أمطار لا تستع لعبرن ألف؟ إنهم عبروا العمق من الغرب إلى الشرق يخوضون البحر العميق، فأنعم الله عليهم، ينقلق عنهم البحر يمرون في طريق ياسبة حتى إذا لحقهم فروعون وفي وسط العمق أغرقه الله، انغلق البحر عن بني إسرائيل وانغلق على فروعون وهكذا أرجاً من الأستاذ التجار أن يرجع إلى هامش السيرة وأن يراجع ما كتبه طه حسين أو ما قاله عن القرآن إن طه حسين قد قال: «القرآن ليس شعرًا وليس نثرًا، إنه القرآن»، كما قال: (لا خوف على الفصحى ما دام هذا القرآن بقائمه سرديبًا إلى يوم يبعثون».

وأخيراً إن طه حسين حين شذ بأسلوب الشك عن الشعر الجاهلي عارف بعد ذلك خطاً فأصبح لا يشكي في ديوان العرب، كما أن طه حسين أعطى لمصر مكانة هي من عطائه وما أكثر ما أعطى لمصر ما لم يعطه
أزهري مناصر له إلا أن يكون الشيخ مصطفى القرافي الذي أنقذ سمعة مصر من الحاخام اليهودي ناحوم أفندي يوم حرمه من عضوية مجلس الشيوخ وإلا أن يكون أحمد شاكر الذي تعالي بالدراسة فإذا هو يعلق على المحلى لابن حزم شروحاً للحديث كان رائعاً فلم يدركه من بعده على النحو الذي كان عليه شاكر.

لقد أمرنا أن نذكر محاسن موتانا فهم بشر وإننا لنذكر كل المحاسن لشيخنا التجار أمد الله في عمره ولا أجري كيف سكت أعضاء المجمع عن إنصاف زميل له فلم ينصفه إلا حمد الجاسر.
حوار مع الأستاذ
مصطفى أمين

وبحلو إلى قلبي أن أدير حواراً في نقاش محجب سمعته الصفاء عن
الوهاب لا عن الجفاف.

فقد قرأت للأستاذ مصطفى أمين فكرتين: فالأولى كانت عن أغنية
الموسيقى الذي عزب الأغنية المصرية ثم مصر الأغنية العربية ألا وهو
محمد عبد الوهاب.

إذا الإعجاب الذي جدّ على الأستاذ مصطفى أمين بهذه الأغنية فيه
شيء من العتب على محمد عبد الوهاب.. فقد ألفت آذن مصطفى أمين
كما الأذن العربية عبقرية اللحن ونسيغ الأداء غنى لهم محمد عبد الوهاب
الشعر سواء كان لشوقى أو لبشارة الخوري. وأحمد فتحي، وعلي محمود
طه، ومن إليهم.

ويوم غنى الشعر الآخر الذي ليس فيه شيء من البيع والشراء "أحب
أشوفك، في الجو غيم" وما إليها.

كانت هذه المرحلة قبل أن يكون حسين السيد عزب فيها محمد عبد
الوهاب الأغنية المصرية.. فإذا نحن نجري وراء هذه الأغنية: "علموه كيف
يجفو - يا جارة الوادي - الهوى والشباب، نستعيبر الأرضيات في اليوم عدة مرات... يوم كان نخرج جماعة في الحدائق أيام العيد.

إن مجد محمد عبد الوهاب سبق مجد أم كلثوم في المرحلة الأولى. بينما قد أخذ مجد أم كلثوم وقد ثبتت على ما غطت من الشعر أن يسرق الأذن العربية من محمد وأداء محمد عبد الوهاب.

وكانوا هذا العبقرى أراد الخروج من نطاق الشعراء بل ومن نطاق شوقى قبل كل شاعر. فأراد أن يكون هو الشاعر لنفسه بينما الناظم حسين السيد، إذا أغاني الأفلام تنظمها حسين السيد مصرية بحتة ومذكور، حسين السيد يحكم ما ألف من المهنة أن لا تخلو أغنيته من البيع والشراء.

قد تقبل ذلك الأذن المصرية وقد لا تقبل عليه الأذن العربية. لكن محمد عبد الوهاب... ما زال عبقري اللحن والأداء، فهل الحق أن يزهو وأن يباهي به مصطفى أمين.

أما الفكرة الثانية فهي يكون نفاقاً معه في ثوب من الحرارة. تلك الفكرة كتبها عن مصر. فقد أجاد وله الحق أن يبقى ليس كمصري فحسب بل وكعبري أيضاً. فمصري هي الكتابة وهي الحضانة كما كتب ذلك من قبل. غير أنه حين لعب الكتاب العقاد وله حسين توقيف الحكيم نسي أو تناسى الدكتور محمد حسين هيكل. "فزينب" قيل يوميات نائب في الأرياف وحياة محمد قبل العبقريات والفننة الكبرى. فهل كان هذا التناسى من أجل اللقب "هيكل" أم لأن الدكتور كان هوا دستوري؟

ولم يقتصر النسيان على هيكل بل نسي المتفوقي والرافعي وقد كان كل منهما معدناً أكثر من العقاد.

فالعقادات سعدي المجد وهما سعديان يوم بدأ سعد يهتم المجتمع ولا
أ드리 كيف نسي لطفي السيد. لعله أكبر أو لعله له عذراً وأنتم تلومه.

وحين غنى بمجده مصر لم يذكر الذين تغنو بها: البارودي وشوقى

وحافظ.

فلم كان البارودي قبل سعد، ولكن كان شوقى لم يكن سعيدًا فإن

حافظ إبراهيم وسعد كانا يتصقان بأذن محمد عبده.

فقد قالوا: إن أذن محمد عبده هي التي صنعت شاعر النيل حافظ

إبراهيم.

وقال سعد لأذن محمد عبده التعريف للإيجاز الذي لم يسبقنه به أحد

يكتب للأستاذ الإمام محمد عبده هكذا:

- "أشعرني عن الإطني فليس لدى وقت للإيجاز" - أصعب أن أذن

محمد عبده تراقصت لهذا الجرس. لهذا التعريف للإيجاز.

ولا أريد أن أنسى عما كتب الدكتور محمد حسين هيكل يحذر من هذه

القصيدة التي تعبر بها محمد عبد الوهاب: قصيدة "الهوى والشباب" شعر

بشارة الخورى "الأخطل الصغير".

إن هذه القصيدة تتمتع بها وجدان العرب لأنها ذكرته بالأساسة حين

يضع الشباب ويموت الهوى. فقد كتب الدكتور هيكل وكأنه أعلن تأثره

بهذه القصيدة ناصحاً ألا يغني مثل هذى، فهو يخشى الآلم والحضوع لواقع

الماسة.

هذا حوار مع مصطفى أمين الذي هو وأخوه مضا صحفة مصر. فقد

انتصرت الأخبار وأخبار اليوم جريدتين مصريتين بحاتاً. فنالت مكانة الأهرام

وانتصرت أيضًا، من مكانة "المقطم".
فالمحصية البحثه شعراً الثورة: ثورة سعد. وما الأعراض ولا الحدث
المصريين وإنما كانوا إذنًا لـ لبنان متفرقة والأخرى لبنانية متكررة.
تحية لمصطفى أمين وما أحسبي أردت التسلق على أكتافه. ومالي قد
نسيت النسيان كما نسي هو فأين نحن من شجرة الدر التي أسرت لويس
النابع» و» jardin الشوارب التي أسقطت أنظري رايدن» حيث لم تسقط
بورسعيده» بما فعلت جنان كما يتبعي ألا نسي» يفية زغلول و» هدى
شعراوي».
التأمل والأرض

ولعلها خاطرة قد لا تقرها الجغرافيا بكل ثقة ولكن التاريخ هو الذي يستقر بها كما هو يقر، وهذه الخاطرة عن أرضنا العربية بل وعن كل إقليم له سمة تتضح بها الإقليمية أو التأمل كما هو النظر إلى أرض متصلة بارضنا ألا وهي (أرض الأناضول) أو ما يسمونها آسيا الصغرى، فالأرض العربية شرق السويس وغرب السويس تأمل إنسانها سواء العرق فيها أو المستعرق أو حتى الطرف الجديد. فأرضنا تسخر إنسانها ليكون العربي، فأي موائل استغول في أرضنا ألا وهي التي لم تثبت إلا أن تستغول عليه ليكون بها. منها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها. فيها.

فصببهم سواء كانوا الصلب أو الفجر أو الليل، فالبقية منهم تغتربوا أما الآخرون الذين كانوا قبلهم من النصارى فصارتهم غربًا وإن كان سلطان القومية العربية من عهد أمية إلى عهد الذين لم يكونوا الأمويين قد أبقهم على ملتهم سواء مرة أخرى في حماية الرومان أو غواية الذين تمسكوا بنصرانيتهم، ولكن هذا الاختلاف في العقيدة لم يخرج ساكن الأرض عن عروبه يتكلمون اللغة العربية، فكم من نصارى لبنان كانوا حفاظ اللغة العربية وكم منهم الذين أسوا المجلة والجريدة، فالناشطون واليوسيمون لهمن بصماتهم على ديوان الشعر وديوان الصحافة في هذا العصر الحديث.
أرضنا هذه ألقامت الألبانين بيت المؤيد العظم فإذا هم الدمشقون كانوا على الزربة من أهل دمشق وسبق الكردي نور الدين زنكي والكردي صالح الدين والخوارزمى قطرا صهرت عروبتهم دمشق. فإذا هم قادة النصر مسلمين على الزيوة عربين على السام. وفي مصر صهرت أرضها كل من حل فيها رومي يوناني تركية فارسي فهيب ليست مقبرة الغزاة كما يقولون بثقة الصهر، فأحمد شوقي الكركي أمير شعراء العرب ورامي اليوناني زخف شعر الغزل العربي وولي الدين يكن أول النائمين في بيان رائع قبل المنفوطي مع أنه تركي، لكنها أرضنا العربية، لكنها اللغة الشاعرة. ونأتي إلى شبه جزيرة الأناضول، بعض مدنها في الجنوب عربية مثل (آذان التي تسمى الآن آتانا) هذه الأرض، الأناضول كانت أرض الحفيص فلم يبقوا على تألقهم بها وحل بعدهم الرومان فأقلموها ولم يتألقوا بها وحل مكان الرومان أول الأمر السلجوقيون في خونيا والعثمانيون في بورسا حتى إذا تم فتح الفلسطينية فإذا الأرض هي التي تألقت تركية، هل ذلك طبيعة الأرض أم ضعف اللغة حبشية ورومانية بينما الغريب أن آطقه والإسكندرية ما الزالوا على عروبتهم يتكلمون العربية كأنما هي قوة اللغة لا ضعف الأرض.

دمار

وصديقنا الجزار في القافلة التي هي سوف نشري منه بعض ما يلزمنا ليس أوله اللحم وليس آخره الجبن. فقد تحدث هذا الصديق بأنه يملك عمارة في لبنان بناها من كده وحصيلة الأجرة عن مجموعة الشقوق، بلغ كبير يوم أن كانت الديرة عملة صعبة كانت الأجرة 1400 ليرة، فما أكثر الذين تنافسوا عليه لأنه فلسطيني الأصل، سكن لبنان، فملك هذه العمارة. كان هذا خيراً يروى للتاريخ؛ لأن هذا المبلغ أصبح الآن في سوق العملة
لا يساوي أقل من دولار، إنها حصرة، إنه الدمار أن تصريح الليرة لا قيمة
لها 1400 ليرة لا تشترى من وسيلة العيش إلا بأقل من 3 ريالات
سعودية. دماء سالت ولبنان الجنة دمرت البيستان الأزهر، عصفت به ريح
الخلاف بين أبناء الوطن الواحد، إنهم عرب وترفقت مذاهبهم وإنهم الأبناء
وصفهم محي الدين ابن العربي في أحد الفصول بأنهم لبنة أخنوخ أي
إدرس عليه السلام. إن هذه اللبنة أصبحت حشة يعانها الحيوان، لأن
حيوانية الإنسان أعجفتها، أطلقتها. إن دمار لبنان ليس خسارة لأهله، وإنما
هو حرب على مصير العرب، فهل يستطيع العرب بما يملكون من قوة
النفوذ وعدة السلطان وتوفر الإمكاني أن يصلحوا هذا البلد لبنان؟
ولعلي أذكر كيف كان يملكونا الحزن أيام حصار المدينة المنورة إبان
حكم فخري باشا، العرب يحاصرونها والتركي يحتمي فيها، فإذا البيت وفي
زقاق الطيار يملكه محمد يوسف عبد ابن عم الدكتور رضا عبد بيبعه
بكيس أرز مع أن الذي اشتراء بعد حين فتحت المدينة باعه بلف كيس قيمة
البيت كيس أرز وما أكثر البيوت التي بيعت بذلك وقيمة البيس بـ 30 جنيهًا
ذهبًا. ملكنا هذا الحزن ولم يكون من صنع أبيدينا وإنما صنع الذين أدولنا
وبيس.
الأوزون

ودعوني أُنفس بهذه الغريلة عن الأوزون. الطبقة التي خلقها الله حاجزاً للأشعة الشمس البينفسجية أو فوق البنفسجية، أو هي الأشد من ذلك. فاليوم يذيع العلماء بعامل الخوف وبلهجة التخويف من هذه الفتوح، أصابت الحاجز إذا اشعة الشمس حارقة.

يقولون إن كثيراً التوأم مع الكيماويات، وكثرة هذه الغازات أحدثت الفتوح في طبقة الأوزون في منطقة القطب الشمالي والقطب الجنوبي، كأنما الحاجز قد احتواء القطيان، وما علمونا أنه يحتوي محيط الأرض كله.

والغريلة بعد يوم كنت فيه في لندن وأمام الفندق أقبل علي شاب سعودي لقبه الحسني. سلم علي وعزفي أنه يدرس عن تلوث البيئة وعن الأوزون لينال الدكتوراه. خطرت لي هذه الخاطرة أقول له: ماذا تقرأ الأخبار عن أشراف الصاعقة فستجد من علاماتها قرب الشمس من الأرض. ففعل! هذا القرب ليس قرب الجرم وإنما هو قرب الأشعة، فالافتحار في الأوزون أوصلت الأشعة، أليس هذا من علامات الصاعقة؟ تقترب الشمس من الأرض؟

وهناك من وسائل التلوث ما يشيننا الآن في بيئتنا. تركنا الأمر للخدم تشترى لهم المبيدات، الفليت والديتول والريد وما إليها. ينشرها الخدم
لقتل الحشرات بكميات مهلكة، يضيق التنفس لأن البيت أصبح مباها لهذه الغازات السامة، والإغراء بالإعلانات يشجع على التعامل مع هذه المبيدات، فأي مبيد يقتل الذباب إذا ما انتظر الإنسان... فحذًا لو استرشدنا لا نستعمل هذه المبيدات إلا بكم قليل حتى لا يكون الذبابة الكبرى التي يقتلها المبيد، والأمر كما قال المثنئ:
كلما أنبى الذمان قناة، ركب الماء في القناة سناً
الطبع

وعن الطبع ضربت عامتنا المثل وصاغت من الحكabayات المثل فقالوا:
"زنيج جبل ولا تزنيج طيب" وهم يعترفون بذلك أن إزاحة الجبل رغم صعوبتها فيمكن للجهد والكذ أن يحطم صخوره ويفتحا النفق للمرور منه، بينما طبع الإنسان يستحيل زواله وحتى لو أحيط بكل ما يطلبه فإنه ينزع إلى ما يريده هو لنفسه. أما الحكابية الأخرى فقد سمعناها من جدتنا فقد قيل لنا إنه في مملكة كذا سلطان نحبه يحبه وهو يحبها وبينما هو في عرض طريق رأى فتاة "مزيونة" أي جميلة في ربعان الشاب تمد يديها "يا رب يا كريم تصدق علينا أحسن الله إليك" ورأى السلطان وعز عليه أن تنسو مثل هذه فأرسل إحدى "القصورات" لتأتي بها إلى القصر تألقها بالإحسان فوجها لأحد الرجال من حاشية القصر وخط حالي بإله بعد زمن ليس بالقصير أن يسأل عنها فمر تحت النافذة فإذا هو يسمع صوتها تسول ونظر إلى النافذة فإذا هي قد أعطت عنقودًا من العنب ورغبًا من الخبز وفاكة تمد يدها إلى الطبق يا رب يا كريم وتناول العنب والفاكة وتأكل شيء قد مثلت دور المتسولة بحكم ما طبعت عليه رغم أن ما فلت من العنب وما إليه كان ملكها ولكن الطبع عليها فيلم تترك النسول.

والحكادة الأخرى قالت جدتي: "السرقة طبع أكثر من حاجة"، فهناك
رجل اكتمل غناه ولكنه يسرق نفسه، جاءت زوجته إلى المطبخ فوجدته يأخذ سكيناً وهو يتلصص حتى لا يراه أحد فأخفاه في جيبه وتركه زوجته ثمقالت له السكين ضاعت من سرقها فقال: ليس في البيت حرامي الحرامي يقطعون يده لكن الآن أشتري لك سكيناً وخرج برهة ليعود بالسكين نفسها ويقول لزوجته هذه سكين جديدة احظي بها حتى لا تسرق وضحكت الزوجة وعرف من ضحكاتها أنها عرفته أنه سارق نفسه وما أكثر من يسرق من ببه من ماله لأن قهر الطعام حمله على ذلك وقالت الجدة:
«شوف نحن بنات الناس مساكن، فاقت لها حتى المشولة وهي غنية». 
التراث. صادقوه لا تصدقوه

وهذا العنوان على هذه الصورة "التراث. صادقوه لا تصدقوه" لم يخترع وإنما هو خلاصة لما تحدث به رئيس النادي الأدبي في القسم.

الأستاذ حسن الهويمل، فقد سمعته في البرنامج الإذاعي قبل أخبار الظهيرة: "أحاديث وقضايا" فقد قال هذا الأستاذ وهو يعلن احتفاء بالتراث إنه ينبغي الصون له لا تصدق وإنما ليصنف تصنيفًا لا يحتكره أحد ولا تجبه الأحاد. فالكتاب الأخ أو ما هو خلاصة لأم أو ما هو مستقل بما صنف له في أي فروع من فروع المعرفة يبنغي إذا ما تقدم أكاديميًا شارحًا لهذا الكتاب ألا يجد من يستكره عليه، وألا يوجد من ينزعع ليقوم به مثل ما قام به. فليس التراث في نظر الهويمل بضاعة تسام في سوق الجامعات وإنما هو ذخر أدخله الأوثان عنوان ما كانوا عليه من زهدته في سبيل العيش إلى الإشادة بما نبغيت به أمه. فالأوثان ما أن الوعائي التي كانت السبيل لصناعة هذا التراث ليكون لنا هو المثير. فما أن الطرانيس، لا كهرباء وإنما هو زيت الفنادق أو شمعة نية يقابضون كتائب التراث ويتحترق. كما هو النور منه فلم يحترق بحسرة إن لم يكن قد ملك من وسيلة تشد عزمه. لكن المزيج هي في روح صانع التراث.

وتعمدت أن أقول "صنع" محارباً بعض هؤلاء الأخلاقية الذين يزعمون
أن ما جاء عن الله تراثاً مصنوع خاصاً، إذا ما كان صواباً وللإبادة إن كان باطلًا وليكن الله البديع، وليكن الله حريصًا وإنما أعني أن يبيد لا يختصئ وجدان.

إن هذه المقدمة أحاول فيها أن أدبر حواراً عن الانتماء إلى هذا التراث، ولن يقتصر على المكتوب في القرآن. بل على كل ما ورثاه من المكتوب ومن المنقوش على حجر. أو مدر، ومن المائل الذي هو عنوان حضارتهم. فوحدة الأثر الحضاري برهان على وحدة الأمة. فالذين نحتوا في الجبال بيوتاً هم الذين منحوا من بعدهم وليس عندهم جبل ينحتون البيوت فيه فقد ومع علمهم أن يكونوا ذوي الأوتاد.

ومن التراث هذه الملاحظة. فأسباب الأمم في بناء الحضارة التي هي مجد الإنسان الآن هو العرب. هي الكلدان. فالكلدان ابن عم الحضائي وجد العدناني. وكان كل من الحضائي والعدناني صابئة تعلقت وشنتهم بالكواكب. فإذا هم بهذه العلاقة ترث عنهم علم الفلك واكتشف الكواكب السيارة والمعرفة عن الشمس تجري لمستقر لها. فقد قالوا عن المستقر أنه النجم الجانبي على ركبتيه تدور حول الشمس كأنه قطبها استقطبها دون أن يمسها. فهكذا برعوا كلدانيين وحضائيين ومنهم الفراعيان في معرفة المجرات ودوران الشعرى بلا مكبرات وإنما بالصرير والذاب. حتى إنهم صنعوا على دائرة من نحاس صغيرة الحجم تقوم كوكب الزهرة فهذه الاسم في العدنانية «الزهرة» بينما هو في الكلدانة «عشتر» وفي الفينيقية «عشتروت» وفي الفرعونية «هاتور» وفي اليونانية أخذ من العرب والكلدان: فينوس وهو كما قالوا لنا يعني اسم البلد رمز الجبال عند الشمود. ولم تكن في لغتهم الناء وإنما كانت الثاء. فحرفته في اليونانية إذ لحقها حرف
التنوين عندهم «السين» فأصبحت فينوس. كما أن النجم «ستار» بلغة الفرندجة أخوذ من عشارة.

إذ هذا التراث لنعرفه كتاريخ مجد فالصبابة قد أصبحت الباطل كعبادة حين كفر بها أبو الأنبياء إبراهيم، فإذا أبناءه العدنانيون على ملة إبراهيم. كل ما انحرف عنها يقولون صباً. حتى أصلهم الشيطان فوصفوا المسلم بأنه صبي: «لن ينجو الوالد لتصبان فويش» فمن العقوق للتراث ألّا تنصل كملقيقين بكل من صنع الثقافة.

فابين سينا لم يتنكر لجالينوس، وأحسب أن مجدي يعقوب وبرنار وإحسان رفة وفهد العبد الجبار لا يتنكرن لأبي قواط وجالينوس. فالانتماء للتراث شرف. والعقوقة له تلف.
ميتران - ياسر
لافيت - واشنطن

وخرجت دولة فلسطين، يصل زعيمها رئيس الدولة الفلسطينية إلى فرنسا، تستقبله باريس التي لم تنس أن ثورتها حطمت الاستبداد والطغيان حين طرحت شعاعها "الحرية والعدالة والمساواة".

وحيث أقبل ياسر عرفات استقبال أيضاً رئيس الجمهورية السيد فرانسوا ميتران، كان ما هذا الإقبال والاستقبال ثورة سلمية تعني الحفاوة بحرب السلام الذي أسقطت فرنسا نفسها العدوان الثلاثي، حرب سلاماً لليهود.

مرة أخرى كانما بدأت فرنسا تعطي مشاعرا نحو العرب حين استيقظت هذه المشاعر على صلة القرابة. قراءة الدم العربي استحوزت على نسبة 75% من دم الشعب الفرنسي، لم يزرهه عبد الرحمن الغافقي. وإنما زرعه الفيزيقي الفرنسي هابيباب الذي ساح في أوروبا حتى اعتى روما وحتى كان حلقة من حلقات الحرب اليونانية التي طبعت بصمته على الشعب الألماني بثلاثة: اسم العاصمة بون، والشعار والنسر، والتعويذة الصليب المعقوف.

وليس إقبال ياسر واستقبال ميتران إلا وهو كما هو إقبال الجنرال الفرنسي لافيت على زعيم ثورة الولايات المتحدة جورج واشنطن. فهم هو الشهاب قريب وليس بالغريب؟ فقد كان جورج واشنطن وهو يقود الولايات الثلاث
عشرة ليستقل هذه الولايات عن الإمبراطورية الأموية البريطانية العظمى. كيف ينكر على الفلسطيني أن يحارب طاغية يهوديًا أصبحًا ينهب الأرض. وقتل الشعب؟

كان لافيت في عصر مازال مظلمًا نصراً للحرية، وفي عصر النور - كما يقولون - كيف يستكرر أو كيف ينكر على فرنسا أم لافيت أن تناسر طالب الحرية العربي الفلسطيني باسر عرفات؟ لكنهم اليهود. ولكنهم أيضًا الذين سرق اليهود وجدانهم فكانوا قد مارسو الحقوق لحقوق الإنسان وهم دعاة هذه الحقوق. بل وكأنهم نسوا أن سيريس لافيت مازال بجانب سيريس واشنطن.

إن استقبال ميتان لياسر اعتراف غير مكتوب بالدولة الفلسطينية.

ولا أريد أن أنسي ما سجله التاريخ عن اسم الفلسطيني، فما هو معنى الاسم. إنه في لغة الكنعانيين، والآراميين العمالقة فهو العملاق الحجار. وقد قال بنو إسرائيل كما علمتنا القرآن، قالوا للرسول النبي موسى، عليه السلام، وهو يدعوهم لدخول فلسطين: «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا حَيَاةً وَإِنَّ لَنْ دَخَلُوا هَا حَتَّى يُفْرَجُوا مِنْهَا» (المائدة: 22). هذا التعريف لفلسطيني، لم يدخل عنه عز الدين القسام وعبد القادر الحسيني، وقد قال به الآن أطفال الحجارة، إنهم جيروا، سلاحهم قلب الجبارة وإن كان حجارًا وضع اليهود في عمق الرجاء.

إن فرنسا أشرقت على أوروبا بالحرية حين ثارت، وهي الآن أشرقت مرة أخرى على أوروبا تدعوا إلى أن تكون شعوبها هي نصيرة للحرية، حرية الفلسطيني على أرضه، فهناك شعبان في أوروبا لأنهما العريقان في الحضارة اليونان وأسبانيا لم تعرف كل منهما بإسرائيل حين صدر قرار
هيئه الأمم المتحدة بتأسيس دولة اليهود. فقد قلنا من قبل إن الذين اعترفوا بهذه الدولة اليهودية لم يكونوا ورثة حضارة. أما الذين ورثوا الحضارة، وعرفوا مكانة العرب صناع الحضارة فلم يعترفوا بهم الصين، الهند، اليونان، أسبرانيا، ولكنها الضغوط على أسبرانيا أخرجتها من قاعدة الذهب إلى التعامل بالتحاس. لكنها أسبرانيا ولن ننسى مواقعها. فلتن كان دم العرب في الشعب الفرنسي، فما زال هو الأثر والأبقى في الشعب الأسبراني، وما زالت حضارة الأندلس مصدر الدولر في يد السانحين وهم الملايين لا يصلون إلى أسبرانيا إلا ليشهدوا حضارة العرب.

إن العرب بخير ما دام قد نبغ فيهم الطفل الجبار سلاحه الحجارة، فأجداده الأولئ الذين فتحوا الدنيا كان سلاحهم حديدة، يحملهم الجمل لا الطيارة، يحفظون على الحصن لا على الدبابة، طعامهم جراب تمر لا ما يحملون من المعيلات، فالسلاح لا شيء إذا لم يكن عن إيمان، عن وجدان.

وقالوا: ليس لفرنسا دور في لبنان، وقالت فرنسا: لا يعد لي دور المستعم ولا دور المستقبلي، وإنما هو دور المشاعر استيقظت تحمل مشاعر لأميرتين.
قبس من البيان!!

وليس هناك بيان كبيان القرآن، كلام الله بلسان عربي مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلائه هدى ورحمة للعالمين. إن هذه المقدمة سُرح بها صدري حين قرأت خطة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي عمر المسجد بالعلم وعمر الجزائر بالجهاد، فوجدتني أنشرا هداية للقارئ يعرف بها كيف يصبح العالم عالما إذا ما استقام أمره على هدى القرآن والسنة فلا يتعاب باللمجاعة، ولا يتخاب باستعراض العضلات عضلات المعرفة، وإليكم هذه الخطة:

خطبة افتتاح
لدروس التفسير هاته السنة

جرت عادتنا أن نفتح دروس التفسير من كل سنة بخطبة، نارة نخرج منها إلى نفس التفسير وثرة تترقب بعدها موضوعا مناسبًا للمقام، ولم نكن فيما مضى تعود إلى كتابتها وفي هذه السنة رأينا أن نعطي بها صدر الشهاب تعميما للفائدة.

الحمد لله الذي جمل الإنسان بالبيان، وجعل البيان بالقرآن، فالإنسان دون بيان حيوان أبقم، والبيان دون قرآن كلام أجمل، وذو البيان والقرآن هو الأكمل الأعظم، قدرا وتقديرا والأحسن الأقوم، عملا وتفكيرا.
والأسعد الأكرم حالاً ومصيرًا.
أحمده، أرسل محمدًا - ﷺ - بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنزل عليه القرآن ببصرة وذكري، ومعجزة كبرى. حجة وتذكيراً، وشرع لنا من دينه الحنيف، مناهج العز والسعادة، ومهد لنا من شرعه الشريف سبيل الحسن والزادة. رحمة منه - تعالى - وفضلًا كبارًا.

وشكرنا، هدانا واجتنانا، فرضينا بلهة ربي، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيًا، وبالقرآن إماماً، وحبب إلينا ديننا، فولله لو بذلت لنا الدنيا بحاذفها في تركه ما سارت عندها حبة رغاماً، توفيقاً منه تعالى ويفينا صادقاً منها وبصرًا بصيرًا.

وأستغفره لما كان منا من نقص وتقصير في الوفاء بعهده الحق وشكر فضله الكبير، إنه كان عنوًا غفاراً شكورًا.

وأصله وأسلم على سيدنا محمد أشرف خلقه وأكرم رسله، فرق بالقرآن بين الحق والباطل، وهدي به ضالاً وعلم به الجاهل، وجاهد به - في الله - جهاداً كبارًا.

وعلى الله الأطراف، وأصحابه الأخيار، اتفقوا طريقته، وأحياها سنته. فوقعهم الله شر ذلك اليوم ولقاءهم نضرة وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً.

وعلى بقية أمه، وأهل ملته، ليها دعوته وأموا غايته ناشطاً وحسيراً.
صلبها وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم نلقى مهدداً - صلى الله عليه وسلم - ونسعد بلقاءه ينحسر بين الأمم تحت لواءه، ونجزى بمحبته - إن شاء الله تعالى - جزاء موفوراً.
أما بعد فقد عدننا - والحمد لله تعالى - إلى مجالس التذكير. من دروس التفسير، نقتطف أزهارها، ونحتفي نحناً ببشر من الله تعالى، وتيسير على عادتنا من تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيز على أبلغ أمالنا البينية، وربط الآيات بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المتقول وسديد العقول، مما جلاء أنمة السلف المتقدمون أو غاص عليه علماء الخلف المتآخرون - رحمة الله عليهم أجمعين - وعمدنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة تفسير ابن جرير الطبري، الذي يمتاز بالتفاسير التقليدية السلفية، وبأسلوبه الترجمي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وترجيهاته لأولى الأقوال عنه بالصواب.

وتفسير الكشاف الذي يمتاز بذوقه في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاطة على آيات الكتاب والتنوير لها بكلام العرب واستعمالها في أفتيين الكلام.

وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات. وتفاسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجذام والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمنظور في ذلك والحجاج.

إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام. وغيرها مما يقتضيه المقام.

نقول هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا، وتأخذ ما يسمعونه منها.

ونحن نعلم أننا - والله - كما قال أخو العرب:

لعمر أبيك ما نسب المعلمي إلى كرم وفي الدنيا كريم وصُوِّج نبتها رعي الهشيم ولكن البلاد إذا اقشعرت
وكم نقول في مثل: "إنهما نكحلا في موضع العينين" وإذا نظرنا إلى قصورنا وخطورة مقام الكلام على كلام الله تعالى - أحجمنا. وإذا رأينا إلى فضل الله وثقتنا به وحسن قصدنا - إن شاء الله تعالى - في خدمة كتابه أقدمنا، وهذا الجانب الكريم أرجح عندنا، فنحن نقدم معتمدين على الله تعالى ساتين منه تعالى لنا ولكم أن يوفقنا إلى حسن القصد. وصحة الفهم، وصواب القول، وساد العبام.
bihboh

وشغلني هذا اللقب (bihboh) أطلقه كاتب هذه التمثيلية التي شاهدناها في تللفازنا، أطلقه الكاتب لقبًا مشيناً بهذا السلوك الذي تسَّعَ في سلوك البطل بbihboh فشغل بجميع المال من أي طريق حتى مارس التسول مع أن لديه ما ملك من المال الذي جمعه، فالأفلام والتمثيلات سيطر على كتابها عاملان، تطبيق نظريات علم النفس وتجسيد الواقع بهؤلاء الذين تبحبحوا لا يقتعون بما ملكوا حتى هتكوا أنفسهم، فردد الفعل جسدت فعلاً شائناً وقد شغلت بهذا البحبوح، أنكرت هذا اللقب على الصورة المشينة مع أنه في استعمالنا نحن العوام تدل البحبوحة على السعادة والانسحاب، فالضحوك ببحبوح والكريم ببحبوح، فأخذت أمثى إلى لسان العرب فإذا المادة واسعة تشمل بح صوتها إذا غلظ حتى وصلت بالمرافعة إلى هذا النص من لسان العرب فإذا نحن العوام نحسن استعمال هذا اللقب كما هو الذي جاء في الفصحى لغتنا الشاعرة.

لهذا أُثير هذا النص هكذا من لسان العرب:

قال الفراء: البحبحي الواسع في الفقه، الواسع في المنزل وبحبح في المجد أي إنه في مجود واسع، وجعل الفراء البحبح من الباحة ولم يجعله من المضاعف، ويقال القوم في ابتحاح أي في سعة وخصب والأح من
شعراء هذين ودهاتهم والبحوحة وسط المحلة. وبحوحة الدار وسطها قال جرير:

قومي تحميهم القوم الذين هم ينفون تغلب عن بحوحة الدار

وفي الحديث أنه قال: (من سره أن يسكن ببحوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد). قال أبو عبيدة:

أراد ببحوحة الجنة وسطها وقال: بحوحة كل شيء وسطه وخياره.

ويقال قد تبححت في الدار إذا توسطها وتمكنت فيها والباحح التمكن في الحلول والمقام، وقد يبحيح إذا تمكن وتوسط المنزل المقام.

وهكذا أريد من القارئ أن يكون في بحوحة العيش عن طريق الخلق لا عن طريق الاختلاط، فالطريق السوي سهل المسالك، ليس في المهالك والطريق الوعر فيه المهالك.
ويحلو للمرأة أن تسمع عن كلمتين في موقعتين لشاملي على سفينة في البحر. والأخرى لشامي على ناقة في البر.

وقد حدثنا ونحن شباب في المدينة المنورة، والمدينة شامية بالنسبة للقبلة وهي شامية حيث تأثرت بقربي البعيد من الشام قيلوا:

ركب جماعة من العرب سفينة شراعية فهاج البحر، يتقاذف الموج السفينة، وإذا ركابها يتصارخون خائفين، وكل واحد يدعو (فلان) الذي يحب من أسماء الصالحين يا سيدي فلان. يا سيدي فلان. فلان وكان من بين هؤلاء الركاب شامي لم يصرخ ولم يتكلم، غير أنه ضاق بهذا الدعاء لغير الله. فرفع يده يدعو الله وبلهجه الشامية يسأل الله أن يغرق هؤلاء لأنهم نسوا الدعاء لله.

والفعل الممتد. قيلوا لنا إن شابين من أهل الشام ضاق بهما الحال ورفضا أن يفكروا بالهجرة وتفقث الحيلة لأخذهما عن هذه الفكرة. قال لصاحبه: (خي. سوق الأضرحة راج). وزوار الأضرحة يكثرون النذور. هيا نحن ضريحاً لواحد شيخ ثم تأتينا النذور، فقال صاحبه: (من أين تأتي بهذا الشيخ؟) فقال: (بسية). نشاهد واحد كلب. أو أي حيوان آخر نجدنه حتى لو وجدناه نافقاً على كوم قمامة ونبني عليه قبة صغيرة. فقال

- شامية -
الآخر "شو نسميه؟" فأجابه "الشيخ زنكي!" وظهر إن هذا الاسم عرفه الشابان حين اشتهى اسم السلطان العظيم نور الدين زنكي، فعلاها. وكثرت النذور واشتهر اسم الشيخ زنكي وقال أحدهما لصاحبه "أريد أن أزور الأهل لأساعدهم بس احفظ قسمي" وذهب حتى إذا عاد سأل عن قسمه فأنكر صاحبه ما وصل من الحصيلة وخلف باسم الشيخ زنكي "روح الشيخ زنكي ما وصلنا شيء" فقال صاحبه: "شو الشيخ زنكي؟ ما هو نحن دافتينو سوا!!".
النقض...

والغرنطة اليوم أنغبريل بكلمة عن مركب النقض فهو من الأسس التي تم
بناء علم النفس عليها. ويزعم الذين تأثروا آخراً في تعلم قواعد علم النفس أنه
اكتشف جديد سواء دار حوله ابن خلدون ولم يتوار عنه ابن مسكيه، أو
تظهره به أتباع فريد، أو استظهر منه الدكتور القوصي. زاد تأثير المكان إذا
ما تغير. يرتبك الطالب عن المذاكرة إذا كان في مكان غير الأول. كل هذا
يحبسهن الجديد مع أنه القديم تجدوه في كلمة لمعاوية بن أبي سفيان في
تشرح للعلامة المهدي بن عبود. فمعاوية بن أبي سفيان عرف مركب
النقض قبل أساتذة اليوم، فقد قرأ للاستاذ المصري خيري سعيد أن معاوية
وهو على العرش في دمشق وقد جلس لمتاربه وكان من بين هؤلاء الأحنف
بن قيس الزعيم في قبيلة تيميم، نعيم البصرة والكوافة، ومحمد بن الأشعث
زعيم كندة. شيخان من شمالي العرب عدناني وقحطاني، فاذن معاوية
للاحنف وبعده لمحمد بن الأشعث، فإذا ابن الأشعث يدخل قبل الأحنف
حتى إذا سلم على معاوية قال له: لقد أخذت للأحنف تملك ولكنك سبقته
قبل أن آذن لك وما كان هذا إلا لتقض فيك. أقبل فول معاوية هذا يدنا
على أنه يعرف مركب النقض. أما تشرح المهدي بن عبود فهو عن عالم
اليهود وإن كان مساويًا وهو فريد الذي استحوذ على دارسي علم النفس
والذي جعل الغريزة هي التكوين لكيان الإنسان وحرف تأثير الروحانية عن
أن تكون التكوين للإنسان الفاضل، فقال المهدي بن عبود (كل ما جاء صواباً عن ذرويد فهو ليس له ولا هو منه وكل خطأ عنه هو عليه فهو منه) وهكذا أصبح علم النفس تجريحاً للنفس أكثر منه صحيحاً لواقع علم النفس كأنما الإنسان أصبح لديهم عجينة يخبرونها لا طبع طبع الله عليها.
وحدة المشاعر .. عصمة!!

وما كان يخطر على بالي أن أخبر عن شعوري عن وحدة المشاعر ولكن الكاتب حينما يعيش واقعه تأخذ النظرة إلى ماضيه كما تأخذ الرغبة ليفحذه الأمل في أن يكون المستقبلي خيراً من الحاضر . فأبى شعب لا يعرف ماضيه الذي سجلت التاريخ مجدداً وعظيماً ومؤثراً لا يمكن له التخلص من العثورات، وأشد العثورات أن تطغي أنها الواحد على ما ينبغي للآخرين فشحور الواحد ليعيش وحده نكسة عليه لن تكون نكسة على شعب، فلذين أخلصت مشاعرهم حين توحدت فوحدت المسيرة بوسائل الإخلاص والعون ليكون الجزء للكل والكل وحدة لا تتجزأ.

إن وحدة المشاعر أصدق تعبير عنها هو الأخوة (إذنا المؤمنون إخوة، المسلم للمسلم ببيان واحد يشد بعضه بعضاً).

وهذه المقدمة عن وحدة المشاعر أطرفها تحليلًا بل وتحليلاً حين أذكر تلك اللحظة التي توحدت فيها مشاعري .. إذ نطقت بها إلاأ كند يوماً إلا وأنا أعيش كل مشاعري في الناس الذين هم لن يكونوا الناس إلا إذا كانوا ناساً على خلق يحمل من اعتر بالنسب، أن يعتر بالحسب فلا يتبذ حسب، ولا يهتز بفرقة السبب .. الذي هو به أو هو الذي له فلا يكون عليه ولا يكون على الآخرين، شأنك أن تكون عزيزاً وشأنك أن يكون معتزاً
ومن نطقته بل:
كان ذلك في الليلة التي اجتمعنا فيها في دار الأخ عبد الرحمن المقصود خوجه أعني ليلة الثلاثاء من نهار الاثنين. وكان الحفل أعد تكريماً للشيخ الذي ما زال شابًا أي عبد الرحمن بن عنقيل، فلقد كنت جالساً وعلى يميني المباركان من حجر اليمامة (الرياض) بل ومن حاجر اليمامة (حربلاء) وعلى يسارى الأستاذ عبد الرحمن بن عقيل الشياشي اليمامي بل هو العربي كما هما عروبة القحطاني والعدناني فوجديتني وأنه في هذا الحجر لأجد نفسي ذا حجر فلم يكن هذا الحجر الذي أنا فيه منحازاً إلى العلم وحده أو إلى العاطفة وحدها بل كان هذا الحجر وهو يعني العمل عفلاً وعاطفة، وعلى يميني المباركان شباب من أهل كازمة (الكويت) التي ما كظنت حبي عن كاظمة البصرة والكوفة وعن حبي لأصلها جزيرة العرب. حين ذاك نطقت أقول إن وحدة المشاعر في أبناء الأمة الواحدة عصمة عصمتها السلوكي خطوة خطوة في المسيرة المتحدة لحفظ على المصير الواحد.
ذلك إلهام اللحظة مع إنه استلمهم كل اللحظات من قبل لحظات ذي قار وذات الخناص التي كانت على ساحل البحر الأزرق نصرًا عربيًا في ذي قار ونصرًا عربيًا مسلماً في ذات الخناص بعد النصر ذي الخبرة وسيلة. لنصر اليموك، لنصر القادسية، ذلك النصر الذي لم يكن إلا بالإيمان الذي لم ينثني إلا بعودة المشاعر. لقد كان مع المثنى بن حارثة الشيباني أبو زيد الطائي قحطاني. صديق للعدناني، وقد كان أبو زيد نصراً، والمثنى كان المسلم بكل معنى الكلمة، فإذا وحدة المشاعر تسكن بالنصراني غريبًا طائباً قحطاني ليقول للمثنى (أنا أمرؤ نصراً فماذا تريدني أن أفعل؟ فقال ابن
حارثة: قاتل على أحساءك) يعني على أخلاقك تستلم مشاعرك، فقاتل أبو زيد جنباً إلى جنب مع المشيي فقاتل، ذلك أن مشاعره العربية دعته ألا يترك قومه العرب دون أن يقتل في سبيلهم.

إن وحدة المشاعر هي التي تأخذنا محباً ولا أنحصر في أشعار من الأرض في هذا الكيان الكبير، بل إن كل شبر من أرضنا هو وطني، فإذا أنا المعبج النبي فيما فعل عبد العزيز بن عبد الرحمن حيث جمع الشنت فقاطعة، ولا إقطاع ولا مقاطعات. فوحدة المشاعر نحن في حاجة إليها ليكون كل واحد وما هو فيه، أو بما هو له، ولكن وحدة المشاعر تجعله بكل ذلك أن يكون لنا جميعاً منا وفينا فالانفرادية طغيان الفرد على نفسه قبل أن يطغى الفرد على الآخرين، وحين نطقنا وحدة المشاعر ما كان في خاطري أنغاد مؤتمر القمة في جزيرة على البحر الأزرق؛ خليجنا العربي جزيرة البحرتين في عاصمتها المنامة وما كانت مناماً، ولكن القمة فيها صرح، فزعماء مجلس التعاون أبناء الأرض الواحدة واللغة الواحدة والشعب الواحد وقبل كل ذلك الدين الواحد، فكيف لا يكون مجلس التعاون؟ لقد كان حين تكون بهذا الوضع وحدة المشاعر، كلهم عرب معاً النسب بحلية السبب واختلاف الحساب، فالعربي ما كان عظيماً بالنسب وحده، وإنما يعظم بالحسب ويعظم بالسبب.

إن مجلس التعاون أكتب عنه اليوم وله يقول بيان المؤتمر بهذا الإلحاح بدعوني إلى الكتابة، وليس هو إلحاح الجريدة وإنما هو إلحاح الحافز بوحدة المشاعر.

إن مجلس التعاون وحدة أنموذج تضامن لا إمبراطورية تعاون لا يتعدي ولا يتحدى وإنما هو للمحصر يتصدى... إن تعاون زعماء المجلس من
 الشعب الخليجي نداء لما يمثله إلى أن يكون هناك تعاون شامعي عراقي مصري
سوداني ومغربي. ينبغي ما دام المسلمون لهم مؤتمر وما دام العرب لهم
جامعة أن لا يكون هذا الاجتماع صوريًا وإنما يجب أن يكون مصريًا.
أليس المسلمون والعرب يحملون مقدرات الأمة الواحدة، وحدة العقيدة،
وحدة المسجد، وحدة الأرض والتاريخ والمصير، يعني أن كلما في التاريخ
المشترك. كما أن وحدة هذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية منذ كانت
الأنموذج كانت الداعية إلى وحدة تحقق في المؤتمر الإسلامي في التضامن
العربي فإذا هي عضو في مجلس التعاون، فمجلس التعاون لا ينفصل عن كل
دعوة خيرى دعا إليها المؤتمر الإسلامي وتدعو إليها الجامعة العربية.

في زمن مضى وصلنا إلى الكويت وفي أزمة وقاها الله شرها جري
حوار بيني وبين الأستاذ سعيد فريحة كان مبادأً إلى جهة مثلاً علينا وكان
حاضراً في هذا الحوار وفي بيت وزير خارجية الكويت الشيخ صباح
الأحمد. الأستاذ البابليعي غيزي خليل صياغ الأمريكي حين كان يعمل في
السفارة الأمريكية لدينا، فمن هذا الحوار قلت لسعيد فريحة: وأنت العربي
لا بد أن تعرف عن هذه الوحدة الأنموذج التي تكونت بعبقرية البطل عبد
العزيز بن عبد الرحمن، فلو لم يضم الأحساء لفقد العرب كل العرب هذه
الأرض الطيبة؛ لأن الانفصال في قطعة من جزيرة العرب هو وصمة
للعرب؛ ولأن ما فعله عبد العزيز أصبح اليوم عصمة للعرب؛ ليس بقولة
التمر ولا برميع بترول وإنما بوحدة الأرض ووحدة المشاعر..

فهذا.. حذر من اختلاف مشاعر تزعزع الوحدة بين القلوب،
فانتصار الشعوب قلب مفعم بصدى المشاعر لا بالجيوش وإن امتهات.
تحية لمجلس التعاون نتى به وحدة المشاعر والله ولي التوفيق.
أرض الزيبير في الغابة

والمدينة المنورة الحرم الثاني الشريف، حفظنا أنهم وضعوا الحد للحرم منolahية إلى الغابة. وهذا التحدد من الجنوب إلى الشمال، وهناك تحدد آخر نثور إلى غرب، من الشمال إلى الجنوب الغربي، فثور ضرس من جبل أحد، وغيره هو الجبل في الجنوب الغربي يفترش حرم وادي العقيق. كما أن العقيق إذا تخطى جبل عبر يفترش مسليه بين الجماهير الجبل والحراء واقم، وعجيب حيث خطرت لي هذه الخاطرة فجعلت اللالبة افترش جنوب المدينة، فإذا هو يحجع لا يسيب إلى قباء، وقربان، والعواشي «العالمة» حجزه الله فإذا هو يسيب إذ نفرع إلى فرعين. فرع شرقي هو حرة «قريظة» يمتد من الجنوب إلى الشمال، ليقف مسليه دون الخنق دون وعيرة. وقد كاد يطفئ هذا الفرع البركاني ليكون سدًا يحجع وادي قننة. فإذا وفرة الماء يتكون منها غدير العاقول وإذا الماء ينخر المرة فيجد السيل المتحمس ليسيل بقدر لبقي غدير العاقول باراً. وهذا الوادي ذكر عنه السهودي أنه سال سنة أشهر، وأذكر بما شاهدت أن هذا الوادي سال ثمانية عشر يومًا، فذلك حجز على الحرم من جبل أحمد الشيخ عمر حمدان المحرزي حين كان يقبل مع طلاب العلم على الحرم. وأغاثهم أصحاب الشيم من الذين يحسنون العلوم يضعون الورود طعامًا وشرابًا في صفائح يحملونها وراء ظهورهم وقد ربطت بالحبال وسدرها باللحم، ينزل العوام من طرف حرة
قريظة يسحبه النيار حتى يصل إلى الساحة الكبيرة بين جبل أحد و"خيف السيد" البستان الذي كان ملكًا لإبراهيم فرّاه حيث يخف النيار ويبركون الحزم ليصلوا بالطعام إلى الشيخ وطلبه. ... وهم يستحقون الذكر وعن حرة قريظة أنه اشتعل البركان مرتين، فالأولى في عهد أبي حفصة الفاروق عبقري هذه الأمة ابن الخطاب عمر، رضي الله عنه. فلم يكن البركان قويًا أضعفه الله فلم نُصب منه المدينة بأذى. ... وأما في السنة الثانية فقد ارتفعت نار عالية حتى أضاءت أعتاق الإبل بتصاري. معجزة الخبر عن الصادق الأبر. فهل كان ارتفاع النار بأمر الله لا تتطلب على الأرض فتأذى المدينة المنورة فلم نسمع أنه أصابها بأذى. ... كما أنا لم نسمع عن ثورة البركان في هذه الحرة ثار بعد زلزال، فالمدينة بكل هذا أصبحت وهي عدة أبقعّة وكأنها الدنيا بين جذور الحرة في الجنوب وفرعها في الشرق والغرب. لهذا قلنا من قبل إن المدينة يوم كانت يشرب لا تتزّر من جنوب أو شرق أو غرب، فغزوتها أسعد في الشمال، وغزو الأحزاب إلى الغرب الممالي شملاً. والمدينة من الغابة إلى الليل ما كُلبت عنها ما تقدم إلا سبيلًا أذكر السبب الذي ذكرني إلى ذلك فقد كنت في النادي الأديبي بجدة أستمع إلى محاضرة أستاذنا الأزهرية الدكتور أحمد عمر هاشم وليتيني أوقل الشيخ، فالأزهر مشيخة. فاللقب للشيخ العالم والعلامة، والمفتي. ... أما الدكتور فشيء جديد، لا يكتر به الأزهرية، ولا نستطيع إهانة هو حكم الزمان، وسمعت الأستاذ وهو يجيب الذين يتسللون على الصحابة ذكر اسم الزبير بن العوام ابن عميرة رسول الله وحواريه البشير بالجنة.

واستطرد الشيخ ليذكر أن أرض الزبير كانت في العالية أي "العوالي" وقد سنت بذلك لأنها اعتلت، فالمسيل لرآئوناء من العالية؛ لأن قباء
وربئان هي من عاليّة الأرض وإن لم يطلق عليها اسم العالية. فوجدتني لا أثير الاستماع على النادي. فأراض الزيبر في اللغة أسفل المدينة المنورة يطالبها وادي الحمض حيث تكون من اجتماع الوديان الثلاثة قبل الغابة في مجمع الأسلا في غابة حول بحر روما. فقناة ويطحان والعقب. تجتمع هناك ساعاً واحدة هو وادي الحمض يسيّب بطا الغابة. ويخذل معه ساعاً رابعاً هو الذي يسيّب على أراض الزيبر من شمال أحد هو وادي "النفسي"، فهذه الأرض ليست في العالية. وفي حفل الاثنين وكان الشيخ يباني فاستنكرت عليه ما ذكر عن أرض الزيبر، قلت له إنها ليست في العالية وإنما هي في الغابة تعانق جبل أحد وتعانق ما أسّع لها من الأرض، فقال الأستاذ أحمد عمر هاشم: إن هذا النسي في صحيح البخاري. فوصفه عن الكلام لم يكن أسال شيخنا أبا تراب عن الصواب فيها ذكره الأستاذ. وسألت أبا تراب فقال: إن الذي في صحيح البخاري هو أن أرض الزيبر في الغابة فطلبت من الشيخ أن يحرر هذا الموضوع في مقال تكتب تعبيرًا على ما ذكرت، فصعى أن يأخذنا شك في المتن الصحيح، ولعلنا بعد ذلك أذكر موقعاً حول أرض الزيبر فقد كنت مع الأستاذ حزمة شحاتة يوم كان يقيم عندي في الصيف وعائلي في الطائف وقد جلسينا وبين يدينا المغني والشرح الكبير لابن قدامة، والمحلى لابن حزم، نقرأ النسي في كل منهما للمقارنة والتعلم، فإذا الأستاذ حزمة يقرأ هذا الخبر؛ فقد اشتكى إلى رسول الله ﷺ أنصاراً الزيبر، لأن له أرضًا بعد أرض الزيبر. فقال يا رسول الله إن الزيبر يحبس ماء السيل على أرضي، فقال الرسول ﷺ للزيبر: جاره. أجل أن يحبس ماء النيل، فتألم فقله، وكان هذا الخبر في المغني إذا حزمة شحاتة يقول: الله أكبر فإن هذا الأمر قانون الأنهار في العالم، فقبت العجيبة في هذه العشر سنوات بقدر الله وقوع
الحدث تلو الحدث لينعم بالتشريع، فقال حمزة ما أكثر وأعظم ما تم في هذه العشر من السنوات.
ويعني أن نقرأ لأئذانا أبي تراب عن النص في صحيح الإمام البخاري
محمد بن إسماعيل تغمده الله برحمة.
أمثال

وأكتب للمندوة كأتي في ندوة، لأنها المنتدي يحمل فيه وبه الأدب والأخسن من السبب فهي كما قال المنتدي [وأخسن ما في الأخسن الشيم] فالشيم جمع شيمة كأنها من المروءة غير أن كلمة الشيمة تعني من الخلق الكريم العفة والنخوة والكرم. فهي كلمة جامعة وإن كانت الأقل مما تجمع المروءة. فكل خلق كريم مروءة، وهل هناك علاقة بالاشتباك بين المرأة والمروءة. قد يكون.

والعامة أبدلوا الهمزة بالنواو فقالوا السريرة وأخذى أن يقرأها من فاته الصران (بالمريرة) أي الحجر الذي أبيض حين غسله الماء، حتى إذا زاد غسل الماء نبعت عروق من الذهب، ذلك صنع الله.

والكلمة الثانية كمثال من الأمثلة أخذناها من الفارسية هي قولهم [اثنان أبدر من يخ] والمعنى أنه من الصفاق أنه يلبس أحدنا ما لا يلبق به نفسه.

والكلمة الثالثة وأخذناها من الفارسية أيضاً فم شعر الفردوسي، شاعر الفرس قوله يسخر من البيل لا يعجبه هذا العدلليب موضوعاً لا شكلاً قال: أي يا مرغ سحرب أنت لست عاشقاً مغرماً لا تدوم في الحب تحب الورد تغني له في الصباح وقت السحر حتى إذا أقبلت عليه تشميه يغمى عليه. يتبع عنه بينما الفراشة هي التي تحب كل الحب. تطوف حول
النار... لا تخشى أن تحرق، بل تغازل النار والنور... فإذا هي تغمس نفسها في النار ليحرقها الحب.

وأعلن هذا المنذوب الشقاق في الزعامة الفلسطينية الحسني - الشاشي
- العلمي - الشوا - ومن إليهم، فألقت مقاومة تنجيحا بهذا الفرصة التي أعلنت نفسها في حرب الدول العربية «ماكو أومو» الأمير الوحيد لأبر حنيك - التحريز المتعمد للجيش السعودي والجيش المصري. لكن الفالوجة أثرت الثورة في مصر، وأثارت التروي في المملكة العربية السعودية.

هذه المقدمة دلالة لتحليل المواقف التي ذكرت، هاني الحسن وجورج بوش - اليهود وجوه بوس - الحوار الأمريكي ومنظمة التحرير. فالاثنين الفلسطينيان هاني الحسن.. عضو المنظمة استقبل الحوار الأمريكي بالترحيب كما هو ذلك من منظمة التحرير حتى قال: إن وراء العدوان الأمريكي عن موقفه ضد الحوار مع المنظمة كان وراءج بوش بالصفتين اللتين يحملهما .. نائب الرئيس وله رأيه.. والرئيس المقبول وما يتعلق عليه نهجه السياسي بعد...

إن هذا القول من هاني الحسن متفائل، ولكن: كان جورج بوش يغامر بإغضاب اليهود، فلمما لا نقول إن الكهنوت اليهودي داخل الولايات المتحدة وقد كان موقف الرأي العام العالمي، وانتقال هيئة الأمم إلى جنيف تسمع لياسر عرفات. .. تصدر القرار نصرا للفلسطينيين. .. فإذا الحكومات والشعوب في كل العالم مع منظمة التحرير.. فرأى الكهنوت اليهودي أن يتصن هذا الموقف العالمي.. يعترض بهذا الحوار الأمريكي بين منظمة التحرير والإدارة الأمريكية يبدا لذ ذلك واضحاً. لأن الرأي العام العالمي بدأ يستفيق قليلاً لينظر النتيجة. فاليهود كما قال أستاذ منهم لبعض
تلامذته، يهود أهل البداية. نعتبر الظروف المواتية. يتم لنا
البروز غير أننا لا نلتقي إلى النهاية.

وفرضت لذلك القول بأنه يعني أن اليهود في طول حياتهم من
المحظة التي كانوا فيها بدواً إلى كل اللحظات التي تبعثوا فيها في كل إقليم
كانوا أهل وقت فلم يكن الزمن معهم.

يمسكون بالسياحة وقتاً يطغون فيه إذا الزمان يأتي بما لا يسرهم بل
وهما أسرهم وعصرهم وعثرهم.

فهم بهذه العودة للحوار قد كسبوا وقتاً يسترخي به الرأي العام العالمي
ليمكنهم العنف على فتيان الحجارة.

حتى كلمة شامير حيث قال: لقد أصبح هذا العالم أحمق مجنوناً...

حيث كان مع الفلسطينيين.

وما قالها صادقاً عن العالم وإنما هو صادق لا يعبر عن حزن أو ألم
إنما أراد أن يعبر إلى أقصى حدود الطغيان في هذا الوقت الذي سيستند مع
هذا الحوار. ولكن فتيان الحجارة والأمهات مازال بيدهم الحق الذي سيثير
هذا العالم مرة أخرى.

إن شامير يقول عن ثورة الشعب الفلسطيني وليس في يده إلا الحجارة
إنهم إرهابيون يعتدون على الأثيوبيين بالقولير الحارقة، إنه يهودي من أهل
البيت، أي اليهود كما قالها عنه الحبر اليهودي عبد الله بن سلام يوم أن
أسلم نطق بها أمام خانم الرسول سيدنا محمد.

ألفيس من اليهود أن يصف شامير شعياً يطغى بالحق بالإرهاب؛ لأنه
يعتدي على الأثيوبيين وينكر أن قتل الأطفال وأجهاز الأمهات واحتلال
الأرض ليس من الإرهاب؟

إنه الهتاف لا يصدقه العالم وقد يصدق عليه بعض الذين يкерون أن في

يدهم سيادة العالم.

فالوقت جزء من زمن، أما الزمان فهو مع العرب إذا ما أثبتوا أنهم

يطالبون بحق.

إن انتقال هيئة الأمم إلى جنيف قد أعطي دول العالم الثالث أن تسحب

حلفاء الأطلسي إلى الانسحاب عن الضغط المسلط عليهم. والليالي من

الزمان حيائي.

- صورة:

وصارت العظائم من البنات والأمهات أربعة:

ففي تاريخنا أمان: صفية بنت عبد المطلب قتلت اليهودي، وأم حرام

بنت ملحان أم أنس بن مالك الشهيدة في ذات الصواري. فلصفية ولأم

حرام أربع بنات لهما: شجرة الدار التي أسرت لويس التاسع قائد الصليبيين;

وجنان الشواربي التي أسقطت إبن رئيس وزراء بريطانيا أيام حرب الدول

الثلاث، ويبنتان جاءتا بعد: سهاء محيدلي التي قتلت خمسين يهوديًا، والبنت

الثانية بعد هذه لبنانية مثلها أطلقت الرصاص على أنظوان أحد. هكذا

كتموا موهبته، لذا تكون هذه البنت كسانا مع أنها في تاريخ العرب ألبسها

الفقدان الثناي والسناء.
حرب السلام لا سلام الحرب

وهذا العنوان حلقة أخرى بعده التعليق على صورة التحليل لمواقف
نتغت ممتعة للفلسطيني الإنسان المسلم العربي بعد بيان المجلس الوطني
الفلسطيني بل وبعد الأبعاد التي قادت العالم إلى أن يكون مع فلسطين..
تلك الأبعاد التي صنعها فتيل الحجارة.

فالحجر في يد الفتى الفلسطيني كان ثورة أعلنت السلام وقبل
الفلسطيني، ما رفضه من قبل.. فالمقاومة كانت أسلوب الحرب الممكن.
سلاحها السلف.. رفض كل القرارات.. فإذا الموقف السلمي لم يعد سالحاً
في يد الفلسطيني طوال ذلك الزمن الطويل بل قد كان هو السلاح في يد
اليهود يصخرهون ويتكلمون من الأعوان بينما الفلسطيني لا يجد معيناً من
قرب أو بعيد كأنما فلسطين أرض غير عربية.. أرض غير مقدسة، يعني
ذلك أنها ليست أرضاً إسلامياً.. فدولة اليهود لم تكن وليدة الحرب العامة
الثانية وإنما كانت الوليد الأول أبوه وعد بلفور وأمه معاهدة سابكس.. يكو
أي إنها تكوّنت بالهجرة قليلاً في عهد الاستعمار البريطاني أي بعد
الحرب العاّمة الأولى.. وكان هذا التكوين لدولة اليهود في رعاية المنذوب
السامي اليهودي «هيربرت صموئيل» الذي اعتز حين انت فاصبح رئيس حزب
الأحرار في بريطانيا.. خلفاً للوي جورج.. خلفاً للوادستون.
اللغة إعراب والأرض تعريب

ولكن الأرض العربية هي التي تحفظ العروبة لغة وسمات واتجاهًا، كأنما الأرض العربية لها حد معروف. فهي التي تصنع التعبير لنسانها، والتي هي الصوانة لعروبة إنسانها من عمق عروبتها.

ولقد قلت من قبل لقد شرق الفتح فلم يعززه وإن اهتدى إنسان الأرض لدين الإسلام، وغرب الفتح غرب، فإذا غرب السويس هو العربي تفضلت العروبة اللغة بجندي الفتح وتأصلت فصاحة اللغة بموجة بني هلال وبني سليم، فالذين عابوا بني هلال، فقالوا إنهم خبروا، رد عليهم بن باديس العربي عروبة حمير بقوله: «الن قبلي إنهم خبروا، فنقل إنهم عربي»، فالفتح الأول والهلالي بعد، عربياً للسان وإنما الأعرق فلم تكن إلا العربي من عروبة الأرض.

فالأرض شرقها من شرق الفرات والخليج الأزرق وغربها على الشمال الأفريقي على المحيط الأطلسي حول الرطبة الأخيرة لذي القرنين المصعب الحارس اليمني القحطاني بل الحميري، ومن حول وطأة عقبة بن نافع الفهري يعني الفهري.

ويحتاج الأمر إلى تفصيل نوكرد به التأصيل، فالروميان لم يستطعوا وقد بسطوا سلطانهم في شمال الجزيرة العربية يعني الشام كلها، كما بسطوا هذا
السلطان على جنوب البحر الأبيض من غرب السويس إلى ساحل المحيط، بسطوا هذا السلطان استعماراً واستغلالاً إمبراطورية عظيمة في ذلك الوقت، نداً لإمبراطورية عظيمة كذلك ألا وهي إمبراطورية الفرس، غير أن هذا السلطان لم يفرض سلطان الأعجمية على الأرض العربية شامها ومصرها، وكل مغربها. ولم يكن الصوان للعروبة على أرضه هو الإنسان العربي وحدها، إنما هي الأرض العربية لا تقبل إلا عروبتها.
والعراق استغول عليه سلطان الفرس ولكن بقي عريباً لأن الأرض صواناً لعروبتها، حتى إن العراق الذي كان كلدانيًا باباً أبت أرضه إلا أن تستحوذ على العابرين هؤلاء من ولد عابر بن شالخ بن أرخشد بن سام إلا أن تأخذها أخذاً لتحمل من وراثته للسامية تسير به إلى العروبة، فإذا هم الأنبات أصحاب الرس، وإذ هم يرحلون من عراقتهم عبر الصحراء فأنجدوا ليكونوا عرباً بعد حين وصلوا إلى نادي القرى. يروتون شموه.. يكللون حضارة شموه. فإذا هم في البلقاء ينحون الجبل، فإذا هم في سلم البيضاء كنما حضراتهم في البراء صورة طبق الأصل من حضارة شموه «وَمَّوْمَعُ الْقَلْبِ「 يَهَبَّوْهُ الْمَشْرَىَّ بِلَوْاتِهِ» (الفجور: 9).

ولقد أذبت الأرذب العربية لهجبتهم الكلدانية وإن بقيت منها ألفاظ:
(كأنخفض بمعنى عطي، أو ناظرك بمعنى النظر، أو هي الناظور بمعنى الحارس).
وتأتي إلى المغرب أغنى غرب السويس فإذا الأرض صنعت عروبتها.
وما كان الإنسان هو المغرب وإنما هي الأرض، وبالله من ذلك أن مورتانيا وكال المغرب بقي غربياً.
أما مالي والسنغال (منهاجه)... وبقية من أرض أفريقيا انتمي فيها
الإنسان العربي ولكنه لم يعر ناسه، ولعل آخر ل أن سيبويه وابن المقفع
ومن إليهم تعلموا اللغة في فارس أصيحون أمه وأحدهم إمام اللغة العربية
سيبويه، والآخر إمام العربية ابن المقفع، وقل ذلك على أبي نواس؟
فالبصرة والكوفة وما إليهما كأرض تأصل بهم اللسان العربي، فليس هو
الخيل بن أحمد الفراهيدي الأزدي وإن علم سيبويه... والذي أعطى سيبويه
إمرة اللغة.

قد ينطلق لسانه بالتعليم ولكن موهبة التذوق لقانون اللغة واحتراف
التدقيق لمفردات اللغة لا أنكر أن التعليم له أثر، ولكن الأرض هي المؤثر
الأول.

وهكذا فأرضا العربيه إن توحدت جغرافيا فإنها تتكمل الآن حينما تفرقة
إقليمياً، ولكن عروبة الأرض ما زالت إمبراطورية، واللسان العربي ما زال
إمبراطوريًا، وأرجو ألا أعود إلى هذه الكلمة مرة أخرى وهي: "القومية
شعبية العرب، والشعبية قومية الفرس".
في ذاكرتي:
الأمير شكري أرسلان

أبو غالب بن ماء السماء: الأمير شكري أرسلان. جمع المناقشات،
لكنها قد تناسقت وتسقت فإذا هو أمير البيان، فلما وضعنا أمام الراية
ننقيض مسيرته. تنتضح بها سيرته، لوجدناها العربي نسبة، الإسلامي
جماعة، الدرزي سنيا، الإسلامي قوميا، الخصيم لزعيم يوماً ما، الصديق له
في أيام بعدها.

سعة الإدراك، وعجيب الاستدراك أقصت التزمر والجمود، فالذين لا
يعرون عظمة الرجال. لا يتقلمون على أحوالهم بالرفض والندم. وإنما
هم، وفي نطاق الالتزام وحرية المسؤولية، يسيرون مع الواقع ليعطوا أنهم
وبحتمية الواقع مسيرة الإلزام. فرضها عليهم ما التزموا به من قبل.

**

مقدمة لا بد منها تستضيء بها. ليتضح عنها شرح ما عرفناه، والحب
لمن أحبناه. فالعظيم بما أعطيت يفرض علينا أن نحبه، وحب العظيم
ليس فيه شيء من الغزل وإنما فيه كل شيء من التغزل له ومعه احتراماً
иإعجاباً بقل وقعة.
شكيب أرسلان. عرفته على أكثر من صورة: القادم إلى المدينة
المنورة مع زميليه الشيخين عبد القادر المغربي الدمشقي، وعبد العزيز
شاويش المغربي المصري. وصلوا إلى المدينة يؤسسان كلية إسلامية في
محلة العنبرية بين الكلية المصرية، ومحطة السكة الحديد.

وعرفته كيف ذهب إلى استانبول، ثم المعرفة له حين قرأت وحين
أعطته ذاكرتي بما جاء به وتعج في أكثر من رحلة.

لبناني قومي، ورث إمارة الدروز، بل ومشكلات لبنان، إنه يعرف لماذا
تنصرف بشير الشهابي؟ لماذا كان بشير الشهابي والبوسف في دمشق والجزر
في عكا يجتمعون لتنظيم ثورة على الدولة العثمانية. عطلهم عنها فتفرقوا
مسيرة قبائل من نجد قالوا إنهم (الوهابيون) - ذكر ذلك ساطع الحصري
حين قال:

- موجة القبائل من نجد أنقذت الدولة العثمانية من ثورة شامية.

وعرف المجازرة في لبنان. تتحرك بعصبية الطائفية فأحسمتها وساطة
الأمير عبد القادر الجزائري طاردته فرنسا واحتضنته دمشق.

كل هذا هو الطفل رجلاً. والرجل عقلاً، والعقل مسؤولية. فإلي أين
يزدهر؟

كانت الأسئلة هي المذهب. عظم فيها شاميان: عزر العابد، وأبو
الهدي الصباد. فلمحاذا لا يذهب شكيب أرسلان لينال مقاماً، وليصون قيمة
لله يفعل تقوياً للبنان؟ ولكن كل ذلك لم يكن.

كان رجل الجامعة الإسلامية تزامن مع جمال الدين الأفغاني أو تزامل
معه. فرغم اشتعال الطورانية - قومية تركية - والشعلة في الشام - قوميين
عرباً - ثبت الأمير شيكيب أرسلان على توجهه الإسلامية. فلم يكن مع ثورة العرب وقوميتهم. لأنه أنكر تحالفهم مع الإنكليز والفرنسيين، فتكرر زعماء من العرب عليه. ليس أولهم عبد الرحمن الشهيدر. وليس آخرهم أستاذنا عبد القادر الكيلاني.

ولكنه لم يكن متآمراً عليهم كأسعد شقير. وإنما كان يأمر نفسه أن لا يكون معهم في بداية الأمر. وإن كان بعد صار لهم وساروا إليه: رياض الصلح، وإحسان الجابري، وأخوه عادل. كلهم كان القومية العربية مجسداً، والناز الشامي في غزبة العنفي.

فأل الأمر به أن أصبح صديقاً سنداً للذين لم يكن معهم أول، فإذا هم معه آخر الأمر. كان في لوزان يبيع ما ملكه. يتفق على نفسه لنلا يهلك. أخذ على نفسه أن يكون الصديق للرياض، والقاهرة، وبغداد، وكل الشمال الإفريقي. يتلقى الأخبار والرسائل حتى عده بعضهم سيد الكهنوت للقومية العربية.

يقاتل الخصام بين زعيم وزعيم في المودة والنصيقة.

حين أقام أياماً في المدينة المنورة في أوائل الثلاثينات الهجرية، يضع هو وزملاوته حجر الأساس للكبة الإسلامية. لم يبتعد عن المسجد، يصل بعلماء المدينة. فإذا هو التلميذ لحمدان الونسي، والصديق لحسن أحمد المدني الدويندي. أغراده.. لا يرتدون، ولا يترفعون.

ذهب إلى "البقيع" مرة وكان معه دليله أستاذنا السيد أحمد صقر فوجد على باب البقيع لوحة بخط الثالث مكبراً ومذهبًا مكتوب عليها:

- (هؤلاء بقية الشريف).
فقد: ما هذا! عبارة لا تركية ولا عربية. ما أشده الخسارة لهذا الخط الجميل! وعهد هو وزملاوته إلى شهيد التجار حينذاك (كامل الخجا)
أحد أعيان دمشق وأحد أعيان المدينة.
كان أمين صندوق ينتمي إلى التجار، وذهب إلى الأمصار المسلمة يجمعهم لترحيبه، وكان من بينهم الشيخ العظيم زاهد أفندي والد
الأستاذ أبي الضياء عزّيذ. ذهب ولم يعد. ولكنه أعطانا ابنه العزيز عزيز
اديبًا وكاتبًا من الرعيل الأول.
واشتغل الاستعمار، وقام ملوك وزعماء. صدق مع الجمع وصدقه
الجميع، ولكن صدارته وصدقه ترسخاً عندما مضى الملك عبد العزيز. يثق
به وصدقه وصدد بالالتزام به: ذلك أن عبد العزيز بن عبد الرحمن
كان الأمين في نظر الأمير شيكب على هذا التزام بين قومية العرب لا
تكون إلا مسلمة وبين الجامعة الإسلامية لا تكون إلا قرآنية. كأنه لغة
القرآن سورة في الصلاة يرتقي جرسها في المحراب، ويتحرض معناها على
العنبر، ويتفرع وجدان المسلم بالإيمان العميق.
وجه الأمير شيكب إلى مكة وإلى الطائف.. عضواً في وفد المصاحبة
بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى.
ثلاثة شاميون: هاشم العطاس (الأناني) وأمين الحسيني، وشيكب
أرسلان، ومصري عربي من صعيد مصر من أسبوط: محمد علي علوي
بشا.
وتمت معاهدة الطائف... فانطلت كرية وتُرسلت قربي.
أين نزل في مكة؟ وليس فيها فقد. فهل ينزل في بيت ماجد الكردي
كما نزل قبله شاميون كثير؟ أم ينزل في بيت آخر؟!
من هنا جاءت حصافة "فيصل بن عبد العزيز" : لا ينزل ابن ماء السماء حفيد العمان بن المنذر إلا في بيت بي عبد الدار بيت الشبيبي.
كان "فيصل" ذوها وحصيفاً أن جعل العروبة ممثلة في شكيب.
تستضيفها العروبة الشامخة في بيت عبد الدار.
استقبله "الشبيبيان" أحسن استقبال. وحين صلاة المغرب أو صلاة العشاء. صلى الشيش عبد القادر الشبيبي إماماً. قرأ السورتين: 
"أتَ تَرَكَ فَيَقُولُ رَبِّ أَنْتُ أَحْكَمُ الْأَيْلَ " و "لَا يَلَّهَبُ فِي قَلْبِهِمْ. إِلَّا هُمْ " وبعد السلام قال:
أْبَوَ غَلْبَ.
- أشهد عليك مكي. قرأت السورتين المكية.
وقام بالزيارة للبيت صديق البيت أستاذنا عبد الوهاب آشى يرحمه الله.
و حين سمع أبو غالب اللقب (آشى) قال عبد الوهاب شامخاً:
- هل أنت من وادي آش؟ يعني الوادي الجميل في الأندلس.
- فقال الأشى: لا . . . أنا مكي، ومن أندونيسيا.
شكيب حين سأل عن ذلك، أراد أن يسمع الرنين من جرس الكلمة:
"الأندلس). وادي آش. هو ذلك الوادي وصفه الشاعر هكذا:
وقناها لفحة الرمضاء، وإد سقاء مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوجه فحما علينا،
حنو المرضى على الغطس
فتمس جانب العقد النظيم.
وعاد شكيب إلى لوزان. ومات عبد القادر الشبيبي فرشاه بقصيدة جاء
منها:
وهل كان المغيب سوى العيان
لعبد الدار أو عبد المدنان؟

واعتلى ذكر شكيب في مصر .. سبحانه
صدقنا للكبير والكبير، فأغاظ ذلك
سلامة موسى الذي كان حراً على الشاميين في مصر، فسب شكيباً يقوله:

«القدر» قال: شكيب أرسلان كاتب شامي وغداً!

فانتفض السيد رشيد رضا، شامياً لبنانياً، يدافع عن شامي لبنانى.
فكتب يقول: (بل أنت الوغد) .. إن شكيب أرسلان ليس وغاً .. والوغد
من ينطيط على المواند. أما شكيب أرسلان فأكل على مائدة الملكه ..
يعني فيصل بن الحسين .. حينما زاره في وزان.

لقد كان سلامة موسى سلطان الله على الرافعي أيضاً، كما ورث
ذلك عنه تلميذه الحقود .. يشتم الرافعي مستمراً وراء العقاد بينما هو سلامة
لموسى.

وأبو غالب شكيب أرسلان لم يكن الكبير في مصر حداً. بل هو
أمير البيان، أكبره كل العرب. لقد خاض الحرب ضد الاستعمار الإيطالي
في ليبيا، كان رفيقاً للسيد أحمد الشريف السنوسي في حوزة الحرب حتى
إذا كانت الهزيمة خرج من ليبيا أحد رجال أربعة أحمد الشريف السنوسي،
وأنور باشا، وعمر خليل باشا، وشكيب أرسلان.

خسروا حرب السلام وخسروا الأرض، ولكن شكيب أمسك بالقلم
ساحلاً يدافع عن الإسلام والعرب، وفاتني أن أعزى مدى العلاقة بينه وبين
عبد الرحمن عزام، وحافظ عفيفي، وسيد كامل، فقد كانوا جند حرب في
ليبيا.
لا أدرى هل كان بينه وبين عزام وصل المجاهد للمجاهد، أم عبد الرحمن عزام كان العروبة مصريًا، والعروبة مغربيًا وسعوديًا وفلسطينيًا، أما غير ذلك فلم أعرفه عن عزام.

وحين غادر شكيب الحجاز في رحلته الأخيرة ألف كتابًا عن هذه الرحلة تحت اسم "الارتسامات اللطيف في خاطر الحج إلى أقدس مطاف.

وحين زار الشفا من شمالي الجزائر على الطائر كتب يقول ما معناه: رأيت الشفا وكان لبنان قبل خمسين عامًا. كأنما رائحة الشجرة "العثم" أشتهي منها رائحة الصفصاف أو الأرز، أو تمثل في الشفا الشؤوفات.

وترجم شكيب مبذاذ أنطونو فرانس أفكارًا متمتعة، مجنحات طائرة.

فأخذت عليه أنه اخترع المبذاذ، حذف بعض ما يتفاني مع تقاليدنا، مع أن أمانة الترجمة ينبغي ألا تتوهمها شائبة اسم الكتاب "أنطونو فرانس في مبذاذ" ولكن الوقار من عمتنا الأعرق.

وعلمنا من بعض ما نشر أن الأمير شكيب أرسلان وهو يعرف أرضه طلب من أنور باشا، وكان صاحب السلطان في تركيا حينًا أكثر من طلعت باشا وحينًا يترك لطلعت التقدم عليه، طلب إليه الأمير شكيب أن يعتد خط حديدي لسكة حديد الحجاز من "هديه" التي يمر بها الخط ليصل إلى خيبر، فهدية وهي على الخط لا تعد عن خيبر كثيراً.

أراد شكيب أن يتصل العسکان إلى خيبر أو إلى أكثر من ذلك. وللته عاش لبري العسکان الآن في خيبر، تمتد إليها الصلة بالخط المعبد المسنة.

يرحم الله الأخيار، وأسأل الله الهداية لمن أرجوهم أن يكونوا أخيارًا.
الأحمق

والغريلة اليوم عن إنسان تركه حماقة، فالحماقة في الفصحي تعني
الغباء المتكبر بينما هي في لهجة العامة تعني شديد الغضب، ولعلَّي لا أُبعد
عن لهجة العامة، وإن كنت القريب من الفصحي، ففي الإمكان أنَّ ما تعنيه
الفصحي هو الحقيقة وما عنه لهجة العامة هي استعارة، فما أكثر الحقيقة
التي اتخذت منها الاستعارة فإذا الاستعارة أكثر استعمالاً، فكلمة النفيس
بالعامة القحطانية القديمة تعني الواسع وفي الفصحي الجديدة عند الشميين
الغالي، فأصبح الجميع نفيس وبعد...

هذه المقدمة التي شرحت بها الحماقة أشرح من هو الأحمق الذي
أكتب عنه، إنه ذلك الذي مسبقني إليه كتاب الترات (كليلة ودمتة)، فمن
قصصه حكاية (الفيلم) وهو الذكر من السلاحف، فهذا الفيلم حيوان بري
وبحري أو على الأصح بحري بري خرج إلى البر فساح قليلًا يستظل
تحت شجرة من أشجار الفواكه، وبالصدفة كان فوق الشجرة قدر لعوب،
فأخذ يتلاعب بالفيلم برميه بتفاحة بأكلها فاستطاب بالفيلم ذلك، والقرد
حيوان أنيس فاستأنس بصحة الفيلم وتشوق ذكر السلحفاة إلى أن يعود إلى
البحر فإذا هو يجد أثناء تدعى المرض فسألهما عن ما أصابهما فقالت أصابتي
الوحشة عنك، وقال لي جارنا الفيلم وقد علم أنك صاحب قردًا، قولي
إنه في حاجة للملوء وليس هو إلا قلب قرد، وسمع الأحمر فرجع إلى البحر يحتال على القرد بغيظ الأحمر يدعو وركب عليه يذهب به إلى بيته في البحر، فسأل القرد: "أمعك قلبك فإن أنثاي مريضة شفاؤها قلبك" واستيقظ ذاك القرد فقال للغيلم لعذرا لم تخبرني أحمل قلبي معي فقد تركته فوق الشجرة ارجع بي لأحمل القلب، فرجع الأحمر به حتى إذا وصل إلى البحر قفز القرد على الشجرة وقال للغيلم هذا فراق بيني وبينك فلا أريد صحبة الأحمر ورجع الغيلم إلى بحره وكدة في نحرو.
العريقة

والبحث عن العراقة أصبح الشغل الشاغل للكثير من شبابنا. فكل يسأل عن قبيل ينتمي إليه. مع أن العروبة عروبة الأرض وعروبة الإنسان كافية وافية لكل من يسعى للسبب ألا وهو هذا الدين الحنف. الإسلام. ويعلو به حسب ألا وهو الخلق النظيف، والسلوك النظيف والمعرفة التي اتسع بإمكانها في كل مكانها مدارس وجامعات. فالسبب الإسلام وحتى العروبة، والحسب القيم التي ينعم الله بها على من أحسن السلوك. كل ذلك نسب اكتسبه رجال إذا ما ذكرناهم قلنا: رضي الله عنهم.

حين نبغت القومية وقد عاصرتها. ما عرفت أبداً يسأل عن الأجداد. بل كان فخره بالأجادات. لا يسأل عن جذ النسب وإنما هو الفاخر بالأجادات الذين صنعوا تاريخ المجد وموجد التاريخ.

ولكن اليوم ومع فشل القومية العربية أصبح كل واحد منا قوميًا بذاته. فقبل أعجام جاءنا زائراً بيتاً واحد من بيته له قيمة، ولا يعرف أن من عرق عربي. أخذ يسألني: لدينا خبر أن جدي يناسب إلى عمرو بن العاص. فهل تدلي على ذلك؟ فقلت له لا أعرف، وإنما أسأل صححك ناصر الدين التشافisci لأسرته
يتنسبون إلى عمرو بن العاص كما علمنا، لأن أسر فلسطين حافظت على أنسابها.

ولأترك هذا الجد ليضحك القارئ وهو يسمع في التلفاز الإعلان عن الجبيزة العريقة. فحتى الجين المصنوع من اللين أصبح عريقاً مع أن العرب الذين يعتبرون بالخيل وبالنوق ما قالوا الحصن العريق والناقة العريقة وإنما قالوا الأصيل والأصيلة، ولكن الجبيزة اليوم في وقت التفتيش عن العراقة أصبحت عريقة، مع أننا كنا نعرفها من صنع بني رشيد صالحة للعريكة (خبز وتمر وجبين زقوق).

وملحة يرويها الملكي عن أحد الحجاج من أهل جاوة يسمع عن (الجبين الزقوق) وإنها تكثر بعد المطر، إذا ما ربيت الأغام. فلقد تكن تمطر السماء، حتى وصل إلى من يبيع الجبين يسأل عن (الزقوق) يظن أنه ينزل مع المطر كالذي ظن أن (الفقع) ينزل من السماء فيهؤلاء ضاعت عراقة الجبين الفقع بالأمس واليوم شاعت عراقة الجبين.
الأصالة _

ولعلي قبل أن أخرج الأصالة أتقدم بهذا البيت للشاعر العلامة الشيخ المشببي أحد أفذاذ العراق قال:

فتعنة الناس (وقينا الفتنا) 
باطل الحمد ومكذوب الشفاء
فاليوم اشتعلت نفسى راغبة بالثناء حتى إن الجبن البلدي تصنيع جداتنا 
كما ذكرنا يصفونه بالعراقة، ووجه إعلان آخر على التلفاز يعلن الأصالة
للمشاع بقوله (أصالة ماصتنا) يعني أن الشاعر هذا البقرقش أحمر أو أزرق
هو من الماضي الأصيل. قد يكون تقادم له عهد، لكن ماصتنا الأصيل
التأمين على الرأس ليس هو الشماع ولا الغترة ولا حتى عمامة الأندية
والألبان في المدينة المنورة، وإنما الأصالة في العمامة قماش أبيض يلف
على الرأس تركه أغلب العرب فتظرفوا وتقربوا وتقفناوا واعتقلوا رأسهم
بالعقال ولم يحافظ على العمائم تبيان العرب إلا المورتاني والممالي
والسوداني كشواب، كما حافظ على العمامة أشباخ المعاهد في كثير من
الأمصار المسلمة، فالاصالة للعمامة، لا للشاعر. لهذا أنشد الجاحظ يُعرف
نفسه حين يلبس العمامة ولم يكن الشعر له وإنما هو أنشده كتب أحفظ
اسم شاعره ولكنني نسيت، فليتعقبني.

أنا ابن جلا وطلع الشنايا 
متى أضع العمامة تعرفوني
فوضع العمامة لبسبها، لا تركها، وهناك خبر عن الفخر بالعمامة، فقريش في مكة يوم علنت حين تجمع تمايز أشباها كل وما اختص به فاحراً لا يناؤيه آخر، فقد حفظنا أن سعيد بن العاص المكنى بأبي أصيصة وارد الأخيار من الأعيان خالد ومن إليه فقد كان سعيد أبو أصيصة إذا اعتم لا يعتم قريش قط، أليس هذا مجد العمامة وفخر لبسبها؟ ولكنه الإعلان تروّج به البضاعة ولم يبخ بضاعته القديمة.
الربع الخالى

وما زلت أنغريل بهذه الأخطاء اللغوية وأشهد ما يوقعني منها هذا التعرف المغلول والذى مازال المؤدون في التلفاز والإذاعة وحتى في حوار بعض المثقفين من القدامى ومن المحدثين ينعتون هذا المكان الذى أُسه أرضًا وعظام كنزًا وسبيغظ إنتاجًا وذلك هو (الربيع الخالى) بالردد المشددة المفتوحة على وزن الدرب والنصر، فهم ينطقوها الربيع بالردد المشددة المضمومة كخمس واحد من خمسة أو كركن أو كرهج، فكم مرة أثرت هذا الخطأ ثائرًا عليه لأسئيت الصواب على ألسنة هؤلاء الذين جعلوا جزيرة العرب رغيف خبز، جعلوها أربعة أقسام ثلاثة أرباع عادرة وربع في تصورهم هو العام الخالى. ومن الغريب ولا أتحدث في جامعة الملك فيصل في الأحساء أن أثرت هذا التصحيح فإذا مثقف يعارضني محتجًا بأن عبد الله فلبي (جون فلبي) يقول هو الربيع الخالى فلقت له على أصحح اللغة العربية تأخذ صوابها عن فلبي. فقلت المستعرب جيب الإنجليزي أو المستعرب نشر الألماني لقتلك لك اجتهاد فاختصاراً، إنه المكان الخالى إنه الربيع ومنه المزعج وفي المدينة المنورة في علية على سفينة الرصاص تظل على سوق الخبائين أمام باب السلام كانت هناك هذه العلياء وفيها بيبوت تسمى الربيع.
وعن هذا الربع الكنز الذي مازال يكتنز المعادن اقترح بعضهم أن نغمره
بماء البحر ليصبح بحيرة وليكون سبلة التبريد لما هو غريب من الأرض،
فأثرت من هذا الاقتراح ثائراً عليه أقول لصاحبه إنك لا تعرف أرضك فلتن
تركناك تنطوي الربع فإننا لن نترك لك أن تقترح إغراق هذا الكنز تحرمنا
نفاسته.

والحمد لله، فأهل الثروة المعدنية لم يأخذوا بهذا الرأي المبستر فما
زال مراعنا الخالياً عارةً بكثرة وعلّ كله من الساكن هو تعالى أميناً على
كنزه، وما زال مصدر النفيس من الآثار في سجل التاريخ فقد وجد فيه
جون فلبي رأس الأسد من النحاس، فدلنا ذلك على أن عاداً بزرت في
العصر النحاسي وبعد العصر الحديدي وعصر القتال بالحجارة. فالأسد
كان صنعاً وثائياً من آلية عام واسمه «هراء» فانتقلت كلمة الهبر إلى اليمن
وانتقلت عبادة اليس إلى الفراعنة، وهذا الرأس يوجد الآن في أحد متاحف
لندن عرفوا منه تاريخ عاد إرم ذات العمام.
العلاقة المثلثة

وعرفته من القدامى الذي لا يستطيع تنفيذ العلاقة بينه وبين الآخر فهو
يعمله صديقًا لبعضهم خليلاً لواحد صاحبًا للآخرين فمثل العالية
(جنة بلا ناس ما تنداس) وله كأن يتمثل بقول المعري «أبو العلاء»:

ولو أنبي حبيب الخلد فرداً لما حبيب للخليد انفرداً
فضاحنا هذا له أصدقاء ونفي لهم وإن لم يستوف منهم شيئاً يعاشرهم
ويعاشرونه ولكنه ينفرد عنهم يصبح خليلاً لواحد لا يتركه، يحترم العلاقة
فإذا هو الحبيب، وفي الوقت نفسه لا يبتعد عن أحد، فما أكثر الذين هو
صاحبهم ينسرلح لهم لا يفترسهم بغيبة ولا يسأل عن الذين تصله من خبره
هو الغيبة له. علمه الصديق والخليل أن لا يغضم من صاحب استغله،
ومرت سنوات فإذا هو في غيبة عن هؤلاء حين أصبح قيام البيت لم يجز
من نكران الصاحب، ولا من تكر الصداق ونما الذي أمسى ابناعد الخليج
 عليه، تعود من خليله أن يسأل عنه يتلفن له، فقد اعتذر عن هذا الخليج إذ
لم يزره ولكن لا يستطيع أن يعذروه حين انقطع عن السؤال عنه، أمضه ذلك
وكبر عليه أن يسأل عن خليته والحصادفة وقد خرج إلى السوق يتسوق
بعض ما هو في حاجة إليه فإذا هو يصادف خليته فابتدأ الخليل يقول له:
لماذا تقاطعني لم تسأل عني فأجابه بحرية يقول: إنك تفترض علي السؤال
عنك بينما الواقع الذي يفرضه شكر ما صنعته لك هو الذي يفرض عليك أن تسأل، تفترض علي ولا تفرض على نفسك والفرق كبير بين الافتراض والفرض، فأجابه أنا لا أفرض على نفسي أن أسأل عنك إن صنعتم لي جميلًا فإن تقبلين للجمل ملك هو الشكر غير اللائق. وساعتها تذكرت أحد الذين أحسن إليهم رئيس انتشله من الحاجة فعينه في وظيفة يعيش منها وجرى حديث بيني وبينه قلت له: الرئيس يسأل عنك وسأله رعاية فلمذا لم تذهب إلى مكتبته تزوره شاكراً فقال لماذا أشكره، وظيفة خالية عيني فيها والمسألة عندي هي في هذا السؤال، لماذا هو فوق ولمماذا أنا تحت. إن ما صنعه إلي يذكرني بالتبعة له وأن لا أريد أن أكون تابعاً لأحد. قلت له إن لقمة العيش التي تأكلها تفرض عليك أن تشكره مثأناً أتاحت لك الفرصة لتجلب لقمة العيش وأنشدت: إذا عفك الأدنى الذي أتت حزبه فواعجباً إن سالمتك الأبعد
أُفِّ

وقالها المتنبي أحمد بن الحسين أبو محمد:

آلة العيش صحة وشباب
فإذا هما ولياً عن العمر ولي
وإذا الشيخ قال أَفْ فما فارح
حياة وإنما الضعفاء مالاً

واما ذكرت هذا عن المتنبي إلاّ وأنا اليوم في هذه (الأف)، ولقد مضت
سنن فما تأفقت، فلم يقرأ عليّ أمر أتآفقت منه إلاّ أن تكون في لحظة
أغرقت فلم تكن من ألم أضنى الجسد وما من موانع أتعب القلب غير أني
اليوم أقولها: أَفْ أَفْ أَفْ، وما ذلك إلاّ حين تظهر عليّ الضعف بألل
ممضج جعلني كما كتب الحراسة لا أطم ليلة لأنام نهاراً كأنما نوم النهار
عجز عن الحركة. عن السوق، عن الجريدة، عن المكتبة، عن البحر،
فالألل أحاط بالزندين، عصب بشنجى، فصحوة الألم ليلة وليلته نهاراً
فكأنى أصبحت مسوىّاً بعضا جبار عند قوته في ضعفيه، وضعفه هو من
ضعفى، فلا تعجبوا أن أقول أَفْ أَفْ ما دمت أصبحت كتب حراسة ما
كلفت أن أُخْرس غنيمي لا يأكلها ذنب وإنما أصبحت حارساً من هذا الذنب
الذي استكلب على يدي.
وقالها أبو نواس الحسن بن هاني:
وما الناس إلا هالك وابن هالك
لله عهد في شباب صديق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
وهكذا أقولها أَفْ: لأن الألم في صديق الجسد بينما هو عدٌ أنهك
الجسد.

وقالها المعري أبو العلاء:
تعب كلها الحياة فما أعد جلبه إلا من راغب في ازدياد
فآكومي؟!

ودعت لأسمع محاضرة للدكتور عبد الله مناع عن الأستاذ محمد حسن عواد، وأصررت لا أأخبر يدفعتي الاحترام المثل للعواد والنادي والمناع. واستمعت إلى المحاضر فإذا به بيبرني فكانه أحد الفظاظ من المحامين الذين يأخذون من القضاة حكم البراءة رغم أنف النظارة، فما كنت أحسب أن العواد هو على هذه الصورة، وما كنت أظن أن المناع يملك هذا التصور لصورة أراد أن يسمعنا أنه لا غيره قد مثل هذا التصور، وحذق هذا التصور وأخذت أيضاً أخبر ما أعجبني لأخبر عن هذا الإعجاب غير أنني كتبت مذكرات ذات بنود أستعين بقارئ يذكرني إذا ما انتمت من بنود إلى الآخر لأنتحدث عن الآخر، وكان من ضمن هذه البنود أضحكوا تصورنا كنا عليه ونبدأ فيه كان البند هو هذه الأضحكوا بعنوان (ساكوني فآكومي) فإنا هو ذلك؟

كما هو المنت ومائز الأشياء إلا أرواتها، فالأخبر هو أن الأستاذ عبد السلام السامي المرتبى من العواد وشحاته يذيع علينا شعر كل منهما من مشاعره نحو الآخر وقالوا إن هناك من أعد حفل تكريم للأستاذ العواد يلقي فيه الأستاذ السامي كلمة كتبها له الأستاذ عزيز ضياء، هكذا قال البروفسور ساكوني فآكومي، قال الدكتور شل وما أحسب أنه ترك شوكويل وما إلى
ذلك، ومن حسن حظ السامي أن أحدهم اطلع على الكلمة وأنقذ السامي
من ورطة "ساكوني وفاكومي" وما إلخ، فهذا الآسم اسم شركة بترول
نستورد منها (الكاز للإضاءة) الفوانيس ولمبات وتمريفات، أضحتها لا
مكيدة لم تلق الكلمة وإنما شاع قا شا ما كتب من أسماء الشركات فضحكنا
يوم كنا نبكي بالدموع وكيينا يوم كنا نضحكات في ضوء الشموع، أما اليوم
فقد مات الضحك وقتلى البكاء، فقد أصبحنا لا نضحكات وإنما نقهقه. لا
نبكي وإننا نقول.
تلك أيام مضت بتمتعة الرضا ونعمة الفنامة، وهذه أيام أنت بتقمة القلب
وسعار الجري وراء ما يملا الجيب ولو أصبح القلب فارغاً.
تحذير !!

وكثرت الأمثلة نحرًا وشغراً، ترسل التحذير تلو التحذير لملا يركن الصديق إلى صديقه في كل أمر، كما حذر ضرب المثال من التحقيق للضعيف في قولهم (وإنه كان عدوك نملة فلا تتم له) وعن الصديق قالوا:

احذِر عَدْووك مَدَرَّة، واَحْذِر صَديقك أَلْف مَدَرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة

وأخذه قال: اللَّهُمَّ اكفيني شرُ أصداقاني، أمَّا أعدائي فاَنَّا كفيلة بهم،
وعن تحيير الضعيف قالوا: البعوضة تدعي مقاتلة الأسد، كما قالوا: حزب
نهب الفأر سد مأرب، وقد تموت الأفاعي من سموم العقرب، كما هدم
عرش بلقيس (هدهم) ويضج للقائئ بعدها أكثري عن قصة وقعت.

فهناك في قريتنا في صعيد مصر (المطبعة) ما حدثني به والدي يعلمني
الحذير قال: كان في هذه القرية رجل غُنٌّ قوي البناء لا يعبأ بأحد ويهابه
الكثيرون، وفي يوم ضرب بعضاء الغليظة رجلاً له شأن فقدخ رأسه ويبينما
هو - أعني هذا الضروب وحوله أصدقاؤه - وصل أخوه وكان قزمًا أرفع.
ضعيفًا ل يؤبه له، فقال لأخاه المضرب سأنتقم لك، لن يعيث عبد
الرجال (اسم الضروب)، وسخر الحاضرون من هذا الأفرع المسكين، ولكنه
فعلها فانتمى؛ لأنه سير الطريق إلى عبد الرجال، فهو يجلس أمام بيته وترك باب البيت مفتوحا وتراه يأمن بيته ولا يحسب حساباً لضعيف. فإذا هذا الأقرع يدخل بيتاً من بيوت جيرانه، يقفز من السور إلى سطح بيت عبد الرجال. ويتسلل وفي يده «سطور» من حديد يضرب به رأس عبد الرجال يشدده ويكرر الضرب فإذا المغور يموت، ويقفز القزم يصرخ في الزقاق: قتل عبد الرجال، قال ذلك فاحراً حين قتل الساهر. وزغرت القرية فإذا القزم بطل وإذا العتل أصيب خيراً يروى عن كيد الضعيف.
إِشارة

وما يُسجل في كتاب أم من كتب التاريخ يقبله القارئ على أنه هو الصحيح.
نعم، فأكثره صواب، غير أن بعض التحديد للمكان أو وصف المكان أو أخذ الاسم لنبات يطلقه على أنه اسم ليس لغير هذا البناء.
فقد سبق أن كتب عالم فقه عن مسجد المصلى في المدينة المنورة فحدد مكانه أنه في شرق المدينة قرباً من بقيع الغرقد. بقية المدينة الآن.
قرأ ذلك الإمام لم يصل إلى المدينة. حيث ذكر أن مسجد المصلى في جانب البقيع، فاستيقظ أن ذكر البقيع لا يعني إلا بقيع الغرقد، مع أن الصواب أن مسجد المصلى في غرب المدينة وسمى الآن مسجد الخيل وهو في طرف البقيع الذي هو بقيع الخيل حيث كانت تباع فيه الخيل والضأن والحطب والفحم والسمن والجبن حتى أيامنا التي عشناها في المدينة المنورة.
فالمدينة عدة أبقة؛ لأنها روضة حولها الأسياح: (فناة والعقاقر وبطحان ومشط الذي يمر في قيعان ما يسمى الآن باب المجيدي) لا يسيل بسرعة بل يصبح مستنقعًا أكثر البعوض تنتشر حمى يشرب، ولكن سعة المدينة أعطت المهاجرين في زماننا أن يبنوا بيوتهم في باب المجيدي.
الكلمة الأخرى، ألا وهي: (أَذْخَر) جاءت في شعر بلال بن رباح، رضي الله عنه. حن إلى م göre وحوله أذخ الر جليل فكذب الإمام البلوزي يقول إنهنبات (الأَذْخَر) وهو أكثر في المدينة. فاقترا رجل سيد مصعب بن عمر الشهيد في أحد بهذا النبات. لأنه لم يعطوه كفناً كاملاً، والصواب أن بلالاً سيدى أراد ما حول م göre في بني سعد حيث نشأ: الجبل أذخ، والجبل جليل، وما أراد النبات. ووافق المجغراف لأرضنا ذكر رضوى الجبل الأقمشة في طريق الشام: نعم هو في طريق الشام تحت ضرسه وادي العيس وكان الأولي أن يقول إنه في ينبع النخيل، وقصة أستاذنا حمد الجاسر معروفة.

أو أخيراً مختلف حين نكتب عن العواصم فأتكدأ أنك أزعم أنه بعد مكة المكرمة كانت العاصمة الأولى للرسول النبي نوح عليه السلام بعد الطفوان هي قرية الثمانين عصمة الإنسان في دورة الثاني. ثم أزعم أن بابل وصنعاء قبل دمشق بل إن تدمر عاصمة الشام بعد صنعاء وبعد بابل قبل دمشق.

أزعم ذلك إن كانت العواصم مدينة السكنى لفيضان والكلدان. أما إن أرادوا عاصمة ملك شهير فلهم أن يذكروا دمشق، ولكن تدمر تحرحهم عن ذلك، ولا ينكر على دمشق أنها عاصمة الملك العريق. آراميًا أو غسانياً بل هي العظيمة حين أصبحت بالإسلام أموية.

هذه إشارة أرجو أن يتتصب للتصويب من يملك الصواب. والغرقد نبات يحمي اليهود فقد أكثروا زراعته الآن في فلسطين.
لغة

ولعلما أنفس بالتحدث عن اللغة التي رثاه الأستاذ زيكي مبارك فيما كتب عن (ليلى المريضة بالعراق). وما أحسسه قد أخذ على عامة العراق ذلك وإنما هو أخذها على بعض معاشرته يوم كان في بغداد من الأساتذة والمثقفين. ومرة أخرى لا أحسب هؤلاء وأمثالهم في العالم العربي كله إلا ويكتبون اللغة الفصحى صحيحة فلا يبانيهم الصواب. أما التحدث بها فقد تتمارض اللغة على لسان المتحدثين إذا ما تكلموا في مجالسهم وقد تكون ليلى مريضة بما يشفى الزكام، أو السعال لدى بعض من يخطب على منبر في محاضرة، أو من يتحدث بالمذباع أو النلفاز فلا ملامة على من يلحن إذا ما تحدث في مجلس بين إخوته، وإنما بعض المؤاخذة على الذين يخطبون أو يتحدثون معلمين أو مخبرين، وإلاً فاللحن قد فشل قبل تمام القرن الأول من الهجرة حتى عدوا على الأصابع قلة من الذين لم يلحنوا. والغالبة في هذه الكلمة بعد المقدمة وبعد أن صدر الأمر الكريم بالعناية باللغة الشاعرة على المخبرين والمحقدين مذيعين ومتلذين فهم الآن يخبرون عن طائرة سقطت فيقولون (وقد قتل ركابها)، فالهللاك لهؤلاء ليس من الفصاح ولا من البيان أن نطق عليهم كلمة القتل، فالتأت مقاتلة وليس سقوط الطائرة عن مقاتلة فليس المقول مشاركًا للقاتل، فالتعبير الصواب هو أن نقول ماتوا... توفوا، والأحسن هلكوا، فالموت والوفاة والهلاك ينطبق
على الهلكي في حادث سيارة، أو قطار أو زلزال أو طائرة.

ويقولون لقد حدثت هزة أرضية وهذا خطأ بديهي فالصواب زلزال أو زلزلة.

ويقولون بعث ذو مقام كريم ببرقية والصواب بعث برقية لأن الفعل بعث متعدد بذاته لا يحتاج إلى حرف جر. أما حكايته تنوع الأداء في الأخبار الرئيسية، أخبار الساعة التاسعة وما إلى ذلك فمن الأحسن وحدة الأداء؛ فالمؤدي موجه لا موجه كما أن حكايته (بنك) بتحفيز الكاف شذوذ عن اللغة، فالأصل في هذه الكاف حين عربت في الصدر الأول ينطق بها كاف مثل سقراط وإقليدس وأبقراط، فليقل الأخ ماجد الشبل (بنق) وهذا التعريف قد انتهى؛ لأن كلمة بنك أُصِبِت عربية وفصيحة بالكاف الثقيلة، أو لأنها ثلاثية ساكنة الوسط لا تمنع من الصرف، ولأن الباء واللثون وهما حرفان يجرون إلى العربية هذه الكلمة حرفان من حروف الفتحة جمعتا هكذا (فر من لب).
الجمـاه:

وبعض الذين أنعم الله عليهم بما يملكون من مال، وبما هو من نعمة الخالق الكريم، وذلك هي المروة لا يخلون على من تستأهل مروته، سواء أكان العون كثيراً أم قليلاً.

ويتوجه به إلى من يستاهل العون، وقد كان هذا النجاة ضرورياً أيام كن الحكم فوضى، ينحو منه من له عزة، ولو كان ظالماً وينصرد على المستضعفين، ولا أريد أن أنكمل عن وجاهة المال وإنما هو عن وجاهة القيمة لرجل برز بين قومه بالوجاهة والجاه، فانتصب لا يحل على أحد من المستضعفين الخارمين بالشفاعة لدى من له حق عند هذا المستضعف... كدين مقابل رهن، أو كرئة لسان على كريم فإذا هو يخف التأديب من عزة هذا الكريم. وفي عهد شبابي وقبل هذا العهد الكريم، عرفنا رجليين من أصحاب القيمة والقيم، فأخذهما لم يترطش بشفاعة لأي أحد فلا هو يضر ولا هو ينفع بشفاعة فابتعده عنه المستضعفون، فإذا هو بعيد عن أي تورط من ظالم لا يقبل شفاعته ورجل آخر ما سمح يوماً تخلي عن بذل الجاه حتى في تأجيل الثار أو القصاص، ذلك كما كانوا يقولون إنه العاني والعفو من صاحب الثار أو تأجيل الأخذ. ولكن هذا الرجل تقدم إليه...
مدين رهن عقاره عند دائه أذهب إلى الكرم يشفع له عند الدائن، ليأخير بيع الرهن فلا يستصدر الحكم من القاضي واعتنى الكرم وذهب إلى الدائن. يرجوه أن يؤجل بيع الرهن لِيسحب شكوكه، فقال له الدائن: اشرب القهوة. فقال الكرم لا، حتى تقبل شفاعتي، فقال شفاعتي مقبولة إذا جئتني بضمان، فقال سأتبك به فقال الدائن: لا أقبل ضامناً عريض.

وكان كرمة من الدائن، وشرب الشفيع القهوة لأنه لا يستطيع أن يكون ضامناً وما قبلت شفاعته وكان هذا دساؤ جعله بعد لا يتورط بمثل هذه الشفاعة، إن الجماه نعمته ولكن السرف في استعماله ورطة ولا أدرى لماذا كتب هذا.
السامري

وتلفين إليّ صديق شامي ودمشقي، يسأل على صورة من التعجب، 
قال: سمعت من تلفاركم كلمة السامر، والسامري فجعلت لأني أعرف أن
السامري هو الذي أصل بني إسرائيل (وأصدقاء السامري) فأنا توضيح ما
أشكال عليّ، ففي النهار تلفاز المملكة العربية السعودية لا يقع منه ذكر
موسي السامرى. نقلت له ضاحكاً: إنه مشيخة أبيك وقد تلقيت منه
المعرفة حرستك في هذا الفهم، ولو رجعت إلى لغة العرب فاستقرأت
الاشتاق من فعل الماضي سامر، يسمر، فهو سامر أو من المصدر. ألا
وهو السمر لعرفت أن ذلك يعني نوعاً من التغني في سمر الليل. فالليل
مغبر وعشاء وسمر، وغليس ثم الدغي، وبعد ذلك الإشراق، أو الفجر. 
فالسامر غناء يمارسه السامرون أو المساميرون، ومنه اسم سمير الذي
يسامر لينتظر. أما موسي السامري فذلك نسبه أو لقبه، ولعلك سمعت
ما ينشده العراقيون في حفلات الذكر إبان مواسمهه فهو ينشدون هذا البيت:
فموسي الذي رباه جبريل كافر وموسي الذي رباه فرعون مرسال
فالشعر الأول كذب؛ لأن فيه نسبة الخطأ لجبريل أمين الوفي عليه
السلام. والسامري هذا صنع لبني إسرائيل عجلاً جسماً له خوار. قالوا
إنه من الذهب واليهود عبده الذهب. حتى غضب النبي الرسول موسي
حين استضعفوا أخاه الرسول النبي هارون عليه السلام وأخذ الإجابة شاكراً.

والخاتمة في هذا الشاهد:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنفس ولم يسمى بحكة سامر

والجميع سماً.
لِبِيدٍ

وذهب أزور شيخًا من أشباخنا الفقهاء بعجيك إذا تحدث؛ لأنه ذو لسان إذا ما انطلق يطلق عقال فكرك سواء كنت إيجابيًا مع حديثه أو سلبيًا ضد حديثه.. ولكن موقفك معه في الفكرة الأخيرة التي ما جفنه وإنما هو الذي جفاني، لأنني لم أستك عن التوضيح لخطأ برز منه، فقد أنشد البيت للشاعر الجاهلي الإسلامي لبيد بن ربيعة رضي الله تعالى عنه، فقال الشيخ:

وقد أسمع أن ينشد البيت: «أصدق كلمة قالها شاعر وليس هذا كلامه وإنما هو من حديث خاتم الرسل سيدنا ﷺ».. فقد قال عليه الصلاة والسلام أصدق كلمة قالها الشاعر وهو يعني بيت لبيد بن ربيعة».

أما كل شيء ما خلا الله باطل.. وكل نعيم لا محالة زائل.

وأما كنت أحسب أن الشيخ يجهل أن لبيدًا أسلم فأصبح من الصحابة، فقالت رضي الله عنه، فقال الشيخ أت 너희 عن جاهل مشرك؟ فقلت إنه صحابي. فقال الشيخ.. أو تكلذوني؟

- قلت: إني أضع الصواب مكان الخطا.. فسيدنا لبيد صحابي، فغضب الشيخ.. وما أحسبه إلا وقد عبد ما قلت ولكنه لم يعلن اعترافه بالذي عرف ورث غضبه.. فقالت لديك المكتبة، فأمساء الصحابة موجودة تدلل. ولعل في يد ابنك كتاب جواهر الأدب لأحمد الهاشمي المصري..
هو كتاب حديث فيه الصواب ثم أنشدت لأبرهن. أنشدت قول أبيد:

الحمد لله الذي لم يأتي أجلى حتى اكتسبت من الإسلام سربالاً

وثبت بقول أبيد: "الحمد لله الذي أبدلني عن الشعر بالقرة وال أمر أسرع أنسق عن كل ذلك. فإخراج أبيد من الصحة والإسلام أمر لا طلاق ثم هو الحق وهو أكبر من الشيخ. وألغي بأن لا يجدن العرف عن رده الجاهل. ولم يسكت الشيخ، فقد شكاني إلى أستاذي الذي يختص في التلمذة ويمنحتي العلم. شكاني إليه عن سوء أبيه معه، فإذا أستاذي السيد محمد صقر ينادياني " تعالى يا واد" حتى إذا أقبلت أقبل يده منيع يده. قالنا:

"ليش تهيء الأدب مع الشيخ؟".

قلت: أترضى أن يسه الأدب مع أبيد بن ربيعة يصر على أنه جاهل.

فقال أستاذي وهو يبرت على كتفي: لا أدب مع من يسيء الأدب.

وهوذا يتعذب طالب العلم مع بعض من يستكبرون بما علموا. ولا يقتعون بأنهم قد يجهلون.

ومضت أيام فإذا الشيخ - يرحمه الله - يقبل علني وكأنه قد نسي ما كان. لأنني ذاك الذي كان. فقبلت يده وأصبحت أنا التلميذ وما زال هو الأستاذ.
السياسة

وأبناء الفلاحين في الريف المصري كان يتخرج منهم توابع من الدارسين في المعاهد. لا يلزمون بأجر، ويقتاتون بما يجري عليهم من الرزق، وتعمل واحد منهم فنال جائزة عالمية حتى إذا أراد العودة إلى القرية فرحأ قال له شيخه: اصير ثلاثة أشهر لتعلم السياسة فلم يصبر، وذهب إلى القرية فاستقبله الخاصة من أهل ومعارف بالاحترام واستبشروا به، وذهب إلى صلاة الجمعة في مسجد القرية ولم يعرف أن الإمام مكانة كبير، لأنه المعتقد كأحد أشياخ الصوفية. وسمع خريج المعهد خطبة الشيخ فإذا هي تخريف، وأقول ولم تصح حتى إذا انتهت الصلاة قام المعهدي يرد على الشيخ وينصف أهل القرية. بمعلمهم الصواب فثار المصلون يتصرون للشيخ، يضحكون العالم المعهدي يطردونه من القرية، ورجع إلى شيخه في المعهد فقال له أستاذه أن أصحح لتعلم السياسة فبقي ثلاثة أشهر يتدرب على أستاذه، وتعفت جراحه وصمم على الرجوع إلى القرية يدخل المسجد يسمع خطبة الإمام الذي طرد من أجله حتى إذا انتهت الصلاة قام خطيباً معتيراً قائلاً: إن إيام المسجد رجل جميل... وقد أخطأت عليه وأبشركم أي رأيت رسول الله في المنام يقول هذا الإمام مبارك، من تناول شعرة من رأسه أو لحيته دخل الجنة. فهب
الجلالون كلّ يخفف شعرة فإذا الإمام أصبح أصلع والدماء تسيل من رأسه وذفنه.

حكاية قد تكون كاذبة. وأكذب ما فيها رؤية رسول الله ﷺ ولكن أصحاب الحواري يترخصون بالموظة أو حتى للإضحاك.
حيلة النشر

وعكتب عن المتنبي في جريدة "المدينة" ليدافع عني بصورة عن دفاعي
 عنهم، فقد أصبح بعض المغرضين والمتميئين ينتهجون أقوال المخالفين على
 صورة النقد لهم، بينما قصدهم هو نشر أقوالهم كهؤلاء الذين ينتقدون
 أودينس باسم النقد يدفعون القارئ وكأنهم يجدونه لحساب ما يذهبون إليه
 وما هو ذاهب بهم إلى بعيد، ذكاء منهم أن ينتشروا ذلك، حتى إذا خلوا
 إلى شباطتهم (وَلله ضحكتنا عليهم)، وقاتهم أن للباقلة جولة ثم يضمحل;
 ولا أقول صولة، فالمقذعون في الهجاء شاعر قبيلة يهجو قبيلة، اضمحل ما
 يحفظ لهم يبقى في القارئين وعاقته النفس.

كتب أحدهم، وكأنه يلوم الذين رسموا أودينس لينال جائزة نوبل باسم
 العرب، وتطرى يتكأ على نجيب محفوظ، مع أنه لا يريد المحفوظ وإنما
 أراد المحفظون لديه.

 لعبة ليست إلا من شظف العقل وترف التعقل، فالعقل انتقل إلى من
 يعقله، فانطلق إلى ما يعقل به، كأنما العقل عقال بعبر تميز، فنشر
 الأقوال بصورة النقد إشاعة للأقوال وقد فطن لها ناصر السنة وقاهر البذعة
 الإمام أحمد بن حنبل، رضي الله عنه، فقد قالوا له: لمما لا ترد على
 المخالفين؟ فقال: لا أحب أن أشر أقوالهم.
وأبينا أن نحن نلزم أن ننشر أخبار ذلك الذي لا شأن لنا به نائراً أو شاعراً محدثناً أو محدثناً، وإنما كل الشأن الطريق له من ذاكرة الشاب؛ لأنه يقول (ابن الراوندي وابن عربي على القمة عنه) وينكر بالإلحاح على خاتم الرسول سيدنا محمد ﷺ، فهو - كما عرف ذلك من شاب يعشقه - يفضلهما على النبي ﷺ.
حشاش

وكانا ونحن أطفال أو نحن مراهقون وإذا وصلنا إلى الشباب لا نسمع من أمهتنا وأبيانا وأشياخنا، إلا المذمة لواحد يقولون: أبعدوا عنه. (خصره).

إنه الحشاش (أفينيجي ما يخاف الله). وكان هذا الحشاش أو الأفينيجي، يستمر قدر جهده لأنه يخشى المذمة فلا يبايعي حتى إنه قلً أن جُرد غيره إلى هذه الفتنة المرهقة، ولم نعرف في زماننا الأول من هذه المخدرات إلا كلمة حشاش أو أفينيجي، حتى إذا تخطتنا الكهولة عرفنا بعض المحترفين الورادين أنهم يتعاطون مخدرات أخرى لم نسمع اسمها من القدامى. وإنما سمعنا عنها من هؤلاء الذين احتفناهم فاحترمو شبانا بهذا الفساد.

فقد قال لنا أستاذ: احذروا معاشرة (هذا الواغش) لئلا يحركم إلى (المورفين).

وسمعنا من شيخنا ونحن في الدروس حكایات عن الحشاشين، كان يعظنا حين يعلمنا، فقد قال هذا السيد الأستاذ محمد صقر: كنت نازلاً من العبرية فلمت نظري رجل على الرصيف يهز رجله اليمنى بشدة، يرتعش قدمه، فوصلت إليه أسأله (ما بك؟) - قالها بالعامية - أيشبك - وهي بالفصيحة أي شيء بك - فقال (يا أستاذ شاييف هذا الجمل واقف على رجلي أقول له حر.. حز - كأنه حمار - واقف على رجلي فوق قدمي
ومعمر أبي يزيد، وقال الأستاذ بعد: هكذا الحشيش، جعل الجمل حماراً.
ويفق على قدم رجل ثم جعله دجاجة تبيض، فأي خيال أكثر من ذلك.
وسمعنا حكاية أخرى قالوا: وقف رجلان بدكان باب بيت فلم يفتح، فقال أحدهما وكان حشباً: اصير، ورمي نفسك على الأرض وأخذ يلف نفسه بتدريك فقال صاحبه: مالك؟ قال: امبرم. انتقل، حتى أستطيع أدخل من فجوة الباب وافتحلك الباب، يريد أن يلبرم ليصبح دقيقاً يدخل من ثقب الباب كأنه عود كبريت.
كانوا يحكون ذلك لنا، لئلا تكون كصاحب الجمل الذي أبي يزيد أو الذي يفط نفسه وهو ساقط على الأرض، أم اليوم فقد كثر الواغش وأصبح الشباب هو الذي يغش نفسه من البطر، من القليل، من الفراع، من أي شيء، لنسأل عن الأسباب فقد تكون هي الأساس أيها الناس.
سارقين

والغريلة اليوم، ليست صاحبها وإنما أنا صاحبها، غربيل بها قيصر من قيصرة الروم (روما الشرقية) عاصمتها القسطنطينية، غربيل بها روميًا من رعاياه تحث يسب العرب بما كان يعتجهم بهذه المسبة الإغريق حينًا والروم حينًا؛ لأن العرب تناولوا أطراف اليونان والروم، فالمسبة هي بهذا النعت (سارقين). يعني أن العرب شراق، فانتفاض القيصر شامخًا بعرويته لأنه ذو نسب عربي، شامي من أولاد جفنة ملوك غسان حفيد جيلة بن الأهم آخر العواهل من أولاد جفنة الذي تنصر من عازم القطمة، شمخ القيصر. العربي يدافع عن العرب، لم يعبأ باللقب ولم يستأنف الكنيسة، ولكن استأذن أعرافه، فرفع صوته يقول (إن العرب ليسوا شراقًا)، وهذا اللقب ما كان يعني أنهم شراق، وإنما هو نعت بني إسرائيل للعرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام، رفضوا أن يكون إسماعيل عابريًا؛ لأنه لم تلده سارة زوج إبراهيم أم إسحق جدة إسرائيل يعقوب عليهم السلام. فهو ابن هاجر المصرية القطبية القبطانية، لم تلده أم عابرية، فأبنيه عند بني إسرائيل - فيما يزعمون - أنهم عبيد سارة، وإن كان أبو إسماعيل إبراهيم، فهم بهذا كلهم اجتازوا أن ينكروا على إسماعيل عابريته، لأن الولد عندهم لأمه، فمن لم تلده إسرائيلية ليس إسرائيليًا.
دافع القيصر عن أعرقه. ونسي استعرقه روماني نصرانيًا.
وهكذا فالعرق دسوس، ولا تعجبوا إن كان حفيد جبلة الغساني الشامي
يصبح قيصرًا، فقد دفعت الشام من بينها قبضة خمسة، قيلوا إن من بينهم
(دراوكولا) مصاص الدماء، كما أن الشام أنجبت أحد بابوات روما الغربية،
كما أنها اليوم تسمع عن بعض بنيها حكام ولايات في أمريكا الشمالية
(الولايات المتحدة) وأمريكا الجنوبية.
وهكذا العربي قد يكون انفراديًا إذا لم تصرخ في أعرقه النجدة، ولم
لب النخوة. أما إذا كانت النخوة فهو لقبه وقومه.
الشهـي

وعنفوا الإنسان بأنه حيوان ناطق، أو أنه ضاحك، واستكبر الإنسان فعّز نفسه بأنه عاقل، وكل هذا صحيح. ولكن آلسي من الصحة والصواب أن يعّز الإنسان بأنه قاتل! كما الحيوانات الأخرى. فالحيوان يقتل الحيوان، غير أن الإنسان يذبح وينحر ما يشتهي لياكله، ويفتّل ما يكوه أو ما يخاف من الحيوانات الأخرى من السباح ومن المؤذينات. سنة المكون ولست بهذا أعيب ذلك. "ولئن già دَفْعَ اللَّهُ أَلَّاهُ أَلَّاهُ تَعَمَّلُونَ بِأَحْيَاءِ أَلَّاهُ" (البقرة: 251). فعمر الأرض أرحم تدفع وأرض تبلى، حياة وموت ولمما أكتب ذلك؟

فقبل أيام تشه‌ت الشاي الأخضر، فقالوا ما عندنا نعنا ومنا رضيت شهوتي أن أتنع، فلا بد من الشاي الأخضر، فältت اشتراها حزمة نعنا من الخضري، ولكن أمّ والنعنا المزروع؟ قالوا: الدود أكل النعنا، قلت اقتنوا الدود، وهكذا شهوة النعنا قلت الدود؛ لأنه أكل ما اشتهته. ولم تلتغب إلى أن الجزار في البيت ولسبب ما أخذ يذبح خروفين. فالدود أكل النعنا لعيش، أما أنا فيمكن أن أعيش دون أن أذبح خروفين. والمنافقة وليست من الغربة وهي أن النعنا المدني الطوال لم يأكله الدود. والنعنا المغريي أكله الدود فما السبب؟ نسأل خبراء النباتات. هل النعنا المغريي يفرز على
التربيّة ما تتغذى به بويضات الدود؟ شيء لا أعلمه وأريد أن أعلمه. وهكذا يحكم التشريعي لأي شيء والرغبة في أي شيء أن يقتل الإنسان ما يحول دون ذلك أو من يحول دون ذلك كأنها بي قد ورث بني آدم الرغبة والقتل. ولكن كل نفس تجزى بما تسعى يوم يجمع الله الناس ليلقي كل إنسان في اليوم الآخر جزاءه. إن خيراً فخير وإن شرًا فشر.
القياسة

والقياسة أسأل عنها من يعرفون أخبارها كأمر واقع، فهل الجهاز المختص سواء كان جهاز أمن أو أجهزة علم، وذلك لنعرف ما هي وهل هي موهبة أم هي احتراف؟. وأغلب الظن أنها موهبة، فلن تقتصر على قبيل من العرب كسا هو المعروف عن رجال من مَرَأة: فيقولون هيواتا المزي يقص الأثر، فإنها قد كانت موهبة لدى وحشي الحبيشي مولى جبير بن مطعم، قاتل هرمز بن عبد المطلب. وعند خبر أن القِيناة مالههما كلمة قالها قياف، قالها قاتل أثر. فالأولى عن وحشي قاتل حمزه الذي ألقذه الإسلام فأسلم، وإذا الإسلام يحب ما قبله.

كان وحشي قد رابط في حمص التي كانت رباط سيف الله خالد بن الوليد وشاخ، بينما هو قعيد البيت أقبل عليه زائر من قريش حتى إذا سلم ورد وحشي السلام. قال: عبد الله بن عاشر، قال نعم وكيف عرفتني ولم ترني منذ زمن طويل؟ قال وحشي لقد ركبت أمك جملها ونحن حول بطرف طوي (في مكة) وكنت طفلاً فناولتها إياك. ونظرت إلى قدمك حتى إذا وقفت الآن عرفت القدم وإن كبرت عن حين عرفتها وأنت طفل. هو عبد الحبيشي وإن عاش في قريش فهل كان في قريش قياف؟

والثانية: فقد علمت أن وزير مالية الملك عبد العزيز خادمه عبد الله
ابن السليمان قد اقتنى أفراضا وأحصنة وتركها في الرصيفة لنكون تحت إمرة الملك حين تكون عرضة وتفقد ابن سليمان الخيل فإذا هو يرى فرساً أصيله وقد قطع ذيلها فثارة ثائرته ماذا يقول للملك لو سأل عنها؟ وفي الحال أبرق إلى وكيل إمارة المدينة عبد العزيز بن إبراهيم يطلب منه إرسال المري قائف الأثر عنه فقدروا كم يوما حتى وصل إلى الرصيفة فهل يبقى الأثر؟ لكن هذا القائف أمسك بأثر القدم حول مرابط الخيل وممت يقف فحيني يجد وأكثر من حين لا يجد... ولكنه استمر حتى وصل إلى وادي قاطمة، لعل الطريق كان أكثر من خمسين مترًا دله الأثر على منزل فدخله ومعه حراسه فإذا هو يفاجأ بذيل الفرس المقطوع معلقاً في صدر الحجرة أخذه من قطعه لا يلعب الفرس وإنما هو السبب يتخذ منه أوتار الرباب وهنا السؤال ما هي القوة أو الموهبة التي استدل بها الحي على ذيل الفرس في حجرة بعيدة عن الرصيفة وفي زمن لم يبق فيه أثر القدم تلو القدم؟ أريد من أجهزة المعبرة ألا ترك هذا الموضوع لعله علم، لعله إيجاه.

أما الكلمة فقد قالها واحد سبه آخر قالاً له: أسأل عن أبيك هو أبيض وأنت أسود قال: لقد سأل أبي قائف الأثر فنظر إلى قدمه وقدمي وقال هذا ابنك، أما أنت فقد أتكرك أبيك مع أنك أبيض وهو أبيض.
رجل.

قرات أقصوصة كتبها توفيق الحكيم خلاصتها أن رجلاً سمع عن حليته تفتح بابها لخليل، لم يكن يصدق الخخبرين، ولكن الشك جرى إلى اليقين، وخرج من البيت وكان أمام العمارة حلقة، فجلس يحلق وعينه على باب العمارة فرأى الخليل يدخل، ومشت الخليل وقد ثم دخل العمارة يصعد إلى شقته وكان معه مفتاح الباب فدخل يرتقي فوجدهما على حال لا يرضيه، وأراد الخليل المقاومة فقال له الخليل دعкал عن هذا أريد منك ريالاً واحداً أجرة فراشي، وسأخرج عنكما فلا حاجة للضجة، إنها سمعتي قبل سمعتك، وبعد أكثر من يوم قال لزوجه لماذا لا نذهب إلى بيت أبيك نتناول الغذاء هناك؟ حين مضت تلك الأيام لم ينافقها ولم يغير عاته، كان شبيهاً لما يقع وذهب إلى بيت أبيها وعلى مائدة الغداء الأب والأم والأخوة والزوجة وهم يتناولون الطعام وقبل أن يفرغوا قال: سمعت حكايته أن رجلاً أجر فراشه برونال، وأخرج ريالاً من جيبه يعملهم أمامهم وفاجأ حليته بذلك، فقلت إلى النافذة بالدور الرابع من العمارة ورمت نفسها تتحمر، وخرج مذعراً يقبل العزاء في زوجته وليلي العزاء لأهلها.

فهذة الأقصوصة قد تكون من خيال توفيق الحكيم، غير أن رجلاً في قديم الزمان غير هذا وفي المدينة سمع عن رجل يدخل بيته فما حرك ساكناً
و لكنه في صباح اليوم الثاني، وقد عرف اليقين حين ترص أمام البيت لبس و ثابته و أخذ مسدسه وقال لزوجه: أنا ذاهب إلى العوالي فلا تنتظرني في الغداء، و سأعود في المساء وذهب لا إلى العوالي وإنما ليتربص بأتيه الخبر من سائر كلفه بذلك وجهه الخبر ومعه مفتاح الباب، فدخل بيه فوجد الحليه والخيل متباثين حتى إذا دخل عليهما فزعت الحليه وخاف الخيل لكن سيد البيت كان رجلاً فقال لهما: لا تفزعي، لا تخف ولن تخرج الآن، تتناول الغداء سواء و تخرج أنا وأنت كصديقين، و تتناول الغداء معهما و خرجاً من البيت إلى المقهى كأنهما صاحبان، و مضت أيام يتلاقيان في المقهى وما كلم حليته بهما، ولكن اليوم الآخر قال لمن خانه غداً سأطلقتها وأخرج مسدسه و سعى أن تنزوج بها و أيضاً فالصدص في رأسك و طلق زوجته و تنزوجها صاحبها ف أسهل الستر عليهما احتراماً لأسرتها و خروحة لسمعتها أقصوصة الحكيم خيال، أما قصة المدينة ف واقعة كما حدثنا عنها الأجداد. حينما كنا صغاراً.. ف اختالف الرجال .. ذلك قاتل وكان في الطلاق الحل وهذا لم يقتل وكان الطلاق هو الحل. ذلك لم يست و هذا ستر فأيهما كان الرجل؟
صورتان

وما زالت مخالطة الكاتب تملاً كشكل القارئ. فمن هذه المخالبة صورتان. فأولى أمتداني بها جمعة سامع لخطيب جمعة. جاء هذا السامع يسألني: هل عتبة بن ربيعة هو الذي رمي رسول الله محمدًا بن عبد الله يوم غزوة أحد بحجر فتَّجج جبينه وخلع ثينته، أم هو عتبة آخر، فأجبته: أتريد التعريف وأنت على معرفة. فعتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف جد معاوية بن أبي سفيان لأنه هو صاحب التغير في بدر، وأراد ألا تكون حرب، فجهر أبو جهل إليها. فإذا هو أحد الخصمين اختصما، فقتل في بدر. قتله ابن عمه حمرزة بن عبد المطلب. فالخصم في الإسلام قتل الخصم في الشرك.

أما عتبة الذي شجّ وجه رسول الله سيدنا محمد فهو عتبة بن أبي وقاص. ابن عم آمنة بنت وهب أم الرسول. وأخوه سعد ذلك الرجل الجليل. فسعد المؤمن يحمي رسول الله وأخوه عتبة يحارب رسول الله. وليس بعيداً على الخطيب وهو يرتجل أن يضع منه اسمه. فحكم من خطيب أزتجّ عليه الكلام.

أما الصورة الثانية. فهي من فواجه الشيخ عبد الحميد كشك فقد قال: نفق كlb سيد ثري. فإذا الشرى يستصب له صيوان عزاء، فضع أهل
الحارة يذهبون إلى إمام المسجد يشكون إليه. فغضب الإمام وذهب يلوم هذه الفعلة، فإذا فعلها يفعل كذبة على الشيخ يقول له: يا أستاذ (أنا ما قلت لك. أهو دا الكلب ترك مانة جنبي وعينها رضية، فبخسين جنبياً يقيم له الصيوا، والخمسون الثانية أوشي بها لك قال هي للاستاذ، فقال الأستاذ: هو المرحوم قال كده؟ وقبض الجنينات. واللي فات مات واستطرد كشك يقول: (أهي الخمسين جنبياً يلحي) يعني تغيير الرأي من النصيحة إلى الفضيحة.
الماضي.

ومر إنسان نعرفه وكان بجانبي إنسان أعرفه فإذا الذي أعرف يقول: دعنا
من هذا الذي نعرف إنه اقترب المعاصي، فقالت له: اتق الله وأحسن
الظن. لقد تاب بعد أن حج وآب.

أخبرني أنه لم يعد إلى سابق عهده مسرفًا على نفسه، فقال: ذلك الذي
جفاه أنا لا أصدقه. فقالت له: حين صدق دينه وخضع للطاعة. ونال
بالتوية غفران الله تؤبي وأنت العبد لله أن تصون لسانك عنه. وهكذا نحن
في هذه الأيام نحاسب على الماضي. ولا يرضىنا الحاضر. فإذا بنينا لا
نبي المستقبل، فالماضي السبئ لأي إنسان قد نراه حاضراً حسنًا. فالتوية
تغسل الذنب والإسلام يجب ما قبله، إن التوبة فرصة أنعم بها الله على العبد
ليتوب.

ولعلما أكتب تحليلية تحليلي بها هذه الكلمة في خبر أبيه لنا أن نرويه
للمعزة. فقد حفظنا أن أخوين الله يسكنان بيتهما واحدًا. في الحجرة
الأولى، المسرف على نفسه، وفي الغرفة الثانية أخوه المطيع حتى إذا مر
المطيع ينصح أخاه المسرف على المعصية فلم يسمع نصيحه. وفي المرة
الأخيرة جاء ذو الطاعة فقال لأخيه: تب. اتق الله. تخلل عن المعصبة فلم
يسمع له فإذا المطيع الناصح يقول: "أو الله لن يغفر الله لك".
وجاء في الخبر أن الله غضب على هذا الذي أقسم عليه... يتآلي على ربه... لا يغفر لعيد من عباده... غضب الله فأخبر عمل العابد وغفر للمسرف!!

أكتب هذا للعابدين الذين ذبحهم بهذه المعابة التي يقترفون غيبة...
معصبة... ينكرونها ويحسبون أنهم وهم على طاعة... لم يقترفوا معصبة...
وفي الخبر: "خير الخطائين التوابون"! لأن التوبة عبادة يرفع صاحبها
رأسه إلى السماء لا يتكل على كل مخلص كاليهود ولا يتواكل على
قاسم.
نكسة

ولم تكن هي نكسة المرض أصاب جسد شاب. وإنها هي نكسة العبث
غرضًا تمارس فيه فؤاد هذا الشاب، ينتمي إلى الإسلام ورثاؤا ولا يتناهي به
احترامًا وحماسة. فقد أقبل عليه.. وقبل سنوات وكأنه قد شعر حين أوتر
أعصابه من ذلك الشيء الذي أصابه، حتى إذا وقف ولما يجلس قال: كنت
يا أستاذ (الملائكة قاتلوا في بدر). كنت بلا روعة، وهدأت لأمنص
عضدي، فلما أصلح عليه ينبغي ألا يروي غضبي، فقلت: أعرف أنك
تصدق قول الإمبراطورة إيزابيث ملكة بريطانيا، قبل أن تكون عظمي، حين
قالت (الله نفخ فشئت شملهم) فالتها حين حطم الأعصار الأسول الأسبراني
في بحر البحار قبل أن يصل إلى ساحل بريطانيا ليحطم أسول الإنجليز،
فلما يتحرك الأمبرار (درك) ليقاوم الأسول الأسبراني بأسول الإنجليز، تأخر
لتيتقدم الإعصار، فتحتخت الأمرادة، فإذا الإمبراطورة قالت (الله نفخ فشئت
شملهم) أنت تصدق هذا، لأن فتنة الثقافة المستمرة حرمت الكثرة الثقافة
الموروثة فتحطم إيمانك، تنكر العدد من الملايين وتكمل رمية الله جادت
بالنصر في بدر، وصدق ما جاء في التاريخ البريطاني!

الملايين العدد. أنعم الله بها على رسوله سيدي محمد ﷺ، فنصر الله به
الإيمان بنصر المؤمنين. لقد كان جبريل أمين الوحي على حسابه يقول
(أقدم حيزوم)، فلا عجب في ذلك، وإنما العجب أن يكون شاب مسلم
ممثل يطمئن بهذا الإنكار ليغطي مصدرًا عمل الإعصار.
إنها فتنة أسأل الله أن ينزعها من قلوب الشباب.
البطاقة.

واختي مكاني أمام صراف البنك يتناول مني شيكًا فلم يثبت ولم ينظر إلى الشيك، فقال (هات هوية) فناولته البطاقة، وكان بجانبي من الواقفين قبلي من قضاعة بلدى، فأمسك بي وقال (الي ما يعرف الصقر يشوهه) فقلت له: لست الصقر وإنما الصقر هو إطاعة النظام، وسلوك الانظام. إن رقم البطاقة لا يقصد منه المعرفة لشخص المراجع، وإنما ليسجل الرقم على الشيك لمعرفة ما قد يقرأ على ذلك من تزوير، أو ما إلى ذلك. فقال لي القبلي أنا واثق في الطابور ولكنني نسيت التابعة. فعرف الصراف من أنا؟ فقلت جير الشيك باسمي لعله يصرفه برقم بطاقي. فالعمدة عليّ فقال وتنكر أنك الصقر. فقلت له هذا صقر الحيلة لمنع الاحتياط. هذا وقد تعودت أن أحول البطاقة وقبلها حفظة النفوس، لأنني أخذت الموعظة من صديق ركب سيارته فإذا الجندى في (أم السلم) يطلب حفظة النفوس ولم تكن معه، فرجع، ثم يسمح له الجندي بالمرور حتى وصل إلى جزيرة البلاد وفي مكتب السيد ياسبين طه - آنذاك - أخذ ينظم غضبه على هذا الوضع، فقالت له: أغضب علي نفسك، أفتك الجنود يعرفونك، أو أن بعض الجنود لا يتفقدون الأورام! فقال وأنت يا فصيح حامل حفظة النفوس، فقلت له من اليوم سأحملها. لأنني أتقي الإهانة التي أصبها على نفسي. وهذا ينبغي ألا أقول كبعضهم (أنا سعودي ويمني من المرور).
النعمـة

والكلام عن النعمة ليس هو كل ما أنعم الله به، فنعم الله لا تحصى فهى كلمة وفيرة تدوم بالشكر لله سواء كان الشكر إعلاناً منها أو كان الشكر عملً، يصفونه وفعلاً يسع لمى حولة تنعم عليه بما أنعم الله به عليه. وليس الكلام عن هذا كله وإنما هو كما تعلمنا من آبائنا عن فضلات الطعام وعن الفوات فتيت خير أو حتى حبة أرز.

فقد كنا نأكل على الطبلبة لا ترتفع على الأرض إلا شيراً وبعض الشبر تنطلق حولها دائرة مستديرة تجلس على الأرض، فلا الكرسي ولا المائدة التي حولها الكرواسي، ويسقط فئات من الخبز من الطفل أو حبة الأرز أو حتى نواة النمر يلفظها فتسقط منه لا يضعها على الطبلبة حتى النواة نعمة فإذا ما سقط بعض ذلك تحت الطبلبة يقول الأب أو تقول الأم: ارفع النعمة عن الأرض، نلمها نحفظها لئلا تدعاه النواة تجمع تأخذها الفقيرة التي تضمها إلى ما تلتقى من الأرض في أي سوق، من أي حوش تبيعها لمطاحن النوى علفاً لحم النعم والأنعام.

وي.. حتى الحيوان نعمة، فنواضح يشرب تأكل النوى حتى إن أبا سفيان عرف المسيرة إلى بدر حين النطق دمته بعبر يفروكها ليجد النوى فقال إنها نواضح يشرب فيها السم الزعاف وقد نجا من السم كصاحب العير
وذاق السهم أصحاب النضحي وفظن أباؤنا إلى سقوط النعمة من الطبلية فأصبحنا نأكل على المفته: دائرة منسوجة من السعف هي المائدة أو السفرة لأنه لا يسقط الكثير على الأرض وإنما هو يسقط على المفته كأنما اسمها قد اشتق من (فته) أو من (الفنتات) وجاءت حكاية الرجل اتسع رزقه فبنى بيوتا ثلاثة وكان الثراء يقاس بعدد العتبات. فلان غني عنده عتبة أو عتبات يعني بيتا أو بيوتا. وجاءت زوجة هذا الرجل وهو على المفته برغيف ما نضح خيزة لم يعجبه فأسمه به وأخذ يفرقه تحت رجله كأنه عجينة فإذا أم زوجه ترفع صوتها كأنه يا رب افتنا شرب البطر، حرام عليك ما تخاف على أولادك، ودار الزمن فإذا هو ببيع العتبة والأخرى فلم يعد يملك شيئا فقصر في نفسه فإذا هو في ضيق والأبناء يأخذهم الحزن من الفاقة فبكى الأم وقالت ما شكل النعمة، أهان النعمة فإذا هو في هذه الحال هو ذني ولكن عاد علينا بالفامة، يا رب سترك. هكذا تعلمنا واليوم لا أدرى أين تلقى الفضلات نظيفة في أماكن مهينة .. تبدل الحال من النعمة إلى زوال النعمة لكل من تبصر فلم يشكر.
ابن عثيمين

وقد ما تكون المصادفة عن رغبة أسرة الكاتب في نفسه يريد أن تكون حتى إذا انصرف عن تذكره وجد من أراد بجانبه.

ففي يوم السبت أول الأسبوع طرحوا علي سؤالاً عن موضوع أو عن موقف للملك عبد العزيز فما وجدتي أعرف الجواب، فخطر على بالي أن أتلذم للصديق الأسماح الشيخ سعد الرويشد وترى ما كنت أدرى عن ترويشي إلى إذا جلست في اليوه الكبير العام في قصر السلام في الليل من نهار الأحد الماضي. جلست وإذا سعد الرويشد بجانبي، ولهذه أستطيع التحدث معه كما أستطيع ذلك معه. وما كان الموضوع إلا عن الملك عبد العزيز وإلا عن الشاعر الكبير محمد بن عبد الله بن عثيمين: ذلك الشاعر الغريب في وطنه، الحاضر فيما اتت دواه إلى ذلك الإنسان الذي لا يغضب عن ذاكره وطنه وعن كل عمل في وطنه ألا وهو الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن.

وحين يتحدث الرويشد عن ابن عثيمين فإنما هو يتحدث عن عبد العزيز، وإذا ما تحدث عن عبد العزيز لا يجد مثل ابن عثيمين من عرف عبد العزيز ابن عبد الرحمن وعزقه للناس.

فما من كاتب كتب وصفاً لعبد العزيز إلا وكأنه أخذه عن ابن عثيمين.
اقرأوا هذين البيتين: كل ميت من قصيدة يصف عبد العزيز:
خبيئة الله في الوقت أظهرها وللمهيمن في تأخيرها شأن
لو كان فيصل يدري قبل ميتته أنت من صلبه لاستطيع الأجل

وهو يعني الإمام فيصل جد الملك عبد العزيز.

وأما كتب هذا وكأنه لا شأن للغريلة به إلا أنه هو شتات اليوم أغبريل به
الفارئ المثقف أو أستاذ الأدب في الجامعات. كيف لا يكون ابن عثمان
وقيل ابن المقرب موضوع الدراسة لطلاب الجامعة، فهذان الشأراً لهما
حق علينا احتراماً للتراث، وحفظاً على الميراث ولا أدي كيف تأخرت
النوايا الأدبية لستضيف سعد الرويشد يتحدث عن ابن عثمان، فلو
تحدثت أنا ومن هو أعرف متي لما كان لحديثنا الواقع الجميل كما حديث
سعد الرويشد.

غريلة خفيفة لعلها تدعو المثقف أن يعرف قدر ترويه واين عثمان من
التراز.
غريلة

وسألته أين فاكهة الواحة التي أنبتتك؟ قال: "علشت الأرض، وجفت العين، وهجزنا عن حفر الآبار، فأصبحت أنا وأمثالى القيات الوحيد في هذه الواحة. كان رمانها أحسن الرمان، ووارتها تبناها أحسن التين. وجلبها يُفسر أهل عطر الورد يشم السراة السادس، لأنه من نبت السراة "الجبل", فإذا السري ثرى الوحدان ب لما راع، قلت: "هل تغييرت الأرض أم تغيير الإنسان، قال: الإنسان تغير حين استغني عن الشجرة، حين ترك حجرة المدر إلى غرفات عالية بعيدة عن الشجر، فالغرف ذات الجنة حولها الشجر، وأتمنى جعلتم الأرض التي كانت جنة، بلا شجر، حتى بخلتم عليها بعلامه توضح ماضيها. رمانة. تينة. عبة. حتى التين الشوكي ابن الجبل، كاد أن يغليه، قال ليتي أعود جائعاً أحرث الأرض لاشبع، قلت: "لم تصل إلى درجة الإنسان الياباني ابن الصخر شبع ونشبع. حتى خافوا منه أن يُفزع عليهم النجوع، أعني الدول الكبيرة، أصبحت اليابان من الدول الكبرى مع أن أرضها براكين وصخر، فالرمال والحجرة والثروة يستجلبونها كما يستجلبون البتول.

لقد عدت أنت كشاعب النهر، يجري النهر بين أيديهم ليزرعوا ولكنهم لم يزرعوا. عجيب أن يشع ابن الصخر ويجوع ابن النهر. والسبب، أن الياباني رغم تفوقه شبع على نفسه لا يكسو، أما غيره ممن ذكرنا فقد فرحوا بعطاه الزمن ولم يحسبوا حسابا لعطاه الزمن.
البقرة... والحمار...!!

والواعظ يعلمونا بأحداث قد تكون وقعت، أو لم تكن، فالقصد هو الموعظة. فالأولى عن البقرة وصاحبها، يحببها، يبيع الحليب بعد أن يخلطه بالماء، يحسب أن ذلك ريح، ويفتق على هذا الحال وقتاً حتى إذا غفل عن البقرة تخرج إلى الوادي لتروعي، فإذا السيل يجرها هالكة حين أغرقها. وجاء يقول لابنته: بلوم البقرة ويسرب السيل، فقالت الابنات: يا أبتي لقد جمع الماء الذي كنت تخلط به اللبن، فأغرق البقرة. كانت البنت واعظة، ولعل الأب لم يتعظ فيشتر بقرة أخرى.

أما الحمار، فقد كان لشاب اكتهل بعد، يحمل عليه الحطب الذي يجلبه من الأشجار حول القرية، وكانت أمه تريد له عيشة غيرها كصناعة أخرى، وفي ليلة ترك الحمار مريحًا أمام الكوخ، ولا يدري ماذا سيكون. غير أن الذي كان هو: أن بحث على القرية لسان، سرقاً النفاس وغير ذلك فلم يستطيع أن يحمل ما سرقه، فإذا هما سرقان الحمار يحمل عنهما المسروقات، وسارا إلى الجبل، وفي الكهف قال أحدهما لآخر، اذهب فاشتر لنا طعامًا فذهب واحد ووقي الثاني في الكهف والحمار مريحًا.

وبيت الساركان الغدر ببعضهما. فالجالس في الكهف قتل جانب
الطعام. وجبب الطعام وضع السم في الرغيف قتل زميله. فقطع الحمار الرباط ورجع إلى صاحبه. فالحمار يعرف الطريق، فإذا صاحبه لا يحتطب لأنه قد جاءه المال. وهكذا "كل ميسر لما خلق له".
الأمة

وأنا عربي.. سواء كنت من ذوي الأعراق أو من ذوي الاستعراق.. أحراب الحيف، وأكرم الضيف. يطيبني السيف، أتبرده على العدالة .. ويبخذني الظلم إلى الاعتدال.. أصبر على الجوع، وأتenser على الشبع.. بالظلم فأسود، وبالترف استعيد.. لا يستعيدني أحد.. وإنما الترف تستبديني الشهوات...

هذا حالي، أصف به نفسي كأي نفس عربية.. فيوم كان العرب في الصحراء يأكلهم الجوع، وتأكلهم الحروب.. محوطين بإمبراطوريتين، وبيكانيتين.. نصرانية ويهودية.. دانوا لمؤمن، فهم كل هذا الشظف.. جوع معدة ومجاعة فكر وفراغ فؤاد.. قد كانوا ولكن.. كيف كانوا؟ أمة واحدة كانوا فتكونوا بكلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، فإذا هم فؤاد فتح.. سدنة علم، بناء حضارة.

فقد كان ترف الوجدان بالإيمان قاندهم.. فلما حل الترف بالعيش.. أبطرتهم النعمة، فإذا هم في خراسان قليلة.. يمانية وزارية.. كم في هذا التفريق من ألفة.. التفريق واضح.. فأنا الألفة.. إنها حين جمعت كل قحطاني تحت اليمانية وجمعت كل عدناني تحت النزارية.. يقيد الفخر، ثم هي إبعاد من تقف عن وليس معهم، ومن تعدين وساد عليهم.. أبعدوا
فحطانية الشام وعذانئته. ليكونوا هم بهذا التفريق كل العرب.

من هنا تنبه نصر بن سبأ فقال:

أرى أثير الرماد ومحض نار
وإيوشك أن يشبت لها ضرام
فإن النار بالعديدين تذكر
أقول من التعجب ليل شعر
ألبقاظ أميبة أم نينام؟

إن أمية قد نامت، حين أناهم سليمان، يوم أذل القادة.. فلا الحجاج
ولا قتبة، ولا المهله، ولا موسى بن نصر.

حين يضع الرجال الأبطال، تضع الأمة!
الارتجال..!

وأما دمنا مع ندوة التراث فإنه يسعا أن نشارك على الفرقاطس، لا نبتعد عن الناس، وإنما ب каждом عجز الفضل إذا ما طال الحوار والمراس، نشارك في نذة نفرق بها ما يقال عن الأرجال.

إن الأرجال كان طبيعة الشاعر العربي حين كان أميًا يسمعه الراوية، فالارتجال عطاوه، والراوية سمجه. من هنا نذكر ندوة التراث بذلك النقد. أو هو النقد قضى الدكتور العميد طه حسين في أول أمره. أنكر الأرجال ليثبت الانتقادات، فمعلقة الحوار بن حلوله البكري استكبرها الدكتور طه، استصعب أن تكون أرجالًا مع أن، يرحمه الله، من أول المرتجلين في عصره، فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب كما هو وصف إسماعيل صديقي باشا له، فهو لا يقرأ وإنما يستقر، وهو لا يكتب وإنما يرتجل فيلمي. وبعد ذلك جاء الشاهد على أن بعض أمثال يرتجلون. نعيب المحسن الكاظمي العراقي الذي تمزر كان يرتجق القصيدة مائة بيت على المنبر في حفل كبير، كما أن الشيخ عقل المصري، وهو بصير حضرنا في المدينة المنورة، وقد زار أمين الحسيني ورياض الصلح وعزت دروزة، كلهم ينشد بيتاً واحداً بعد الآخر فإذا الشيخ يسرع بنظم في التو والساعة قصيدة على وزن البيت الذي سأل عنه، لا يتلجلج كأنما يسرده
محفوظاً، وأنشدت بيت ابن معتوق الموسى:
هذا العقيق وتبلك شم رعاني
فافرج عقيق الدم من عقبانه
نظم الإجابة مسرعاً كأنما الحب بالعقيق أثاره، فإذا القصيدة نسمعها ما
كتبناها. ولم يكن هناك تسجيل. ولم تكن آذانا راوية. ولعل الدكتور طه
رجع عن ذلك يوم اتسعت قراءته للتراث. فإذا هو الوارث. لم يأكل التراب
أكلاً لمَّا. وما تأكل بغضب التراب.
الواو

ورحب الواو، أبدا به مقالى حليبة لها جرح، لأن الواو نفيسة في حروف الضاد. للوصل. للفصل. للقسم. للنثبيه، ولأكثر كأنها العروس في زفة اللغة الشاعرية، لا أريد أن أرضاها، فتعاملها معها قرض حسن أقرضني إياه لغتي الشاعرية، فمن الأحسن أن أسدد الفرض لا أطل، ولا أبخل؛ لأن لغتي الشاعرة كريمة، فمن العيب أن لا أكون المكرم لها والكريم بها.

هذه المقدمة أشرح بها خطا بعض الناطقين بالضاد ولو كانوا من المثقفين، تسأل الواحد - هل لا زلت تعبأ؟ فجيب - لا. الحمد لله إنه ينفي التعب ويبذل الحمد لله. هكذا مراده، ولكنه ينفي التعب وإذا هو ينفي الحمد، فمن حق اللغة الشاعرية أن يأتي بالواو فيقول (لا). والحمد لله. ولا ينفع الفصل بالنقطة كأسلوب الفرنجة، وتسأل الآخر/هل تسافر غداً؟ فيقول/لا. إن شاء الله، ينفي سفره غدا فهو ينفي المشيئة، مع أنه ينفي أن يقول/لا وإن شاء الله/.

أليست الواو حليبة وحلة تأتي بعد النفي لبنت الحمد لله ولبنت المشيئة؟ والواو مرة أخرى، وضعني في منطقة التساؤل، فإذا أنا أجيب قد ألفت، ولعلى قلدت فيها الدكتور العميد طه حسين، كما أنها قلدتني قلادة هؤلاء السالين.
خير للطالب

 وإنغبر على نفسه، لأنني لست الوسط في الفرقة، ولست الأخير، فالأبوة و قد علت بها السن، جعلتني الأول في فرقتى، أرغم الأبناء والبنات وأحب الأحفاد، أبتغي المشقة، ولا أتجاوز لننا تكون المشقة، قد أكون عاجلاً ضيق الذرع، ولكن هؤلاء علموني الأناة وإن كنت أقول، إن قسوت جفوت، و إذا صبرت ظفرت، فإذا هم لي، وقد أصبحوا مع الأول في الفرقة، كما أصبحت الصادرات البريطانية مع (ماكدونالد) رئيس وزراء بريطانيا في الثلاثينيات من هذا القرن الميلادي، كان رئيس حزب العمال ورئيس الوزراء في الوزارة الثانية لهذا الحزب، وخرجت اليابان على نينا الصادرات من النسيج، فإذا دولة النسيج بريطانيا ومغاغل مانشيستر تشاد بضرورة، فدعا الإمبراطور رئيس وزراه إلى حوار يأتي بالحل. لننا تفليس ببريطانيا العظمى بسبب هذه الصادرات من المنسوجات فقال ماكدونالد، ساستقل، فقال الإمبراطور جورج الخامس: لا دُل السفينة إلى النجاة، فإذا النجاة في الخروج عن قاعدة الذهب والعامل مع الورق الإسترليني، فإذا الذهب بعد حلف، أو سلعة لم يسع إلا سنوات حتى ضاع كعملة، وحتى ارتفع سعر الذهب إلى درجة الجنون، وأنقذ ماكدونالد السفينة لتشتيع بريطانيا، لا تحارب عبريات من الذهب، وإنما حاربت بلرات من البترول، وحين لم الإنقاذ للوّد في الفرقة برساي ماكدونالد قال الكلمة (خير للطالب).
لا يكون الأول في فرقته) فليس كانت الأولية تشريفًا، فإنها في الواقع تكليف.

ولا بد لي من إيضاح لعبارات الذهب ولترات البتروال، فالكلمة قالها لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا أيام الحرب العامة الأولى، فقد قال يفخر على الألمان خصومه (إنهم يحاربوننا بعبارات من الحديد، ونحارب بعبارات من الذهب، أما النصر فسيملكه من ملك آخر لو من البتروال).

وهكذا تنبأ لويد جورج بأن البتروال سلاح كما الذهب كما الحديد، والعمل من يتقن التعامل مع سلاحه.
النفيس

والنفيس في اللغة الشعرية - حقيقة - هو الواسع الذي يستع، سواء كان طريقة أو بيئة أو حتى سرير نوم، وتلتقي اللغة الشعرية فإذا مجازها قد استعار من الاتناغ بعث السعى ألا وهو النفيس من كل شيء غلا شمه واعتلا اقتناكو، وحتى التنفس سمعه بتنع بعا الصدر؛ ليكون صاحبه قد امتلك النفس ألا وهو راحة البال أو صحة البدن، وإذا ما ضاق النفس على كريم من الرجال، فإنه لا يضيع منه النفس، فالصبر وقهر البلية يمنع الكريمه من التقهقر، فإذا هو على حال النفس، وإذا ما اتسع النفس على من لا يكرم نفسه فإنه سبيل بضياع النفس وضيق النفس إذا ما تبعثر ما امتلك بالصرف أو إذا ما تجتمع ما ملك باللحم.

وقالها المتنيب:

وإذا كانت النفس كبارا تعجب في مرادها الأجسام وفعلها معاوية بن أبي سفيان، كأنه سابق المتنيب ساءة أن ضاق عليه التنفس وهو في صفين يريد أن يمتلك النفس فقد قال: (رَكَّدتَ أَفْزُعْ بِمَنْ صَفْهُ، لَنْ يَنفِسْ قَدْ ضَاقَ عَلَيْ فَذَكَرَتْ قَوْلُ عِفْرُو بِنَ الْإِطْبَابَ - شاعِر الأنصار - في أحد أيام هؤلاء.

أبت لي عفتي وأبت بلأتي وأخذ الحمد بالثمن الرحیم
ولإعطائي على الأقفاص مالي وإقدامي على البطل المشيح وقولي الكلمات شهاعت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي.

قال معاوية: فثبت، فإذا هو ينال النفس ملكاً عريضاً طويلاً.

ولكن سيذهب النفس الذي يمتلكه البطل إذا ما ليس التنافس على الذين كانوا له، فإذا هم بكل التضييق يتفسون عليه لpusق كل النفس.
وَوَجَّهَ

والكاتب أيضاً كاتب: نائرًا أو شاعراً، ولو كان من الذين يشار إليهم بالبنان وبميز يذكرهم على كل لسان، عربياً أو آشوريماً، فإنه يحتفظ بالوعظ يسجل الواقعي حتى إذا أنكر كتب الرواية والقصة أو نظم القصيدة (اعتزل ذكر الأغاني والغزل). والوجه آلا يتذكر القارئ ذلك، فله حسين في الأيام كان واعظًا وفيكتور هيجو في (البوساه) وزهير بن أبي سلمي في معلقته كاتبًا واعظين. والمنتبئ في حكمته كذلك.

وما سقت هذه الدهلزي إلا مستنذناً أدخل بهوأ تصدره هارون الرشيد وجعفر البرمكي، أدخله قارئاً ما كتبه واعظ عرف الخبر منها، فالخبير هو أن هارون الرشيد ضاق من أبهة القصر وما حوله من التعليم ومن حوله من العظام، فأخذ يمتحن جعفر يوم كان صبيه وحين كان الرشيد وليه، (تعال يا جعفر.. نُنظف طريق بغداد لنرى ما يشرح الصدر أو ما يكدره) وذهباً الخليفة والوزير، وبينما هما يمثيان نظر الرشيد إلى عامل تحت قصر، يشيد حديثاً وقد ارتفعت طوابقه، رأى العامل بذف الطلب البلق إلى فوق يسقط في وراءه بأحساء البناؤون فأغناهم هذا العامل عمن يرفع الطلب ليستعد به، فعجب الرشيد من قوة هذا العامل ودقة اليد فقال لجعفر: كيف هذا؟ فأجابه جعفر: هذا من امرأته أسعدته، ليس راحة البال فشيط
وأنشط. لم يصدقه الرشيد، وأراد جعفر أن يثبت ذلك فأرسل عجوزاً إلى بيت هذا العامل فطرقت الباب وفتحت الزوجة، فقالت العجوز: ما شاء الله أنت بنت الوزير. أنت بنت شهيد، التجار جميلة وحلوة. يا بخت زوجك. وجلست العجوز قليلاً وخرجت. وفي اليوم الثاني من الرشيد وجعفر فوجد العامل نكذاً لا يكاد يرفع طؤية؛ لأن العجوز أفضدت عليه زوجته، فقد كان هذا الزوج لا يكاد يطرق الباب حتى يجد امرأته معتزرة في أحسن زينة تحتضن تريحة ينام هانئاً ويصيح هانئاً.

وعرف الرشيد ما فعلت العجوز؛ فأمر جعفر أن يرد الزوج إلى حالي الأول قوة ونشاطاً فأمر جعفر العجوز لتفعل، واستقبلت الزوجة العجوز، فدخلت عجوزنا هذه إلى المرحاض وكان معها إبريق من الفخار قديم كسرته العجوز في المرحاض وأخذت تولول. يا إبريق. فقالت الزوجة: خذني عوضاً عنه نحاساً. فضية أحسن منه. فقالت العجوز: هذا الإبريق عندي من شبابي عرف ما أستبر، فلأ استبدل بهي، عشيري لا أريد غيره، وخرجت العجوز وعادت المرأة إلى حالها تستقبل الزوج بالترحاب، وعاد الزوج إلى حالي، فصدق الرشيد أن المرأة إذا ما أسعدت زوجها عاش هنيئاً وإن هي كدرته يعيش نكذاً ولو كان هو من كان.
الوطن

وأتسم أنواع الغربية ليست هي أن تكون بعيدًا عن الوطن وإنما القاسية
الغريب عن الوطن وأنت تعيش فيه، ونحن غداً في ذكرى اليوم الوطني أعزنا
أن أكتب عن ذكرى في كلمة نطق بها الغريب عن وطنه. بينما هو مهد، وله
فهي لكنه قد حصر الوطينة في مشاعره لا يعرف أن وطنه أكبر من المدينة
التي يعيش فيها، حين جرى الحوار معه وقبل سنوات عرفت أنه لا يدرى
إلا عن الحروش وما حوله أو عن الحارة، ولو اتسعت مداركه الوطينة لما
عرف إلا المدينة التي يعيش فيها. حين بدأت أكتب في أكثر من جريدة
تصدر في هذا الكيان الكبير قال لي غريب الدار عن وطنه لماذا تكتب في
غير الجرائد الوطنية؟ قلت كل الجرائد التي تصدر لدينا وطنية فلن أحرص
نفسي في جريدة نهائية ولن أبتعد عن جريدة يمامية أو عن صحفية إنسانية
فكل شبر من أشجار هذه الأرض، أرض المملكة العربية السعودية هو ملكي
وإن لم أحمل الصع لتهديد الامتلاك، كل شبر أستطيع أن أمس أوضعه بكل
الحب أقول هذا وطني سواء كان من تربة مصرية أو مغربية فما أنا إلا
كدوقة المينجي أتخذ دائمًا هذا البيت:
إن تَنْهِمِي فِتْهَامَة وَطْنِي، أو تنجدي يُكنْ الْهَوْيِ نجدي
قالوا لي مرة حين كنت في مصر أيام لم تكن مصر كما هي الآن,
اجلس تجد لدينا ما تعيش به قلته: لا ولا فالأولى إن كنت صاحب العبادة، فالعبادة لا تؤجر وإن كنت تريدني عملًا فلن أكون أجرياً والثانية
لا أبقى في بلاد أن أكون الأخير من أهله ولست أملك فيه شبراً من الأرض، أبيني خيمتي فيه، هناك وطني يسع الخيمة ولا أتردد على مانح الإقامة، فقد أكون الواحد من ملايينته الفليلة، إن الذي يعيش محصور الوطنية لا يعرف الجبل من السهل ولا الودى من العين، لا يعرف قيمة بيت الشعر كيف كان المداد، وكيف منه تكوُّن الامتداد، هم قلبه هؤلاء الغرباء عن الوطن مع أهل القرى فيه لكن أخشى أن يكون بعض التعالي أو التغالى يحدث الفصام بينما نحن والله الحمد نعيش الوحدة الكاملة، هكذ الفصام وتهالك الخصام، وما أحسن أن أنشد قول شوقي وهو الذي ولد تركيبًا يونانيًا فلم يغترب عن مصر وإن غربوه بعض الحين عنها فقد قال حين صهرته الوطنية وأطيعه الغربة عن مصر قال:
وطنى لو سغلت بالخليد عنه، نازعتني إليه في الخلد نفسي
ونهال شوقي كثيرون لم يكونوا من الوطن صلبة وإنما أحبوا الوطن
وهو جبلية كابن الرومي ومهيب.
ما انتهى الحوار مع الغريب عن وطنه لأجده بعد اليوم يعرف كل وطنه؛ لأنه أخذ درساً ليس مني وإنما من ثقافته حين اتسعت.

***
غريلة شاعرة:  

وباتت بانتشار العلم، وسائر القلق، وسرعة الاتصال، وتناقص الثقافات، ولكن لا تهم عودة الضمير في (أصبحت)، فلست أنا الذي أصبحت، وإنما هي بنت العشرين، ليست عالياً الثقافة ولا غالياً التطلع، ولا هي المولعة لتبز طبيعة ذاتها، ولكنها غربت من حولها، أحسنت ما حولها، نثرت كلاماً فيه بعض الألم ونشدان الأمل وتشيد التغني بحباتها وشبابها.

غريلت حين فاضت شجونها، وما نسيت شؤونها فازجلت، أليس الزجل شعراً يطيب لمن يفهمون ويجيب عن ما لا يفهم؟

قالت:

(قالوا علماؤنا في علم النفس نسجوا ثقة في النفس)  
وأكتب وأشطب وأحاول أكتب من كلمة يأس

وحن كتبناها بإظهار الغاف. لأنهم حتم علينا ألا تكتب الغاف المغلقة، بينما سمعناها قاف عامة وسمعها تسلمت فصغى كأنما يطرد الباب، وكأنها وضعت في يده أرقام النجاح، لأنها في أبعده الامتحانات، وليس في استطاعتها أن تملأ فوادها بسر النجاح.

ففي هذه البيتين ألم يتخفى وأمل يتظاهر لا أريد للشاب إلا أن يكون صاحب، الأمل بنجاح العمل.
الخدمة...

والغريلة اليوم عن الخادم والخادمة. فقد كثروا، ففي المدينة والقرية،
كأنما كل بيت لا يدربه إلا الخدم. وهذا أمر فرضته ضرورة الانتشغال
بالتعليم وما إلى ذلك. فهم - أغنى الخدم - آمنة على ما نأكل، وما
نشرب، وما نلبس. ونحن في الواقع ينبغي أن تكون الأشخاص بحسن
المعاملة لهم. فإذا ما أحسنًا إليهم، لا شك أنهم يحسون إلينا فلا ننسى
ذلك، فإني لم أُغنى أن كلهم كذلك، ولكن كلهم هو ذلك، وسائط السيرة
أمين على ما أؤتمن عليه، ولا أكاد أزيد في حسن الظن أولى من الشك،
ويزول الشك بالإحسان إليهم، ولننا في رسول الله سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام، القدوة. فقد قال خويدمه أنس بن مالك: ما فعلت شيئاً
وما تركت إلا قال ☪ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فما ضرب أنسًا
ولا وبخه، خلق عظيم، والرسول ذو خلق عظيم. وفي حديث آخر جاء
إلى النبي صاحبه سويد بن مقرن، فقال للنبي حين تسعة أخرى
وعندنا خادم فضربها أحدنا، نما كفارة ذلك? فقال النبي: كفارة عقها،
عجب، أيجب عتق الجارية إن ضربها مثلك! أحسب أن هذا ليس عامًا.
وإذا هو لسويدي بن مقرن، وإخوته التسعة، مؤمنون أكبرهم قائد فتح
الهند، فتح نهَاوند. ألا وهو النعمان بن مقرن، وسويدي كان معه، فالنعمان
نعاه ابن الخطاب عمر بن المغيرة، فالأمر كما أتيقن أنه أراد لسويدي
وأخوانه بعثت الجارية أن يزيد في إحسانهم.

وبعضنا اليوم يهين الخادم، فإذا هي مشكلة، فالخدمة ضعيفة والخادم غاضب حتى إنه يحدث في البيت الفضول، أو بعض الخصام، فريق مع الخادم، وفريق ضده، وما دام الشيء بالشيء يذكر، فهذا عبد الله بن عمر كانت عند جارية ملك يمنه من حقة أن يلبسه، وكان يحبها حتى إذا قرأ قوله تعالى: {إِنَّكُمَا أَلاِيٌّ وَأَلاِيٌّ تُفْقَرُونَ مَا يُفْقَرُونَ} (آل عمران 92) أعتنى الجارية وكفل زواجها بغيره، لا ينفك عن رعايتها حتى إذا أنجبت طفلة أرسلها إليه يضعها في حجره وعيناه تذرفان حناناً على الطفلة وأتيناً لبعد الحببة ولكنه البر، ولكنه ابن عمر، فأين نحن اليوم من احترام أنفسنا حين نحنم الخدم، والله الهادي إلى سواء السبيل.
صورة.

ولا أدرى أن تكون الغريلة مع الذي أراد ألا يخرج الزكاة إلا بالحيلة، أو مع ذلك الذي لا يعرف أن الزكاة من أركان الإسلام أو يتحمل أن يهان إذا ما صادف إنسانًا لا يستأثر أن يهان، لا أدرى بأيهم أكتب فالأمر هكذا. فقد كان الذي يعرف أن الزكاة ركن من أركان الإسلام فأراد أن يخرجها فأستكثر المبلغ الذي كان عن المال المدخنة، وعن التجارة وعن حصيلة العقار وعن كثير من المروض فأغره الطعام أن يضع مائة ألف ريال وأكثر حصيلة الزكاة في كيس من الأرز وأرسل إلى فقيه يدعو إلى أخذ الزكاة وقال له خذ هذا الكيس من الأرز صدقه زكاة، وفرح الفقيه فمسك بالكيس يريد أن يحبثه فقال البري هو الثقب على أن أشترى منه بعييب وهذه هي المائة ريال الثمن وكان مع الفقيه ابنه فقال لأبيه: أنا أجر الكيس عندك لابنه فإن فيه الألف. وأسقط بيد البري وذهب الفتي بالكيس حتى إذا وصل البيت فتحاه فإذا فيه الألف، حيلة قد تنطلي على الفقيه ولكن الله عليم.

وأما الآخر فهي بيع الفحم، ساكن في الخرابة كدس فيها أكثر من خمسين كيسًا من الفحم يستدعي المنير منه يبيعه الكيس بثلاثة ريالات ثمًا مسجلًا بوثيقة ثم يشتريه في الحال ريال يكون الزكاة لقضاء الحاجة بينما الدين.
ثلاثة ريالات. وعرف شاب ذكي أن صاحب الفحم يضع الريالات في كيس من الفحم صغير يستند عليه ينام عليه كمخدة حرصاً على المال فجأة الشاب وقال له يعني كيساً من الفحم ولكن لا يكون الكيس إلا هذا المبارك الذي تحتفظ به. افرض قيمته أشره. فقال بائع الفحم: أنت عفريت، الكيس كله ريالات. اذهب لا تكن حرامي على صورة المشتري سأترك الخراب والفحم وأهرب بجدلي ومالي مادام الشياطين عرفوا ما أكتن ما عاد يصلح لي هذا الحوض. ولم تمض أيام حتى مات بائع الفحم ولا وريث. بيت مال أحق.

أما الهوان فقد جاء أخيراً كنت هدفه، أما كيف كان فالأمر سر يضجه المتني بقوله:

من يحسن يسهل الهوان عليه مالجرح يسميت إيلام
فليدغ القارئ التفسير، أليس ذلك من البسيج والأمر كما قال المثل
(المرء حيث يضع نفسه)!.
الأدب

والأدب أحسب أن الأصل فيه التربية والتهذيب كما هو في الأثر من
كلام خاتم الرسل سيدنا محمد بن عبد الله: «أبدي ربي فأحسن تأديب» فإذا
الاستعارة تأخذ التربية والتأديب إلى تربيع العقل وتأديبه بالمعرفة التي حصرت
أول الأمر على الشعر والنشر والتاريخ والسيرة غير أنها اليوم - أعني كلمة
الأدب - منذ أصبحت الثقافة تأخذها، فكل مثقف أديب وليس كل أديب
مثقفاً ليكون هذا الوضع في كلية أخرى. بعض الأدباء مثقفون، وكل
المثقفين أدباء. وهذه المقدمة لما يتلوها، فقد قرأنا في أيام التلميذة هذه
القصة عن الحجاج قالوا لما وضع الحجاج العسس يحرسون سبيل الكوفة،
فإذا هم في ليلة ليلاء يمسكون بثلاثة من الشباب يتسكعون عابثين...
فسألوه وحاداً بعد الآخر. من أتت فقال الأول:
أنا ابن الذي خاص الصفواف بعزمه...
وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه عنهما
إذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فقال الحارس إنه من فرسان العرب. وسألوا الثاني فقال:
أنا ابن من دانت الرقاب له...
ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة
ياخذ من مالها ومن دمها
قال الحارس إنه من أشرف العرب وأسألوا الثالث فأنشد:

"أنا ابن الذي لا تنزل الدهر قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيام حوله وقعود
وأخبروا الحجاج عما جرى فسمع الشعر وأسأل عنهم من يعرفونهم فإذا
هم ابن الحانك وابن الحجيج وابن الغالب، فقال الحجاج لقد انفعوا بالأدب
فهو لهم حسب يرفع. فعلموا أولادكم الأدب، لأن الحجاج كان خطيباً
وأديباً فهو أحد الأربعة الذين كانوا في زمانهم لا يلحنون: عبد الملك بن
مروان وابن القرية والشعي عامر بن شراحيل والحجاج."
الجريمة

والغريلة اليوم مع الجريمة. لا أكتب عنها وهي الظالمة يبد فاعلها، لا
أذنها الآن وإن كان اسمها هو الدم نفسه. وإنما غريبتني لها الغزيل معها
حين اقتبلت تأذ فاعليها. فَلَمَّا عز وجل ليس غافلاً عن الظالمين يأخذهم
أخذ عزيز مقتدر كما هو في القرآن الكريم وفي السنة الصادقة «إن الله لذي
للظلم حتى إذا أخذه لم يفله» فما هي الجريمة التي أعنى؟

إنها التي عانى منها الفلسطينيون، جريمة يهودية، إنها ترحيل «الفلاشيا»
اليهود من الأحياء رحلوا من الحبشة «جباعا» ورحلوا من السودان إلى
فلسطين «ابنعبا» فما هي الحكاية؟. فلنكن كان أخذ الجريمة إذالاً لواحد
يستطيع من مكانه لأنه بأع اليهود للعرب بل بارع العرب ليهود، ولكن أخذ
الثاني سمساراً فخيب الحال بذل الفضيحة؛ فإنها بالأمس أخذت الظالم
الأول ليهلك في موطن الفلاشيا الأول في جبال الحبشة وأحراشها، فالأول
كان رأس دولة ضاع حين اضتح والثاني سمسار مال اضتح حين اضتح
والثالث أجبر ولو تزعم في شعبه، قالوا عنه إنه الزعيم الأول الذي خطط
لجريمة التهجير لترحيل اليهود السود إلى تل أبيب ليكثر سواه اليهود في
فلسطين، وللثوبي يحترون حين يتناول اليهودي الأبيض الحزري
السلافى «أبو فروة» إيه في ثمر الشجرة وإنما هو تراب الأرض
ودم الطفل الأردن فلسطين وطفل الحجارة المسلم يسأل أين المسلمون؟
العرب كذلك، فالجريمة تأكل صانعيها حين أكلوا الضعفاء تأكلهم بأمر
نقطة من الله ما كانوا يحسبون حساباً لزوايا النفوذ بل وزوال الحياة.
والقلاشنا الآن لعلهم نادمون! لأنهم آلة الجريمة. أصبحوا العبيد طعاماً
lللمذلة، بل يهودي يعيش للحقد فلا يحترم الحياة ويمارس كل ما يهلك
الأحياء من غير اليهود، لكنها الجريمة لا بد من أن تأكلهم ولن ينقذهم
شجر الغزقة حين يقطع عنهم الحبل من الناس.
صور

والغريلة معه اليوم على صورتين، فالنواة هي التي عبر عنها الكاتب العربي الشاعر أدب إحسان، الذي نضب نفسه يترجم ما أتجه من كلام الفرحنة، أو هو المعبر عنما أنجبه من الكلوم التي مارستها الاستعمار على شعب وأرضه، فلقد حفزنا له هذين البيتين وهما:

قُتِّل امرئٌ في غابة جريمة لا تغتفر
وبرأئٌ شعَبٍ آمن مسألة فيها تنظر

فالشعب الفلسطيني يُذْبح بسلاح اليهود ولا أحد يتحرك، لأنها مسألة فيها نظر، نظرة إلى حق اليهود على المحمدي، فحتوه على الإسلام سبيه الحق على محمد، وأخزاهم الله، و_hid أخرين على أحفاد صلاح الدين. أما قليل الغابة فهو الطفل أمجد المحمدي العرق والدين، والأرض واللغة، ولم يحمل الجنسية الأمريكية لما تناولت أخبار الإذاعات قبل هذا الفتى، جريمة لا تغتفر ل وهي جريمة وقت، فاليهود لا يحسبون عليها حسابا يمنع به السند لهم، وإنما هي ضجة إعلامية كنوع من احتزام الجنسية أو كزوبعة في فنجان، ولا أظن أن اليهود يعتبرون عنها، فما اعتذروا لجنود الإنجليز شنقا على الأشجار، وما اعتذروا عن بِرَنادوت، فما زالوا أبطر الزنا يحتزمون بِحِلٍّين إمبراطوريين. حبل الذي
يمدهم بالرجال. وحبل الذين يساندونهم في كل مجال.

أما الصورة الثانية فهي على طريقة الشيء بالشيء يذكر. فما دمنا مع أدب إسحاق فنتطرق قليلاً تكتب عن ترجمة لكلمة قالها نابليون بونابرت الإمبراطور الذي وصل إلى قمة العزة ثم انحدر إلى ذلة الأسر، هذا الإمبراطور دُوَّخ كل أوروبا ولكن امرأة واحدة دوّخته إنها (جوزفين) فمن حركته قال يصف المرأة (فتش عن المرأة) يعني أن كل حديث فيما تصور سبيه امرأة، وما أكثر ذلك والكلمة "فتش عن المرأة" ترجمها أدب إسحاق.

هكذا:

إذا رأيت أمروراً منها اللفؤاد تفتنت فتش عليهاتها تهجها من النساء تأتنت

ولعله عبر عن ماري أنطوانيت ضحية الثورة، وعبر عن نفسه ضحية الغطرسة الإمبراطورية التي هزتها امرأة.
أمن الحرمين. يتصدى ولا يتعدي
والسؤال أطرقه. دعائي إليه الوقت وقد أقبلت الأشهر الحرم. تستقبل
الحجيج. شدوا الرحال إلى أداء الحج وإلى الصلاة في المسجد النبوي.
فالحديث عن ذلك كإجابة لهذا السؤال. لا أريد قاصراً على هذا
الوقت الذي برز فيه تحدي كهنتوت مسلم لأمن الحرم، فليست العقيدة تأمر
بذلك. فالمسلم أخو المسلم والحرم أمن المسلم وأمن الحرم آمن
للمسلمين. يؤدون فريضة الحج.
لقد كثر الكلام عن نوايا العابدين في هذا الوقت. كأنما هي العودة إلى
ما جرى من زمن بعيد.
فمن اليوم الذي اغتالوا فيه ذا النورين والذي خرج فيه كريم الوجه من
المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولي فما زالت المدينة المنورة ومكة
المكرمة عاصمة المسلمين؛ لأن الحرمين هما العصمة والاعتدام.
من ذلك اليوم لم شهد الحرمان الشريفان الأمن من عبث الفصام
والخصام، فأالأمن في حياة النبي سيدنا محمد خاتم الرسل عليه الصلاة
والسلام، وفي عهد الخلفتين بعده سيدتي أبي بكر وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، هذا الأؤمن قد أُهدى بعد اغتيال عثمان رضي الله
عنهم كما ذكرت، فحياة عثمان أولها هم كمن سبقه واخر حياته خرابها.
فما بنيت الأسوار إلا لصد العابثين حتى إن ملوك الطوائف بنوا المساجد والأسوار، وعجزوا أن يبنوا الأمن، ففرضوا الإناوة، للتأمين، وكذلك الخفارات، حتى إن الفقهاء أجازوا الخفارة للضرورة التي دعت إليها ولإزالة الضمر الذي ما استطاع ملوك الطوائف أن يزيلوه حتى إن الدولة العثمانية وقد بلغت شأوًّا بعضاً عجزت عن صون أمن الحرم.

الأسوار ما بنيت لصد الصليبيين والنصارى وإنما بنيت لصد العابثين الذين يحجزون الماء عن الحجيج ويحجزون الحجيج إلا أن يسلموا الإناوة وأن يخضعوا للخفارة، كل هذا أدركه به كهنةتوت إيران لأسألته وهو يعرفون صحة ما ذكرت هن أسم الأمن في الحرمين الشريفين وسياجهما إلا بسفه الملك البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن!!

بابه العالم الإسلامي في المؤتمر وبايعه أهل الحرميين وكل القبائل في سياج الحرميين ملكاً على المملكة العربية السعودية أي على الحرميين وسياجهما.

ولم يكن ذلك اغتصاباً منهم، ولا اعتزاباً منهم، وإنما كان احتساباً لله، تقديراً للأمن الذي أشاعه. أتحدى من يزعم أن الحرميين شاع فيهما الأمن حتى هدمت الأسوار قبل عبد العزيز بن عبد الرحمن تغمه الله برحمته. . سل صيغته، وأعد الجريد الأخضر فإذا الأسوار تهدم وإذا الأمن يهدم وإذا انتهى فهنا يشرف بأنه خادم الحرمين الشريفين.

ولبست الخدمة بفرمان سلطاني. وإنما بحرص المؤمن أن يكون ذلك صوًّاً للدولة. حفظاً على الأمن، فأمن الحرمين الشريفين الآن الذي لم يكن مثله قبل الآن إلا في ثلاثين عاماً من القرن الأول أصبح يتصدى لكل باعث، ولا يتعدى. . يرفض التحدي؛ لأن عون الله رب البيت هو الذي

---

الجزء الثالث - الشريعة - مخلة الكاتب كشكول القارئ
جل جلاله أهلك كل من تحدي، وكل من تعدد، بما جند من جنود سواء
كان الطير الابابيل أو الرجال المؤمنين.
فعبد العزيز بن عبد الرحمن كان من جند الله. وما يعلم جنود ربك إلا
هو.
تحية لكل مسلم أطاع الله.. وبعداً لكل من يعصي الله.
والعاهل هو سيف بن ذي بزن الملك في التاريخ، والزعيم بلا ملك.
حين صنع التاريخ، والشاعر هو الملك الضليل ذو الفروح امرؤ القيس،
فحين نستقر:
اللهُ يحكمون اليمن، ولكننا نجد امرأ القيس لا يثبت ولا يعاب; كتبوه شاعراً
وكتبوا قصة رحلته إلى أنقرة يطلب المدد من قيصر الروم "إنا لاحقان
بقيصر", يرجو منه أن يثار لأبيه حجر بن عدي آل المرار، كندي، عرف
أن في قحطان ملوكاً، فكيف لا يكون حاملاً لقب الملك على قبيلة
عدنانية في عالية تجد اسمها أسد، فتلقوه، فإذا امرأ القيس ورث خاله
المههل يريد أن يشمل الحرب على أسد، لم يجد عوناً من قبيل عربي،
فحاله المههل جند تغلب على بكر ليثار لكي يلقب إذا هي حرب البسوس,
التي كدرت النفوس وجلبت البؤس على وائل كنها. فسيف بن بزن
استقر في المكية حين أثار حقدهم على الروم يريد منهم أن يعينوه لطرد
الحبشة من اليمن واستجاب المجوس يخرجون النصارى، فالأحباب كانوا
مستقطبين لرودا الشرقية. فما أشبه الليلة بالبارحة وطردوا الحبشة، فإذا
ال التاريخ لا يعيب سيف بن ذي بزن لديه خدم من الجن (الراهق الأسود).
فصوروا أنه الفراعون الأول يصل إلى النوبة فيأمر الراقص الأسود أن يفجر الصحراء ليعبر النيل مشمتلاً، لتقن مصر من صنعة النيل مع أن سيف بن ذي بيزن هو ذلك، فهو قريب من عصر عبد المطلب بن هاشم، لا جنية لديه ولا هو ذو جنان يعمر الجنان من نيل مصر.

هذا مجد بن ذي بيزن ما كان عيباً لديه ذلك، فأولاد جفنة أولاد عمه في الشام مستقطبون، وأبناء عمه في الحيرة مستقطبون وإن حملوا لقب الملك.

أما وراء القيس فما نجح مسعاهم، فالشقة بعيدة على الروم وقبائل الصحراء لا ترضى أن يطأ أرضها رومي، ولكن القدم وقد أصبح ذا القروح.

أصاب الشجر يعني الزهري، أصابته العدو من عدوانه على نفسه.

كان هذا الحال قبل الإسلام، فماذا صنع العرب حين أسلموا حين توحدوا؟ لقد صنعوا إمبراطورية عظمى نعرفها، فمازال الإسلام في قلوب المسلمين من أهلها شرق الهيملايا وعلى شاطئ الأطلس وعلى الحزام من جبال (البرزانت).

فلإسلام أعز العرب ورفع عنهم الاستقطاب حين حرر.

وخاطرة لا أنساها، فهي مدينة أصفهان وفي إيران أسرة تحمل هذا اللقب (ذو بيزن).
إياكم وخضاء الدهم

والمسلم مهاجرًا وأنصارًا، كان يتعلم في مدرسة محمد، منذ تعلم محمد القول (القرأ) على حراء نزل بها الوحشي يحمله بأمر الله الأمين جبريل عليه وعلى نبينا السلام، حتى فتح الله علينا حين بلغه الرسالة (ال-Origin) (المرجع: 1-2) فإذا هو على جبل الصفا، كما الصفا المدرسة الثانية. لتكون المدرسة الثالثة وعلى الصفا أيضًا في دار الأرقم ابن أبي الأرقم. ما أعظم عصمة الإسلام يُسلم الأرقم بن أبي الأرقم وهو من شمارخ مخزوم لَعِمْنَ أَذَى مَخْزُومٍ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. تلك حماية الله.

وفي مدرسة الصفا كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه القرآن. أحكامًا محكمة. أمرة ناهية. مؤدية، أولها التوحيد والعبدة. وبعد ذلك (إنما المؤمنون إخوة).

 وأنعم الله على رسوله بالمدرسة الرابعة، كانت مربى وأصبحت مسجداً، هو مسجد النبي ثالث المساجد التي نشأ إليها الرحال. فالمسجد الحرام هو القبلة السرمينية، والمسجد الأقصى القبلة الأولى كانت إكبارًا لهذا المسجد من خلال الإكبار للأنبياء والرسل الذين صلّى بهم رسول الله محمد ﷺ إمامًا في ليلة الإسراء ليلة المغراج. كل ذلك نوعة من الله تؤمن بذلك دون تعيل أو تديل. فلله على كل شيء قدير.
في هذه المدارس تعليم الأصول، كما قلت، وتعليم الآداب كإفشاء السلام والتباين ورفع الأذى عن الطريق، وما إلى ذلك لكي أقف فيما أكتب اليوم عند أمره تعالى (إياكم وخطراء الدمن). ولقد سألته أصحابه ليعرفوا هذا البيان في هذه الكلمة: وما خطراء الدمن؟ قال ذلك الإنسان الكريم ألا وهو إنسان الإنسانية في قوله تعالى: "وَذَلِكَ لِتُمَشِّي عَلَى دُمَّارٍ" (القلب: 2). يفسر لهم خطراء الدمن: إنها المرأة الحسنة في المنبت السوء. فالدمية تعبر عن البئر. وعن حضانة التربة. وعن حضانة التي رياها أهلها على كل ما هو حسن. فلم يتركوها لعوارض السوء تخلق بها فتصبح زوجاً خلت عواطفها من المودة والرحمة، فالمودة والرحمة يتم بها بناء الزوجية، ونموة التربة، أما حسنها فلا يفيد إذا ما ساء خلقها، فالخلق لها ذات وجه حسن يكمل ويتم بالخلق الحسن. ولا يعني المنبت السوء أن تكون فقيرة، فقد يكون الفقر معلماً وقد يكون الغنى إذا لم تصله التربة هو منبت السوء.

كما أن أمره الثاني يصبح التفسير لأمره الأول في قوله: "تخيروا لتطفكم فإن العرق دساس؟".

وعني هذا أن الأعراق الفاسدة يرت نسلها الفساد، وعلي أذكر حواراً بيني وبين شيخنا أستاذنا العلامه الشيخ محمد الطيب الأنصاري، فقد رزقه يوم كنت شريكي في تدريس عقيدة السلف. كأول مرة تدرست فيها هذه العقيدة في المدرسة السعودية في المدينة المنورة، كلفه بذلك رئيس القضاة حفيد الداعية المصباح محمد بن عبد الوهاب، ألا وهو الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، حتى إذا جلست في مجلسه ورأت طفل ابنه - ألا وهو الدكتور عبد الرحمن الأنصاري كبير الشأن الآن - وقدم كان هذا الابن عليه

وهكذا، كما في النساء خضرة دمنة، ففي الرجال خضرة دمنة، وأيهما الآن أكثر؟!
كلمة وكليمة

وليس بدعاً أن استمعوا من الراقي عنوانه بل هو الانتباه لعلم من أعلام البيان مسلمًا تحت راية القرآن كان عزه أن كان فقيهاً، وكان فخراً أن وله البيان، وكان ذكره أنه كما قال الدكتور عبد الوهاب عزام حين رئاه بكلمة
(كاتب لا يذكرك أحد ولا يذكرك به أحد .. عمري النسب) يرحمه الله.
فعنوان أسنتين به على أن أكتب الكلمة كلمة تطير بجناحين، فلا بد بأقول الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

قال: إذا أقبلت الدنيا على أحد .. ألبسته محسن غيره وإن أدرك عنه
سلمته محسن نفسه .. ليس هو الكثير على الإمام كريم الوجه أن يصف الدنيا بهذا الوصف فقد حلب شطر فيها واعجبهما من لفتكم الشاعرة بين الكلمة «ألبسته» وبين الكلمة «سلمته» .. حروف واحدة القلب والإبدال قلب
المعنى وبدله ..

 وكلمة على هذه لها الحكاية .. يوم ليستنا العقال المستعبي الأسود
وتركتنا العقال «المقصوب» بقي منا أحدما ثرى أمسك بعقال القصب يلبسه
ولا يخلع، كانه حفظ ما ألف وآخر لا يلبس جبه ولا عباءة ولكنه تمسك بعقاله المقصوب، وصادف أن مر منا بدخلان من الباب المصري يذهبان
إلى المسجد، فإذا ألسنت تنطلق (شوفوا الأفندي كيف العقال حلو على
رأسي) وقال آخر: "خلاء العقاق من خلاء لا يشبه"، وحى إذا مرأ الظاهر قال
أولئك شائفين العقاق على رأس مزروع البدوي وهو يقول له اخلععني
فقال العقاق ما هو قابله.

وقال آخر: "إنه وارث العقاق عن أبيه، أما الأفندي فلا يغمره.. وتزين
بالعقاق وسمعت قولهما فإذا بي أنذكر الكلمة "ألبسته" والكلمة "سليبته".
وكلمة أخرى هي للإمام علي، رضي الله عنه، قال: الناس ثلاثة، عالم
رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج راعاً أتباع كل ناقة.
وبعد ذلك أعيد نشر كلمتي (ليس الحرمات ألا تج وأسم الحرمات أن
تفقد ما وجدت)."
غورباتشوف في الصين
سلم المصالح لا حرب المبادئ

والانفراج في العلاقات الدولية سلط على وجود إمبراطور الكرملين. ميخائيل غورباتشوف في الصين شيئاً من الاستراحة، فلم يكن قد أحدث ضجة عالمية، ولم يكن خروجًا أحدثه المفاجأة وإنما كان حدثًا لا يمكن وليد الانفراج وإنما هو من صناعة السلم تفرضه المصالح. فقد ذهب خشية الحرب بين الصين وروسيا يوم كانا في حزام الشيوعية المحضة. «الشيوعية ستالينية و"منشأدة" ماوتنسي تونغ وشون وون لاي. يوم كان التوتر بينهما جلب الإختلاف الأيديولوجي تنبأ برتران راسل المؤرخ الإنجليزي به بما كتبه في نظرية ذات شقين حيث قال: لن تفع حرب بين إمبراطورية الكرملين وإمبراطورية البيت الأبيض، لأن خلافهما على المصالح. ففي الإمكان المصالحة من أجل المصالح. ولكنها الحرب ستتقع بين الصين وروسيا لأنها حرب على المبادئ. فالشيوعية لا تخضع للمفاوضات وإنما إخضاعها بالحرب».

ومضت ثلاثين سنة والتوتر على صورته: صورة الخلاف المذهبي، صانع الحرب، وصورة اختلاف الجارتين على الحدود. فالصين لا تطبق تسلط النفوذ الروسي على منغوليا وكوريا الشمالية و تخشى على منشورية وعلى التركستان الشرقية.
فالمبادئ قد انتهت. فإذا الرغيف والدولار يطردان المنجل والمطرقة. فإذا الفروع تبنت على الجذور وإذا الانفتاح على الغرب اقتصاديا يقرب بين الصين وروسيا.

كلاهما قد تخلى عن العزلة والاعترال. فإذا غورباتشوف يمد يده إلى واشنطن وإذا ريجان يبسط يده إلى غورباتشوف. وإذا غورباتشوف يبتسم للصين، وإذا الصين تستقبل غورباتشوف، فحين زال التوتر المذهبي انطلق الوفاق من أجل الرغيف والدولار فلا توتر ولا نقطة وإنما هو تطبيع العلاقات...

فلن سبت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي في مصالحة الصين... فإن الاتحاد السوفيتي قد وضع المصالحة الأمريكية الصينية موضوع التنفيذ حين مشى إلى بكين من أجل السلام لصبانة المصالح، ورفض الحرب تفرضها صولة المبادئ...

إن تاريخ هذه الأيام سيعطي غورباتشوف أنه صانع الانفراج العالمي ولن يبيل على الصين والولايات المتحدة بأن استجابةهما للسلم سيكون منها الخبر إذا صدقت روسيا بترك الأفغان والاسترخاء مع كوريا، وإذا اتضح لأمريكا خطاً موقعاً مع العرب، وإنما الفصل بين الأباطرة قد تلعب به الأحداث الصغرى من هذه الحروب الإقليمية التي ما زال الاتحاد السوفيتي يمارسها على الشعوب الضعيفة وصالات الولايات المتحدة تمارسها لحساب اليهود على الشعوب العربية ولا تسأل عن صداقة العرب الذين ملكوا طاقة الصبر حتى الآن.

وهكذا صحت نظرية برتران راسل. فإذا السلم تفرضه المصالح وإذا الحرب قد يفرضها خطأ المبادئ.
ولعل من الصواب أن نستدرك حول التعريف للبلشفية والمنشقية التي أولاً ما سميت عنهما وأنا نائم على كرسي القهوة في المعملة إيان الصيف، وراء من ينادي "كانوس، كانوس" فإذا هو رجل هندي طلبه وأجره نصف ريال للمساح "الكانوس" وأخذ يتحدث عن الشيوعية فعرفت منه البلشفية والمنشقية ولم يفسره الفنير الواسع ولكن صديقنا ومن أمله عليه يفصل لي الفرق بينهما.. فالبلشفية تعني الأكثرية داخل اللجنة المركزية للحزب والمنشقية تعني الأقلية.. وقد برز المصطلحان عند انقسام الحزب الاشتراكي الديمقراطي قبل الثورة أي الشيوعي بعدها.
قالوها. فلتقل عنها

وقالوها فلتقل عنها. وتلك كلامات جاء بها عقل المفكر إنسانًا لم يأكله تعصب الكهنوت ولم يتأكل على كرسي الاعتراف فلاقل عنها. لا أنخبر ولا أخبر بدقة التوقيت وإلى القارئ شرح ذلك. فلقد قرأت للعلامة السلفي السيد محمد رشيد رضا الطرابlsi اللبناني المصري. فقد ذكر أن مفكرًا عالميًا يعرب عن فرحه بأن الإسلام لم يصل إلى شعب ولم ينتشر في أوروبا. قال: لو لم تشتغل حرب صفين بين علي ومعاوية ولم تنتشر الفتنة حين ذلك لوصى العرب يحملون إسلامهم إلى أوروبا كلها. وكأنما السيد رشيد رضا أردت هذا الخبر في حسرة العالم المسلم الذي كان يحب أن ينتشر الإسلام في أوروبا وما إليها، وعلمي حري بأن أقول: إن معاوية وقد استقر له الملك في الشام لم يتأخر عن نشر الفتنة، فالغرب كله حتى الأندلس كان في عهده بني أمية والمشرق حتى شمال الصين عن التركستان الشرقي كان بقيادة الباهلي قنبة في عهده بني أمية. بل حاصر الجيش الأموي مرتين القططجينة أي إنه حجز إمبراطورية القيصر. تلك حقيقة التاريخ لا تحجز المواطف، ولا تشفع للفتنة، فلقد الفتنة لم تكن. وفنلندر الفيلسوف الفرنسي وقد كان ملهّدًا يسرخ بالكهنوت ويرفض كرسي الاعتراف. لكنه وهو يعرف فلسفة التاريخ ومسيرة التاريخ. وتاريخ الفلسفة قال الكلمة كلها الثناء على محمد رسول الله ﷺ لم يكن مؤمنًا به وإنما كان
معظمًا له، كفرت عواطفه وما أنكر عقليه، فقد ذكروا له لوثر وكالفين، وهم اللذان سخروا من كهونات الكاثوليك ورفضوا طاعة البابا، حين ذكروا هذين له كموسسيون للبروتستانتية مذهبًا جديدًا في النصرانية يخرجان به من صكوك الغفران ومشردو النار ويعيد البالغة ذكروا له هذين فقال: دعونا من هذين إنهما لا يصلحان حذائين «الشعل محمد»، كلمة عقل لم تنحرف بها عاطفة وله كانت ملحة، فالإليهاد ليس عقلاً بل عاطفة بل إن عاطفة الملحد هي إيمانه بالفكر الذي ألهد به.

والمؤرخ الإنجليزي توماس كاريل في كتابه عن الأبطال هذه عقليه المؤرخ المنصف ألا يرى البطل كتب فيني هو مسيحي إلا محمدًا النبي.

فقد قال محمد مخلص، والخلاص لا يكون كذابًا، الكذاب لا يستطيع أن يبني يبناً من الطوب ومحمد بنى يبناً ضم ربع سكان الأرض.

وللكاتب الشهير جورج برناردشو وقد كان على الذروة بين الكاتبين العالمية قال حين وصل إلى الشرق الأقصى: لو لم أعرف أن الإسلام ورسوله محمدًا حقية واقعة لأنكرت تلك الحقيقة حين أرى المسلمين اليوم على حال ليس كالحالي الأول...

والأمريكي دكتور فان ديك عميد الجامعة الأمريكية في بيروت رفع صيته يقول لطلابه (أشهد أن القرآن كلام اللهم... ليس هو كلام محمد... لأن محمدًا حين نزلت هذه الآية «وَأَنَّكَ تَقْصَدُ مِنْ آيَاتِنَا» (الماندة: ٦٧) صرف حراسه فلم يعد يحرسه أحد لأنه مؤمن بأن حارسه الواحد الأول...

فلو كان القرآن من عده لما صرف حراسه... إنه رسول لا يكذب).

وأمريكي آخر بالأمس القريب ترجع كتابة أنيس منصور عده عظماً الإنسانية ماتة فلم يجد أولهم إلا محمدًا.
لا يلي من الحق أن نقول إن هؤلاء الكافرين بمحمد سخروا من الله ليعلموا الذين لم يعرفوا أن رسول الله محمدًا خاتم الرسل مبعوث من الله رحمة للعالمين؟

هؤلاء ما أفرطوا بتزيد القول وما فزطوا بعذم القول الحق.

محمد رسول الله من الله عليه حيث أكمل الدين وأنتم النعمة وحيث مرة أخرى أدى رسول الله الأمانة وبلغ الرسالة ✝️.
الدفاع عن شيخين

ومنذ أصبحت النائب لم أنقاعد في عظيم الذي لا يسعني غيره، لأني أصبحت أمشي إلى كل عطل لا تحملني رجالي وإنما هي عواطف وثقافات تحملاني إلى كل عطل أى إلى كل وطن عربي، فمنذ كنت النائب أيضاً وعلى هذه الصورة التي شرمته أصبحت وأصبحت أندفع المعرفة وأتعرض بالثقافة وأجتر السالبة لأكثر عن الإجاب. فهذه المقدمة إعلان عن حوار جرى بين متعنت على شيخ الإسلام ابن تيمية وبين معنف يوزاً علم الخوارزمي محمد بن موسى بأنه تائه.

وهذا المتعمت تتبع بادعاء المشيخة، فحين بدأنا ندرس تلاميذنا عقيدة السلف في مدارسنا وفي المخيمات المنورة فإذا هذا المتعمت يقول: إن التوحيد هو التوحيد عقيدة الإسلام، فمن أن جاء ابن تيمية بهذا التقسيم أو التفعيل (توحيد الرسوبية - توحيد الألوهية - توحيد الأسماء والصفات)؟ قلت: إن شيخ الإسلام قوي العارضة واسع الاستعراض إذا أنكرت التقسيم هذا فما برهانه! أما شيخ الإسلام فما أكثر ما برهن، أن ترفض هذه الحقيقة، لأنه لا تحتزم الأولين، وما كنت في هذا الحوار معه قد وافتي الحجة الدامغة وحسبتي علبت إذا انتصر على فإذا بي أنا على مدى سنوات أجتر هذه الواقعة وفي ركعة من صلاة جهيرة قرأت سورة الناس فإذا بناور القرآن
يشرف لأوفر عن البرهان وأذيعه في حديث ملتفز، فهذه السورة فصلت أقسام التوحيد (قل أعوذ برب الناس... توحيد الروبية، ملك الناس... توحيد الأسماء والصفات، إله الناس... توحيد الآلوهية)، ومن حسن الحظ أن وجدت السند لهذا الفهم من أستاذنا مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الدكتور عبد الله بن المحسن التركي وأعجبه أنى سألت في هذا الحديث هل ما جاء في سورة الناس ورد في برائين شيخ الإسلام، فقال لي الدكتور لم أعرف على ذلك فرحت بهذه الحجة ولد أدركت ذلك المحاور لكتبت إليه ألقحت الحجة ولكن عاجلة أجله أرسل الله له الرحمة.

وامتد بي الفهم لأجد أن سورة الفاتحة فيها هذا التفصيل وأية الكرسي فيها هذا التقسيم فلم يأت شيخ الإسلام بما لا حجة له فيه، فالقرآن هو الحجة الداعمة ولكننا كبعض الناس نجري على الأئمة بشيء من الاعتراف بينما هو الخطأ منهم والصواب من الإمام.

والشيخ الثاني هو شيخ الحضارة الوسيط إسلامية عربية ألا وهو محمد بن موسى الخوارزمي، فقد سمعت من مزمت لم يتخط حدود الطالب وإنما أخذ يطمئني قالأن إن الخوارزمي وقد جاء بالجري والمقابلة والصفر لم يأت بشيء كبير، فأنى الطالب في الثانوية أعرف ذلك بما هو أكثر سعة مما جاء عن الخوارزمي، قلت له لقد فتك الائتمام وحرم في الفخار فمحمد بن موسى الخوارزمي بهذا الذي لم يستكر ولم تستكر ما زالت بصمتته على كل علماء الفيزياء والرياضية، وحتى على أشتباه وحتى على نيوتن وحتى على الصواريخ وسفن الفضاء. إن الخوارزمي ما عق الائتمام إلى أقليدوس اليوناني كما أن ابن سينا والذهراوي ما رفضا الائتمام إلى جاليليوس وسقراط، وعلماء العرب أنصفوا أنفسهم فحافظوا على الائتمام إلى علم...
الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

الخوارزمي وعلم ابن سيناء وابن رشد وعلم جاليليوس وإقليطس، فثقافة الإنسان واحدة نحسن إلى أنفسنا حين نأخذ الأحسن والطيب بل وحين نعلم السالب والباطل حتى إذا علمنا ذلك استتوانا فرفضنا.

وتغضن وجه الفتي ولم يحر جواباً فتركنا سائلاً له الهدية من الله.
العروبة انتماء للقيم!

وهذا العنوان يجعلني أفرق بين العروبة القيم وبين العرب القيم؛ فالعروبة القيم ينحصر تعريفها بأنها الوطن، واللغة في وحدة العقيدة ووحدة القيادة، ولا تسأل عن النسب، فالذين أشركون وحاربوا الإسلام كانوا عربًا، اعتزوا بالقيم وتنكروا للقيم. أما الذين صدعوا بالإسلام وتوحدهوا تحت رايتهم، سواء كانوا عربًا أو غير عرب فهم الذين أجدنا داعيًا بأنهم هم العرب.

فالعربي النسب الذي احتضن العربي المستعرب هو الذي لم يتعال بالقيم وإنما استعملت به القيم، إن سيسيه وأبي المقنع من سدنة اللغة والبيان، فهما في ذروة العربية، وأبو حنيفة والبخاري على اللوز، إمامان في الإسلام، وهما على السناشيم شامخان في العروبة. ويشار وأبي الرومي وأبو نواس حين ورثوا شعر العرب نجديًا وحجاجيًا، فأیعنوا بالشعر في الصفحات البيضة من ديوان العرب، لا يحسون أعباج وإنهم في ديوان العرب من نهضتها.

إن هؤلاء الذين ذكرت طليعة للألفي الذين أفتحوا صدورهم للإسلام، وتعرضوا بصدورهم للفتح، وامتدت صدورهم بعلم اللغة وعلم السنة وفروع الفقه وتفسير القرآن. فمن هو أعلى من الطبري مفسراً وأعز من
محمد بن إسماعيل البخاري إمامًا، حفظ السنة فحفظه السنة؟
فأرض العرب الوطن عروبة، واللغة الفصحي على ألسنة هؤلاء أُعرِبت
بهم العربية، في ديوان العرب الشعر، وفي هذا الديوان النثر بالبيان والتبين
صانعة أبو عثمان الجاحظ.

ولعلَّي أذكر ملحمة جاد بها شعر بشار بن برد حين فاخر بمضر، فقد
كان مولاهم، فهذا المولى من قيم العربة وقد فاخر بمضر بما لم يفْخَرْ به
مضري قبله، ولا حتى معه، ولا حتى بعدة، أَفْلِيس هو القائل:

إذا ما غضبتنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعرّنا سيدًا من قبيلة ذرا منبر صلّى علينا وسلمًا

فهو أُرث المنبر الذي هو منبر محمد عليه الصلاة والسلام وهو
المضرئ، أُرثه لمضر، فلا يعلم خطيب منبرًا إلا وهو يصل على خاتم
الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الصلاة ذكر الآل، كاد بشار
يحرصهم في مضر بينما هم كل الركع السجود.

إن هذا التعريف للعربية أقطع به ألسنة الذين يريدون حصر العربية في
النسب، مع أن العربية كما ذكرت سبب وحسب، أي القيم التي نفَّاخر
بها، والتي إن بقيت لنا تم علينا بقاء السؤد. وهناك قول مشهور: من
تكلم العربية فهو عربي!
طرائف عن عبد الملك بن مروان

وإني وإن أحببت عصبية، فبأني لا أتمذهب تعصبًا، فالذين أحبيهم لا يرضون لمن أحبه البغضاء، فالعصبية شموخ العربي لا ينشغل بها عن قومه، ولكن أكتب عن عبد الملك بن مروان فليس لأنه الأموي وليس لأنه الفرشي وإنما لأنه بكل ذلك كان الوسط بين القومية، فلم يعثر بها قوة الفتح المسلم، ولم يعثر بها في طريق إقامة الملك، فهو على حد تعبير خصيبيه - وإن كان ابن عمه - ذلكم أبو جعفر المنصور حين قال: "الملوك ثلاثة معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان و أنا) يعني أنه ثالث الملوك، واستدرك عليه أنه كان معاصرًا لرابع الملك عبد الرحمن الداخل، أعاد ملك أمية في الأندلس بل أعاد للإسلام ملك الأندلس، لم يذكره المنصور وإن انتخر به يومًا حين سماه أو لقيه صفر قريش، فخرب به قريشًا كانوا هو قد سلب بني أمية ثالث ملوكها وأخذ لمسجد قريش.

وبعد هذه المقدمة أسوق طرفتين، فالأولى أنه كان صديقاً للإمام عمير ابن شراحيل الشعبي، حين كان عبد الملك حمامة مسجد حين كان يتمثى أن يكون مع أبي خبيب صديقه عبد الله بن الزبير صداقة المسجد وخصوصه في الملك يوم أخذ العرش عبد الملك يخرجه من المسجد إلى عرش دمشق بل عرض الإمبراطورية الأولى في الإسلام، وكان بين عبد الملك
وقياصرة الروم في الفلسطنئية مواقف استطاع عبد الملك أن يتجنب شُرها بِدهاء الملك وَإنه كان بعض من هم عنده طلاعبة طباوراً خاصَّاً مع الروم، لم يكونوا مسلمين، فمن أخطاء أمية أنها احتضنت بعض نصارى العرب لا جزية ولا سيف، وَأرسل القيصر إلى عبد الملك يطلب رجلاً يأتيه ليعرف عنه بعض ما يريده عن العرب، وَأرسل عبد الملك صاحب الشعبي حتى إذا عاد بعد لقاء القيصر وَهو يحمل كتاباً عن القيصر إلى عبد الملك وَكأن الشعبي كالمتمس ما فتح الكتاب حتى إذا سلمه إلى عبد الملك وَقرأ وقال، أتدري يا شعبي ما في الكتاب؟ إنه يقول عجب لآمة فيها هذا الرجل فلا يتولى أمرهم وتوليه أنت؟ وَأخذ الخوف من الشعبي مأخذه فَقال عبد الملك: لا تفزع لقد حسبنا عليك، فأراد أن يغريني بك فاطمَان الشعبي وَطمأنت أخلاق الملك.

والطريقة الثانية عن الحجاج وإبراهيم بن طلحة كما يلي:

عبد الملك بن مروان اشتهِد عجبه أو هو تعجبه من ثناء الحجاج بن يوسف يوم تم له الأمر أميراً في مكة ولا أقول عليها. اشتهد تعجب عبد الملك من ثناء الحجاج على إبراهيم بن طلحة بن عبد الله. لأن عبد الملك يعرف أن أبا مروان أهتموه بِغَيْبَة طلحة بن عبد الله والد إبراهيم، فكيف أصبح ابن طلحة في طاعة الحجاج. من طاعته لعبد الملك بن مروان. وَأخذ عبد الملك يفكر ماذا وَراء ابن طلحة، هو مخلص في طاعته أم هو التخلص من عسف الحجاج، فأرسل عبد الملك يدعو الحجاج ليصبِح إبراهيم بن طلحة يدخلان إلى دمشق بجلسان حوله حتى إذا وصلا فأقبل عليهما يتلقَى التحية منهم ويتلقان التحية منه. فِالحجاج عامله وابن طلحة ابن عمه وصرف الحجاج ليختمي في خلوة لا يحضرها
أحد مع ابن طليحة ليسير غوره ويعرف ما عنه... عن الحجاج. وتكلم
عبد الملك فإذا إبراهيم بن طليحة لا يخفى ابن عمه قوة الحجاج وصلاحه
للإمارة.

ولكنه قال: كأنما هو يثير نخوة القرشي ليحرم مكة من عصف الحجاج.
فقال إبراهيم: لنعم الحجاج أميرنا تسد به الغور، ولكن مكة والحجاز لا
تطبق ولا يطبق الحجاز قسوة الحجاج، فمن حق الباحث على ابنها أن يرفع
سلطان الحجاج عنه وليوله مكانًا آخر.

وسمعها عبد الملك. وبعث إلى الحجاج فاستناد إبراهيم يخشى عبد
الملك أن يبيح بما أمره له. فبغضب الحجاج ولكن عبد الملك كان
الملك فقال: يا حجاج لقد كان ثناؤك على ابن طليحة فهو يراك أهلاً لأن
تسد الغور وقد قبلت نصحه من فقهه بك ومن تفقي أيضًا، فقد ولبنك
العراق ورس الحجاج بأن يكون الثاني بعد زيد.

حصافة جَمَّ بها ابن عمه وترحبت مكة بما فعل وأعطى للحجاج
فرصة العمر بل عمر اتساع الفتح للشرق، فالحجاج بكل ما عليه هو بكل
ما له كان عاصم الفتح للشرق رذأ وعوناً فإذا السند يفتحها ابن أخيه وإذا
الشرق يفتحها ابن عمه ابن أخيه محمد بن القاسم وابن عمه قتيبة بن سلم
البابلي، وهكذا أصبح عبد الملك مليكاً في تاريخ العرب والإسلام كما
أصبح الحجاج بما عليه وما هو له تتسع سيرته لتاريخ ما يؤخذ عليه وما
يأخذه هو له.
من قتل عمر؟

ولست ثوري الذي لم أخلعه بعد. ذلك هو اللقب (معلم الصبيان).
ليست هذا الشرب لأن صاحب الحرف لا ينسى أن يحتفظ وله مضت عليه السنون. فلقب الأستاذ لا أستاهلها. فأنذا أذكر أحمد قدليل يرحمه
الله - حين قالوا له:
- فقد أبعدوا الرجل الجليل، وجاءوا برجيل بديل.
فأنشد أحمد قدليل:
«ومن ركب الشور بعد الجواب أنكر أظلافه والغريب»

ومد لست هذا الشرب في لحظة باكية ضاحكة جمعت الأحفاط والأسابيع أجتر معهم الحديث تلو الحديث. فإذًا هو يتشعب وإذا بي أسانهم وقد جاء ذكر عبضري هذه الأمة الفاروق أبو حفص ابن الخطاب عمر. رضي الله عنه.
وطرحت السؤال:
- (من قتل عمر؟).
فقامت طفلة أو هي طفلة. فأجابت:
فأول الفقه أن عمر كان
هو الباب الذي كبير. ففتحت أبواب الفناء...
انقاد الخيرون للأرذلين. فهل يكون نجاح لشعب بعد كسر الباب من
زعيم لا يحترم تراثه ولا يحافظ على ميراثه?
فما أكثر البلاء بعد قتلى عمر. فكان ثواب الطفالة أن عبرت عن كثرة
الفناء.
فقال الذين عقروا أو انشقوا، والذين إن لم يقولوا كفرعون: "قَالَ آنَّا رَبِّمَا النَّامِيَةُ (الناميات: ٤٤) ما قتلوا عمر مباشرة وإنما هم قتلوا وحدة الأمة،
والعدل والرحمه.
فعمر يسلم مفتاح بيت المقدس ماسيًا، راجلاً، وثوبه عليه سبع عشرة
رقة. فإذا بيت المقدس بعد زمن من قتلى عمر يحتله الصليبيون، ولكن
الله من على عبد من عباده: عمري النهج، اسمه صلاح الدين طرد
الصليبيين.
وجاء زمن تعيشه فإذا الذين يلبسون المرف من اللباس والزهو من
الألباب يسكتون عن احتلال اليهود للقدس.
وإن نطقوا بكلمة الإسلام. فالإسلام مرة أخرى يعتز وينتصر بالحرب
عليه. لأن الحرب على الإسلام تجمع أنصاره ليدافعوا عنه، فما زال في
أمة الإسلام من هم على الطريق. والإسلام مرة ثالثة ينهزم أتباعه بالفرقة
العِبَاء الكُلِّمَة لَلأَدِبِ الأَسْتَاذِ مُحَمَّد حَسْن زيدان

التي حدثت بعد قتل عمر، وينتصر إذا ما كانت القيادة واحدة والعقيدة واحدة، وهو الإسلام: (بدأ غريباً وسعيد كما بدأ).

يقول الإمام النووي: "سعيد منتصراً. نعم فالإسلام كتابه القرآن.

الذكر. والله هو الحافظ للذكر إلى يوم يبعثون": (إِيَّاَيَّ نَعْنُوُنَّ أَطْلَقَ الْكَلَّامَ وَيَغْفِر لَهُمُ الْغَفْرَانَ (الحج: 6).
علاقة السعودية ومنظمة التحرير

واختلفت الزعامة الفلسطينية في الجهاد ضد اليهود. فكلما زعم طريقه:

وما أحد ينكر إخلاصهم، ولكن هؤلاء لم يستطعوا من خدعة أنهم الأقوياء حين يحاربون اليهود، وكان من الخطأ أن حارب العرب اليهود حرب دول مع أن الملك عبد العزيز نصح أن يكون الجهاد حربيًا تشتكي الشعوب العربية، ليكن ذلك المانع لتدخل الدول التي أعطت وعد بلغور أو هما الدولتان اللتان في الدقيقة الأولى أرسل كل زعيم لهذه الدولة وتلك اعترافه بدولة اليهود في فلسطين على أساس من قرار هيئة الأمم الذي صدر تمسكًا، أو هو الذي استصدره من أشرى أصوات تؤيد هذا القرار.

وما انتصرت الدول العربية ولم يكن موقف الدول المؤيدة لليهود أكثر فعالية في انتصارات اليهود بل كان الانتصار الأول لليهود أن اختلفت الجيوش العربية في مواقفها و"ما يوم حليمة بسر". كل هذا أعطى للفلسطينيين أن يستجيبوا لدعوة ياسر عرفات وإخوته لتكوين منظمة فتح ولتكون بعد منظمة التحرير وليبرز المجلس الوطني.

لو أنهم اتبعوا نصيحة الملك عبد العزيز لحارب الشعب العربي بالسلاح وبالالمدين من الرجال: فلسطينيين وشاميين وعراقيين وسعوديين وصليبيين وحتى من شعوب المغرب العربي التي كانت مستعمرة لفرنسا...
فكم للمغارة من مواقف تذكر فشلك.

والسؤال هو: من اعتنيت منظمة فتح؟ من أعانها؟ إنها المملكة العربية السعودية.

إنه الملك فهض. إنه الملك خالد. إنه الملك فهض.

وأما كان ذلك طموحا إلى زعامة ولاجموحا إلى تأسيس إمبراطورية

وإنهما هو إلهام التراث واستلهام العبرات.

فهذا البلد - حرما وسياجا - عظيم تراثه فليعظم ميرائه.

فهل الملك عبد العزيز وأبوه العدناني وأمه الأزدية الفتحانية لا يرجى

 منه إلا أن يكون وارث المشن بن حارثة ابن عم أبيه وارث عمر بن معد

 يكرب ابن عم أمه أو هو وارث عمر بن ياسر ابن عم أمه؟

وتأسست فتح، وكان السفير بين الملك فهض وياسر عرفات بأسلوب

السرية التي كانت جهيرة: "فهض الحمارك يصل بالدعم وليس هو المال وحده.

وإنهما هو الرأي والتوجيه لوحدة الإنجاء.

وكان ياسر عرفات موضوع الثقة، فإذا هو يجمع إخوانه الذين ما كبروا

 به وما استكبروا عليه لأن لباس الكبرياء فيهم جميعاً هو الجهاد في سبيل

 فلسطين. وليس بمستكة أن يصدر المجلس الوطني قراراته طبق ما اختنمه

ياسر عرفات من فهض بن عبد العزيز، وطبيق ما احتزم به ياسر عرفات من

 فهض بن عبد العزيز، فإذا المؤلف اليوم ترجمة للفعل الصامت باللسان

 الناطق لسان دم "أبي الجهاد" قوات العمل الوطني - انتقال هيئة الأمم

إلى جنيف - عواطف السويد - يقظة الأوربيين، فإذا إسحاق شامير في عنق

الزجاجة.
لا أزعم أن ياسر عرفات لا يعرف الحد بالنسبة للمملكة العربية السعودية وإن لم يعلنه ولكن لسعودية رأي لما كانت لها هذه الرؤيا: لا تتأخر عن مدد المال، كأم عطاء المال للمنظمة امتداد لرأيها السياسي.

إن المجلس الوطني إذا ما قلت إنه احتزم بسياسة الملك فهذا من المجلس الوطني جاء تصديقه لقرار مؤتمر فاس، وهذا. فليس العرب موقف الملك في هذا الكيان الكبير كيف يسعى إلى وحدة الكيان الأكبر.

الدعوة إلى التضامن، الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي.

وأخيراً فأطفال الحجازة ودموع الأمهات عودة إلى حرب الشعب كأن ذلك فيه التصديق لرأي الملك عبد العزيز يرحمه الله.
وعن اليهود قالوا

ولدينا كتاب لم يكن للمؤلف صديقنا "عزت الفاتح" إنشاء أو بحثًا وإنما هو الجامع من كثرة ما قرأ عن اليهود.

هذا الكتاب مثقف، عرفته صديقًا يوم كان متعاقدًا في دارة الملك عبد العزيز. فلعله قد جمع ما قاله رجال كبار عن اليهود ليطلع كلمة موشي ديان: "إن العرب لا يقرأون". فنجاة هذا العربي قارناً جناعًا. قالما هو قد أعرب عن جمرة النار في فؤاده. فأرسلت جمرات من النار على اليهود أرسلها في سجل التاريخ مارتن لوثر، نابليون بونابرت، جورج واشنطن، حليم وايزمن.

لهذا عمدت أن أشر هذه الأقوال في هذا الوقت العصيب، قال مارتن لوثر:

- "أن كثيرين من يهود هذا البلد يسيئون إليه إساءات بالغة ومن الضروري أن تعلموا بأن اليهود يكفرون بالمسيح ويتهكون حرمانه كل يوم وساعة، لهذا سادتي الكرام أيها المسؤولون. وجب عليك طردهم من بلادنا فهم أعداؤنا الداخليون الكافرون ببصوطة الناعتون أمه الطاهرة العذراء بالعاهرة وابنها بالهجين بينما نصفنا نحن بالمحبلين والخونة، ولن تمكنوا من إبادتنا جميعاً لما تأخرنا عن ذلك لحظة واحدة. بل إنهم يفعلون ذلك..."
فعلًا مع كثيرين من إخوانا المسيحين بواسطة أبناء ملتهم المتنكرين بأنواح الأطباء وال врачین الذين يتبعون في وصف الأدوية الطريقة الإيطالية القديمة القائمة بإعطاء المرضى بعض السوام بعيارات معينة بحيث تحل لهم تدريجيًا.

وقال نابليون بونابرت الإمبراطور:

- يستحيل علينا إقناع اليهود من طبائعهم المتأصلة فيهم بالحوار، إننا علينا أن نعمل إلى سن قوانين خاصة بهم تميزهم عن الآخرين.

فما برح اليهود منذ أيام موسى يتعاملون بالربا ويضطهدون غيرهم من الشعوب، والثابت أن كل مواهبهم مكرسة لأعمال اللصوصية، حتى إن عقائدهم التي يؤمنون بها ويعملون بذريهم هذه الأعمال وتشجع على كل ما يقترفونه من فعال مشينة.

وقد بات من الضروري أن نمنع اليهود من ممارسة التجارة تمامًا كما نمنع أي جواهر من متابعة عمله إذا غش فباع ذهبًا من عيار خفيف على أنه عيار ثقيل. ليس اليهود في الواقع سوى جحافل من الجراد والحشرات المؤدية تلتهم حياة فرسناً.

وقال حليمة وابيروم:

ولد لينين في العاشر من نيسان 1870م على حدود مقاطعة أوديسيا جنوبي روسيا لأب يهودي ألماني يدعى أيليكو سروال غولدمان وأم ألمانية يهودية تدعى صوفيا، وسمي صيام غولدمان عند ختنة حسب التقاليد الدينية اليهودية.

ففيما يخادع الصهاينة الولايات المتحدة بدفعها إلى الاعتقاد أنهم يقفون
إلى جانب مصالحها يقوم الشيوعيون بدورهم بمخادعة العرب، يجعلهم يعتقدون أن الشيوعية تقف إلى جانبهم، ولكن الحقيقة هي أن الشيوعيين والصهاينة يشكلون عصابة وحدة.

وقال جورج واشنطن:

"يفوق تأثيرهم (اليهود) المدمر على حياتنا ومستقبلنا خطر جيوش جميع أعدائنا. بل إنهم أشد خطرًا وفتكًا بمكانة ضعف من ذلك على حرياتنا والقضية الكبرى التي تكرس لها جل اهتمامنا. وهم يؤسف له ويؤلم في الوقت نفسه أن حيناً من الدهر طويلاً قد انقضى لم تحاول خلاله ولايانا كل منها على حدة على الأقل مكافحة اليهود والقضاء عليهم رغم برهمتهم على أنهم يشكلون مجموعة حشرات تتفك بمجتمعنا وتؤلف أكبر خطر يمكن أن يتهدد استقرار الولايات المتحدة وأمنها."
الحب نوال.. لا مثال

والحب نوال لا مثال، لعله تعريف محدث. حدثني به أحلام البيضة،
ويضحك ذلك بتبسيم الغزل الذي هو أريج الأدب العربي يوم كان هذا الأدب
هو الشعر، ما تعلم شعراؤنا العروض والقوافي في مدرسة على يد أستاذ
وإيما كانت المدرسة صحراهم، وكان الأستاذ زاهماً بهذه الحياة لا
يسألون عن ضيق العيش؛ لأن نفسهم نعمت بالمنظف تضافعوا به مع
الطموح.

من هنا قسم الشعراء أنفسهم حين اقتسموا الغزل، فإذا هم ثلاثة ..
عاشق النوال جمالاً يراه في الحبيبة، والجامع وراء المنثال لا بد أن يأخذ
الحبيبة، والمشرف يرى الجمال فيرسن الشعر يتنزل بالنزل، يستمر على
النزل، فامرأه القيس غزل من الف، فتندعه وإن كان هو
قدوة الحداثة في هذه الأيام، والعذريون يعشقون الجميلة ولا يطلبون
الواد، لأنهم لا يجرون وراء المنثال، يكشفهم أنهم عاشقون يملؤون
الواد ويميلون إلى لهفة الهجر. فالهجر عند العذري هو اتصال الفؤاد
بالنظرة العجلة إلى صاحة النوال، فهم أجل من تغزل، حيث لم يتبدل،
وما أحله قول جميل بشتة حيث أطلق ألسنتنا نشيد منذ أطلق ألفنتنا نعشق،
قال جميل:
أبرع عن النوال وصلاةً وعن المنال اتصالًا بالرمز البديع.

وما دام هذا الغزل يغزلي في حلم منظة، فليكن عروة بن أذينة ليس
من هؤلاء الثلاثة لأنه يدعي بالنوال جمالًا وكمالًا، فهو وحده قبل دولة
المبجي رأس في شعراء الغزل، هو إمام في الفقه والسنة عربة صلبة ومن
التابعين ومن أهل المدينة المنورة، أنشر قصيدته التي تعجني حلياً في هذا
المقال.

إذن التي زعمت فؤادك مللها خلقتها وكما خلقتها هوی لها.
فبك التي زعمت بها وكلاكما
ببيت بين جوانحي حب لها
ولعمرها لو كان حبك فوقها
وإذا وجدت لها وساع سلوة
بيضاء باكرها التعيم فصاغها
لم أعرضت مسلماً لي حاجة
أرجو معونتي وأخشى دلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي
فدنافقال لعلها معذورة
لعلها

وأنشد الجواهري الشاعر المسكين هذا البيت (بيضاء ..) فدمعت عيناه
(شُوَهَا البِدْوَيَّ بَلا سِرْوَالٍ، نُورَه حَطِب، يَنام أَوْلِ الليل، يَقُول هذَا الشَّعْر،
وَاللَّهْ إِن أَعْظَم مُودِّرْنِ في بَارِيس لَا يَسْتَطِيعُ أَن يَقُولُ مَثَل هذَا).
قومية العرب ومراحلها

ولكن قلت من قبل إن القومية شعوبية العرب والشعوبية قومية الفرس، فإني اليوم أطرق في وضوح عن مراحل القومية العربية؛ لأن هذا النعت أو هذه العزوة لم يتحدث لها وضعع بعض العرب إلا بعد أن انقضت وحدتهم فإذا هم المسلمون نعم وإذا هم يعودون إلى القبلية أو حتى الأسرة أموية عباسية وفي المقابل علما بعد أن كان العباسيون والعلويون قبالة بني أمية هاشمين قبالة عشمتين، جدهم واحد ولكن جدهم اختلاف ولكن وجدانهم لا يتألف، فالعرب قبل الإسلام لم يعرفوا لقب القومية تجمع قبائلهم، وإنما كل قبيلة قوم، ففي العهد السحيق قوم عاد، قوم هود، وما هم إلا عاد قوم هود، قوم صالح حتى إذا بادت عاد وهلكت ثمود عاد النسب إلى الجد دونما كلمة قوم كناناً فتبرع أربعة فراعين حمير (قوم المصبغ ابن الحارث وهو ذو القرنين) سبأ التي نشأت عنها قبائل غسان بفراء. كل أرد السراء أرد عمان. أرد شنواً كأنما كل ذلك ما زال وهو المؤثر الذي تفرعت به العرب بعد مقتل عثمان بن عفان في النورين، رضي الله عنه، فهمها كانت الأسباب فإن الحمية والقبلية ومطامع الأسر هي التي جسدت قومية أمية، فحين استنبط الأمر لبني أمية في الشام أول الأمر وفي دنيا الإسلام كلها حين انتصر الأمر أمسك بنو أمية بالقومية.
اللغة العربية بقوة وعزم، ومسيرة قلم يكتب لغير العرب في مدة التسعين عامةً
لأي قومية أخرى أو لأي فريق مسلم من غير العرب حول، ولا سلطان
حتى إن أنجب بني عبد الملك وهو مسلمة كان جديراً لأن يكون ملكاً
مثل الوليد وسلامان أخوته، أبوهم عبد الملك بن مروان غير أنه لم يظل
ذلك وهم يعرفون نجاحه قائد جيش حاصر الآستانة (قسطنطينية) عاصمة
الرومان لم ينل الملك؛ لأن أمه لم تكن عربية صليبية ولعله قال قبل
العصر:

هذا جناء أبي علي وما جنئت على أحد

وحتى إن هشام بن عبد الملك وهو آخر مسلمة أيضاً عبر عالمًا زين
ال облаدين بن الحسين بن علي كتب إليه قائلاً (إنك لا تصلح لخلافة
أملك جارية) عبره بأمه مع أنه يعرف من هي، إنها شهيرة أبوها كسرى
يزدجرد أسرت مع أختيها ولكن أبا حفص الفاروق عتبري هذه الأمة
صوان الوحدة المسلمة الأعير بن الخطاب عمر استعمر أسرهن فأخذته
الريحمة عليها فمنه فاعتقه وزوج الحسين بن علي أم علي زين العابدين
سماها الحسين غزالة والثانية زوجها ابنه عبد الله بن عمر فأنجبت سالماً
حبيب أبيه (جليلة بين الألف والعين سالماً) وزوج الثالثة محمد بن أبي
بكر الصديق، بنت الملك الفارسي تزوجن خير شباب العرب ومن خيار
المسلمين ومع هذا أتت قومية هشام إلا أن يعمر ابن عمه، وإن بعد بأمه
وهي بنت كسرى وبهذا كله ومن هذا كله اشتعلت قومية الفرس شعوبية
فتوسلت إلى غاباتها وما تلك الغبايات إلا تحظيم القومية العربية فوجدوا
طلبتهم يميلون إلى بني العباس لما ينسوا من استجابة جعفر الصادق لهم.
فإن شعبية الفرس تنتصر بسيف عربي عباسي أسقط ملك أمية ووضع السيف ورفع السوط فذابت أمية لولا أن عبد الرحمن الداخل نجا بأعجوبة، صاحب الملك في الأندلس.
القومية العربية «٢»

والتكملة عن القومية العربية، كثيرة، كما أنها مثيرة، غير أن الكاتب
يأخذ الموضوع بالوداع، وكان ينبغي قبل المقال الأول، أن يكون هذا مقالي
الأول، لأنه من مثابا ومعرضا، وكيف تطورت مما كانت تشبه في الجاهلية
الجهلاء، وما صارت إليه في جاهلية الصحراوات، بل وما صورها لنا القرآن
الكريم، الكتاب العيني الذي لا يفسد عيانه، والسأئل هو: هل كان
اشتاقاها من القيام، أو من المقاومة، أو من التنظيم؟ سأترك العودة إلى
المراجع، فليس لدي وقت للتراجع لأطرح ما أفهمه من فقه هذه اللغة
الشاعرة، فقد تكون القومية مشتقة من القيام، قام الرجل بالأمر، نهض لينذ
الأمر، أم هي المقاومة، أخذ الرجل يقاوم عن قومه، يقاوم الباطل ليستقيم
الحق، فحتى الاستقامة دخلت في الاشتاق، أو هي مشتقة من التنظيم;
يصفون القبيلة بقيمها من الكرم والشجاعة، والحفاظ على الشرف، وعليه لم
أخطئ الصواب في هذا، كما أي لم أزعم أي بريئ من الخطأ.

وبعد ذلك، فقد قلنا في المقال السابق عن اشتعال القومية العربية في
عهد أمية، لكن نصر بن سيار أمير خراسان ما فاته أن يرى تحرك الفرس
الذين تسرعوا بالدعوة لأول محمد، كما تسرعوا بأنهم الخراسانيون، لا تهيروا
وإنما ليجمعوا كل من إليهم من شرق الخليج إلى حدود الصين، ولكن
العمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

الخرسانية في الأفغان قد تناهت فإذا هي في وضع بريء من الشعوبية، لا
يترأ من الحب، ولا يفرط بالبغضاء.
عرف نصر بن سيّار ذلك، ولكن القوم في دمشق ناموا عنه، فلم يرسل
المدد، أو لعلهم لم يجدوه، فقد غفت غسان وبهراء وكلب، فإن الشعوب
يصيبها المرض إذا فقدت الغرض أو إذا أعرض عنها القادة يشغلون بغرض
السيادة.
وأنشد نصر بن سيّار:
أرى أثر الرماد وميض نار
فإن النار بالعودين تذكي
وإن الحرب أولها الكلام
أبقى من التعجب لب شعري

واشتعلت نار الشعوبية، عباسية الاسم فارسية الفعل، فكان وقودها
(جسد وهم). فما الجسد وما الهام؟ وكيف كان صقر قريش؟ ذلك.
القومية العربية "(3)"

وتطور الإعراب عن القومية بعد أن كان عن القبيل والشعب صار إلى أن المقاومة. فالقوم هم الذين يغيبون قبليا آخر عملية سلب ونهب: فقالوا القوم الفيلانية غاروا على الفيلانية فنهوا خلالهم. هذا الاستعمال جاء بعد عصر الفرقة ولدى قبائل الصحراويين نمو في القرآن الكريم هذه الآية:

"لا تتخذهم قوماً من قومكم غنى أن يكونوا خيراً بينهم ولا يسأله من يسأله عن أن يبكون حثاً يثنده" (الحج: 11) فاستخلص النساء من القوم ليكون القوم هم الرجال وجاءوا بالشاهد من ديوان العرب شعر اللغة الشاعرة هذا البيت:

ولأ أدرى ولست أحلال أديرة أقوم آل حصن أمن نساء

فالشاعر صرف القوم على المقاومين الرجال وأخرج النساء من القوم، ولعل القرآن الكريم حين استخلص النساء وخصهن علمنا أن الأثري كريمة لا يجدر بها أن تسخن من غيرها ولا يليق بأن يسخن منها، خاصاً من العام تركيماً للقولير، ومع هذا التطور فقد تعامل الشاعر العربي القريب بلغة القوم على أنهم قبيلة شعبية:

لكن قومي إن كانوا ذوي نفر ليسوا من الشر في شيء وإن هانا كان ربك لم يخلق لخشيته سواهم دون خلق الله إنسانًا
ويأتي مهار الدبلوماسي فيرجع إلى الأصل في الاستعمال يطلقه على شعبه الفارسي. فمهار مولى الشريف الرضا اكتسبته العروبة شاعراً من الكبار في ديوان العرب لكنه قال فأخراً بقمته وينفسه حين سألته من تريد معرفته فقال:

فأبدي كسرى على إيوانه
قومي استولوا على الدهر فتى
وبنا بيوتهم في الشهاب
سدد الفرس ودين العرب

وقد جمعت المجد من أطرافه وما كان في هذه شعيباً وإنما هو قول شاعر.

وهكذا يتطور الاستعمال للفتم حتى إنا حفظنا هذا المثل (أخوك من أمرك مثل الذهب في كمك وأخوك من أبيك مثل القوم إذا ينهوكي) ولأن وكما تقدم اشتعلت القومية في عصر أمية فقد ماتت القومية العربية في العصر العباسي ودبت القومية الفارسية شعيبًا حتى جاء المعتصم فإذا هى وبالمعتصم تضجعت الشعيبة الفارسية وتشتغل القومية التركية تخلص من الفرس وأعتز بأخواله من الترك. انتهى عصر البراماك وأبي مسلم وبدأ عصر الإفشنان ودبت الذين وطروا أرض العرب فتأبأوا حين سادوا وعلّي قبل أن انتهى من هذه القومية أذكر بأن الأمين والمتوكل كانا ضحية القومية العربية. فالشعوبية الفارسية انتصرت على الأمين؛ لأن العاملين كان لها والتركية قتلت الميكل لأن لم يكن لها.
القومية العربية «٤»

وبدأ الضعف يأخذ ملك بني العباس فإذا ملوك الطوائف كل أمير
للإمبراطور العباسي استقل بالإقليم الذي كان أميرًا عليه سواء كان فارسيًا أو
تركيًا أو كردًا أو عربيًا (بنو حمدان) أو الفاطميين انصر النفوذ لملوك
الطوائف فإذا العرب ولو كانوا الحمديين أو الفاطميين لم يدع كل منهم
القومية ولم يتداعوا في تضامن يجمعهم، فجاءت موجة النتار والصليبيين
وموجة تيمورلانك، فلا قومية لأحد، ولكنه الإسلام رغم هذا الشتات
ورغم هذه الفرقة، ما زال هو القوي المنتصر بالحرب عليه. فقائلن انصر
بالحرب أولاً فانصر بالشبات من الشعوب المسلمة، نادت شعوب
الإسلام صلاح الدين العراقي الكردي المسلم الشامي المصري العربي ليهزم
الصليبيين كما نادوا الملك مرتين، العبد مرتين المظفر قفز ليتنصر على
النتار، صلاح الدين في حطين وفطير الملوكي الخوارزمي الشامي المصري
الإسلام صاحب الكلمة المنتصرة (وإسلاماء) ففطير حين انصر عين
جالوت، ونادت شعوب مسلمة فاستجابت لها المرأة شجرة الدر الجارية،
زوجها الملك الصالح أيوب. أيوبية الملك أختت مرض زوجها. تمنع
الخور عن الجيش، بل أخفت موتها فإذا هي تقدم الممالك ومعها السيد
أحمد البدوي رديفًا فإذا الإمبراطور الصليبي لويس التاسع يصبح أميراً، كان
هي امرأة مسلمة قيدت بسجن في دار ابن لقمان.
دار ابن لقمان والقيد باقي والطوق جلي، وما أطلقوه لويس التاسع

إلا بفدية، عجيبة عن هذا الإسلام، ينتمي بالحرب عليه من أصصاً أمرة

كانت جارية مسترقة، والأعجوب أن رجالاً جاءوا بعدما كانوا على مائدة

الاستعمار، ولكن لا نبخس الناس أشياءهم، فإن الوحدة المسلمة قد

جمعتها اليد العثمانية التركية فقد صمد السلطان (يلدروم بايزيد) أمام

تيمورلانون حتى استنائر ولكن تيمورلانون أطلق سراحه، أبان كليهما مسلم

أم لأن كليهما تركي، ونبغ السلطان محمد الفاتح بهدم دولة الروم يفتح

عاصمة الروم القسطنطينية، كما نبغ سليمان يطلق ملك فرنسا من أسر

النمسا ولكنه وقد بلغ الذروة من القوة لم يبادر إلى نصير المسلمين في

الأندلس مع أنه كان قادراً وهو المعنى وقد عناه بذلك أبو اللقاء الرندي في

 قوله:

يا راعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عن وسلطان

أعندكم تبدأ من أهل أندلس فقد سرى يحدث القوم ركبان

فالسلطان سليم ضم الأرض المسلمة فحل دون الصليبيين ولكن الأيام

دول، حين اشتد الأمر على الدولة العثمانية وحين اشتعلت قوة أوروبا

تتأهش الأباطرة أقاليم الدولة العثمانية، القبض ضم تركستان والقوقاز،

وفرنسا صالت وجالت في المغرب العربي، وكانما روسيا بما أخذها وفرنسا

بما أخذت مها الطريق للاستعمار البريطاني، فذهب فاحتت مصر، ونهبت

إيطاليا ليبيا ولكن الدولة العثمانية ما بادت عراها إلا حين نبغت القومية

الطورية.
القومية العربية (5)

والتقت القومية العربية في عهد العباسيين والطوارئ كما قلنا وكانت تنتهي فلا تكون لها صحة في عهد العثمانيين، حيث كان الجميع في جامعة الإسلام حتى مسلمو الهند ومن إليهم. وفي ظل الاستعمار البريطاني كان ولازمه للدولة العثمانية، وحتى مصر والأفارقة العرب كانوا كذلك، أما الوضع في اليمن فلم يكن قوميًا وإنما هو الاستقلال. وكان من الممكن للسلطان العثماني أن يرضي عن الوضع في اليمن بأسلوب الوافق، كما قد رضي سلاطين بني عثمان وهم في أوج القوة بما يشبه الاستقلال في دمشق تحت سلطان بيت المؤيد العظم الذين دام سلطانهم في سوريا نحو مائتي عام، كانوا للدولة العثمانية، وكانت الدولة لهم. كما أغمضوا عينهم عما يشبه الانتصال عن الدولة في لبنان، لقد رضيت الدولة عن تنصر "بشير الشهابي" ولكنها زادت الطين بلة فقد أشعلت الحرب بقيادة محمد علي باشا على نهضة نجد، نهضة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب واستنهاض آل سعود ينصرون الدعوة، ولم يكن الأمر انفصالاً عن الدولة وإنما كان الانتصال بدعوة السلف، وكان من مصلحة الدولة العثمانية أن تقوض الدعوة المسلمة وأن يتم الجمع المسلم على أمر واحد وفي ذلك تأييد للدولة. ولكن أخذ العثمانيون الأمر على العكس. فهم يريدون ألا ينهض العرب، كما أرادوا أن يزرعوا الفتنة بين العرب. فكم تجرعنا
المرارة من الجفوة بين نجد، ومصر حتى أن تناسى الجفوة ضد السلطان
محمود، والدافع إلى ذلك قبل كل شيء هو حرب الطرفية ضد السلفية فلأ
اليمن ولا نجد كانوا القوميين، غير أن القومية العربية قد استغلت في
أرض الشام، بعد مؤتمر باريس وبغبارا الحلفاء، كما نهضت القومية في
الحجاز؟ ففي الشام قومية محضة لا تكاد تسمع في تلك الأيام إلا اسم
يعرف، قحطان، عدنان، كل الأناشيد عربية حتى إن صفي الدين الحلي
الذي كان مغمراً أصبح مشهوراً بقصيدته "سلي الرماح العوالي عن مالينا"
وبهذا البيت الذي أصلح العلم للقومية:
بيض صنائعنا سود وقناعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

وما ثارت الشام ولا العرب إلا بثورة "الطورة" قومية تركية.
القومية العربية (٦)

وسبق فيما كتبت قبل هذه عن القومية العربية وكيف أمتها، ومن هو الذي أمتها؟ حتى إذا نبغت الطورانية قومية تركية تناغبت القومية العربية في الشام وفي سوريا بالذات وفي العراق، بعامل التداعي، ربما أمال الواحد الوقت. أما غير هذين العراقين، دمشق وبغداد، فلم يكن هناك ذكر للقومية العربية، ولن تكون ذكرت في مصر كغيرها فإنها لم تذكر على لسان أي مصري كدعاء إلا حين نبغ عبد الرحمن عزاز باشا، فالطورانية التركية التي اعتمدت تريك الشعوب العربية في كل مدارسها، أثارت الشعر كأنما الاتحاديون وقد أمسكوا بسلطة الدولة العثمانية أرادوا أن تكون الشعوب العربية ليست محمودة الطاعة للسلطان العثماني، وإنما ما يحمد للعرب هو أن يصبح شعوبًا تركز ها هذا ما أثارها. أعني القومية ولكن من أعمالها حين خانها الاتحاديون، أثارهم الإنجليز، أغري بها وأعماها وما كان يدري القوميون أن سيكون وعد بلغور وأن ستكون المعاهدة الغادرة (سليكس بيكر) التي وزعت تركة الرجل العريض.

وكان سيف العرب وكل ما أثبتت أرضهم قوة لإنجلترا وفرنسا، وكهذا الحماسة دون دراسة بعثرت القومية العربية، أصبح كل من الشام والعراق وما إلى ذلك في يد أصدقاء القومية، في الشام فرنسا في العراق.
إنجلترا، والغريب أن تاريخ القومية لم يكتب بعد كيف كان شكتب أرسلان خصماً لها ثم أصبح أحد دعاتها، وكيف كان ياسين الهاشمي من دعاتها للكه الجراح العسكري لم يتخلى عن الوفاء للدولة العثمانية ثم تحلّي بالوفاء بالقومية العربية وذهب ضحايا من أهل الشام على مشاق جمال باشا، بل ذهب كثير من الضحايا الذين لا ذنب لهم من أهل المدينة المنورة، خلت بيوتهم، يرحلون الأمهات بلا أبا أو يرحلون الآباء بلا زوجات، ظلم بشع، فحين تحكم العنصرية يكون هناك من تعنصر ضد من تعنصر.

وفي الحجاز لم تكن النهضة باسم القومية، ولكن باسم الاستقلال عن الدولة العثمانية الحاضرة في الحجاز خسرت، وما كانت نصيراً لما جرى، أما القبائل فقد كانت هي النصير، فقد قال لورانس: لولا القبائل لما كان استقلال الحجاز، ولا بد من ملحقة مقارنة أذكروا، فشعار القبائل حين نهضوا في الحجاز هو (ليلة السبت جاء علم وراح، ركب الخيل والسبع القبائل والفرنسي على مشروبيها) بينما شعار القبائل في نجد كان (هرب هروب الجنة وأين أنت يا باغيها)، وأخيراً لا تتحسوا أن قبائل نجد حجزها البطل الملك عبد العزيز عبد الرحمن عن المشاركة في استقلال الحجاز، فكسوا من شيوخ القبائل في نجد كانوا مع النهضة وكان الكسب جلاء الأتراك وكثرة السلاح في يد القبائل ووفرة المال وراحة البال.
القومية العربية (7)

وفي العصر الحديث ومن محاسن القومية العربية أنها جندت شعوبها لحرب الاستعمار، فالشام لم تسكت والعراق ما كان خاملاً، وإنما كان ينتظر، وجاء دور مصر التي لم تكن قبل الحرب العالمية الثانية أو حتى قبل عام 1948م تنادي بالقومية العربية، أول صوت ارتفع وليس في يده سلطان هو صوت عبد الرحمن عزام ومن إليه وكانوا قلة، لأن مصر قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها كان فيها من يدعو إلى بقاء مصر عثمانية مستنداً إلى وثائق التاريخ وقيمة الدولة ألما وهو زعيم مصر الوطني الشاب النظيف مصطفى كمال، كان ينادي بذلك ومعه إخوته في الحزب الوطني، أما لطفي السيد فكان يدعو إلى أن مصر أمة وحدها لم يتتنكر لإسلامها، وكان يتعز بعروبة اللغة، وجاء عادل زغلول ثانياً تقومه ثورة سنة 1919م بل لعل دنستاوي التي لم يكن لها حين ذلك نمسك برآي عاقل يتأثراً كانت له في سنة 1919م وكان بها أيضًا، فسعد أمين بزعامة مصر وكان له رأي عن عروبة مصر كنهج سياسي يريد أن يكون العرب معه بينما هو أحد فصحاء اللغة الشعرية.

سعد لم يدع للعروبة القومية لمصر، فحين وصل إلى مصر د/عبد الرحمن الشهيدر والشيخ كامل القصاب وهما من زعماء الشام استقبلهما
سعد زغلول وعَرَضَ على أن يعذب بالسلاح وأن تكون ثورة الشام معه فقال كلامه المشهورة «لا. صفر + صفر = صفر»، حديثيها كامل القصاب، يرجح الله حين تشرفت بلقبه في المدينة المنورة. كان الشهيد القصاب غاضبًا ولكن بعد تفكير طويل عرف أن سعدًا ما أراد التوصل من العروبة ولكنه أبى أن يتفاجأ بالتكتل؛ لأنه يعرف أن الإنجليز أسفوا التكتل في الدولة العثمانية كما أسفوا التكتل للقوميين العرب، فلا يمكن لسعد أن يضع مصر أمام شرارة الاستعمار الإنجليزي يحاربهم باسم مصر وحدها يفاوضهم باسم مصر وحدها انصرف عن التكتل وكان بذلك حسناً.

واجهت حركة 23 يوليو سنة 1952م وهي وسادة المثليفين، القصر أرادها ليقضي على الجيش مما فعلها عمه توفيق، ظن أن جيش الاحتلال أمس هو جيش الاحتلال يومه وجيشه الاحتلال أراده كما السفارة الأمريكية لحساب اليهود في فلسطين، فالقضاء على الرمز العربي في صالح اليهود، والأخوان المسلمون تلفوا عليها طلباً للإصلاح وليادة الإسلام وجة الضباط الأحرار ففعلوها وكسوا فلا جيش الاحتلال تحرر وأمريكا باركت وإسرائيل فرحت ولكن خاب ظنها. كل هذا أشع القوية العربية في مصر فتحقق حلم الشام حين انضمت مصر إلى القومية؛ لأنهم يعرفون أن أي فرقة بين مصر والشام جلبت المهالك، وأن أي وحدة وثام بين مصر والشام أعطت الإسلام والعرب حظين وعين جالوت.

وهكذا عادت مصر إلى العربية ولم تكن خارجها بالفعل، وإنما هو الإعلام وتحمل المسؤولية ولكن ماذا جرى، ضاع الأمل فإذا القومية أصبحت شعوبية العرب على أنفسهم لا على غيرهم.